

أحمد عبد المجيد

فيلكس

كيف غيرت
روايات الجيب حياتي



@ART_OF_BOOK

بوب فيكشن

أحمد عبد المجيد

الطبعة الأولى: 2025

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر



للنشر والتوزيع

186 عمارات امتداد رمسيس 2

مدينة نصر - القاهرة - مصر

هاتف: +20220812006

rewaq2011@gmail.com

www.alrewaqpublishing.com

الإخراج الفني: ضياء فريد

التدقيق اللغوي: أسماء أبو المجد

تصميم الغلاف: كريم آدم

الترقيم الدولي: 1-288-824-977-978

رقم الإيداع: 2025 / 9633

إلى محمود سالم، نبيل فاروق، أحمد خالد توفيق،
لولاكم، ما كنت لأصبح ما أنا عليه اليوم!



إلى دار المعارف: «قصص بوليسية للأولاد»

دار الهلال: «كتب الهلال للأولاد والبنات

- مجموعة الشياطين الـ13 للشباب»

المؤسسة العربية الحديثة: «روايات مصرية للجيب»

شكرًا، شكرًا لكم!





إلى مكتبة الغامدي، ومكتبة المتنبى،
ومكتبة تهامة أمام سوبر ماركت الأخضر
مكتبة خالي، في صالون بيت جدتي
فرشة الجرائد في ميدان المتلت، وأمام محطة القطار،
وبجوار ريدي فيش في المطبعة
المحل الصغير أمام النادي الرياضي
وبشكل عام، إلى جميع فرشات الجرائد طوال فترة التسعينيات



مقدمة



كتبْتُ هذا الكتاب في النصف الثاني من 2020، عام الكورونا.

في ذلك العام، جلستُ في بيتي أثناء الحظر الذي فُرض على العالم، أشعر بالقلق على أصدقائي ومعارفي، أشعر بالقلق على أمي وإخوتي، أشعر بالقلق على زوجتي وأبنائي، وأشعر بالقلق على نفسي، بينما أتابع أخبار تزايد الإصابات والوفيات.

اكتشفتُ مع الوقت أن المعركة معركة ثبات نفسي، وأن حفاظنا على صحتنا النفسية وسط هذه الأجواء لا يقل أهمية عن الحفاظ على صحتنا الجسدية، فبدأتُ في اتخاذ إجراءات لتهدئة أعصابي قدر الإمكان. ولأشعر نفسي بالأمان، قررت أن أقضي الوقت في قراءات بسيطة غير مُرهقة، قراءات هادئة آمنة، فعدت إلى ما كنت أقرؤه أثناء طفولتي، الكتب التي عشت معها أجمل الأوقات، عندما لم أكن أحمل همًّا تجاه العالم.

تذكرتُ عندها أن خطوتي الأولى في القراءة كانت من خلال سلسلة الشياطين الـ13، بالتوازي مع ألغاز المغامرين الخمسة، وكتلتاهما من تأليف محمود سالم. ثم قضيت وقتًا طويلًا مع روايات أجاثا كريستي، وأرسين لوبين، وشرلوك هولمز، قبل أن أعرف طريقي إلى أعداد المشروع العملاق «روايات مصربة للجيب»: رجل المستحيل وملف المستقبل والمكتب رقم 19، ثم ما وراء الطبيعة وفانتازيا وسفاري.

طوال خمس سنوات، من سن التاسعة وحتى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمري، قرأت مئات من تلك الكتيبات الممتعة. ومع كل كتيب، كنت أعيش مشاعر سعادة وشغف لا توصف وأنا أتصفحه، وتجري عيناى على سطوره، وبداخلى تتردد الأسئلة: من ارتكب الجريمة؟ كيف ستنجو الشخصية من هذا المأزق؟ هل سأسبق البطل في حل اللغز؟ ماذا سيحدث بعد ذلك؟





كان ذلك قبل أن أصل إلى إصدارات مكتبة مصر، وأعيش بين دفئتي أعمال يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس وعبد الحميد جودة السحار ومحمد عبد الحليم عبد الله، ثم لاحقًا نجيب محفوظ ويوسف إدريس وتوفيق الحكيم، وأبدأ في رؤية العالم بمنظور مختلف.

لكن قبل أن أستطيع القراءة لهؤلاء العمالقة، ماذا كنت سأقرأ لو لم تكن كتيبات الجيب موجودة؟ ربما ما أحببت القراءة، وبالتالي لم أكن لأصبح ما أنا عليه الآن. كان أحمد خالد توفيق يقول إن كتاباته أشبه ما تكون بـ«منطقة»، درجة سُلم ترفع القراء الشباب من قراءة قصص الأطفال والمجلات المصوّرة إلى الأدب الجاد، وهذا بالضبط ما حدث معي. أجيال كاملة أحببت القراءة وتشكّل وعيها من خلال هذه الأعمال، بعضهم أكملوا الخط إلى نهايته وصاروا كُتّابًا -مثلما فعلتُ أنا- وبعضهم خاضوا الحياة متسلّحين بالخيال وحب القراءة اللذين اكتسبوهما من تلك الكتيبات.

وفي عام الكورونا، أعدتُ قراءة عشرات الكتيبات لأحافظ على هدوء أعصابي، وانفتحت أمامي مشاعر كنت قد نسيتهَا، انبعثت طفولتي من جديد، وعشت مشاعر الطفل ذي السنوات العشر الذي كنته ذات يوم. ومدفوعًا بتلك المشاعر كتبتُ وقتها مقالاتٍ نُشرت فيما بعد في كتاب «أربع محاولات للحياة»، أتكلم فيها عن ذكرياتي وطفولتي، وكتبتُ أيضًا رواية «أيام الجنة»، التي نُشرت عام 2023، وتدور حول طفل من مواليد الثمانينيات وكيف رأى العالم وتفاعل معه.

ومع كل كتيب أتصفحه، كنت أتذكّر كيف عانيتُ وعانى أبناء جيلي في الحصول على الأعداد التي تنقصنا من سلاسلنا المفضلة. كانت التسعينيات فترة جافة في توزيع الكتيبات، والوصول إليها -خصوصًا الأعداد القديمة- أمر بالغ الصعوبة. وأن تجد شخصًا آخر يشاركك هذا الشغف، وتتبادل معه الأعداد، تتناقشان في الأحداث، وتحاولان معًا تخمين ما سيقع؛ كان هذا حلمًا يستحق إن تحقّق أن تعض عليه بالنواتج!





مضت عدة شهور وأنا منعزل في البيت أعيد قراءة روايات الجيب التي أحببتها في طفولتي، وأبحث على الإنترنت عن المعلومات التي تنقصني حول مؤلفيها. وشيئاً فشيئاً امتلأْتُ بالذكريات والملاحظات؛ هناك ذكريات الطفولة التي تُشكّل تجربة فريدة أعتقد أن أغلب أبناء جيلي شاركوني فيها، وهناك معلومات كثيرة حول كيفية تأليف تلك الكتيبات وما مرّ به مؤلفوها لينجزوا مشاريعهم التي فتنتني في طفولتي، بالإضافة إلى خبرتي ككاتب يعرف أصول الصنعة ويدرك ما مرّ به كل كاتب وما لا بدّ أنه واجهه من صعوبات وهو يكتب ما كتبه. امتلأْتُ بكل هذا، ووجدت نفسي أبدأ في تسجيل بعضه على شكل ملاحظات وخواطر، وشيئاً فشيئاً بدأ ما أكتبه يتحوّل إلى الصورة الأولية من هذا الكتاب، الذي لا أجد وصفاً له سوى أنه تجربة شخصية في القراءة أدت إلى تكوين شخصيتي ووعيي، بل أدت إلى تكوين شخصية ووعي جيل كامل، أو عدة أجيال، فأنت لن تستطيع فهم ما صار إليه أطفال السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات وأوائل الألفية ما لم تتأمل ماذا كانوا يقرؤون وما الذي شغلهم فيما قرؤوا.

عندما تُوفي أحمد خالد توفيق عام 2018، أدهشني أن كثيراً من المثقفين والإعلاميين بدّوا متعجبين من موجة الحزن الجارف التي اجتاحت الشباب. وعندما حاولوا الرجوع إلى ما كتبه -وكان أغلبه آنذاك بعيداً عن مشروع الأساس في سلاسل الجيب- لم يفهموا ما الذي جعل هذا الجيل يرتبط به على هذا النحو، أو ينعاه بهذا التأثير. أزعج أن قراءة هذا الكتاب قد تساعدهم على فهم الأمر، لأنه يعرض التجربة التي مرّ بها هؤلاء الشباب عبر أكثر من عشرين عامًا.

واخترتُ للكتاب عنوان «بوب فيكشن» Pop Fiction، وهو المصطلح الذي يُطلق على الأعمال الجماهيرية ذات الطابع التشويقي، التي تعتمد على الحدث المثير الذي يشد القارئ إلى المتابعة، مثل روايات الجريمة والرعب والفانتازيا والخيال العلمي. ورغم أن المصطلح يشمل أعمالاً موجهة إلى البالغين -كأعمال دان براون وستيفن





كينج وجون جريشام- فإنني سأركز في هذا الكتاب على تلك التي حُصّصت للشباب والناشئة. وعندما تأملت قراءاتي الأولى، وجدت أن هناك ستة مؤلفين شكّلوا الرافد الأساسي في تكويني وتكوين جيلي، فقررت أن أخصّص لكل واحد منهم فصلاً: محمود سالم، الذي دشّن البوب فيكشن العربي بألغاز المغامرين الخمسة والشياطين الـ13، ونبيل فاروق الذي رشّخ هذا النوع بمشروعه خصب الخيال غزير الإنتاج، وأحمد خالد توفيق الذي بلغ به مرحلة النضج. بالإضافة إلى ثلاثة مؤلفين أجانب شكّلت أعمالهم جزءاً أساسياً من طفولتي: أجاثا كريستي وموريس لوبلان وآرثر كونان دويل.

كلمة Pop المقصود بها Popular، أي الشعبي أو الشائع، وهكذا يكون المعنى الحرفي لمصطلح البوب فيكشن هو الأدب الشعبي، أي الأعمال الرائجة التي يُقبل عليها قطاع واسع من القراء لما فيها من متعة وجاذبية وسهولة ومباشرة. لكن رغم شعبيتها الجارفة، لا تحظى أعمال البوب فيكشن باهتمام يُذكر من النقاد، ولا تُعامل بالاحترام نفسه الذي يُمنح للروايات التي تحمل همّاً إنسانياً أو اجتماعياً، والتي يصفها النقاد عادةً بالأدب «الجاد» أو «الرفيع». وبسبب ذلك، يشعر كُتّاب البوب فيكشن دائماً وكأن المؤسسة النقدية تقول لهم: «لقد نلتم الشهرة والمال وحب الجمهور، فاتركوا التقدير والاحترام لغيركم!»

ومع ذلك، فكتب البوب فيكشن كانت بمثابة البوابة الأولى التي عبر منها كثير من الكُتّاب نحو عالم القراءة، ومنها إلى عالم الكتابة.

يقول نجيب محفوظ:

«في أحد الأيام رأيتُ أحد أصدقائي واسمه يحيى صقر يقرأ كتاباً، رواية بوليسية عنوانها «ابن جونسون»..

سألته: «ما هذا؟»، قال: «إنه كتاب ممتع جدّاً».

استعرتُه منه، قرأته واستمتعت به للغاية، كان ذلك ونحن طلبة في



السنة الثالثة الابتدائية، بحثت عن روايات أخرى من نفس السلسلة، ثم تساءلت: إذا كان هذا ابن جونسون، فأين جونسون نفسه؟ بحثت ووجدت سلسلة أخرى من الروايات بطلها الأب، كانت هذه أولى الروايات التي قرأتها في حياتي، كان عمري قرابة عشر سنوات..

كنت أقرأ روايات جونسون على أنها حقائق، ولهذا كنت أكاد أبكي، أو أضحك تبعًا لتغيُّر المواقف. ومن رواية إلى رواية، من بوليسية إلى تاريخية: سارت قراءاتي، وبدأتُ التآليف وأنا طالب في المرحلة الابتدائية»(1).

فلنلاحظ هنا أن هذا الأمر جرى في أوائل العشرينيات من القرن العشرين، كانت روايات الجيب المترجمة متاحة للناشئة منذ ذلك الوقت! يقرأها الأطفال ويستمتعون بها، وتساهم في إدخالهم إلى عالم القراءة الرحب، لدرجة أن أديبًا في وزن نجيب محفوظ بدأ قراءاته بها.

لذلك أستغرب ممن ينظرون إلى البوب فيكشن بتعالٍ ويقارنون بين كُتَّابه وبين كُتَّاب الأدب الجاد، أو يلومون قراءه على اختياراتهم. هذا مجال وذاك مجال، هذه كتابات مُوجَّهة إلى شريحة سنيَّة معينة -هم الشباب والناشئة، وقد تكون ضرورية في مرحلة معينة- وتلك كتابات مُوجَّهة إلى شريحة أخرى. كنت قد قرأت مقولة لتوفيق الحكيم يقول فيها إنه يستطيع تذوُّق الموسيقى الكلاسيكية وفي الوقت نفسه يمكنه تذوُّق الموسيقى الشعبية، لأنه يستعد لكل واحدة منها بحالة ذهنية مختلفة، تمامًا مثلما يستخدم الصياد للأسماك الكبيرة شبكةً كبيرة، ويستخدم للأسماك الصغيرة شبكةً أصغر، فلكل مقام مقال. وهذا بالضبط ما ينطبق على المقارنة المجحفة بين البوب فيكشن والأدب الجاد، بين أحمد خالد توفيق ونجيب محفوظ!

هذا الكتاب ليس دراسة في روايات الجيب أو تأريخًا لها، بقدر ما هو عرض لتجربة شخصية في قراءتها وتأثيرها في أجيال كاملة، يحاول الإجابة عن سؤال: ماذا قرأنا، ولماذا قرأنا، وكيف تأثرنا بما



قرأنا؟ لذلك لم أتطرق فيه إلى مشروع المترجم القدير عمر عبد العزيز أمين، الذي قدّم مفهوم روايات الجيب لأول مرة في مصر والوطن العربي في الثلاثينيات من خلال سلسلته الشهيرة «روايات الجيب»، التي ترجم خلالها مئات الروايات العالمية، لأنه لم يكن جزءاً أساسياً من تجربتي الشخصية، إلا بما قدّمه من روايات أجاثا كريستي وأرسين لوبين والقديس.

لا أعتقد أن أحداً من شبابنا الآن يمر بما مررتُ به في طفولتي، لذة الترقب والبحث عن الأعداد الناقصة وكأنك تبحث عن اللآلئ في أعماق المحيط؛ هواية القراءة تراجعت أمام زحف الأجهزة الإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي. الجيل الحالي لا يعرف البوب فيكشن سوى من خلال روايات دان براون وبول سوسمان وستيفن كينج وغيرهم، وهي أعمال ليست مُوجّهة إلى الناشئة في الأساس، بل إلى البالغين.

لا أعرف كيف سيكون وقع الكتاب على القراء؛ فالقارئ الذي عاش هذه التجربة مثلي في الغالب سيستعيد ذكريات قديمة كان قد نسيها، وربما سيرى التجربة التي خاضها بمنظور جديد، أما القارئ الذي لم يقرأ في طفولته هذه الأعمال، ربما يستغرب كل هذا، ففي بعض أجزاء الكتاب كنت أترك القيادة للطفل الصغير بداخلي، فأظل أحكي عن تفاصيل السلاسل وما جرى فيها -خصوصاً في فصل نبيل فاروق- وربما يجد هذا القارئ في تلك الأجزاء استطراداً لا لزوم له، وله أعتذر منذ الآن، وألقي باللائمة على طفلي الذي ربما حاول لمرّة أخيرة أن يجمع حوله أبناء الجيران ويقصّ عليهم على مدى ساعات أحداث الكتيبات التي قرأها.

هذا كتاب مكتوب بشغف طفل، أردتُ من خلاله أن أسترجع ذكرياتي مع الأعمال المؤسّسة التي وضعتني على أول طريق القراءة ثم الكتابة، أن أتناول محطات رئيسية مرتت بها في أثناء إبحاري وسط عالم كتيبات الجيب، أو البوب فيكشن، أن أضع بين يدي القارئ





شغفي القديم ممزوجةً بالنظرة النقدية التي اكتسبتها مع مرور الأيام. وفي الحقيقة، لم أجد حتى الآن في المكتبة العربية كتاباً يتناول مثل هذه الأعمال بشكلٍ يُرضيني، أغلب الكتب -على قلتها- تكتفي بالحديث عن الأبطال الخياليين، أو تستعرض حياة الكُتّاب وما مروا به، دون التطرق إلى الكتابة نفسها وتأثيرها في نفوس القراء، ولما لم أجد مثل هذا الكتاب، قررتُ أن أكتبه.

هذا الكتاب محاولة تذكير بأعمال أمئعتنا، رسالة تقدير لأعمال جميلة منحتنا البهجة بلا حدود، وسعي لفهم العوالم التي ساهمت في تشكيل عقولنا ووعينا في مرحلة مبكرة ودرجة من أعمارنا.





محمود سالم
(١٩٢٩ - ٢٠١٣)



١٣ / ٤٨٨ محمود سالم (١٩٢٩ - ٢٠١٣)



لغز الوحش البحري

ما زلت أذكر أول كتابٍ قرأته، وأذكر جيدًا لذة الاكتشاف التي صاحبتّه.

لم أكن أقرأ وقتها سوى مجلات الأطفال، وكانت لديّ مكتبة كاملة منها، من إصدارات مصرية وخليجية ولبنانية، مثل ميكى وسمير وماجد وباسم وسوبرمان.

كنت أول حفيد في عائلة والدتي، وخالاتي هوايتهن القراءة، فتنافسن في شراء مجلات ميكى وسمير وقراءتها لي منذ سن الثالثة. كنت أجلس بجوارهن أتابع بشغف الصفحات التي انقسمت إلى كادرات مربعة، ورسومات الشخصيات المبهجة، التي تخرج منها بالونات تحوي كلماتٍ لم أستطع قراءتها في ذلك الوقت.

أذكر أنني بعد انتهائي من الصف الثاني الابتدائي بدأتُ أقرأ وحدي بعد أن أدركت سر الحروف المتجاورة، وكان الأمر ممتعًا جدًّا بالنسبة إليّ، أن أقرأ الكلمات وحدي دون مساعدة المدرس، وأن أقرأ خارج الكتب المدرسية. ومن يومها لم أعد بحاجة إلى الكبار ليقرؤوا لي مجلاتي، وقتها شعرتُ بالقوة والقدرة، بإمكانني أن أمسك أي مجلة وأفتحها على أي صفحة وأقرأ منها ما أشاء.

ظلتُ هكذا لسنة أو سنتين، وكنت أتهيبُ قراءة الكتب غير المُصوّرة؛ بدت لي معقدة، الصفحة مزدحمة بكلمات جافة لا بد أنها مكتوبة للكبار وليس لي!

كانت هناك مكتبة صغيرة أسفل بنايتنا، أمر بها يوميًا بعد عودتي من المدرسة، وأشتري منها المجلات المُصوّرة. كنت أرى كتيبات تظهر بشكل دوري في نفس الحامل الذي يحمل مجلاتي، لكنني لم أهتم بها لاعتقادي أنها للكبار ولن تحمل لي المتعة التي أجدها بين كادرات المجلات المُصوّرة.



من ضمن هذه الكتيبات سلسلة الشياطين الـ13.

مجلة ميكي تصدر بشكل أسبوعي، كل أسبوع أجد عددًا جديدًا منها، وفي الأسبوع الرابع يتحول العدد إلى «سوبر ميكي»، عدد أكبر وأكثر بهجة، لكن الشياطين الـ13 تصدر مرة واحدة في الشهر، وعناوينها مثيرة للانتباه: مدينة الرصاص، شاطئ الماس، المعركة الوهمية، الوحش البحري. العنوان الأخير لفت انتباهي.. الوحش البحري؟! وغلاف الكتيب يحوي ما يشبه ديناصورًا يرفع يديه القصيرتين وهو على وشك الهجوم(2). شدّني هذا، فأمسكُ الكتيب وتصفحته. قرأت عدة سطور وفوجئت بأن الكلام سلس وسهل الفهم، وليس معقدًا كما اعتقدت. عندما أتذكر هذا الآن، أفكر في أنني ربما مررت في وقت سابق بتجربة قراءة غير موفّقة لكتاب ما، جعلني أستصعب قراءة «كتب الكبار»، ربما أمسكُ برواية لأحد كبار الكُتّاب وحاولت قراءة بضعة أسطر منها، وأصابني الإحباط عندما لم أفهم شيئًا.

في تلك الليلة سهرتُ على مغامرة «الوحش البحري» واستمتعت بها للغاية، واكتشفت عندها أن هناك كتبًا يمكن قراءتها والاستمتاع بها لمن هم في سني.

من المميزات الجميلة في سلسلة الشياطين الـ13، الصادرة عن دار الهلال، أنهم يضعون تاريخ صدور العدد، لا ترتيبه في السلسلة فقط، وعدد «الوحش البحري»، الذي بدأت به قراءاتي، يحمل تاريخ 5 ديسمبر 1988، أي أنني بدأت قراءة هذه النوعية من الكتابات في وقتٍ ما من ديسمبر 88، وعمري وقتها ثماني سنوات وبضعة أشهر.

مع تصفّحي للعدد اكتشفتُ أن السلسلة تدور حول منظمة سرية تُدعى الشياطين الـ13، أعضاؤها ثلاثة عشر فتى وفتاة من مختلف الدول العربية، هناك أحمد من مصر، وإلهام من لبنان، وعثمان من السودان، وقيس من السعودية، وزبيدة من تونس، وهكذا. وفي أول صفحتين من كل عدد هناك تعريف بالشياطين من خلال صورهم



وأسمائهم وأسماء بلدانهم. وكل واحد من الشياطين يحمل رقمًا، أحمد يحمل رقم 1، وعثمان رقم 2، وإلهام رقم 3، وهكذا. وهناك طبعا رقم 0، الزعيم الغامض الذي لا يعرفه أحد، والذي يترأس المنظمة، ويتولى تعريف الشياطين بالمهمة المطلوب منهم تنفيذها في كل مرة. ربما هذا ما جذبني إلى السلسلة -بجوار لذة اكتشاف أن بإمكانني قراءتها وفهمها، وأن أحد الأبطال الرئيسيين اسمه أحمد!- ففي تلك الفترة عشت مع أهلي في المملكة العربية السعودية، وفي فصل المدرسة كان معي مجموعة متنوعة من الأطفال الذين ينتمون إلى بلدان عربية مختلفة، تمامًا كما في الشياطين الـ13. أيضًا شدّني وجود بعض الرسومات الداخلية التي تُعزّل مشاهد بعينها من الأحداث، ربما هذا جعلني أشعر بنوع من الألفة مع وجود الرسوم التي اعتدتها في مجلات الأطفال، وكنت كلما حصلت على عدد جديد من الشياطين الـ13 أبدأ قراءتي بتصفّحه والاطلاع على الرسومات الداخلية -وعددتها لا يزيد على خمسة أو ستة رسومات متفرقة- ثم توقفت عن تلك العادة عندما اكتشفت أنهم قد لا يستخدمون هذه الرسومات بحكمة، ففي عدد «الشیطان المزيف»، يطلب رقم صفر من أحمد كشف هوية أحد الشياطين الذي استبدله الأعداء بشبيه له بعد جراحة تجميل. وعندما تصفحت الرسومات الداخلية للعدد، وجدت في الصفحات الأخيرة رسمة يظهر فيها اثنان «أحمد» في مواجهة بعضهما بعضًا! وهكذا حرق الرسام مفاجأة النهاية، التي سنكتشف فيها أن الشيطان المزيف هو أحمد نفسه!

لغز الكاتب الذي بدأ كل شيء

في تلك الفترة لم أكن أهتم باسم المؤلف قدر اهتمامي باسم الكتاب، لذلك لم أنتبه لاسم محمود سالم الذي يكتبونه في الغلاف الداخلي للعدد، وليس على الغلاف الخارجي. ولا أظن أنني انشغلت وقتها بوجود مؤلف من الأساس، ربما ظننت أن تلك الكتب تكتب نفسها بنفسها!

عندما أفكر الآن في الأمر أجد أن القائمين على دار الهلال -في حالة الشياطين الـ13- والقائمين على دار المعارف -في حالة المغامرين الخمسة- لم يهتموا بتعريفنا بالمؤلف، بعكس ما حدث مع تجربة «روايات مصرية للجيب»، والتي سأتعرف عليها بعد سنتين من تعرّفي على كتب محمود سالم، فالمؤلف حاضر من خلال اسمه وصورته على الغلاف الخلفي، يمكنك أن تمسك أي عدد من أعداد رجل المستحيل أو ملف المستقبل لتجد صورة صغيرة لنبيل فاروق على الغلاف الخلفي، بل إنه سيتحدث إليك مباشرةً من خلال بريد القراء في بعض السلاسل، ككوكتيل 2000 وبانوراما، وسيكلمك عن نفسه ورؤيته والظروف التي يمر بها، ستراه يرد على أسئلة القراء -التي هي نفسها أسئلتك- وربما يكشف لك بعض الأحداث المستقبلية في السلاسل التي تتابعها.

أما محمود سالم فكان بالنسبة إلى قرائه شخصًا خفيًا، أنا حتى الآن لا أعرف عنه سوى بعض المعلومات التي جمعناها من حواراته الصحفية والمرئية. وفي الحقيقة لم أهتم بالبحث عنه سوى وأنا في بداية العشرينيات، وكنت قد توقفت عن القراءة له.

عرفتُ مثلًا أن والده كان يعمل في مصلحة السواحل ومصايد الأسماك المصرية، لذلك فقد قضى طفولته متنقلًا بين المدن الساحلية، وكان يهوى الصيد، ويهرب من المدرسة ليجلس على



الشاطئي يصطاد السمك. التغيير الكبير في حياته جاء عندما أصيب والده بشظية في عينه أقعدته فترة في الفراش، وكان على محمود سالم أن يقرأ له الجرائد والكتب، وهكذا تكوّنت عنده عادة القراءة التي ستلازمه إلى آخر عمره. كان يقرأ ساعاتٍ طويلة، ويقول في أحد حواراته إنه لا يغار من أحد إلا ممن لديه مكتبة أكبر من مكتبته(3).

التحق فترةً بالكلية الحربية، لكن ميوله السياسية حالت دون أن يستكمل دراسته فيها، فدرس الحقوق ثم الآداب، لكنه لم يكمل دراسته في أيٍّ منهما، واختار أن يعمل موظفًا في وزارة الشؤون الاجتماعية بعد وساطة أحد المعارف. التحق بعد ذلك بالصحافة، وعمل مراسلًا حربيًا لجريدة الجمهورية في أثناء العدوان الثلاثي عام 1956، وحقق نجاحًا لا بأس به في ذلك، وبعد عودته من الحرب أصبح رئيسًا لقسم الحوادث في الجريدة، ثم انتقل إلى دار الهلال وعمل في مجلة المصوّر.

ذات يوم جاءه موضوع يتكلم عن ديزني لاند ليحرره، كتبته ناديا نشأت(4)، حفيدة جورجى زيدان مؤسس دار الهلال. بدا له الموضوع مكتوبًا بطريقة جافة تخلو من الخيال اللازم للتعامل مع مدينة ساحرة كديزني لاند، فأعاد صياغة الموضوع وحوّله إلى قصة فتاة صغيرة تزور مع أسرتها ديزني لاند، وتتوه من والديها، وفي أثناء بحثها عنهما تنتقل من مكان إلى آخر داخل المدينة وتصف ما تراه. في اليوم التالي جاءه استدعاء من ناديا نشأت. في البداية ظن أنها سئعنفه أو تستغني عن خدماته بعد التغيير الذي قام به على موضوعها، لكنه فوجئ بها تشيد به. والحقيقة أن ناديا نشأت صاحبة أيادٍ بيضاء على الأطفال المصريين والعرب في تلك الفترة وما بعدها، فهي التي أنشأت مجلة سمير عام 1956، ثم ميكى عام 1959، ورأست تحريرهما، وهي التي أطلقت على شخصيات ديزني أسماءها المشهورة التي عُرفت بها حتى الآن، كبطوط وفرفور وبنديق ويزي وعم ذهب، وعندما قرأت ما كتبه محمود سالم لمست موهبته في





الكتابة للأطفال، فنقلته من مجلة المصوّر إلى مجلة سمير(5).

اقترحت عليه ذات يوم أن يكتب في المجلة لغزاً من صفحتين يُرسل الأطفال حله إلى عنوان المجلة. راقت الفكرة للقراء، لدرجة أن توزيع المجلة تضاعف، وكان هذا النجاح مجرد «بروفة» على ما سيحدث بعد ذلك بعدة سنوات.

العلاقة بين ناديا نشأت ومحمود سالم ستؤثر في أجيال لاحقة، لأنها توسّمت فيه القدرة على القيام بدور خاص لم يقم به أحد من قبله: كتابة أعمال عربية مُوجّهة إلى الناشئة. قبل محمود سالم كان الشباب يقرؤون روايات الجيب المترجمة: أجاثا كريستي وأرسين لوبين وشِركلوك هولمز وبيري ميسون وعشرات السلاسل الأجنبية الأخرى، لكن بعد مجيء هذا الرجل تغيّر كل هذا!

وما حدث أن دار الهلال أُقمت في بداية الستينيات، فتركها ناديا نشأت وسافرت إلى لبنان(6)، وهناك ساهمت في تعريف القارئ العربي على الكوميكس الأمريكي، فبعدما عرّفنا في مصر على شخصيات ديزني بدءاً من الخمسينيات، ساهمت في الستينيات من خلال دار المطبوعات المصوّرة في إطلاق مجلات سوبر مان والرجل الوطواط وطرزان ولولو الصغيرة وغيرها، وكلها مجلات كنت أتابعها في ذلك الوقت، قبل انتقالي إلى قراءة كتيبات الجيب، دون أن أدري أن ناديا نشأت هي الجندي المجهول خلف كل ما أقرأه، سواء مجلات ميكي وسمير وسوبر مان والوطواط والبرق، أو كتيبات المغامرين الخمسة والشياطين الـ13 فيما بعد.

عادت ناديا نشأت إلى مصر عام 1968 لتعمل هذه المرة في دار المعارف، وتبدأ في إصدار الكوميكس الأوروبي المُعرّب من خلالها، فأصدرت ألبومات تان تان ولاكي لوك وأستريكس، وغيرها(7)، ثم اقترحت على محمود سالم -بعد أن ذكّرت بالألغاز القصيرة التي كان يكتبها لمجلة سمير- أن يُعرّب سلسلة مغامرات شهيرة تُدعى The





(8) Five Find-Outers and Dog، أو المستكشفون الخمسة والكلب باستر، للكاتبة الإنجليزية إنيد بلايتون(9)، التي كتبت منها خمسة عشر كتابًا؛ أبطالها خمسة أطفال يحققون في الجرائم الغامضة ويكشفون ملابساتها، يتزعمهم فتى ممتلى أطلقوا عليه اسم Fatty، أي «الملظظ» أو «المتختخ»، وهذا الفتى لديه كلب بولييسي اسمه باستر يشاركهم في حل الجرائم.

عرضت على محمود سالم ملخصًا للكتاب الأول من تلك السلسلة، وهو الكتاب الذي عرفناه لاحقًا باسم «لغز الكوخ المحترق»، أولى مغامرات المغامرين الخمسة!

في السلسلة الأجنبية، قائد المجموعة السمين اسمه فردريك ألجرتون تروتفيل، أصدقاؤه أخذوا حروف اسمه الأولى، ومنها أطلقوا عليه لقب Fatty، الذي يصفه في الوقت نفسه. بقية المستكشفين هم «لاري» واسمه الحقيقي «لورانس»، وأخته «دايزي» واسمها الحقيقي «مارجريت»، و«بيب» واسمه الحقيقي «فيليب»، وأخته «بتس» واسمها الحقيقي «إليزابيث».

ما فعله محمود سالم أنه قام بتمصير القصة، بمعنى أنه نقل الأحداث إلى مصر؛ الفتيان الإنجليز الخمسة صاروا خمسة أطفال مصريين، يعيشون في المعادي: «محب» واسمه الحقيقي «محبوب»، أخته «نوسة» واسمها الحقيقي «سنية»، «عاطف» واسمه الحقيقي «عبد اللطيف»، وأخته «لوزة» واسمها الحقيقي «زكية»، وأخيرًا صديقهم الممتلى «توفيق»، الذي عرفوا أن اسمه بالكامل هو: توفيق خليل توفيق الخربوطلي، فأخذوا الحروف الأولى من اسمه الرباعي، لتتكون لديهم كلمة «تختخ»، والتي كانت مناسبة لوصفه كذلك!

أنت عندما تقرأ «لغز الكوخ المحترق» لا يمكنك أن تشعر أبدًا بأنه عمل مترجم؛ الأحداث مصرية تمامًا، الشخصيات والأماكن وطريقة الحديث والتفكير، كل هذا مصري. ولما كان الأمر هكذا، وبعد تعريب



عدة قصص، فكر محمود سالم في أنه ليس بحاجة إلى تعريب المزيد من قصص السلسلة الأجنبية، وبدأ في تأليف أعداد السلسلة بعيدًا عن الأصل الأجنبي.

الأعداد الأولى نجحت نجاحًا لم يتخيله أحد، القارئ العربي كان بحاجة إلى مثل هذا العمل الذي ينتمي إليه وإلى بيئته. يقول محمود سالم في أحد حواراته إنهم طبعوا من اللغز الأول خمسة آلاف نسخة، نفدت بعد أسبوع، فطبعوا خمسة آلاف أخرى. وقبل صدور اللغز العاشر كان القارئون على دار المعارف قد أدركوا حجم الطلب الخارق على هذه الكتيبات، فطبعوا مائة ألف نسخة مرة واحدة (10).

كان محمود سالم يحصل على خمسين جنيهًا نظير كل لغز يكتبه وهو مبلغ باهظ في فترة الستينيات- يدفع منها خمسة جنيهات للضرائب (11)! وبالإضافة لذلك فله نسبة 10 % من سعر الكتيبات، و7 % في حالة إعادة الطبع (12)، ومع المبيعات الضخمة للألغاز- والتي قدّر البعض أنها باعت حتى الآن ما يقرب من 20 مليون نسخة، وأعيد طبعها 17 مرة- كل هذا كفل لمحمود سالم عيشة رغيدة، سقّلت عليه التفرغ تمامًا لكتابة الألغاز في مراحل لاحقة.

ويمكننا أن نفهم الإقبال المذهل على الألغاز داخل مصر وخارجها، وكيف قرأها الصغار والكبار، من بعض المواقف التي يذكرها محمود سالم في حواراته، فقد حكى أن حاكمًا عربيًا عرض عليه مبلغًا كبيرًا من المال نظير أن يأتي على ذكر اسمه داخل لغز من الألغاز، فرفض! وذات مرة دعاه أمير عربي إلى أن يطلب أي مبلغ يريدته مقابل أن يأتي ليلتقي بأبنائه، الذين يعشقون قراءة الألغاز، ويودون لقاء المغامرين الخمسة أنفسهم (13)!

في أغلب لقاءات محمود سالم كان يشير إلى أن المغامرين الخمسة بدأ صدورهم عام 1968، وصار هذا التاريخ هو المعتمد لدى محبي السلسلة، لكنني عندما أحببت التأكد من الشهر الذي صدرت

فيه المغامرة الأولى؛ عدت إلى أرشيف مجلتي ميكي وسمير في سنة 1968، لأن الأعمال الموجهة للأطفال والناشئة عادة ما يُعلن عنها فيهما، ولم أجد شيئاً. تصفحت أعداد المجلتين في السنة التالية، 1969، وهنا كانت المفاجأة! في عدد سمير رقم 695، بتاريخ 3 أغسطس 1969، وفي الصفحة 30؛ وجدت الإعلان عن أول لغز من ألغاز المغامرين الخمسة: لغز الكوخ المحترق!

الإعلان الذي شغل صفحة كاملة يقول:

«كتاب جديد مع باعة الصحف والمجلات

هل سمعتم عن المغامرين الخمسة؟

إنهم أبطال مجموعة قصص بوليسية للأولاد

جمع بينهم حب المغامرة والمهارة في حل الألغاز البوليسية

اقرأ مغامرتهم الأولى

لغز الكوخ المحترق»

وعلى يمين الصفحة صور المغامرين الخمسة أسفل بعضها، وفي وسط الصفحة غلاف اللغز الأول.

وهكذا، فاللغز الأول من المغامرين الخمسة صدر في صيف 1969.

في طفولتي كنت أسمع أمي وخالاتي يتكلمن عن كتيبات الجيب باعتبارها «ألغازاً»، كلمة «لغز» هي الوصف الذي يطلقه أطفال الستينيات والسبعينيات على روايات الجيب، يقول الصديق لصديقه: «هل لديك لغزٌ جديد؟»، أو: «فلان لديه مجموعة كبيرة من الألغاز!»، السبب في ذلك هو طريقة التسمية التي انتهجها محمود سالم في سلسلة المغامرين الخمسة، كل قصة يجب أن تبدأ بكلمة «لغز» ثم اسم القصة: لغز الكوخ المحترق - لغز البيت الخفي - لغز ورقة الكوتشينة، إلخ.

ومع النجاح الخارق للسلسلة، أصبح القراء يصفون كتيباتها بـ«اللغز»،

وانسحبت التسمية لتشمل أي كتب في نفس القُطع الصغير، أي روايات الجيب عمومًا، قبل أن تختلف التسمية مع أطفال الثمانينيات وظهور سلاسل روايات مصرية للجيب، والتي أصبحت كتيباتها تُسمى «أعدادًا». ولأنني أنتمي إلى أطفال الثمانينيات، سيلاحظ القارئ أنني من آنٍ لآخر على صفحات هذا الكتاب قد أشير إلى كتيبات الجيب بوصفها «أعدادًا» لا «ألغازًا».

تأثرت إنيد بلايتون في سلسلتها، ومحمود سالم في اقتباسه عنها، في جزئية التسمية الثابتة؛ بآرثر كونان دويل الذي كان يسمي مغامرات شرلوك هولمز تسميات ثابتة؛ غالبًا «مغامرة»، وأحيانًا «لغز»: مغامرة الجوهرة الزرقاء - مغامرة النبيل الأعزب - لغز وادي بوسكومب، إلخ.

وحاول كثيرون أن يسيروا على هذا النهج في وضع لازمة ثابتة في عناوين سلاسلهم، فظهرت فيما بعد سلاسل تبدأ بـ«قضية»، كما فعل نبيل فاروق في سلسلة «ع×2»: قضية الصراف - قضية قتيل الفندق - قضية العقد المفقود، أو «سر»، كما فعلت رجاء عبد الله في سلسلة «مغامرات الجيل البوليسية»: سر الهرم الأسود - سر الذهب الأبيض - سر القصر المهجور، أو «مغامرة»، كما فعل مجدي صابر في سلسلة «فرقة الأذكى»: مغامرة قصر البارون - مغامرة عازف الناي - مغامرة فتاة السيرك، أو «عملية»، كما هو الحال مع محمد سليمان عبد المالك في سلسلة «المكتب رقم 17»: عملية الشريحة الإلكترونية - عملية العالم الرابع - عملية الموت الأسود، أو «حالة» في سلسلة «حالات خاصة» لمحمد رضا عبد الله: حالة اشتباه - حالة بارانويا - حالة الفراشة السوداء(14).

لكن هذه التسميات على كثرتها لم تنجح في أن تطبع القارئ بها كما حدث مع كلمة «لغز» الخاصة بمحمود سالم. ربّما الوحيد الذي استطاع إحداث تأثير مشابه من خلال عناوينه كان أحمد خالد توفيق في سلسلته «ما وراء الطبيعة»، التي صار مسمى «أسطورة»

ثابتاً في كل أعدادها: أسطورة النداهة - أسطورة الكاهن الأخير -
أسطورة الفصيحة السادسة، وإن لم يصبح مسمى «أسطورة» غلقاً
على تلك الكتيبات، كما حدث مع مسمى «لغز».



لغز الشياطين الـ١٣

ظلتُ أتابع سلسلة الشياطين الـ13 لما يقرب من ثلاث سنوات، قرأت فيها ما يزيد على ثلاثين عددًا من أعدادها، وفي الحقيقة لم أنسجم معها ولم أتعلق بها. ظلتُ فترةً أداوم على اقتناء أعدادها بحكم العادة، لكنها كانت تبهت يومًا بعد الآخر بجوار سلسلتي رجل المستحيل وملف المستقبل اللتين بدأت أتابعهما في تلك الفترة.

عرفت لاحقًا أن محمود سالم بدأ كتابة الشياطين الـ13 في السبعينيات، بعد أن اضطر للسفر إلى بيروت بعد أن فصلوه من عمله الصحفي في مصر أوائل السبعينيات بسبب ميوله الناصرية، وجاءت الشياطين الـ13 لتعبر عن ميوله القومية، وفي الغالب فقد كتبها بتوجيه من ناديا نشأت كذلك، لأن الأعداد الأولى التي صدرت في لبنان عن دار القدس، ظلت تضع أسفل صفحة الغلاف الداخلي عبارة ثابتة تقول: حقوق النشر محفوظة لناديا نشأت.

وتاريخ صدور الشياطين الـ13 في لبنان ظل لغزًا محيرًا، فكثير من الهواة ظنوا أنها بدأت في الصدور في عام 1973، بينما خفّن آخرون أنها صدرت في عام 1974، والمصادر على الإنترنت تذكر أنها صدرت عام 1978!

ولأحسم الأمر؛ عدت لأرشيف مجلة سوبرمان، أشهر مجلة مصورة لبنانية في ذلك الوقت، لأنني توقّعت أن يُنشر إعلان عن صدور السلسلة فيها، كعادة الإصدارات الموجّهة للأطفال في نشر إعلان عن صدورها في مجلات الأطفال المصوّرة المشهورة. وبعد بحث وجدت إعلان العدد الأول، «ثعالب الخليج»، في العدد رقم 539، وكان يقول:

«للشباب

بقلم محمود سالم



مفاجأة

الشياطين الـ13.. قادمون

في

ثعالب الخليج

أكبر مجموعة من الأبطال الشباب في مغامرة واحدة
مع الباعة والمكتبات في جميع الدول العربية»

لكن ذلك لم يصل بي لشيء، لأن المجلات المصورة اللبنانية لا تذكر على غلافها تاريخ صدورها -بعكس ما تفعله المجلات المصورة المصرية والخليجية- ثم مع استمرار البحث وجدت حلاً للمشكلة، ففي العدد 504 من سوبرمان، كتب فريق التحرير في الصفحة الأولى اعتذاراً للقراء لأنهم سيضطرون لرفع سعر المجلة من 50 قرشاً لبنانياً -نصف ليرة- إلى 75 قرشاً بدءاً من أكتوبر 1973، وزاد السعر بالفعل على غلاف العدد التالي، وهكذا عرفت أن تاريخ صدور العدد 505 هو بداية أكتوبر 1973، ولما كانت المجلة أسبوعية، وبحسبة بسيطة؛ فالعدد رقم 539، يكون قد صدر في يونيو 1974، وهو تاريخ صدور أول أعداد الشياطين الـ13!

ظلت السلسلة تصدر بشكل شهري، ثم توقفت بعد العدد 16، «رصاصه واحدة تكفي»، بسبب تداعيات الحرب الأهلية اللبنانية التي بدأت في إبريل 1975، وعادت لتصدر في مصر بانتظام لدى دار الهلال، بدءاً من العدد 17، «قارئ الأفكار»، في يوليو 1977. وفي العدد رقم 846 من مجلة ميكى، بتاريخ 7 يوليو 1977، نُشر إعلان في الربع السفلي الأيمن من الصفحة الأخيرة، حوى صور الشياطين الـ13، وجاء كالتالي:

«مع الباعة

عودة الشياطين الـ13



في أحدث المغامرات المثيرة

قارئ الأفكار



أكبر مجموعة من المغامرين في كتاب واحد للشباب هواة المغامرة
المثيرة والألغاز الغامضة

يكتبها محمود سالم

وتعود إليك أقوى مما كانت

تصدرها: كتب الهلال للأولاد والبنات

رئيسة التحرير: جميلة كامل

لا تدفع أكثر من 15 قرشاً»

وهكذا عادت الشياطين الـ 13 للصدور في مصر، وحوت الترويسة
الداخلية للأعداد عبارة تقول: «نُشر هذا الكتاب بالاتفاق مع السيدة
نادية نشأت»، وظلت توضع في نفس المكان حتى آخر عدد صدر من
السلسلة.

لكن الطبعة الثانية التي صدرت في مصر حوت بعض التغييرات
البسيطة، لتصير مناسبة للأطفال أكثر، فعلى سبيل المثال، في
الطبعة الأولى اللبنانية في العدد 11، «المدينة الصامتة»، نجد
الموقف التالي بين أحمد وإلهام:

«صعد أحمد إلى الدور الثاني وأخذ كوبًا من الشاي، وخرج إلى
الشرفة فوجد إلهام تجلس وحدها تستمتع بدفء الشمس التي
أشرقت بعد الليل العاصف، ووجدتها تضع أمامها كراسة صغيرة
وقلمًا، وهي تكتب في نقاط جميع المعلومات التي تجمعت حول
الأحداث التي جرت. وضع أحمد يده على شعرها الناعم الجميل،
فالتفتت إليه.. وابتسما، وقال أحمد: «ألم تفكري في اعتزال عمل
الشياطين بعد أحداث أمس؟»، فابتسمت إلهام وقالت: «إنني أفكر
في شيء واحد».



أحمد: الحب؟

إلهام: إن ما حدث كله يؤكد أن ما بين أيدينا هو قضية تهريب».



هذا المشهد نجده مختصراً في الطبعة المصرية الصادرة عن دار الهلال، لتخلو من أي تلميحات عن الحب بين أحمد وإلهام:

«صعد أحمد إلى الدور الثاني وأخذ كوباً من الشاي، وخرج إلى الشرفة فوجد إلهام تجلس وحدها.. سألتها أحمد: ما رأيك في أحداث أمس؟

ابتسمت إلهام وقالت: إن ما حدث كله يؤكد أن ما بين أيدينا هو قضية تهريب شيء صغير كالماس مثلاً».

وهو اختصار غريب، لأنني أذكر جيداً أن الأعداد التي قرأتها في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات كانت تحوي تلميحات بالاهتمام بين أحمد وإلهام، وإن لم يكن فيها كلام رومانسي مباشر عن الحب مثل المقطع الذي اختُصر من الطبعة الأولى.

السلسلة -كما ذكرت- تدور حول ثلاثة عشر فتى وفتاة، كل واحد منهم يمثل بلدًا عربيًا (15)، تجمعهم منظمة الشياطين الـ13، وهي منظمة جاسوسية خاصة تهدف إلى حماية الدول العربية من الأخطار التي تحيط بها. في كل مغامرة يُكَلَّف عدد من الشياطين، في الغالب خمسة أو ستة، بمهمة معينة يخبرهم رقم صفر بتفاصيلها، ثم ينطلقون لتنفيذ المطلوب منهم. ورغم أن أبطال السلسلة هم الفتيان الثلاثة عشر، فكان هناك تركيز خاص على أحمد من مصر، الذي يُعتبر زعيم المجموعة.

أذكر أن سلسلة الشياطين الـ13 كانت مختلفة عن غيرها في حجمها ونوعية الورق المستخدم في طباعتها، فالكتيب أُعرض من بقية كتيبات الجيب، كما أن الورق المستخدم أقرب لورق المجلات، وهناك سطور مطبوعة بحبر أزرق اللون وأخرى مطبوعة بالحبر الأسود المعتاد.



وكما ذكرْتُ سابقًا، فالأعداد كان يُكتب على غلافها تاريخ صدورها بالإضافة إلى ترتيبها داخل السلسلة، فيبدو أن دار الهلال تعاملت مع هذه السلسلة باعتبارها دورية (16)، بعكس سلسلة المغامرين الخمسة التي اهتمت دار المعارف بأن تحوي أغلفتها عنوان اللغز أكثر من اهتمامها بترتيبه وتاريخ صدوره، فكان رقم اللغز يُكتب بخط صغير في الغلاف الداخلي، وعلى كعب الكتيب، دون ذكر لتاريخ صدوره.

بدأت لي مغامرات الشياطين الـ13 رتيبة باردة، فالأعداد لا يوجد رابط بينها، كل مغامرة قائمة بذاتها ولا يربطها بقية المغامرات شيء، هناك بعض الأعداد تُستكمل في جزء لاحق، لكن ما دون ذلك فكل الأعداد تجري بنفس الأسلوب: تُكَلَّف مجموعة من الشياطين بمهمة معينة - يخرجون لتنفيذها - ينتصرون - يعودون، دون أن يؤثر ذلك فيهم أو في رؤيتهم للحياة أو علاقاتهم ببعضهم بعضًا، ودون أن نلمس تطورًا لديهم. تنتهي المغامرة وتبدأ واحدة جديدة، كأن المغامرة السابقة لم يكن لها تأثير! وشخصيات الشياطين لم يكن هناك ما يميزها؛ لم نكن نعرف شيئًا عنهم، لا نعرف طباعهم ولا خلفياتهم ولا ماذا يفعلون في حياتهم الشخصية. كلهم يتكلمون ويتصرفون بنفس الطريقة، وكأنهم شخص واحد، لا يفرق بينهم سوى الاسم، حتى البلد لا يفرق في تكوين أيٍّ منهم ولا نرى انعكاسه عليهم، رغم انتمائهم إلى ثقافات عربية مختلفة. غياب هذه الجوانب الإنسانية عن شخصيات الشياطين الـ13 جعل السلسلة تبدو باهتة.

مع ذلك توجد علاقات ثابتة بين بعض الشياطين، فهناك -كما ذكرت- تلميحات لوجود إعجاب متبادل بين أحمد من مصر وإلهام من لبنان، وهناك صداقة وطيدة بين أحمد وعثمان من السودان، وهؤلاء الثلاثة هم القاسم المشترك ضمن الفريق الذي يُختار في أغلب المغامرات.

وربما ما جعلني أتعامل مع الشياطين الـ13 بذلك الفتور وجود خيارات أخرى أكثر جاذبية أتاحت في ذلك الوقت، ففي مجال أعمال



الجاسوسية والحركة قدّمت سلسلة رجل المستحيل لأبناء جيلي نموذجًا غير معتاد، وربما قبل صدورها كانت الشياطين الـ13 تحتل الصدارة، ولم يكن لدى القراء نموذج عربي آخر للمقارنة به.

ولا أظن أنني كنت منفردًا بهذا الشعور، فلم ألتق قط بقارئ لديه ذكريات خاصة مع تلك السلسلة، أو كان مهتمًا بمتابعتها أو الحصول على أعداد سابقة منها. وشخصيًا لم أقرأ منها سوى الأعداد التي كانت تصدر وقت متابعتي لها، ولم أسع للحصول على المجموعة الكاملة منها، أو قراءة الأعداد السابقة، خصوصًا أنها -الأعداد القديمة- لم تكن متوفرة في المكتبات أو عند باعة الجرائد، فقط يمكن الحصول عليها لدى باعة الكتب القديمة، كعادة إصدارات دار الهلال.

ورغم أن المغامرات لا يوجد رابط بينها، فإن الشياطين لديهم عدو رئيسي ظهر في عدة أعداد، وهو منظمة إجرامية تصدّوا لها أكثر من مرة، تُدعى «سادة العالم». بل أحيانًا كان يُشار إليها في عدم وجودها، ففي أحد الأعداد يخرج الشياطين جميعهم في مهمة واحدة، فيفكر أحمد وهم في الطائرة أن منظمة «سادة العالم» لو اكتشفت ذلك لبذلت كل جهدها كي تُسقط الطائرة وتتخلص من خطر الشياطين.

وبعكس ما قدّمه محمود سالم في المغامرين الخمسة من حيل بوليسية مبتكرة تُشعر القارئ بأنه تعلّم شيئًا جديدًا، كالكتابة بالحبر السري المصنوع من عصير الليمون وما شابه، لكنه لم يقدم في الشياطين الـ13 أي حيل جاسوسية تثير دهشة القارئ، ربما لقلة خبرته في ذلك المجال. في إحدى المغامرات توجّه الشياطين بالطائرة إلى مهمة معينة، وكانوا بحاجة إلى النوم، فأدوا بعض التمارين الذهنية التي تدربوا عليها فناموا على الفور، هكذا ذُكر الأمر: قاموا بتمارين ذهنية، دون أن يخبرنا الراوي ما تلك التمارين وما طبيعتها وكيف يفعلونها! هكذا كان يُشار بشكل مبهم ومختصر إلى كثير مما





يقوم به الشياطين من تدريبات جاسوسية متقدمة.

صدر من الشياطين الـ 13 388 كتيبًا منذ السبعينيات وحتى السنين الأولى من الألفية، قبل أن تتوقف تمامًا. لكن ليست كل تلك الأعداد أصلية، فكثير منها مكرر.. لماذا؟ لأن دار الهلال -كما ذكرت- تعاملت مع السلسلة باعتبارها دورية شهرية تُصدرها، وبالتالي لا بد من وجود عدد جديد يصدر يوم 5 من كل شهر، وفي حالة عدم وجود عدد جديد كانوا يعيدون إصدار عدد قديم بترقيم جديد. فالعدد الأول حمل اسم «ثعالب الخليج»، وبعد العدد 47، ومع حلول الموعد الشهري لإصدار السلسلة، يبدو أن محمود سالم لم تكن لديه مغامرة جديدة جاهزة للنشر، فأعيد نشر «ثعالب الخليج» ليكون العدد رقم 48 (17). وحتى العدد 72 ظلت السلسلة تصدر بنفس الطريقة: عدد جديد يليه إعادة إصدار لعدد قديم بترقيم جديد، ثم انتظمت السلسلة في إصدار أعداد جديدة حتى العدد 210، الذي حمل عنوان «السجن الرهيب»، وصدر في أغسطس 1993، ثم أصبحت أعداد السلسلة عبارة عن نشر مستمر لأعداد سابقة حتى العدد 238، أي إن محمود سالم توقف عن كتابة أعداد جديدة للسلسلة لما يزيد على سنتين. استمرت السلسلة بعدها يصدر منها عدد أو عدنان جديان، ثم عدد أو عدنان مكرران، إلى العدد 322، «رحلة الأخطار»، الذي تلاه نشر أعداد مكررة حتى العدد 346، أي إن محمود سالم توقف من جديد عن كتابة السلسلة لمدة عامين، ثم أصدر أعدادًا جديدة منذ العدد 347 وحتى العدد 362، وهي أطول مرة أصدر خلالها أعدادًا جديدة متتالية منذ فترة كبيرة.

كان العدد 362، «معرض الأخطار»، هو آخر عدد كتبه محمود سالم في سلسلة الشياطين الـ 13، ظلت السلسلة بعدها تُصدر أعدادًا مكررة حتى توقفت تمامًا عند العدد 388، «سرقة السيارة الصاروخ» (18)، في يونيو 2008. وإذا استثنينا الأعداد المكررة -التي تجعل مهمة حصر أعداد الشياطين الـ 13 في غاية الصعوبة، خصوصًا مع وجود بعض الأخطاء في الترقيم كانت تظهر من آن لآخر- سيكون





ما صدر من السلسلة يقترب من 250 عددًا، وحسب ما هو منشور من أعداد على موقع مؤسسة هنداوي -التي حصلت على حقوق نشر النسخة الإلكترونية من الشياطين الـ13 - فالسلسلة صدر منها 244 عددًا، وهذا عدد ضخم، يجعل الشياطين الـ13 هي السلسلة الأكبر عربيًا، فحتى نبيل فاروق الأغزر إنتاجًا لم يُصدر من سلسلة رجل المستحيل -على مدى خمسة وعشرين عامًا- سوى 160 عددًا في السلسلة الرئيسية، وقرابة 20 عددًا في سلسلة الأعداد الخاصة.



لغز المغامرات الساحرة

لا أذكر عنوان أول لغز قرأته من ألغاز المغامرين الخمسة، وهذا أمر يضايقني، لأنني أذكر عنوان أول عمل قرأته في أي سلسلة من سلاسل الجيب، ما عدا المغامرين الخمسة. ذلك أنني اكتشفتُ السلسلة في بيت جدي، بين كتب أمي وخالاتي القديمة، وجدت اللغز فتصفحته مندهشاً، وقرأت بضع صفحات فيه دون أن أشعر بالوقت، ثم أمسكت آخر، فأخر، فأخر، وقرب نهاية اليوم وجدتُ أنني تصفحت العديد من الألغاز، وبدأت أجمعها لأقرأها لاحقاً، وبالتالي غاب عني اللغز الذي بدأتُ بقراءته منها.

لم تكن أمي وخالاتي يضعن الألغاز في مكان واحد، بل كانت متناثرة هنا وهناك؛ بعضها وجدته في المكتبة، بعضها وجدته أسفل السرير، بعضها وجدته في كراتين في غرفة النوم، بعضها وجدته في دولاب قديم في البلكونة. أكثرها كانت تغطيها الأتربة، وبعضها شعرتُ بالخوف من الوصول إليه بسبب وجود حشرات أو سحالي، خصوصاً في دولاب البلكونة. أذكر أنني وجدتُ لغزاً بلا غلاف يوضح عنوانه، وقرأته وأنا لا أعرف ما هو، وأكثر من لغز كان ممزقاً، أجد نصفه الأول دون الثاني، أو الثاني دون الأول، أو أجد مجموعة صفحات من منتصف لغز ما دون البقية. كنت أبحث عن الألغاز محمومًا، أفتش في الكراتين القديمة وتحت الأسيرة والكنب، في أركان البلكونة تحت جرائد صفراء قديمة أو وسط كشاكيل مدرسية، وأمي وجدتي تنهراني لأنني وسخت نفسي بالتراب. كنت أشعر بإثارة شديدة وأنا أبحث، وكلما وجدتُ لغزاً جديداً أشعر بأنني وجدتُ كنزاً، وأصاب بالإحباط إذا كان اللغز من بطولة مغامرين آخرين غير المغامرين الخمسة. لم تكن هناك وسيلة أخرى للحصول على ألغاز المغامرين الخمسة، فحتى باعة الجرائد لا يعرضونها لديهم، ولم يكن بإمكانني في تلك الفترة الذهاب إلى باعة الكتب القديمة، وعندما عرفتُ بوجود

مكان اسمه سور الأزبكية يحوي كل الكتب القديمة، ظلت طويلًا أحلم بزيارته والتجول فيه، أقول لنفسي إن معاناتي في البحث عن ألغاز المغامرين الخمسة ستنتهي حينها، سأجد في ذلك المكان السحري كل الألغاز التي تنقصني.

في «لغز الكوخ المحترق»، المغامرة الأولى للمغامرين الخمسة، نتعرف على أسمائهم وأعمارهم من الصفحات الأولى، فمُحب ونوسة أخوان، عمره خمسة عشر عامًا -وهو أكبر المغامرين سنًا- بينما نوسة عمرها ثلاثة عشر عامًا، وعاطف ولوزة أخوان، عمره ثلاثة عشر عامًا -مثل عمر نوسة- وعمرها ثماني سنوات. وعلى صغر سن لوزة إلا أنها تُبدي ذكاءً كبيرًا، يجعلها أهلاً لثناء تختخ والمفتش سامي، وهي متعلقة بتختخ وتتعامل معه كأنه أخوها الكبير، لا عاطف.

في البداية كاد المغامرون الخمسة يصبحون المغامرين الثلاثة، لأن محب قرر أنه: «نحن الثلاثة، عاطف ونوسة وأنا، سنكون المغامرين الثلاثة الكبار»(19).

ورفضوا انضمام لوزة لصغر سنها، وكذلك تختخ لأنهم لم يكونوا يعرفونه في ذلك الوقت. لكن مع إصرار تختخ على الانضمام وجدوا أنه لا بأس في ذلك، فقد يفيدهم، وهكذا بدأ المغامرون الخمسة في العمل، ومع الوقت، وعبر حل أكثر من لغز، أثبت تختخ جدارته، وصار فعليًا كبيرهم والعقل المُدبّر لفريقهم.

يبدو تختخ، على صغر سنه -كان عمره 13 سنة في «لغز الكوخ المحترق»- شخصًا واثقًا بنفسه، هو أذكى المغامرين وأقدرهم على التحليل والربط المنطقي. ومثله مثل بوارو، بطل أجاثا كريستي، يرفض أن يُطلع أصدقاءه على ما توصل إليه، ويتعامل معهم بغموض، يقول لهم إنه بدأ في حل غموض اللغز الذي يعملون عليه، لكنه سيؤجل الكشف عما لديه إلى النهاية. السبب في ذلك، بالطبع، أنه لا يمكن أن يكشف المؤلف أمام القارئ غموض اللغز في مرحلة مبكرة، يجب أن يظل الغموض مستمرًا إلى لحظة الذروة قرب النهاية،

وإلا سينتهي التشويق.



من ضمن الأشياء اللطيفة التي تقدمها السلسلة للأطفال والناشئة، كيفية تعامل الكبار بجدية مع المغامرين الخمسة على صغر أعمارهم، فمثلًا نجد المفتش سامي(20) يأخذ آراءهم بجدية ويستمع إليهم بانتباه، ويتركهم يتصرفون كما يحلو لهم، لإيمانه بأنهم قادرون على تحقيق ما لا تستطيع الشرطة بوسائلها التقليدية تحقيقه، إلى درجة أنه كثيرًا ما ينهر الشاويش فرقع عن مضايقتهم. تخيلوا هذا! ضابط شرطة يأمر شاويشًا بأن يترك مجموعة من الأطفال -أكبرهم في الخامسة عشرة من عمره- يحققون بحرية في جريمة تُحَقَّق فيها الشرطة! بل أكثر من ذلك، ففي بعض المغامرات يُفاجأ المغامرون -بينما يلعبون في فيلا أحدهم- بالمفتش سامي يأتيهم في زيارة غير متوقعة، ليجلس معهم ويصارحهم بقضية غامضة تشغله ولا يستطيع حلها وحده، ويطلب مساعدتهم، أو يتصل بتختخ ليُحدِّثه بنديّة ويشرح له وقائع غامضة حيرت الشرطة ويسأله عن رأيه. تخيل معي طفلًا في مثل عمري -وقت قراءتي لتلك السلسلة- وهو يرى الكبار يتعاملون بهذا الاحترام والتقدير مع أطفال مثله، كيف سيكون وقع ذلك عليه؟ كنت أشعر بالفخر، حتى وإن كان الكبار حولي لا يعاملونني بنفس الطريقة التي يتعامل بها الكبار مع المغامرين الخمسة!

أذكر أنني اكتشفت في تلك الفترة أن جارنا، عمو «عبد المغني»، يعمل خبير بصمات في البحث الجنائي، فأخذت أسأله عن طبيعة عمله والقضايا التي يمر بها، واستغربت أنه تحدّث معي بتحقُّظ ولم يكن لديه الكثير ليخبرني به، بل إن حديثه عن مهنته لم يكن يحمل من الشغف ما كنت أتوقعه. أخبرني بأنه في العادة تكون القضايا روتينية، والجاني معروفًا، ولا يوجد غموض في الأمر، وفي كثير من الأحيان تستجوب الشرطة مجموعة من المتهمين وتضغط عليهم لمعرفة من فعل ماذا، ثم ينتهي الأمر، أو يُسجَّل في أحيان أخرى ضد مجهول. ولما وجدني مهتمًّا عرض عليّ أن أصحبه في بعض



القضايا التي يضطلع بها، وأسعدني هذا العرض كما لم يسعدني شيء آخر في تلك الفترة، وأخذت أستعد؛ أحضرتُ دفترًا وقلماً لأسجل ملاحظاتي، وانتقيت من ملابسي ما اعتقدتُ أنه سيناسب محققًا صغيرًا يحقق في إحدى القضايا، وتخيَّلت نفسي وأنا أتابع شرح القضية وأوجّه الأسئلة إلى المشتبه فيهم، وأنتبه لأشياء لا ينتبه الكبار لها، وأربط الأمور ببعضها بعضًا ثم أطرح نظرية تكشف حقيقة الجاني، فينبهر رجال الشرطة بي ويبدؤون في اللجوء إليّ بشكل دائم لأساعدهم في حل القضايا التي تستعصي عليهم. أحلام كثيرة حلمتُ بها، وبالطبع لم يتحقق منها شيء، لأن عمو «عبد المغني» نسي عرضه، أو بدا له أنه غير قابل للتنفيذ، وربما نسيت أنا أيضًا الأمر مع الوقت وانشغلت بأشياء أخرى.

تعلمت كذلك من الألباز بعض الحيل، ففي «لغز الشبح الأسود» يرسل تختخ رسالة سرية من خلال استخدام عصير الليمون كحبر. يغمس القلم في عصير الليمون ويكتب ما يريد على ورقة بيضاء، ثم يُمرّر مكواة ساخنة على الورقة، فتظهر الكتابة. حاولتُ كثيرًا أن أفعلها، لكن الكتابة بعصير الليمون لم تظهر أبدًا، حتى بعد تمريري المكواة عليها مرارًا!!

وفي مرة ثانية يطلب تختخ من المغامر أن يحبسوه في غرفة مغلقة، ثم يُفاجئون به بينهم، رغم أنهم تأكدوا من إغلاق الغرفة عليه بالمفتاح. الخدعة هنا أنه يأخذ معه قلمًا وجريدة، يدفع بالجريدة من تحت عتبة الباب، ثم يُمرّر القلم عبر ثقب المفتاح، فيسقط المفتاح إلى الخارج على الأرض فوق الجريدة، ثم يشدها إلى الداخل فيصير المفتاح معه، ويفتح الباب ببساطة!

طلبتُ من أمي وإخوتي أن يغلّقوا عليّ باب الغرفة وسأفاجئهم بعدها، وبالفعل فعلوا، ونفذتُ الخدعة ونجحتُ وأدهشتهم بظهوري بينهم، وكم كانت سعادتي بالغة وهم يسألونني كيف فعلتها، بينما أظهار بالغموض كتختخ وأرفض إخبارهم! لكن عند تكرار الأمر



لم أنجح، لأن الخدعة تفشل ببساطة إذا قن يُغلق الباب المفتاح معه! وهو ما حدث معي في المرة التالية، أخذت أمي المفتاح بعد أن أغلقت الباب، وهكذا صرْتُ محبوبًا فعلًا داخل الغرفة! وبالطبع ما عادت تلك الخدعة تصلح مع الأبواب الحديثة التي لا تحوي ثقبًا يوضع فيه المفتاح!

ألغاز المغامرين الخمسة تدور في إطار مناسب للأطفال، فالجرائم تنحصر في السرقة والتحايل والخطف والتهرب والتجسس، لكن لا توجد جرائم خيانة أو قتل، لا يوجد عنف أو جرائم تسيل فيها الدماء. وبعكس الشياطين الـ13، فلكل واحد من المغامرين شخصيته الواضحة، فتختخ هو الفتى الأريب الواثق بنفسه، الذي يحب تولي المسؤولية والأخذ بزمام المبادرة، بينما محب هادئ وعقلاني، وكذلك أخته نوسة، وعاطف مرح ومشاغب، أما لوزة فهي ذكية ومندفعة وشديدة الحماس.

من الشخصيات المهمة في السلسلة شخصية الشاويش فرقع، اسمه الشاويش علي، لكن المغامرين أطلقوا عليه اسم «فرقع»، لأنه دائمًا ما يقول لهم «فرقعوا من أمامي» عندما يراهم، وهذا تعريب دقيق للنسخة الإنجليزية، التي كان المغامرون فيها يطلقون على الشاويش لقب «Clear Orf» لأنه كلما رأهم يقول لهم: clear orf، وهو تحريف لـ «Clear off»، بمعنى ابتعدوا من هنا!

الشاويش فرقع لا يحب المغامرين ويراهم مجموعة من الأطفال الفضوليين الذين يدسُّون أنوفهم في عمله ويحاولون سحب البساط من تحت قدميه، وكثيرًا ما يتنافس معهم في حل الألغاز، لكنهم يسبقونه وأحيانًا يسخرون منه أو يتسلون بعمل المقالب فيه، وكثيرًا ما يشتكيهم لأهاليهم أو يحاول الإمساك بهم، ويغيظه أن المفتش سامي يتدخل لإنقاذهم أو يُثني عليهم أمامه؛ ورغم العلاقة المتوترة بين المغامرين والشاويش فرقع، فإنهم يحبونه ويعتبرونه من الشخصيات الرئيسية في حياتهم، وعندما وقع في مشكلة كبيرة



هَدَّت عمله تدخّلاوا لإنقاذه (21).



من الأمور المثيرة للاستغراب في ألغاز المغامرين الخمسة أن التعامل مع فكرة «اللغز»، أو القضية الغامضة، كان يظهر في السلسلة وكأنه أمر شائع ومعتاد، وكان الألغاز ملقاة على قارعة الطريق، وتنتظر من يأتي ليحلها، فكثيرا ما يبيد المغامرون في بداية كل لغز ضجرهم من أنهم لم يجدوا لغزا مؤثرا وأنهم بحاجة إلى لغز ليحلوه، وقد يجدون الشاويش فرقع يحوم حولهم لأنه يريد هو الآخر حل لغز من الألغاز، ويحاول معرفة إن كانوا منهمكين في حل واحد أم لا!



لغز اختفاء الخمسة

سلسلة المغامرين الخمسة كانت من إصدار دار المعارف، لكنها لم تكن حكرًا على المغامرين الخمسة. حملت السلسلة اسم «قصص بوليسية للأولاد»، وضمت مجموعات مختلفة من المغامرين الثلاثة والأربعة. ظل محمود سالم يكتب ألغاز المغامرين الخمسة حتى المغامرة رقم 34، «لغز الساعة السادسة»، ثم جاءت المغامرة 35، «لغز جزيرة المرجان»، لتحمل مفاجأة، فهي من بطولة مجموعة مغامرين آخرين، المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة، وكلبهم فهد(22)، من تأليف هدى الشرقاوي(23). وهي أيضًا تمصير لسلسلة أخرى لإنيد بلايتون اسمها المشهورون الخمسة، أو (24) The Famous Five، أبطالها هم جوليان وديك وآن وجورج، وخامس هؤلاء الأربعة هو كلبهم تيمي! في السلسلة المصرية لم يُحتسب الكلب فهد ضمن الفريق، فصاروا المخبرين الأربعة.

ظل القراء يقرؤون ألغاز المخبرين الأربعة لأربع مغامرات متتالية: من المغامرة 35 إلى المغامرة 38، قبل أن تعود ألغاز المغامرين الخمسة مرة أخرى، فتنفس القراء الصعداء. لكن ألغاز المخبرين الأربعة عادت إلى الظهور من جديد في المغامرات من 45 إلى 48.

في تلك الفترة -بداية السبعينيات- كان محمود سالم يشغل منصب رئيس تحرير مجلة الإذاعة والتلفزيون، وبسبب ميوله الناصرية قُصل من وظيفته، فقرر التفرغ لكتابة ألغاز المغامرين الخمسة، ثم فوجئ بأنهم خفضوا النسبة التي يحصل عليها من مبيعات الألغاز، لذلك اعتقد أن ظهور المخبرين الأربعة ليتقاسموا المغامرات مع المغامرين الخمسة بدءًا من المغامرة 35 جاء كجزء من التضيق الذي قُورس ضده. بل إن محمود سالم فوجئ بأن ألغاز المغامرين الخمسة التي نُشرت بعد ذلك، بدءًا من المغامرة 39 -وشكَّلت عودة ألغاز المغامرين

الخمسة بعد الظهور الأول للمخبرين الأربعة- وحتى المغامرة 44 (25)، لم يوضع عليها اسمه، بل اسم زميلته رجاء عبد الله (26)! الأمر الذي أثار استياءه ودفعه إلى الموافقة على عرض ناديا نشأت بالسفر إلى لبنان والبدء في إصدار سلسلة الشياطين الـ13.

صار الأمر معتادًا؛ كل عدة ألغاز من المغامرين الخمسة يقابلها عدة ألغاز لمغامرين آخرين، فظهر المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية، في المغامرة 65، «لغز ساعة الصفر»، من تأليف رجاء عبد الله، واستمرت لثلاث مغامرات، وانضمت إلى المخبرين الأربعة في اقتسام الألغاز مع المغامرين الخمسة. ثم ظهر مغامرون ثلاثة آخرون، هم عامر وعارف وعالية وقطهم مرجان، في المغامرة 92، «لغز الخريطة العجيبة»، من تأليف عبد الرحمن حمدي (27).

صدر من سلسلة «قصص بوليسية للأولاد» 181 لغزًا، كان نصيب محمود سالم بمغامريه الخمسة 89 لغزًا، بينما حصل بقية المغامرين على 92 لغزًا، نصيب الأسد فيها للمغامرين الثلاثة عامر وعارف وعالية رغم بدء ألغازهم متأخرًا- بمعدل 41 لغزًا، يليهم المخبرون الأربعة بـ22 لغزًا، وأخيرًا المغامرون الثلاثة محسن وممدوح وهادية بـ17 لغزًا.

هناك مجموعات أخرى من المغامرين ظهرت في المغامرات الأخيرة من السلسلة، مثل المغامرين الثلاثة ياسر وهالة وهشام، الذين حصلوا على سبعة ألغاز، بدءًا من المغامرة 123، «لغز الفراشة المفقودة» (28)، ورؤوف وندا في لغزين اثنين (29)، ونبيلة وهاني في لغز واحد (30)، وكذلك كريم وعلياء ورامي وشادي في لغز واحد بدورهم (31)، وظهر أيضًا مغامرون خمسة آخرون، هم وائل وريهام وأحمد وداليا وعمرو، في لغز واحد (32).

في البداية ظلت مغامرات المغامرين الخمسة تستأثر بأغلب الألغاز، وحتى مع ظهور المخبرين الأربعة والمغامرين الثلاثة، كانوا فقط يحصلون على ثلاثة أو أربعة ألغاز، ثم تستمر السلسلة في عرض ألغاز

المغامرين الخمسة، وكأنها فترة استراحة للمغامرين الخمسة قبل أن يعودوا بكامل طاقتهم، وظل الأمر هكذا حتى المغامرة 81، «لغز العملاق»، وبعدها أصبحت أغلب الألغاز لمغامرين آخرين، ويأتي بينها لغز أو اثنان للمغامرين الخمسة، وظلت ألغاز المغامرين الخمسة تقل تدريجيًا، إلى درجة أنه منذ المغامرة 107 وحتى المغامرة 125، أي عبر 19 مغامرة، لم يُنشر للمغامرين الخمسة سوى لغز واحد فقط، وبعد المغامرة 151، «لغز عصاة الأشباح»، انقطعت ألغاز المغامرين الخمسة تقريبًا، فحتى آخر السلسلة لم يصدر سوى لغزين اثنين بقلم محمود سالم ومن بطولة المغامرين الخمسة: 171 «لغز العصا البيضاء»، و176 «لغز حمام السباحة»، الذي كان آخر ألغاز المغامرين الخمسة في تلك السلسلة.

بالنسبة إليّ فقد استمتعتُ بألغاز المخبرين الأربعة، والمغامرين الثلاثة، سواء نسخة «ممدوح ومحسن هادية»، أو «عامر وعارف وعالية»، كل مجموعة لها مذاقها الخاص. ألغاز المخبرين الأربعة تتميز بالغموض والأحداث المرعبة، أذكر أنني كنت أقرأ «لغز الأضواء المريبة»، وحدث أن انقطعت الكهرباء في المنزل، وأخذت أقرأ على ضوء البطارية، وكان المشهد الذي أقرؤه يدور حول محاولة المخبرين أن يكتشفوا سر الضوء الذي يصدره شخص ما وسط الظلام، وكانت الأجواء مشابهة لما أنا فيه، فشعرت بأنني معهم.

وألغاز المغامرين الثلاثة عامر وعارف وعالية يدور أغلبها في بلاد أخرى، وتتناول تحفًا وأعمالًا فنية تختفي أو تُسرق، وذلك كله طبع السلسلة بطابع مميز.

أما محسن وممدوح وهادية، فمغامراتهم تتسم بخفة الظل والإحكام، كثير من تلك المغامرات ما زالت عالقة في ذهني حتى الآن بسبب أسلوب كتابتها المميز.

انتشرت بعد ذلك سلاسل عديدة كتبها مؤلفون آخرون، مثل رجاء عبد الله (33) ومجدي صابر (34) ونبيل فاروق (35)، الذين قدّموا فرقًا



من المغامرين الثلاثة أو الأربعة أو الخمسة؛ أطفال أو شباب يسعون لحل الألغاز الغامضة، وأغلبهم لديه كلب أو حيوان أليف يُكمل الفريق، تمامًا كزنجر كلب المغامرين الخمسة، وعلاقة مميزة مع ضابط شرطة أو مفتش مباحث يُسهّل عليهم تحقيقاتهم أو يمنحهم بعض الألغاز ليحلّوها. كل هؤلاء استفادوا من الفكرة التي أتاحتها محمود سالم للوجود في الأدب العربي.

لم يتوقف محمود سالم عن كتابة الألغاز بعد توقف السلسلة الأساسية، فكتب في التسعينيات ألغازًا قصيرة -لا تزيد عن عدّة صفحات- في مجلة الشباب، يُحقّق فيها المفتش سامي في الجرائم الغامضة، ثم في الألفية الجديدة كتب أحد عشر لغزًا للمغامرين الخمسة نُشرت مسلسلةً في مجلة علاء الدين، وفي عام 2009 جمعت دار الشروق خمسة ألغاز منها ونشرتها بعنوان «المغامرون الخمسة - ألغاز جديدة»، لكن يبدو أنها لم تُحقّق نجاحًا مع قراء الزمن الجديد، إذ توقفت السلسلة الجديدة تمامًا، ولم يُعدّ طبع أعدادها مرة أخرى.



لغز الأب الروحي للألغاز



التأثير الذي أحدثه محمود سالم لا يمكن إنكاره، فقبله لم يكن هناك أدب بولييسي عربي، ربما كانت هناك محاولات من آن لآخر، لكن محمود سالم هو صاحب أول مشروع متكامل وممتد في هذا المجال، ومنذ بدأ كتابة المغامرين الخمسة أواخر الستينيات، وحتى منتصف الثمانينيات -الوقت الذي ظهر فيه مشروع روايات مصربة للجيب- لم يكن هناك على الساحة سواه، وحده قدّم للشباب مئات الكتيبات التي قضينا معها أجمل الأوقات، وكثيرون تأثروا بها وبدؤوا يجربون الكتابة بدورهم. أذكر أن أول ما كتبتُ على الإطلاق كان قصة من صفحتين بعنوان «لغز السيارة البيضاء»، كتبناها وعمرنا تسع سنوات، أبطال القصة هم مغامرون خمسة اخترعناهم وأطلقت عليهم اسمي أنا وأصدقائي من أبناء الجيران، وجعلتهم يحلون لغزاً غامضاً واجههم، وأخذت أقرأ على أصدقائي القصة التي كتبناها عنهم، بعد أن شرفتهم بوجودهم في فريقنا للمغامرين. القصة التالية أسميتها «لغز الرسالة الغامضة»، ولم تكن من بطولة مغامرين، بل كانت قضية غامضة حلّها مدرس لغة إنجليزية.

ربما لم يعد بإمكانني الآن قراءة ألغاز المغامرين الخمسة، لأنها لم تعد مناسبة لذائقتي، لكنني كلما وجدتُ لغزاً قديماً أمسكه وأتصفحه، وأحاول استعادة ذكريات بحثي وتنقيبي عن تلك الألغاز العريضة، وما شعرتُ به وأنا أقرأها للمرة الأولى وأتابع بشغف كيف تفوّق هؤلاء الأطفال على الكبار، وكيف أقنعوهم بأهميتهم، وأتذكر كيف كنت أطمح إلى أن انضم إليهم، وأتمنى زيارة المعادي لعل وعسى أجدهم يعبرون أمامي بدراجاتهم، وخلفهم كلبهم زنجر.



قائمة الألغاز

التي صدرت في سلسلة قصص بوليسية للأولاد



1. لغز الكوخ المحترق

المغامرون الخمسة

2. لغز البيت الخفي

المغامرون الخمسة

3. لغز العقد المفقود

المغامرون الخمسة

4. لغز الشبح الأسود

المغامرون الخمسة

5. لغز المنزل رقم 98

المغامرون الخمسة

6. لغز الألغاز

المغامرون الخمسة

7. لغز الرسائل الغامضة

المغامرون الخمسة

8. لغز الأمير المخطوف

المغامرون الخمسة

9. لغز القفاز الأحمر

المغامرون الخمسة

10. لغز القصر الأخضر



المغامرون الخمسة

11. لغز اللص الشبح



المغامرون الخمسة

12. لغز اختفاء الخنفس

المغامرون الخمسة

13. لغز سرقة البنسيون

المغامرون الخمسة

14. لغز الوثائق السرية

المغامرون الخمسة

15. لغز الجزيرة المهجورة

المغامرون الخمسة

16. لغز الحقيبة السوداء

المغامرون الخمسة

17. لغز التسعة

المغامرون الخمسة

18. لغز الغابة الملعونة

المغامرون الخمسة

19. لغز وادي الذئاب

المغامرون الخمسة

20. لغز الرسالة الطائرة

المغامرون الخمسة



21. لغز الشيء المجهول

المغامرون الخمسة



22. لغز المهرب الدولي

المغامرون الخمسة

23. لغز الرجل الثاني

المغامرون الخمسة

24. لغز المتحف

المغامرون الخمسة

25. لغز قصر الصبار

المغامرون الخمسة

26. لغز ورقة الكوتشينة

المغامرون الخمسة

27. لغز الشارع المسدود

المغامرون الخمسة

28. لغز الساق الخشبية

المغامرون الخمسة

29. لغز الموسيقىار الصغير

المغامرون الخمسة

30. لغز القرد

المغامرون الخمسة

31. لغز الفارس المُقتنع



المغامرون الخمسة

32. لغز كلب البحر



المغامرون الخمسة

33. لغز المدينة العائمة

المغامرون الخمسة

34. لغز الساعة السادسة

المغامرون الخمسة

35. لغز جزيرة المرجان

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

36. لغز السيارة السوداء

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

37. لغز الأضواء المرئية

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

38. لغز وادي الملوك

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

39. لغز الرجل الذي طار

المغامرون الخمسة

40. لغز القبر الملكي

المغامرون الخمسة

41. لغز ملك الشطرنج

المغامرون الخمسة





42. لغز الفهود السبعة

المغامرون الخمسة

43. لغز عصاة التزييف

المغامرون الخمسة

44. لغز زعيم العصاة

المغامرون الخمسة

45. لغز السرداب الأثري

المخبرون الأربعة: خالد وطارق ولفل ومشيرة

46. لغز بيت الأشباح

المخبرون الأربعة: خالد وطارق ولفل ومشيرة

47. لغز الحجرة الخلفية

المخبرون الأربعة: خالد وطارق ولفل ومشيرة

48. لغز السجين الهارب

المخبرون الأربعة: خالد وطارق ولفل ومشيرة

49. لغز الطفل المخطوف

المغامرون الخمسة

50. لغز الثعبان الأعمى

المغامرون الخمسة

51. لغز رجل الصندوق

المغامرون الخمسة

52. لغز أبو طرطور



www.artofbook.com

المغامرون الخمسة

53. لغز عين السمكة



المغامرون الخمسة

54. لغز عصاة يوم الخميس

المغامرون الخمسة

55. لغز الحقيبة الدبلوماسية

المغامرون الخمسة

56. لغز جاسوس السويس

المغامرون الخمسة

57. لغز تمثال بوذا

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

58. لغز النظارة السوداء

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

59. لغز الساحر العظيم

المغامرون الخمسة

60. لغز شاطئ السموم

المغامرون الخمسة

61. لغز الفانلة الحمراء

المغامرون الخمسة

62. لغز العقل الإلكتروني

المغامرون الخمسة





63. لغز الهارب الصغير

المغامرون الخمسة

64. لغز صواريخ الليل

المغامرون الخمسة

65. لغز ساعة الصفر

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

66. لغز البصمة السوداء

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

67. لغز اختفاء السبعة

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

68. لغز الأخرس

المغامرون الخمسة

69. لغز غابة الشيطان

المغامرون الخمسة

70. لغز الضباب الغامض

المغامرون الخمسة

71. لغز البيضة المُجَوِّفة

المغامرون الخمسة

72. لغز عبيط القرية

المغامرون الخمسة

73. لغز شحنة الماس



المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

74. لغز أم الشعور



المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

75. لغز العنكبوت الذهبي

المغامرون الخمسة

76. لغز الكلب ذو الرأسين

المغامرون الخمسة

77. لغز الزجاجة الصفراء

المغامرون الخمسة

78. لغز المدينة الغارقة

المغامرون الخمسة

79. لغز وادي المساخيط

المغامرون الخمسة

80. لغز الرجل الأزرق

المغامرون الخمسة

81. لغز العملاق

المغامرون الخمسة

82. لغز الماسة السوداء

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

83. لغز جاسوس الجواسيس

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية



84. لغز الألف وجه

المغامرون الخمسة



85. لغز مغارة الشيطان

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

86. لغز الحجرة رقم 19

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

87. لغز مزرعة الرياح

المغامرون الخمسة

88. لغز طائرة باريس

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

89. لغز الزائر الغامض

المغامرون الخمسة

90. لغز فتاة ماليزيا

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

91. لغز العميل السري

المغامرون الخمسة

92. لغز الخريطة العجيبة

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

93. لغز الدائرة الخضراء

المغامرون الخمسة

94. لغز الوادي الرهيب



المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

95. لغز الفيلم المُلَوَّن



المغامرون الخمسة

96. لغز بحيرة قارون

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

97. لغز المتهم البريء

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

98. لغز المهرابا المزيف

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

99. لغز مدينة الملاهي

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

100. لغز نادر الوجود

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

101. لغز بلا نهاية

المغامرون الخمسة

102. لغز الساقية المهجورة

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

103. لغز الرسام والكلب

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

104. لغز السهم الفضي

المغامرون الخمسة



105. لغز البحر الأحمر

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية



106. لغز الشاويش فرقع

المغامرون الخمسة

107. لغز النهر المقدس

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

108. لغز الكلاب العشرة

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

109. لغز الجزيرة الملعونة

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

110. لغز القارب الفرعوني

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

111. لغز الكتب الطائرة

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

112. لغز مباراة الكأس

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

113. لغز الخطة الرهيبة

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

114. لغز القبيلة الصفراء

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

115. لغز الأطباق الطائرة



المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

116. لغز بائع البالونات



المغامرون الخمسة

117. لغز الشيخ عمران

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

118. لغز العبارة الإيطالية

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

119. لغز العيون السود

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

120. لغز صخرة المُهزَّبين

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

121. لغز الزلازل الغامضة

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

122. لغز الدبلوماسي المخطوف

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

123. لغز الفراشة المفقودة

المغامرون الثلاثة: ياسر وهشام وهالة

124. لغز مدينة الآلهة

المغامرون الثلاثة: ياسر وهشام وهالة

125. لغز السائح القصير

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية



126. لغز الكاميرا السرية

المغامرون الخمسة

127. لغز ممر إنترانتو

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

128. لغز الجواهر الغامضة

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

129. لغز ثعلب الصحراء

المغامرون الخمسة

130. لغز عباس الأقرع

المغامرون الخمسة

131. لغز الدائرة الحمراء

المغامرون الثلاثة: ياسر وهشام وهالة

132. لغز برج السحاب

المغامرون الثلاثة: ياسر وهشام وهالة

133. لغز من الماضي

المغامرون الخمسة

134. لغز علبة النعناع

المغامرون الثلاثة: ياسر وهشام وهالة

135. لغز جوهرة المليونير

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

136. لغز منتصف النهار



المغامرون الخمسة

137. لغز لوحة بيكاسو



المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

138. لغز قصر الحمراء

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

139. لغز القمة السوداء

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

140. لغز الجاسوس الترانزستور

المغامرون الخمسة

141. لغز جبل الرمال

المغامرون الخمسة

142. لغز النجمة الخضراء

المغامرون الخمسة

143. لغز سرقة خط جرينتش

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

144. لغز كذبة أبريل

المغامرون الخمسة

145. لغز الثعلب العجوز

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

146. لغز المياه الراقصة

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية



147. لغز الذاكرة المفقودة

المغامرون الخمسة



148. لغز المائة دولار

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

149. لغز المغارة الزرقاء

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

150. لغز الراقص الإفريقي

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

151. لغز عصاة الأشباح

المغامرون الخمسة

152. لغز كنز السلطان

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

153. لغز الثروة الضائعة

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

154. لغز السجادة الخضراء

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

155. لغز البحيرة المقدسة

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

156. لغز السجين البريء

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

157. لغز البدوي الأسمر



المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

158. لغز السرقة الثانية



المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

159. لغز الطائر الأزرق

المغامرون الثلاثة: محسن وممدوح وهادية

160. لغز كهف روميل

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

161. لغز الضابط المزيف

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

162. لغز دقائق الليل

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

163. لغز عميل البنك

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

164. لغز فيلا المعادي

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

165. لغز الولد الأشقر

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

166. لغز عروس سيناء

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

167. لغز القرنفلة الحمراء

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة



168. لغز سجين طيبة

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة



169. لغز الخدعة المزدوجة

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

170. لغز نور القمر

المغامرون الثلاثة: ياسر وهشام وهالة

171. لغز العصا البيضاء

المغامرون الخمسة

172. لغز السيارة الخضراء

المغامرون الخمسة: وائل، ريهام، أحمد، داليا، عمرو

173. لغز مغامرة في باريس

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

174. لغز الزمردة الخضراء

المخبرون الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة

175. لغز سر المجنون

المغامرون الثلاثة: عامر وعارف وعالية

176. لغز حمام السباحة

المغامرون الخمسة

177. لغز الحي الهادئ

المغامران: راندا ورؤوف

178. لغز يتحدى ذكاءك





المغامران: نبيلة وهاني

179. لغز الرسالة المجهولة

المغامران: راندا ورؤوف

180. لغز فندق الرعب

المغامرون الثلاثة: ياسر وهشام وهالة

181. لغز قصر الأشباح

فريق الأذكىاء: كريم وعلياء ورامي وشادي

ألغاز أصدرتها دار الشروق:

1. لغز البحر الميت

2. لغز الطيور المهاجرة

3. لغز عصاة الأشباح

4. لغز القاربة الصغيرة 1

5. لغز القاربة الصغيرة 2

ألغاز أصدرتها مجلة علاء الدين مسلسلة:

1. لغز الفتاة المشلولة

2. لغز عمارة العفاريت

3. لغز السلوعة

4. لغز الرقم الناقص

5. لغز المومياء الحية

6. لغز المغامر الغامض





محمود سالم يكتب



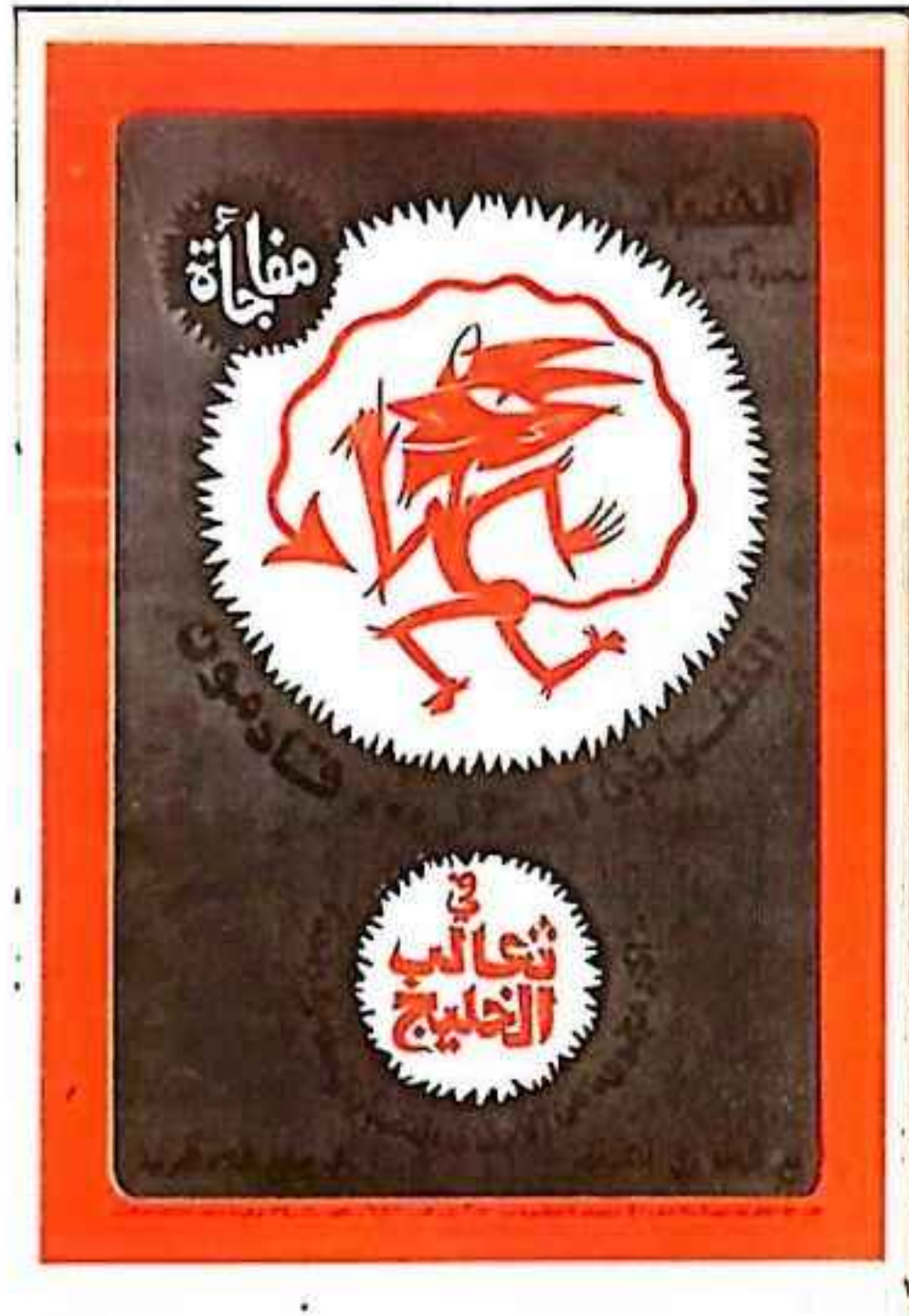
صورة نادرة لناديا نشأت



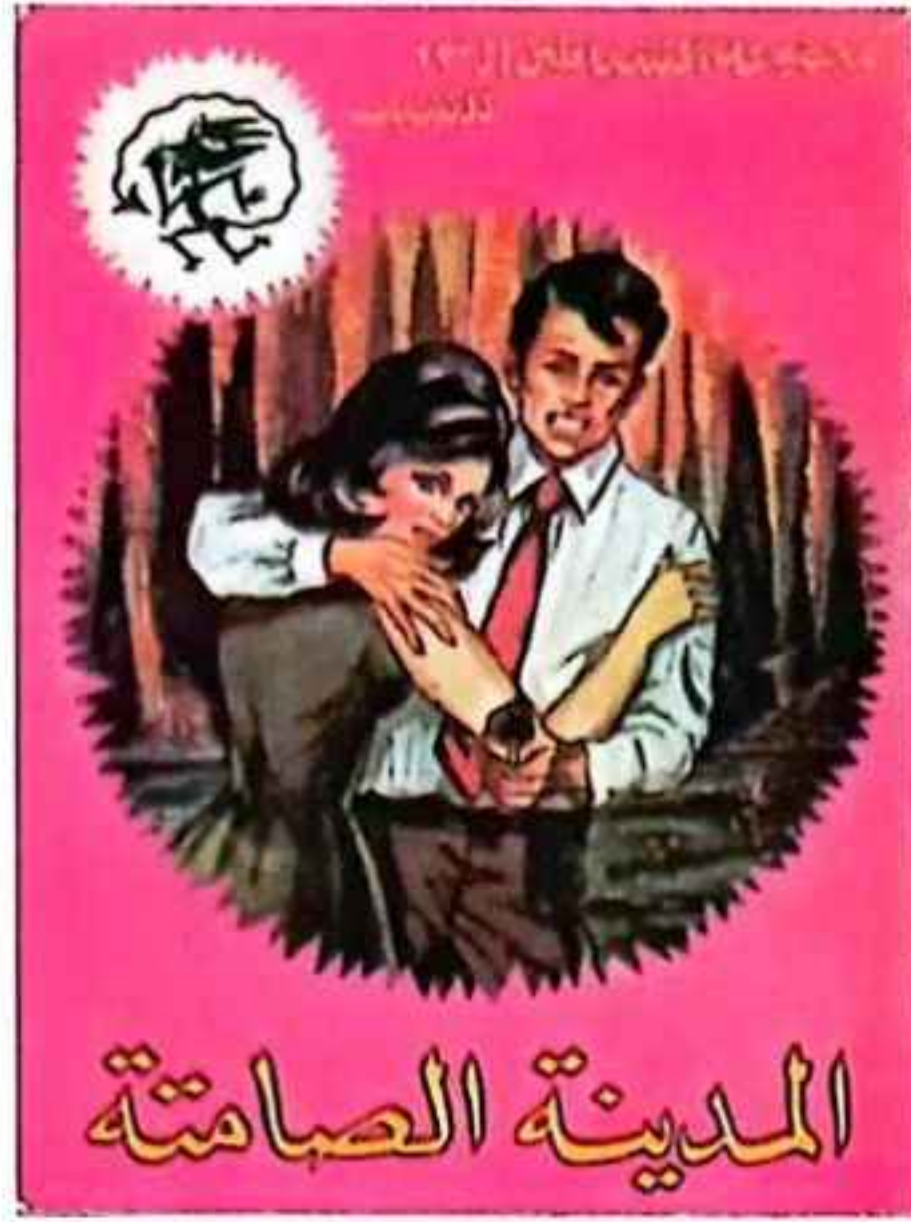


أول كتاب قرأته، الوحش البحري، العدد رقم 154 من الشياطين الـ

13



الإعلان عن صدور الشياطين الـ 13 في لبنان، في العدد 539 من
مجلة سوبرمان



المدينة الصامتة، العدد 11 من الشياطين الـ 13، طبعة لبنان

الشياطين الـ 13
المفارقة رقم 11

المدينة الصامتة
بقلم محمود سالم



شارع شارة العمري - بناية مكرز - بيروت
© مطبعة النشر الحديثة لسانيا مطابع



عبارة: «حقوق النشر محفوظة لناديا نشأت» على الغلاف الداخلي للطبعة اللبنانية من الشياطين الـ 13



التعريف بالشياطين الـ 13 وصورهم في الطبعة اللبنانية



الإعلان عن صدور الشياطين الـ 13 في مصر، في العدد 846 من
مجلة ميكي



الشياطين الـ 13
القامرة رقم 51
أغسطس 1980

عملية براكودا

محمود سالم
عفت حسني

كتب الهلال © للأولاد والبنات

تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئاسة مجلس الإدارة

أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة

صبري أبوالمجد

رئيسة التحرير

جميلة كامل

مساعدة رئيسة التحرير

نائب مدير التحرير

نجيلة حسين

© نشره الكتاب بالاتفاق مع السيدة نادية نشأت

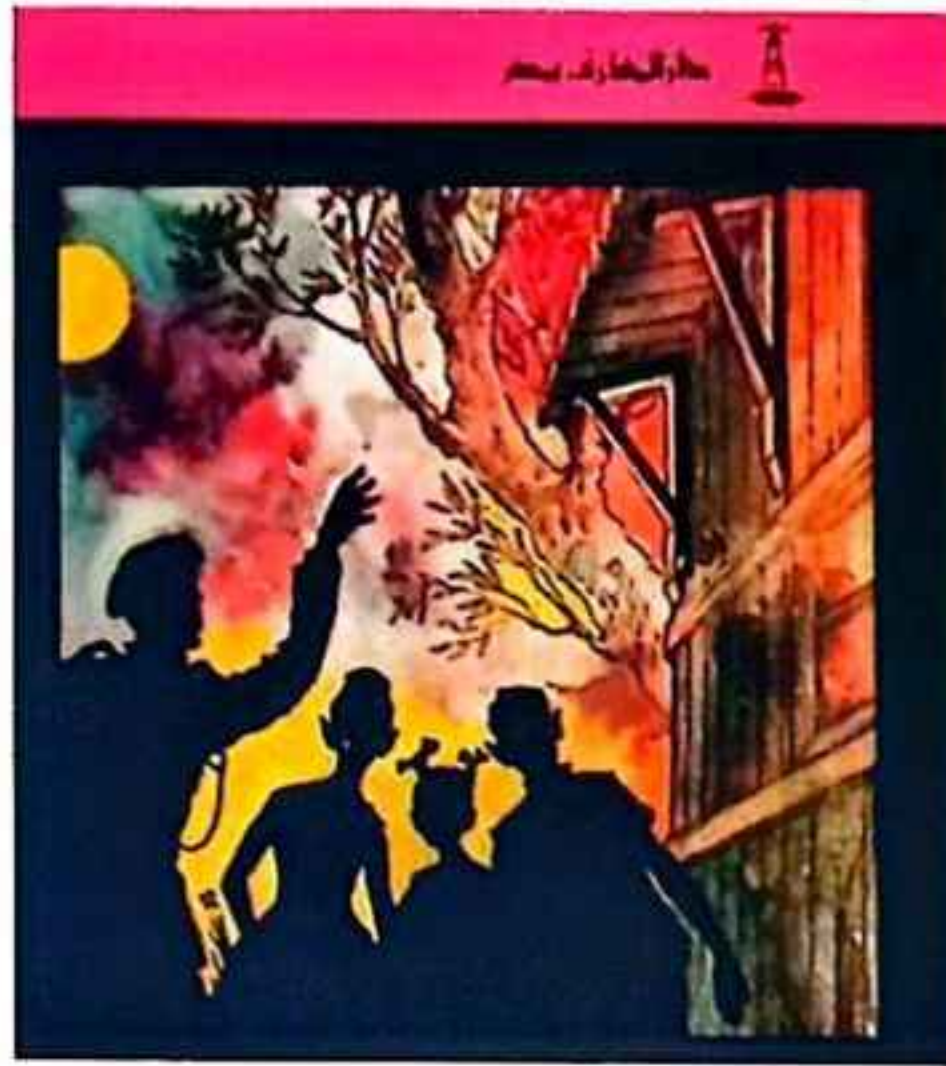
الغلاف الداخلي للطبعة المصرية من الشياطين الـ 13، الصادرة عن
دار الهلال، وتظهر فيه في أسفل الصفحة اليمنى عبارة: «نشر هذا
الكتاب بالاتفاق مع السيدة نادية نشأت»، والتي استمرت تُكتب في
كل الأعداد



التعريف بالشياطين الـ 13 وصورهم في طبعة دار الهلال



لغز الكوخ المحترق



الطبعة الأولى من أول ألغاز المغامرين الخمسة: «لغز الكوخ
المحترق»



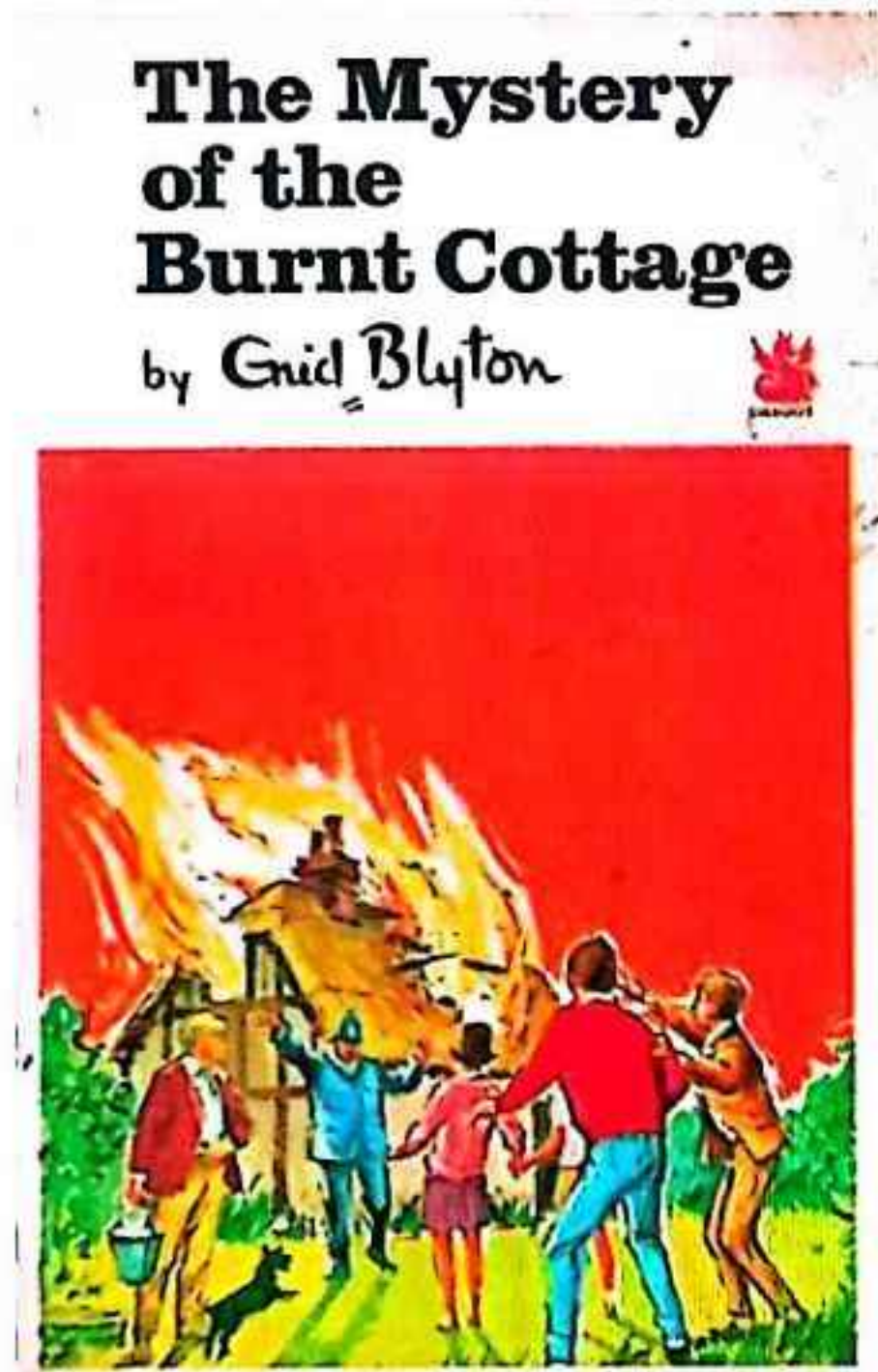


الغلاف الخلفي للغز الكوخ المحترق، وفيه تظهر صور المغامرين الخمسة كما رسمهم الفنان صلاح مأمون، والتي سيعرفهم القراء بها





الإعلان عن صدور المغامرة الأولى للمغامرين الخمسة، في العدد
695 من مجلة سمير





لغز الكوخ المحترق في سلسلة المستكشفون الخمسة والكلب
باستر، التي كتبتها الكاتبة الإنجليزية إنيد بلايتون

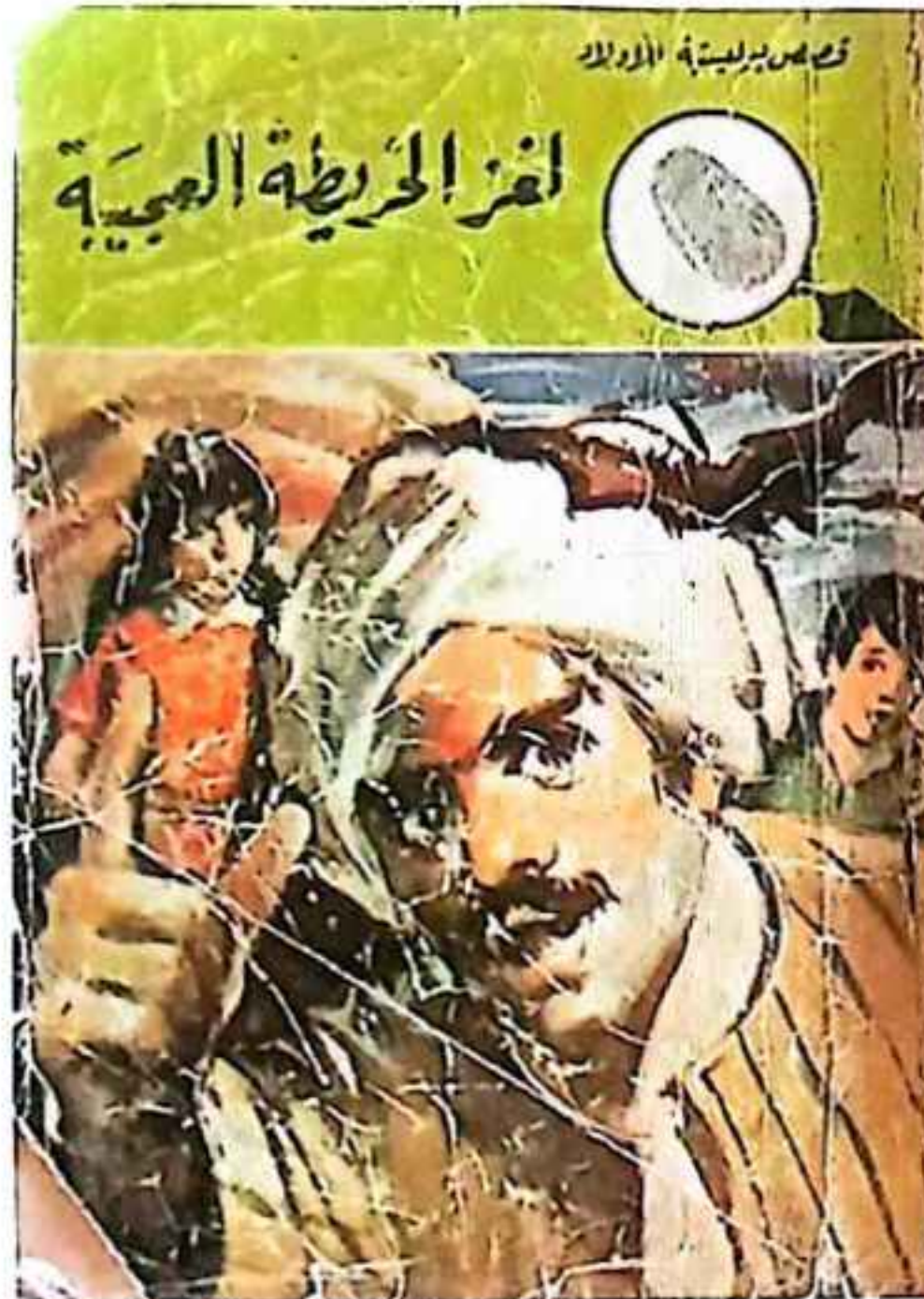


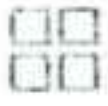
لغز جزيرة المرجان، المغامرة رقم 35 من قصص بوليسية للأولاد،
والظهور الأول للمخبرين الأربعة خالد وطارق وفلفل ومشيرة





لغز ساعة الصفر، المغامرة رقم 65 من قصص بوليسية للأطفال،
والظهور الأول للمغامرين الثلاثة محسن وممدوح وهادية





لغز الخريطة العجيبة، المغامرة رقم 92 من قصص بوليسية للأولاد،
والظهور الأول للمغامرين الثلاثة عامر وعارف وعالية



لغز حمام السباحة، المغامرة رقم 176 من قصص بوليسية للأولاد،
وآخر ظهور للمغامرين الخمسة



قصص بوليسية



بقلم محمود سالم

بعقد الممثلين . سامي . ان لمعوض الجريمة وليس حجمها هو النحدي العكيلي لضابط الشرطة فله يكون حذبه وقد يكون لكل رجل واحد جريمة فنحدي ذفاه رجل الشرطة نظر من قتل ثلاثة رجال وكان هذا جزاء من المحاور الأدلر بين الممثلين وساعده الرائد . حسام . باستمرار وقد جاءت وفائع سرقة خزانه حديدية من شركة لنحدي ذفاه رجل الشرطة في قسم . الموسكي . فله ثم سرقة الخزانه في عز الكليلر وامام اصحابها في مكان مزدهج بالموظفين والعلماء والسرقه لم يتم مفتح باب الخزانه مثلا وسرقه منها ولكن بسرقة الخزانه نصها امام الجميع دون ان يرى احد العوض ولا الخزانه ابدا

« لغز الخزانه الطائره »

وان التتم القبض على وحده في
الغصه في النظر الأدلر التي
أمانه وكما انظر الضابط
محميات شبه حديدية لايوان
وغيرها وفوق عطفه ولحمه
متشبه تقوئل القائل سقط في
مطر الشركة هذا في القصة في شارع
. حد العريض . في صباح اليوم التالي
القيا لثم الصلة كانت صلبا
شدها مني عن طائره التي من سجين
علما ولكنها شدة قويا وسنسة
وتذكر اغتيل لهم كان يسكن في هذا
انقار . واحد يصحبه السلام
بصريه . فله كانت هناك طرقات
المتشبه القاصه من الشارع للشركة
ان كانت تسكن القليلين الأول
وقائس
كان مكتب سامي شركة في الدور
التي وبدا على الضابط كل
جزر تسكن في هذا سببا
واسود الآلات القليلة وأخرى
التشبهات واحدهم كمثل تسكن في
جزر سنه
استقر صاحب شركة الضابطين
بشركه حديه في مكتبه وحده
سابقه كان بين غرفة الخزانه التي
عليه من طرقة واحدة تلك
الغسل من استعارة لخرج الخزانه
من كرفة الحنطه دون ان يراها
صاحب الشركة والممثلين فيها
والرائس
قال الممثل ان وقتنا على واحد
تسبح لنا بالمعنية
قال الاستاذ . حطافه . صاحب
الشركة علما
الممثل بالثانية ماذا كنت في
الخزانه
حطافه . صبح ماتي قد صبح
مستدرك الحطافه بالسلامه علما
فبهذا صبح نصف صبح صبح
الممثل لتسبح من هذه الشبهات
حطافه . تسبح
الممثل ومن هم المجهول
حطافه . يسكن في شارع من شارع
الشبهات قلنا لا تسبح بلقصيد
الممثل فظن بالمعنية
من السب . حطافه . صبح . بهه صبح

خاليا في الكليلر قبل ان يسكن تسكن
مع صت في مسر الجبهه وكذا
بصحة ليري ويحس المثل ونظر
المسكن الموح حنطه . فدار
بالسببا متبها ان سرته
جلس من مندا لعداء . الأخر وهو
شاهه كانت القصبة لربما وشبوا
لنا يظن رجل الشركة لصبيا
متبا والممثل لا يمتد في وجه
الجريمة القاصه عصب على صلبها ما
يكون . كما يرى الممثل . إنما لده
لشهر الأمانة أو لتسبح في
التسبح . ولكن هذه القصبة على
سابقها تلك تكن جريمة كانت على
استماع القس ان يسكن جريمة
حديده امام طرقات الممثلين
وقر الممثل وهو يسكن في كرفة
في اتشوب الممثلين الصامر كما
يلتج بعض العواء لإفراج الحاسبين
بصحة لريبه . لم تسبح أو رسم
تسبح أحداث ولحق وتسلم
الممثل اسم القليلة الصعود لإراما
بصحة ونكبه
عسا على ان مكتبه في الساء على
ساعده الرائد . حسام . في امانه
المطومات القوية ساء و من
حيثه بالخزانه ليست بزمانا
طليا والشركة صمما جدا حيث
تقوم باستمرار على الطباة والآلات
التصوير والمعدة للفتك وغيرها من
الأدوات الحيوية وموظفوما صبحا حول
مستوى الضمان
قال الممثل محول الرائد
. حسام . يبدو ان اغتلاء الخزانه
يسكن لغرابلا من انتم الرائد
. حسام . واذا انتم تسبح تسبح
فان يمت له امر من الممثلين رايه
شكرا ثم انظر رقم تيلي الشركة من
المضمر وانصت له وانصت له صبحه
وقلت له انه من حسب لبراهه صبحه
لغز الخزانه ان صاحب الشركة هو
وحد الذي يستغنيا . وقد اضطر من
المضمر هذا الساء لارتباطات
خلجية
تسرح المثل ان اصناف
الروثتها ونس ساعده الشان
. حسام . لاحظ له شله الذي .

الشركة ادم العرفه التي بها الخزانه
الا ان كانت الخزانه قد تسبح في
البراهه لم تكن حلسه وانيس في
العرفه بوانه وصحت يسكن ان تسبح
متبا كما ان حطافه واحد هو الذي
دخل الخزانه في كرفة من حسام
صاحب الشركة وبوجه
كان الرائد . حسام . يظن ان
تكن الخزانه قد خرجت من خلف
الكرفة يسكن لم يظن ان من لصبها
العرفه . ولكن القصبة تسبح ان
سقطت والأرضه كالأمان منهم لم
يسس من الممثلين الوصاعه فوجهه
يشتم فاشتم هو الآخر
والرائد . حسام . خري . يسبح
الممثل لعل
. حسام . هل تكونت سببته لغز
من كليله خروج الخزانه
الممثل سببا السببا تسبح ان
صاحبها وسابقه مع موظف الشركة
لنا تسبح ان خري
. حسام . هناك استبان آخر . ان
الخزانه لم تكن في العرفه صمما وصل
صاحب الشركة ان هذا
الممثل ولذا يصر انه رايه
. حسام . ربما هو مؤلم صبحا
ويطلب عليه الشان
الممثل هذا الممثل سببته
سؤال شركة الشان . ومع ذلك
علما بخلو هذه القصه الخليله التي
ان يصدها احد
. حسام . هذا هو تسبح لا يمتد .
الشركه بالثانية كما ليري ان يسكن
تسبحها
نظر الممثل . سامي . ان ساعده
كانت قد تسبحت لرابعا بعد الضمير
وكان يسس وبجوع والرباهه في الرابعه
لذلك . رجاء ان تسبح كل المثلين
الثانية بالشركه وتروها المثل
ووجهه تسبح من صده على الخزانه
وكب الممثلين سببته . ووجهه صبحه
دون وهو يشتمه الى شارع . صبح
العزيز . حيث توجه الشركة . نولف
يظن ان تسبحه القصه التي بها
الشركه وريته وتكون كثيره منها .
فله كل يسكن نفس العباره أبو تسبح

ان صبحه من صبحه قسم
. الموسكي . ان الخزانه المثل من
مكاتبها امام صاحب الشركة والموظفين
والسلامه . مكاتبه تسبح في طرقة في
البراهه
وهو الممثل . سامي . رايه وهو يرا
تسبح الضابط . فله كانت الخزانه
كلها لتسبح مكيف يسكن مثل خزانه
حديده صمما والمضمر صبحا من كليلر
الوجه الذي كانت صبحه ثم لا يراما
احد من تسبح تسبح موصفا وصيلا
لشركه في مستند انهار
وكان صاحب الشركة تسبح . صبح
الليل . فله صبح ملاحا ان تسبح
. الموسكي . بسرقة خزانه شركه
دون ان يظن لها . وكانت تسبح
البلع كما قرأ الممثل . سامي .
الآن
ان في يوم الأحد الموافق ١١/١٢/١١
١١١١ صدر ان القسم الرابع
السبب / صبحه قابل . ولذا كان
نص ان طر شركة في تسبح السببا
التسبح صمما وهو شركة . قابل
لاستمرار والتسبح . ويكتبه بلع في
الطريق التي ويهاون من العرفه
لتسبحها ولربما صبحا صبحا . صبح
بها العرفه صبحه صبحه استعارة
المانه والاموال السببا بالاصحاب ان
الرجل تسبح المثلين تسبح من
دولبه والبلع من صبحا
وقد فتح صبحه لغز الخزانه
وتلك من وجهه الخزانه وصمما بها
تسبح اصله بوجه الخزانه المثلين
إحساس بصب السببته من احد
الروثته لم احد المثلين صبحه صبحه
ويطلب منه تسبح بوجه الاحصاف
طام لا يظن لغز الخزانه بالفتح كما
اعلم . ولكنه بوجه . وهو يظن ان
الخزانه انما اصحت وكان تسبح صبحا
متشبه صبحه كل يسكن على الرائد
ادم بان لغز الخزانه ولم يدار
مكاتبه صبحه . ووجه العرفه ليس لها
باب لغزها ليس بها بوانه أو لغزها
عنه الممثلين مزركه صبحا أخرى وهو
قابل . تسبح . تسبح تسبح ولكنه
هذا
ويكي المثل براهه براهه صبحه
الباخت . وقد صبحا صبحه على
الشركه وتسبح لربما الشركة ووجه
من التسبح ان يسكن الخزانه من
مكاتبه في صبحه صبحه لادم صبحه
الشركه والموظفين والاصلاء
ويكي المثل بلون ويستمراب
صاحب الشركة لادم صبحه صبحه ان
صاحب الخزانه لادم السببا الثانية
والوجه صبحه . وان المثلين الذي
دخل ان لغز الخزانه في صبحه السببا
العرفه صبحه صبحه على الخزانه كانت
في مكاتبه . ولذا تسبح السببا الثانية
شيرا من اطلاق الشركة براهه صاحب
الشركه ان لغز الخزانه والموظفين .
باخته الخزانه من مكاتبه
كان الرائد . حسام . يرايه تسبحه
وهو يرايه التسبح وكان هو صبحه
يظن ان الامر بوجه متشبهلا . فمن
لمو المثلين ان تسبح خزانه من
تسبح صبحه صبحه في تسبح
تسبحها لادم لبراهه صبحه صبحه
لشركه والاصلاء . ويكتب صاحب

(بطلان ١١١١) الشبهات (القصه ١١)

لغز الخزانه الطائره، أحد الألغاز القصيرة التي نشرها محمود سالم في مجلة الشباب في التسعينيات، من بطولة المفتش سامي





بقلم: محمود سالم

رسوم: عصام الشوريجي

الحلقة الاولى . فتاة في كرسي متحرك

وبدا المنظر كه خياليا
اسرع نخنخ بانزول على الشجرة المجاورة لنفاذة
لجرفه كما يفعل كلما كان في عجلة من امره وابتلع
على الانصاف حتى الأرض.. وفي خطوات سريعة
كان يفتح باب حديقة الفيلا.. ثم اندفع إلى حيث كان
الكرسي ينزلق ببطء. مضر إلى المقعد فرأى فتاة
تلبس ملابس عالية وقد ندى رأسها إلى الأمام وهي
تمسك بيدي الكرسي.. ففتح عينيهما ونظرت إليه..
فراى في عينيهما نظره استغاثة ودموع رقيقة تناسب
بطءه.
استك نخنخ بالمعد وقاده إلى باب حديقة الفيلا.
وزنجر بتمعه نابجا. وأشار إليه نخنخ بانخوف
فقد قام بواجبه.
وبرغم المطر لم يكن الجو باردا.. وعادة ما يكون الجو
دافئا عندما ينزل المطر.. اسرع نخنخ ينسلق

بين المظلة والمنام سمع نخنخ نباح كلبه العزيز
زنجر. خيل إليه انه يحلم. تطلب في فرانس
وقبل الصباح مستعرا وملحا. فتح عينيه واضاء
العور نظر إلى المنبه على الكومودينو بجواره
كانت الساعة تقرب من الرابعة مجرا.. كان الفباح
مارال مستعرا ومرتفعا تحت نافذة غرفته
ازاح نخنخ الاعطية جانبا وفتح النافذة واطل على
الشارع المجاور. وكانت المفاجأة فرك عينيه لا
يصدق ما يرى.. كرسي متحرك ينزلق ببطء على
الأرض المبللة بالمطر. الخلق عينيه وفتحها ثم امعن
انتظر.. فتاة صغيرة تبدو منكفئة إلى الأمام في
الكرسي المتحرك. ولم يكن هناك اي شيء آخر إلا
زنجر بجري في الشارع الكرسي ذي العجلات و
حتى العالقة. كان الكرسي يتحرك نازلا مع انشارع
المنحنى.. واضواء الشارع تعكس ظله على الأرض..

لغز الفتاة المشلولة، أحد الألغاز التي نشرها محمود سالم سلسلة
في مجلة علاء الدين



لغز البحر الميت

محمود سالم

المغامرون الخمسة
ألغاز جديدة



«لغز البحر الميت»، أحد أعداد سلسلة «المغامرون الخمسة - ألغاز جديدة»، التي أصدرتها دار الشروق عام 2009





أجاثا كريستي (١٨٩٠ - ١٩٧٦)



١٨٩٠ - ١٩٧٦ أجاثا كريستي



جريمة في درج التسريحة!

في طفولتي لم أقرأ قصصًا بوليسية مترجمة بقدر ما قرأت لأجاثا كريستي!

كانت رواياتها مترجمة بوفرة ومنتشرة وموجودة في كل مكان، بعكس الروايات الأخرى التي كنت أتابعها، كروايات أرسين لوبين والمغامرون الخمسة وسلاسل روايات مصرية للجيب، تحت كل حجر كنت تجد رواية مترجمة لأجاثا كريستي، ترجمة كاملة أو مختصرة، طباعة فاخرة أو بجودة منخفضة، بحجم كتيبات الجيب أو بالقطع الكبير، بعناوينها الأصلية أو بعناوين أكثر إثارة -أو ابتذالًا- من اختيار المترجم أو الناشر. كان الأمر وكأن المترجمين ودور النشر لم يعد لهم همٌّ سوى ترجمة روايات أجاثا كريستي، أو كأن أجاثا كريستي هذه ماكينة كتابة أنتجت مئات العناوين، وإلا فمن أين جاءت كل تلك الترجمات؟!

فيما بعد سأعرف أن الرواية الواحدة كانت تُترجم أكثر من مرة وبأكثر من عنوان، مثلًا رواية «جريمة في بيت الكاهن»، قرأتها مرة بعنوان «رصاصه في الرأس»، ومرة أخرى بعنوان «جريمة في القرية»، ومرة ثالثة بعنوان «جريمة قتل في المعبد»، وهكذا.

المهم أن انتشار روايات أجاثا كريستي وتوفرها جعلها قراءتي لها أمرًا حتميًا، فأينما وليت وجهي أجدتها أمامي!

في البداية كنت خائفًا منها!

أذكر أنني وجدت ذات يوم في درج التسريحة في بيت جدي كتيبًا صغير الحجم أصفر الصفحات بغلاف أخضر ويحمل عنوان «جريمة في...»، فشعرت برهبة! لا بد أن هناك أمورًا شنيعة تحصل داخل تلك الصفحات! وعلى الغلاف الخلفي صورة بالأبيض والأسود لسيدة

عجوز بشوشة طيبة الملامح. وعلى الغلاف الأمامي، وبخط أكبر من خط عنوان الرواية، مكتوب «أجاثا كريستي»! لم أعرف ما المقصود بالاسم، هل هذا جزء من عنوان الرواية؟ أم إنه إشارة إلى نوعية هذه الروايات؟

كنتُ وقتها في الثامنة من عمري، وكانت هذه الرواية إحدى طبعات سلسلة «روايات الجيب»، التي أنشأها عمر عبد العزيز أمين في الثلاثينيات وظلت تصدر بانتظام حتى الثمانينيات، وخلال خمسين عامًا نشرت مئات الروايات العالمية، بالإضافة -بالطبع- إلى روايات أجاثا كريستي وأرسين لوبين والكثير من الأعمال البوليسية الأخرى. والحقيقة أن عمر عبد العزيز أمين هو الذي أدخل مفهوم روايات الجيب إلى مصر والوطن العربي، ووَقَّر للشباب ما يقرؤونه قبل ظهور محمود سالم بثلاثة عقود. عندما تحدثتُ في الفصل السابق عن أن الشباب قبل محمود سالم لم يكونوا يقرؤون سوى الأعمال المترجمة، كنت أقصد ما صدره عمر عبد العزيز أمين في سلسلته «روايات الجيب»، التي سأتعرف عليها لاحقًا، وأقرأ من خلالها ترجمات روايات أرسين لوبين وبعض روايات أجاثا كريستي، لكنني في لقائي الأول مع تلك الكتيبات، وعمري ثماني سنوات، لم أكن أعرف كل ذلك. وعندما فتحتُ الكتيب لألقي نظرة على ما فيه، شعرتُ بأنني دخلت الفخ بقدمي، فالطباعة رديئة، والصفحة مزدحمة بالكلمات ذات الخط الصغير، ومطبوعة على صفحات خفيفة صفراء كورق الجرائد، وملازمها ملتصقة ببعضها بعضًا وتحتاج إلى فصلها، وكنت معتادًا وقتها على ورق مجلات الأطفال الأعلى جودة، والذي يحوي بعض الصفحات الملونة كل عدة صفحات. وعندما تشجعتُ وتهجأت السطور الأولى شعرت بالضياع؛ تكوين الجمل المترجمة غريب والأسماء معقدة، هناك شخص اسمه هيركيول بوارو وآخر اسمه آرثر هستنجز، والأماكن نفسها أسماؤها غريبة وطويلة.

أغلقت الكتيب وقد قرَّ في اعتقادي أنني لست مؤهلًا الآن لقراءة هذا الكلام المعقد!



وبعد أن ازددت ثقةً في نفسي بقراءة أعداد الشياطين الـ13 والمغامرون الخمسة، عدت مرة أخرى للاطلاع على روايات أجاثا كريستي، لكن هذه المرة في طبعات أكثر جودة، فالمكتبات التي ترددتُ عليها في السعودية كانت تمتلئ بطبعات «المكتبة الثقافية - بيروت»، وهي طبعات من القُطع الكبير وترجماتها جيدة، وسعرها في متناول يدي، فالكتاب -على كبر حجمه بالنسبة إلى الكتب الأخرى التي كنت أقرأها وقتها- تراوح سعره ما بين 3 و5 ريالات في أوائل التسعينيات(36)، ومصروفي اليومي كان ريالًا واحدًا، وهكذا صار بإمكانني شراء رواية أو اثنتين كل أسبوع.

المشكلة التي واجهتني في أثناء قراءة أجاثا كريستي أن الشخصيات كثيرة، وأسمائها الإنجليزية معقدة وغير معتادة بالنسبة إليّ -أشياء على غرار جينيفيف برن وإيميلي تريفاسيس والسيد ساترثويت وإيميلي إنجلثورب، إلخ- لكن هذه المشكلة وجدتها محلولة في كثير من الترجمات التي كان المترجم -بارك الله فيه- يضع في بداية الرواية كشفًا بأسماء الشخصيات وعلاقاتها ببعضها بعضًا، كما يفعلون في المسرحيات. والترجمات التي لم تفعل ذلك كنت أسجل بنفسني أسماء الشخصيات على هامش الكتاب أو في ورقة خارجية، لأتذكر في أثناء القراءة مَنْ فعل ماذا، والفرق بين اسم هذه الشخصية وتلك. ومع الوقت، ومع تمرُّسي في عالم الجريمة الإنجليزية الذي تقدمه أجاثا كريستي، زالت تلك المشكلة وأصبحت أستغرب كيف شكَّلت عائقًا أمامي!

كنت ألتهم الروايات الواحدة تلو الأخرى، وأنغمس في كل واحدة بكل كياني، فرغم أنها لا تحوي أجواءً خطيرة قد يتعرض معها الأبطال الرئيسيون للأذى، إلا أن هالة الغموض التي تدور فيها، واللغز المتمثل في سؤال «مَنْ ارتكب الجريمة بين المشتبه فيهم الخمسة أو الستة؟»، يحفزاني لمتابعة القراءة ومحاولة اكتشاف الحل بنفسني قبل أن يفعلها بوارو، لكنني لا أذكر أنني فعلتها من قبل





الجريمة في الغالب جريمة قتل، لا يوجد في عالم أجاثا كريستي جرائم عادية، كالسرقة والاختطاف والنصب، التي اختص بها عالم المغامرين الخمسة؛ كل الجرائم جرائم قتل، عادةً بالسّم، أو الطعن بخنجر أو فئاحة خطابات، أو الضرب على الرأس بأداة ثقيلة. وتلك الجرائم -وبالتالي أجواء الروايات- تدور في أماكن غير معتادة؛ قصور وفنادق وقطارات وطائرات ومواقع أثرية. وفي العادة هناك خمسة أو ستة مشتبه فيهم، وكلهم لديهم دافع قوي لارتكاب الجريمة، وكلهم لديهم علاقات معقدة فيما بينهم، وأسرار مخفية، ويتم التلاعب بنا على مدار الرواية ليتجه شكنا تجاه شخصية معينة، ثم نتركها ونذهب إلى أخرى، ثم أخرى، إلى أن نكتشف في النهاية -كالعادة- أن القاتل هو آخر شخص كنا نتوقعه، شخص في الغالب برّأناه في مرحلة مبكرة وصرنا نتعاطف معه.

في ذلك الوقت بدت لي أجاثا كريستي كأثر كونان دويل، كاتبة بوليسية لديها شخصية محقق عبقرى هو هيركيول بوارو الذي لا يستعصي أمامه لغز، ولا يمكن لمجرم أن يفلت بفعلته في وجوده، وكنت أفكر في أنها لم تنجح تمامًا في تقليد دويل، لأن شخصية هولمز تبدو أكثر جاذبية من بوارو، رغم أن أجواء رواياتها والتشويق والتعقيد الدرامي فيها -وبالطبع الجو الأكثر حداثة- تتغلب على قصص شرلوك هولمز. ولم أكن أعرف وقتها أن بوارو ليس الشخصية الوحيدة التي كتبت عنها أجاثا كريستي، والسبب في ذلك أن أغلب أعمالها المترجمة التي وقعت في يدي -وأغلبها من ترجمة وإصدار المكتبة الثقافية وسلسلة روايات الجيب- كان تركيزها الأساسي على الروايات والقصص التي يظهر فيها بوارو فقط. فيما بعد سأفاجأ بوجود شخصية مس ماربل، ثم سأكتشف مع البحث والقراءة أن هناك أكثر من شخصية ظهرت في روايات أجاثا كريستي، بعضها قرأت روايات من بطولتها في طفولتي -كتومي وتوينس- ولم أفطن إلى أن تلك الشخصيات تكرر ظهورها في روايات أخرى.



موعد مع الخيال



كتبت أجاثا كريستي ما يقرب من مائة عمل على مدار حياتها، منها 84 عملاً بوليسيًا - 66 رواية و18 مجموعة قصصية- بالإضافة إلى 6 روايات رومانسية، و3 دواوين شعر، وسيرتين ذاتيتين، والعديد من المسرحيات والمسلسلات الإذاعية.

هي تقريبًا من أكثر الكُتَّاب إنتاجًا، فمنذ بداية العشرينيات وحتى منتصف السبعينيات ظلت تنشر كل عام عملاً أو اثنين، وأحيانًا أكثر، وظلت رواياتها تلقى نجاحًا ورواجًا في كل مكان في العالم؛ تُرجمت إلى أكثر من مائة لغة، وبيعت منها على مدار مائة عام ما يزيد على ملياري نسخة، وهو رقم هائل، حسب موسوعة جينيس فهي تحتل المرتبة الثالثة في نسبة المبيعات على مرّ التاريخ بعد أعمال شكسبير والكتاب المقدس!

يلقبها محبوها بملكة الجريمة، وهي بالنسبة إليّ ملكة فعلاً، لكنها ملكة الخيال. فلا يمكن لكاتب أن يُنتج كل هذه الأعمال المتنوعة بكل هذه الأجواء المعقدة، والحبكات المثيرة المتقنة، إلا لو كان يملك خيالاً خصباً لا يدانيه فيه أحد.

هذه النوعية من الكُتَّاب تثير خيالي وإلهامي، كيف نظّموا وقتهم واستطاعوا بذهنهم فقط أن يستوحوا كل تلك الحيوانات؟ ربما لا يشبه أجاثا كريستي في ذلك سوى كاتب الرعب الأمريكي ستيفن كينج، فكلاهما غزير الإنتاج إلى حدّ مثير للدهشة، وكلاهما يخلق عوالم لا يعتمد فيها على حياته الواقعية وما يقع فيها، يستلهم فقط الخيال، ومن خلاله يصنع حبكات متقنة ومقنعة في مجاله: البوليسي في حالة أجاثا كريستي، والرعب والفانتازيا والتشويق في حالة ستيفن كينج.

تذكر أجاثا كريستي أن طفولتها كانت السبب، فهي عاشت طفولة



رائقة آمنة، بسبب والدتها السيدة الحنون قوية الشخصية، لم يكن أحد يضغط عليها لتدرس، بل كانوا يهتمون بأن تستمتع بوقتها أكثر. وعندما مرضت أجاثا ذات يوم ولازمت الفراش، قالت لها والدتها إنه من الأفضل أن تستغل وقتها في كتابة قصة! أخبرتها أجاثا أنها لا تعرف، فطلبت منها الأم أن تحاول، فحاولت ونجحت، ومنذ ذلك اليوم لم تتوقف عن الكتابة.

لماذا طلبت منها أمها هذا الطلب؟ أجاثا من مواليد عام 1890، وفي الغالب تلك الواقعة حدثت في بدايات القرن العشرين، فماذا رأت الأم في ابنتها لتطلب منها أن تُسلي وقتها بكتابة قصة، بدلاً من أن تحيك الثياب أو تقرأ في التدبير المنزلي أو ترسم لوحات، أو أيًا مما كانت الفتيات المهذبات يفعلنه في ذلك الوقت؟! حقيقةً لا أعرف، لكننا مدينون لهذه الأم العبقرية بوجود أهم كاتبة بوليسية في القرن العشرين، وربما عبر العصور.

بعد ذلك لعبت حياة أجاثا الأسرية دورًا كبيرًا في غزارة إنتاجها، ففي البداية عندما تزوجت أرشيبالد كريستي -الذي حصلت منه على لقب كريستي الذي اشتهرت به- لم يكن زواجها مستقرًا، وذلك أثر في حالتها النفسية بشكل كبير، ولم تلبث أن تطلقت منه. ويبدو أنها كانت شخصية شديدة الحساسية، لأنها بسبب اضطراب حياتها في تلك الفترة، وفي منتصف العشرينيات، اختفت فجأة! لم يعرف أحد إلى أين ذهبت، وكانت وقتها قد نشرت عدة روايات ناجحة وحققَت شهرة كبيرة، فأصبح خبر اختفائها محط اهتمام ومتابعة وقلق القراء الإنجليز، إلى أن وجدوها بعد عشرة أيام وهي فاقدة للذاكرة ولا تعرف من هي (37)!

وفي عام 1930 تزوجت ماكس مالون، العالم الأثري، الذي ظلت معه حتى وفاتها، ورغم أنها تكبره بأكثر من عشر سنوات -كانت وقتها في أواخر الثلاثينيات بينما هو في منتصف العشرينيات- فإن الحب ربط بينهما، ووَقَّرَ ماكس لها الاستقرار الذي تحتاجه للكتابة،

ليس هذا فقط، بل عمل على تنظيم حياتها والتعامل بالنيابة عنها مع الناشرين والمنتجين، لتتفرغ هي للكتابة. وعلى الجانب الآخر صحبها معه في رحلاته الأثرية العديدة إلى بلاد الشرق؛ أخذها إلى العراق والشام ومصر، وكانت سعيدة بذلك إلى درجة أنها شاركت أكثر من مرة في أعمال التنقيب، وفي تلك الأجواء كتبت رواياتها الشهيرة التي تدور في بلاد الشرق، كروايتي «جريمة في بلاد الرافدين» (1936) و«وصلوا إلى بغداد» (1951)، اللتين تدوران في العراق، ورواية «موعد مع الموت» (1938) التي تدور أحداثها في الأردن وفلسطين، و«موت على النيل» (1937) التي تدور في مصر. أما روايتها الأشهر «جريمة في قطار الشرق السريع» (1935)، والتي تدور أحداثها بين تركيا ويوغسلافيا، فقد كتبتها في أثناء إقامتها في حلب بسوريا.

بل إن تأثرها بمشاهداتها في العراق والشام في تلك الفترة دفعها إلى تأليف كتاب «تعالَ قل لي كيف تعيش»، وهو سيرة ذاتية عن الفترة التي قضتها في تلك البلاد (38).

كما أنها درست تاريخ الحضارة المصرية القديمة، وكتبت في أجوائها روايتها التاريخية الوحيدة «الموت يأتي في النهاية» (1944)، بالإضافة إلى مسرحية «إخناتون» (1973)، والتي كتبتها عام 1931 بعد زيارتها لمدينة الأقصر.

كان مالون معجبًا بما تقوم به أجاثا ويُقدِّره، وربما أكبر دليل على هذا أنه سمح لها بالاستمرار في نشر أعمالها باسم أجاثا كريستي، اسمها القديم الذي نشرت به رواياتها الأولى قبل الزواج به، بينما هي في الواقع ومنذ عام 1930 صارت تُدعى أجاثا مالون!

مقتل اسم البطل



ربما الظاهرة التي لم أنتبه لها في صغري، ولا ينتبه لها كثيرون رغم إدراكهم لها بشكل مبهم، أن أجاثا كريستي هي الوحيدة تقريبًا بين كُتّاب البوب فيكشن التي ترتبط رواياتها باسمها!

كثيرون لا يعرفون -أو لا يهتمون بأن يعرفوا- اسم آرثر كونان دويل، لكنهم يعرفون شرلوك هولمز، وعند الإشارة إلى تلك القصص يقولون مغامرات شرلوك هولمز، قصص شرلوك هولمز، لا يقولون قصص أو روايات آرثر كونان دويل. ونفس الشيء مع أرسين لوبين، لا أحد ينسب رواياته إلى مؤلفها موريس لوبلان، ويمكننا أن نمد الخط على اتساعه: نحن نعرف روايات القديس، بيري ميسون، جيمس بوند، لكن أسماء ليزلي تشارتريس، إيرلي ستانلي جاردنر، أيان فيلمينج، ليست حاضرة في أذهاننا، ربما نعرفها لكننا لا ننسب الروايات إليها. وربما هذا ما جعل بعض الكُتّاب -كآرثر كونان دويل وموريس لوبلان- يضيقون بأبطالهم الذين جلبوا الشهرة إليهم، ويحاولون التخلص منهم.

العكس تمامًا نجده مع أجاثا كريستي، لا أحد يقول روايات هيركيول بوارو، أو روايات مس ماربل، الجميع يقولون «روايات أجاثا كريستي». أجاثا كريستي كسرت لعنة أن يكون اسم الشخصية أشهر من اسم مخترعها. بعدها سيأتي المزيد من الكُتّاب ليقوموا بهذا، فدان براون مثلًا اسمه أشهر من بطله الرئيسي روبرت لانجدون، لكن أجاثا كريستي -حسب علمي- كانت أول كاتب بوب فيكشن يحقق اسمه شهرة أوسع من شهرة شخصياته.

السبب في ذلك في رأيي أنها لم تعتمد على شخصية واحدة، كانت شهيتها للكتابة واسعة، وطاقتها أكبر من أن تقصرها على شخصية واحدة. روايتها الأولى «قضية ستايلز الغامضة» (39)



(1920) كانت من بطولة بوارو، ثم جاءت روايتها الثانية «العدو الغامض» (1922) من بطولة شخصيتين جديدتين: تومي وتوينس، وفي روايتها الخامسة عشرة «جريمة في المعبد» (1930) ظهرت شخصية مس ماربل. وهكذا كانت أجاثا كريستي كل عدة روايات تخلق شخصية جديدة، لتكون بطلا مجموعة من رواياتها.

أغلب رواياتها من بطولة هيركيول بوارو، تليه مس ماربل، ثم الزوجان تومي وتوينس برسفورد، هذه هي السلاسل الثلاث الرئيسية داخل روايات أجاثا كريستي، بعد ذلك تأتي سلاسل فرعية قامت بطولتها شخصيات ظهرت في عدة روايات، وأحياناً كانت تظهر مع بوارو في رواياته.

وبالإضافة إلى تلك الروايات ذات الشخصيات الثابتة، فقد كتبت أجاثا كريستي مجموعة من الروايات البوليسية القائمة بذاتها، وبعضها يُعتبر من أهم رواياتها، كرواية «وصلوا إلى بغداد»، و«في النهاية يأتي الموت»، و«لم يبقَ أحد» (1939)، والتي يعتبرها البعض من أهم الروايات البوليسية في التاريخ.

هذا التنوع الكبير في الشخصيات والروايات جعل أعمال أجاثا كريستي لا ترتبط في ذهن القارئ بشخصية معينة، بل الشخصيات هي التي ترتبط باسم أجاثا كريستي. وربما أقرب مثال على ذلك بالنسبة إليّ هو نبيل فاروق، الذي كتب العديد من السلاسل البوليسية، كرجل المستحيل وملف المستقبل وفارس الأندلس وغيرها، فصار اسمه في حد ذاته عَلمًا على شخصياته.

قضية بوارو المبكرة

من الغريب أن أجاثا كريستي، بكل ما كتبه من أعمال، بكل النجاح الذي حققته، بنسب المبيعات الهائلة التي جعلتها واحدة من أكثر الكُتَّاب مقروئيةً في التاريخ؛ بالرغم من كل هذا تعرضت للرفض مرارًا وتكرارًا في بدايتها. روايتها الأولى «ثلوج فوق الصحراء» لم تجد ناشرًا يقبل بنشرها، ولم ترَ النور قط. روايتها التالية «قضية ستايلز الغامضة» -التي ستصير أول رواية تنشرها- رفضها ستة ناشرين قبل أن تجد ناشرًا يقبل بنشرها، وعندها بدأ كل شيء!

وهذا درس مهم للكُتَّاب المبتدئين: كثرة الرفض في البداية لا يعني أنك سيئ، أو لن تنجح، هناك كُتَّاب حققوا شهرة أسطورية في عالم الكتابة تعرضوا لنفس الرفض المتكرر في بداياتهم، لكن مثابرتهم هي ما أوصلتهم لما وصلوا إليه.

«قضية ستايلز الغامضة» ليست فقط رواية أجاثا كريستي الأولى، بل كذلك أول رواية تشهد ظهور المحقق الأشهر بعد شرلوك هولمز: هيركيول بوارو.

الرواية يحكيها آرثر هستنجز صديق بوارو الصدوق، والذي سيكون راوي مجموعة من مغامرات بوارو. تأثير آرثر كونان دويل يظهر بوضوح هنا، فهستنجز يلعب الدور نفسه الذي لعبه واطسون مع شرلوك هولمز، الصديق الطيب المخلص الذي يروي حكايات صاحبه التي شهدها، ليشهد العالم معه على عبقريته. لكن أجاثا كريستي ما لبثت أن تخلصت من هذا التأثير، فمن بين 33 رواية ظهر فيها بوارو لم يحكِ هستنجز سوى عشر روايات فقط: في روايات بوارو الستة الأولى، ثم بعد ذلك كان يظهر من آنٍ لآخر. كانت المرة الأولى التي يختفي فيها هستنجز، ويتولى الراوي العليم حكي القصة لنا، في رواية «جريمة في قطار الشرق السريع»، وهي الرواية السابعة



لبوارو، ويبدو أن أجاثا كريستي شعرت عندها بأن وجود هستنجز ليس ضروريًا، وأن القارئ بإمكانه أن يتفاعل مع بوارو مباشرة دون وسيط.

في «قضية ستايلز الغامضة» يذهب هستنجز لزيارة صديق له في قصر عائلته، ويكتشف العلاقات المعقدة بين أفراد تلك الأسرة، التي ترأسها الأم إيميلي إنجلثورب. ذات ليلة تستغيث السيدة إنجلثورب بهم، فيقتحمون غرفتها ليجدوها تحتضر، ويستنتجون لاحقًا أنها ماتت بالسم. والقتل بالسم أمر شائع في روايات أجاثا كريستي، إذ لديها خبرة كبيرة في السموم وأنواعها وتأثيراتها من عملها كمرضة في أثناء فترة الحرب العالمية الأولى.

يكتشف هستنجز بالمصادفة وجود صديقه القديم بوارو في قرية ستايلز. وبوارو -حسب ما يقول هستنجز- رجل شرطة بلجيكي تعرّف عليه في مرحلة سابقة، ثم فوجئ بأنه ترك عمله في الشرطة ولجأ إلى إنجلترا بسبب الحرب العظمى (الحرب العالمية الأولى)، وكان يعيش في القرية مع بعض البلجيكيين النازحين تحت رعاية السيدة إيميلي إنجلثورب. يطلب هستنجز مساعدة بوارو، فيتدخل الأخير، وبعد استجواب أفراد الأسرة وتتبع الملابس، يكتشف في نهاية الرواية من هو القاتل.

عادةً بوارو لا يكشف ما توصل إليه؛ يظل يتعامل بغموض ويؤجل أي كشف لديه إلى النهاية، حيث يجمع المشتبه فيهم وكل من له علاقة بالقضية، ثم يستعرض أمامهم الوقائع والاستنتاجات التي توصل إليها، ويكشف لهم من هو القاتل. وهي عادة سيكتسبها منه الكثير من المحققين لاحقًا، لن يكون أولهم تختخ بطل المغامرين الخمسة، ولن يكون آخرهم المحقق كونان بطل الأنمي الشهير.

بوارو شخصية منمقة، فعلى الرغم من قامته الضئيلة ورأسه البيضاوي، فهو حريص على العناية بشاربه الذي يُطوِّله ويبرمه على الموضة التي كانت جارية في بدايات القرن العشرين، ويهتم بأناقته كثيرًا، يتكلم الإنجليزية بلكنة فرنسية، رغم أن بإمكانه أن يتكلم بلكنة



أهل لندن إذا استدعت الحاجة إلى ذلك، وفوق ذلك فهو شخصية منظمة إلى أبعد الحدود، لديه كبرياء واعتداد بنفسه وإيمان بعقربته وقدرته على حل أعقد الجرائم، ويمكنه إذا أراد أن يوحى لمن أمامه بالثقة، بحيث يقص عليه كل ما يرغب في سماعه، وربما هذا سر إصراره على التحدث بلكنة فرنسية، لأنه يعتقد أن الإنجليز لا يتعاملون بحرص أمام الأجانب، ويتكلمون معهم على سجيتهم.

ولبوارو أسلوب مخادع ماهر في الحصول على المعلومات، ففي «جرائم الأبجدية» (40) (1936) -مثلاً- يطرق باب إحدى الساكنات بالقرب من مكان وقوع الجريمة، ويتظاهر بأنه صحفي، ويعدها بالحصول على خمسة جنيهاً إذا ساعدته في تحقيقه الصحفي حول الجريمة. يقول لهستنجز بعدها إنها ما كانت ستخبره بكل تلك المعلومات لو عرفت أنه يعمل مع الشرطة.

نجاح الشخصية دفع أجاثا كريستي إلى تقديمها في العديد من الروايات، كل عامين أو ثلاثة تقدم رواية لبوارو، وكانت فترة الثلاثينيات هي الفترة الذهبية للشخصية، إذ قدّمت كل عام رواية أو اثنتين من بطولته، بل إنها في عامي 1936 و1937 نشرت ستة أعمال من بطولة بوارو، منها أعمال فائقة الشهرة، كـ«جرائم الأبجدية»، و«موت على النيل»، و«جريمة في بلاد الرافدين».

لا يمكنني نسيان رواية «جرائم الأبجدية»، التي قرأتها في طفولتي في طبعة المكتبة الثقافية بعنوان «القاتل الخفي»، وفيها يظهر -ربما للمرة الأولى في روايات أجاثا كريستي- قاتل متسلسل يقوم بجرائم عشوائية تعتمد على الترتيب الأبجدي، يختار مدينة تبدأ بحرف الألف يقتل فيها رجلاً يبدأ اسمه بحرف الألف، ثم مدينة بحرف الباء ويقتل فيها شخصاً يبدأ اسمه بحرف الباء، وهكذا. وفوق ذلك فالقاتل يرسل رسالة إلى بوارو قبل كل جريمة يتحداها فيها، ويخبره باسم المدينة التي سيرتكب فيها جريمته الجديدة وتاريخ اليوم! وبالطبع سيتضح في النهاية أن الأمر ليس كما بدا لنا!

أما «مقتل روجر أكرويد» (1926)، فرغم أنني قرأتها وأنا في الصف السادس الابتدائي -تقريبًا وعمري اثنا عشر عامًا- فيمكنني حتى الآن أن أقول بثقة إنها من أعظم الروايات البوليسية التي قرأتها في حياتي، ونفس الشيء مع رواية «جريمة في قطار الشرق السريع»، والسر في ذلك أن حل الجريمة في كلتا الروايتين جاء مذهلاً وبعيدًا تمامًا عن كل ما كان بإمكانني تخيُّله أو التفكير فيه وقتها.

وفي روايات بوارو تظهر شخصيات ثانوية تدور في فلكه، كآرثر هستنجز الذي تحدثنا عنه منذ قليل، وكبير المفتشين جاب -ظهر في 11 رواية و8 مجموعات قصصية- الذي يتركه بوارو ينسب فضل اكتشاف حلول الجرائم إلى نفسه، في مقابل تقديم تسهيلات له في قضايا أخرى. وجاب هنا يلعب نفس الدور الذي لعبه المفتش ليستراد في قصص شرلوك هولمز: الشرطي المندفع الأحمق ضيق الأفق، الذي يعتمد بالكامل على ذكاء بطلنا، ويحصل من خلاله على المجد والشهرة في عمله، رغم عدم استحقاقه لهما.

وهناك شخصيات قامت ببطولة مجموعة من الروايات وحدها، وظهرت أيضًا مع بوارو في روايات أخرى، مثل المفوض «باتل» الذي ظهر في أربع روايات وحده، وهي: «سر جريمة تشيمينيز» (1925)، «لغز الأقراص السبعة» (1929)، «الجريمة السهلة» (1936)، «ساعة الصفر» (1944). وظهر مع بوارو في رواية «أوراق لعب على الطاولة» (1936).

والكولونيل «ريس» الذي ظهر وحده في روايتين: «ذو البدلة البنية» (1926) و«السيانيد الساطع» (1945)، وظهر مع بوارو في روايتين: «أوراق لعب على الطاولة» و«موت على النيل».

أما «أرديانى أوليفر» فهي شخصية شديدة الطرافة، يمكننا اعتبارها المعادل الخيالي لشخصية أجاثا كريستي نفسها: كاتبة روايات بوليسية، تلتقي ببوارو للمرة الأولى في «أوراق لعب على الطاولة»، فيلفت انتباهها وتبدأ في إزعاجه من رواية إلى أخرى،

وهي الشخصية الوحيدة في عالم أجاثا كريستي التي ألفت السؤال الذي -بالتأكيد- ورد على أذهان كثير من القراء: لماذا دائمًا تحدث جريمة قتل يكون المشتبه فيها خمسة أو ستة أشخاص لديهم دوافع قوية لقتل الضحية؟ وكان أجاثا كريستي من خلال هذه الشخصية تستبق القراء وتقدم بنفسها انتقادًا ساخرًا لأعمالها.

ظهرت أردياني في سبع روايات مع بوارو، وفي رواية واحدة منفصلة، هي «الجواد الأشهب» (1961).

وعبر الروايات نرى تتابع الزمن على بوارو، ففي «جرائم الأبجدية» يشعر هستنجز بالشفقة على صديقه من علائم التقدم في السن التي رآها على وجهه، ومن أن شاربه لم يعد منتصبًا كما كان في الماضي، وفي الرواية الأخيرة التي يظهر فيها بوارو، «الستارة» (1975)، يُفاجأ هستنجز بكبر سن صاحبه والمشكلات الصحية التي يعانيها، ومن أنه صار يضع باروكة فوق رأسه ليداري الصلع.

والغريب أن أجاثا كريستي لم تكن تحب بوارو!

فأكثر من مرة صرحت بأنها تراه شخصًا لا يُطاق، وأنه متكلف وأناني ومتملق، ولكنها رغم ذلك أبقت عليه، وظلت تكتب الرواية تلو الرواية عنه إرضاء لقرائها الذين يحبونه.

كتبت عنه أجاثا كريستي -على مدار 55 عامًا- 33 رواية و10 مجموعات قصصية، وهذا الرقم يُشكّل تقريبًا نصف إنتاجها الغزير!

شركاء في الجريمة

لا أدري كيف كانت أجاثا كريستي تُفكّر، هل وهي تكتب رواياتها تُخطّط لأن تستمر شخصياتها وتظهر في روايات أخرى، لتُشكّل سلسلة من الروايات الخاصة بها؟ أم تتحرك بناءً على نجاح الشخصية وإعجاب القراء بها، فتُقرر إن كانت ستُظهرها لهم من جديد أم لا؟

شخصيًا أميل إلى أنها لم تكن تشغل بالها بهذه الأمور، بل تتبع جدسها. فعلى عكس المتوقع، وبعد نجاح «قضية ستايلز الغامضة»، لم تكن روايتها الثانية من بطولة بطولها الصاعد هيركيول بوارو، بل جعلتها من بطولة رجل يُدعى توماس برسفورد وفتاة تُدعى برودانس كاولي، أو كما سنعرفهما فيما بعد: تومي وتوينس!

تومي وتوينس يعملان لصالح المخابرات البريطانية، ورواياتهما تدور أغلبها في إطار الجاسوسية؛ البحث عن وثيقة سرية ما، أو اكتشاف حقيقة جاسوس متخفٍّ بين مجموعة من الأشخاص، وهكذا.

كنت قد قرأتُ لهما في طفولتي رواية بعنوان «العميل السري» من إصدار المكتبة الثقافية، وأعجبتني كثيرًا، فأجواؤها تدور في فترة الحرب العالمية الثانية، هناك حالة تحقُّر ضد الألمان وخوف وقلق من هجوم العدو الوشيك. أجواء بدت لي وقتها مختلفة عما اعتدته في روايات أجاثا كريستي، نحن هنا لسنا أمام جريمة قتل نبحث عن فاعلها بين مجموعة من الأشخاص لديهم دوافع قوية لارتكابها، بل أمام جاسوس ينقل الأسرار إلى العدو، ويجب أن نكتشف من هو من بين مجموعة أشخاص مشتبه فيهم.

اكتشفتُ لاحقًا أن عنوان الرواية الأصلي هو «ن أو م؟» (1941)، كتبتها أجاثا كريستي بالفعل وقت الحرب، وفي أثناء كفاح الإنجليز المستميت ضد الألمان المنتصرين، ولم أدرك وقتها أن تومي وتوينس شخصيتان أساسيتان في عالم أجاثا كريستي.



كتبت أجاثا كريستي عنهما خمسة أعمال، أربع روايات ومجموعة قصصية، بدأتها بروايتها الثانية «العدو الغامض»، وبعدها المجموعة القصصية «شركاء في الجريمة» (1929)، ثم توقفت فترة عن الكتابة عنهما، وعادت مع الحرب العالمية الثانية لتكتب «ن أو م؟»، ونسيتها بعد ذلك ولم تعد إليهما سوى في السنين الأخيرة من عمرها، فكتبت رواية «وخز الأصابع» (1968) وأخيراً «بوابة المصير» (1973).

قصص تومي وتوينس تحتل المرتبة الثالثة في سلاسل شخصيات أجاثا كريستي، أما المرتبة الثانية فمحموجة بالطبع باسم الأنسة ماربل، العجوز اللطيفة التي تقيم في قرية خيالية اسمها سانت ماري ميد، ويمكنها وهي جالسة في مقعدها حل أي جريمة غامضة تقع في القرية، بذكائها وقدرتها على الربط بين ما يحدث في الحاضر وما وقع في الماضي.

ظهرت مس ماربل لأول مرة في رواية «جريمة في المعبد» (1930)، وكتبت عنها أجاثا كريستي 12 رواية، بالإضافة إلى مجموعتين قصصيتين، كما ظهرت كذلك في قصص متفرقة في أربع من مجموعات بوارو القصصية، لتصبح الشخصية الثانية بعد بوارو في الظهور في روايات أجاثا كريستي.

هناك شخصيات كان بإمكان أجاثا كريستي أن تصنع منها سلاسل، لكنها لم تفعل لسبب لا أدريه. منها مثلاً شخصية باركر بين، التي ظهرت في مجموعة قصصية بعنوان «تحريات باركر بين» (1934)، وبعد ذلك لم تظهر تلك الشخصية في أعمالها، سوى في قصة واحدة في مجموعة «لغز الزوارق» (1939).

وهناك كذلك هارلي كوين، الذي ظهر لأول وآخر مرة في مجموعة «السيد كوين الغامض» (1930)، والتي تدور حول شخص غامض يظهر فجأة ويختفي فجأة ويساعد في حل القضايا الغامضة.

وهناك أيضاً شخصية فيكتوريا جونز في رواية «وصلوا إلى بغداد» (41)، والتي تدور حول فتاة متحمسة وذكية وواسعة الخيال



لكنها على شيء من السذاجة -اعتقد ان اجاثة كريستي استلهمت شخصيتها فيها- تسافر إلى العراق بحثًا عن شاب تعلقت به، رغم أنها لم تلتق به سوى لدقائق معدودة، وهناك تجد نفسها متورطة في صراع بين أجهزة المخابرات، حين يتسلل عميل سري إلى غرفتها بعد إصابته، وينطق أمامها بعبارات مشفرة قبل أن يلقي مصرعه، فتتصارع عدة جهات على الوصول إلى فيكتوريا والحصول على المعلومات منها. شخصية فيكتوريا جونز كانت رائعة، ولا أدري لماذا لم تستغلها اجاثة كريستي في روايات أخرى.

وبالإضافة إلى سلاسل الروايات التي تعتمد على وجود شخصية رئيسية يتكرر ظهورها في عدة كتب، فهناك الروايات القائمة بذاتها، التي كتبها اجاثة كريستي بعيدًا عن أي شخصية من شخصياتها، ومنها بالطبع الرواية الأشهر «ولم يبق أحد»، التي أبهرتني عندما قرأتها في طفولتي. الرواية تتحدث عن عشرة أشخاص يتلقون دعوة غامضة للحضور إلى جزيرة ما، وهناك يكتشفون أنهم تعرضوا لخدعة وصاروا معزولين عن العالم، ويجدون في غرفهم أغنية عن عشرة هنود يتعرضون للموت كل واحد بطريقة معينة، وتبدأ جرائم القتل في الوقوع، كل فترة يلقي أحدهم مصرعه بإحدى الطرق المذكورة في الأغنية، ويتضح مع الوقت أن كل واحد منهم لديه ماضٍ شائن يستحق العقاب عليه، وفي النهاية نكتشف أن القاتل واحد منهم كالعادة.

وبالإضافة إلى الروايات البوليسية، فقد كتبت اجاثة كريستي ست روايات رومانسية، نشرتها -للغرابة- باسم مستعار: ماري ويستماكوت! وكان لديها جانبًا خفيًا تحتاج إلى إشباعه بعيدًا عن الروايات البوليسية العنيفة التي اعتادت كتابتها، لكنها خشيت ألا يقتنع القراء بها في الأجواء الرومانسية -رغم أن كثيرًا من رواياتها البوليسية فيها خطوط رومانسية رائعة!- ففضلت عرضها للقارئ بشخصية أخرى غير شخصيتها.

جرائم الترجمة



في عام 1926، وبعد نشر سبعة كتب، تعاقدت أجاثا كريستي مع نادي كولنز للجرائم، أو «وليام كولنز وأبناؤه»، وهي دار نشر مختصة فقط بنشر الأعمال البوليسية، واستمرت تنشر أعمالها مع النادي منذ ذلك التاريخ، بدءًا بـ«مقتل روجر أكرويد»، وحتى وفاتها. ولم يُستثنَ من ذلك سوى رواياتها الرومانسية، التي نشرتها باسمها المستعار ماري ويستماكوت، مع دار هينمان.

وأعتقد أن النشر مع نادي كولنز للجرائم جاء بفائدة مزدوجة لأجاثا كريستي وللأدب البوليسي الإنجليزي بشكل عام، فوجودها مع دار نشر واحدة طوال تلك السنوات يدل على أنها كانت مرتاحة في التعامل معها، ولا يوجد شيء يساعد الكاتب على الإبداع أكثر من شعوره بالراحة والأمان مع دار نشر يأتمنها على أعماله. ومن جهة أخرى فرواج أعمالها سلط الضوء على نادي كولنز للجرائم، مما دعم بقية إصداراته من روايات وقصص بوليسية لكتاب آخرين، بينهم بالتأكيد الكثير من شباب الكتاب الذين كانوا بحاجة إلى فرصة للظهور في بداياتهم.

وفي عام 1930، أسست أجاثا كريستي مع مجموعة من كتاب الرواية البوليسية، الإنجليزي والأمريكيين، رابطة أو نقابة تجمعهم أطلقوا عليها اسم «نادي التحقيق»، ترأسته أجاثا كريستي طوال ما يقرب من عشرين عامًا، من 1957 وحتى وفاتها.

وفي النادي تعاونوا على إنجاز مشروع فريد من نوعه، حيث اشترك اثنا عشر كاتبًا منهم -بمن فيهم أجاثا كريستي- في تأليف رواية واحدة، يكتب كل واحد منهم فصلًا منها، ويأتي الآخر ليكمّله، وهكذا، ثم في النهاية يكتب كل واحد منهم خاتمة يراها مناسبة. ونشرت الرواية عام 1931 بعنوان «الأدميرال العائمة».



كما ذكرت، فروايات أجاثا كريستي تُرجمت مرارًا وتكرارًا، من قبل العديد من دور النشر، ولو سأعدّد فقط أسماء دور النشر التي ترجمت روايات أجاثا كريستي خلال الستين عامًا الأخيرة، لأخذ مني ذلك عدة صفحات! وأغلب تلك الترجمات كانت عشوائية ومختصرة وبعناوين بديلة، وكثير منها اتصف ببركاكة الترجمة، وبأغلفة مبتذلة تُظهر نساء مذعورات يرتدين ملابس مثيرة ويتعرضن للاعتداء، الأمر الذي كان يوحي للقارئ بأنه أمام رواية جنسية وليست بوليسية!

لكن لحسن حظنا حصلت دار الأجيال على حقوق الترجمة في أواخر التسعينيات، وترجمت الأعمال البوليسية الكاملة لأجاثا كريستي، مستخدمةً شكلًا مُوحّدًا للأغلفة: غلاف أبيض يحوي اسم أجاثا كريستي بخط كبير في الأعلى، مع رقم في الأسفل يُحدّد تسلسل الرواية ضمن أعمال أجاثا كريستي الكاملة. لكن بعد ذلك بعدة سنوات أخذت منها مكتبة جرير حقوق الترجمة، وأعادوا طباعة الأعمال الكاملة في قُطع رفيع -شبيه بقُطع الكتب الأجنبية- بغلاف مُوحّد يحمل لونًا أسود أنيقًا، وبذلك وفّرت دار الأجيال، ثم مكتبة جرير، علينا مهمة البحث والتنقيب بين مئات الترجمات المختلفة التي قدمتها -وما زالت تقدمها- دور النشر العربية. لولا ذلك لما أمكنني الحديث عن كثير من الروايات. فمثلًا رواية «ولم يبقَ أحد» قرأتها في صفري من ضمن إصدارات المكتبة الثقافية بعنوان «جزيرة الموت»، ثم وجدتها بعدها بعنوان «أغنية الموت» من إصدار دار الكتب الشعبية، ولم أكن أعرف عنوان الرواية الأصلي، إلى أن حصلت على نسخة دار الأجيال بعنوان «ثم لم يبقَ أحد»، وعرفت عندها أن عنوان الرواية الأصلي هو «And Then There Were None»، ولاحقًا ترجمتها مكتبة جرير بعنوان «واختفى كل شيء».

ثم لم يبق سواها

كانت آخر رواية تكتبها أجاثا كريستي هي «بوابة المصير» (1973)، من بطولة الزوجين تومي وتوبينس، وفي العام التالي كتبت مجموعتها القصصية الأخيرة «قضايا بوارو المبكرة» (1974). ومع ذلك استمر نشر الروايات، فعندما ضغط عليها ناشرها ليحصل منها على رواية اضطرت أن تدفع إليه برواية «الستارة»، وهي الرواية التي يلقي فيها بوارو مصرعه!

في أثناء فترة الحرب العالمية الثانية تطوعت أجاثا كريستي للعمل كممرضة في لندن، وكانت تفكر في مصير أبطالها إذا لقيت مصرعها تحت قصف طائرات الألمان، لذلك قامت بشيء في غاية الغرابة: كتبت روايتين؛ إحداهما يلقي فيها بوارو مصرعه، والثانية تموت فيها مس ماربل! وأوصت بالألا تُنشر الروايتان إلا بعد موتها، لكن الأمور مرت على خير وانتهت الحرب، فاحتفظت بالروايتين لديها، واستمرت في نشر روايات بوارو ومس ماربل، إلى أن بدأت الشيخوخة تهزمها في بداية السبعينيات، ولم تجد مع إلحاح ناشرها سوى أن تفتح دُرجها وتمنحه رواية «الستارة»، لتُنشر عام 1975، بعد ثلاثين عامًا من كتابتها، مُنهيّةً بذلك روايات بوارو(42).

وكان رحيل بوارو كان نبوءة برحيل أجاثا كريستي نفسها، إذ تُوفيت بعد أربعة أشهر من نشر الرواية، وبعد وفاتها بعدة أشهر نُشرت رواية «الجريمة النائمة» (1976)، رواية مس ماربل الأخيرة، وفي العام التالي صدر كتاب سيرتها الذاتية، الذي اختار له الناشر عنوان «أجاثا كريستي: سيرة ذاتية» (1977).

وبعد ذلك بسنتين جمّع الناشر مجموعة قصص قصيرة متفرقة لمس ماربل-نشرتها أجاثا كريستي في الثلاثينيات والأربعينيات، لكنها لم تجمعها في كتاب- ونشرها بعنوان «القضايا الأخيرة للآنسة



ماريل» (43) (1979)، ولم يكن المقصود بها أن تلك القصص هي آخر قضايا حققت فيها مس ماريل، بل أنها آخر قصص سيقروها القارئ لمس ماريل (44).

وبعد مرور عشرين عامًا على وفاتها، نشر الورثة ثلاث مجموعات قصصية بتجميع قصص متفرقة لم تنشرها أجاثا كريستي، كما حوّل الكاتب تشارلز أوزبورن ثلاثًا من مسرحياتها القديمة إلى ثلاث روايات نُشرت في أواخر التسعينيات، لكنني شخصيًا لم أعتدّ سوى بالأعمال التي نُشرت في حياة أجاثا كريستي، أو مباشرة بعد وفاتها.

روايات أجاثا كريستي بالنسبة إلى كثيرين هي الشكل الخام للرواية البوليسية كما ينبغي أن تكون، والنموذج الأهم لروايات «من فعلها؟»، حيث يجد المحقق نفسه أمام مجموعة مشتبه فيهم ويكون عليه تحديد من الفاعل وسطهم. لا أعتقد أن كاتب روايات تشويق لم يمر -ولو في مرحلة من حياته- بروايات أجاثا كريستي، فهناك كُتّاب كثيرون طبعتهم أجاثا كريستي بطبعها وأصبحوا تلاميذ لخيالها الخلاق. ولا أتصور وجود قارئ لم يقرأ ولو رواية واحدة لها، فحتى أولئك الذين لم تكن القراءة عادة أو هواية أساسية في حياتهم، كثيرون منهم مروا بأوقات احتاجوا فيها إلى قراءة شيء للتسلية، وكانت رواية من روايات أجاثا كريستي هي الأنسب لهم.

أجاثا كريستي عمّرت حتى تجاوزت الثمانين من عمرها، وظلت حتى اللحظة الأخيرة في حياتها تكتب وتنشر، بعض القراء والنقاد لاحظوا أن حبات رواياتها الأخيرة لم تكن بنفس قوة رواياتها السابقة، لكنهم لم يملكوا سوى احترام درس حب الحياة الذي تبثّه هذه السيدة، من خلال إصرارها حتى آخر لحظة على ممارسة الفعل الذي أحبه ووجدت نفسها فيه، منذ ذلك اليوم البعيد الذي نصحتها أمها فيه بأن تُسلّي وقتها في أثناء مرضها: فعل الكتابة.



الأعمال الكاملة لأجاثا كريستي حسب ترتيب نشرها



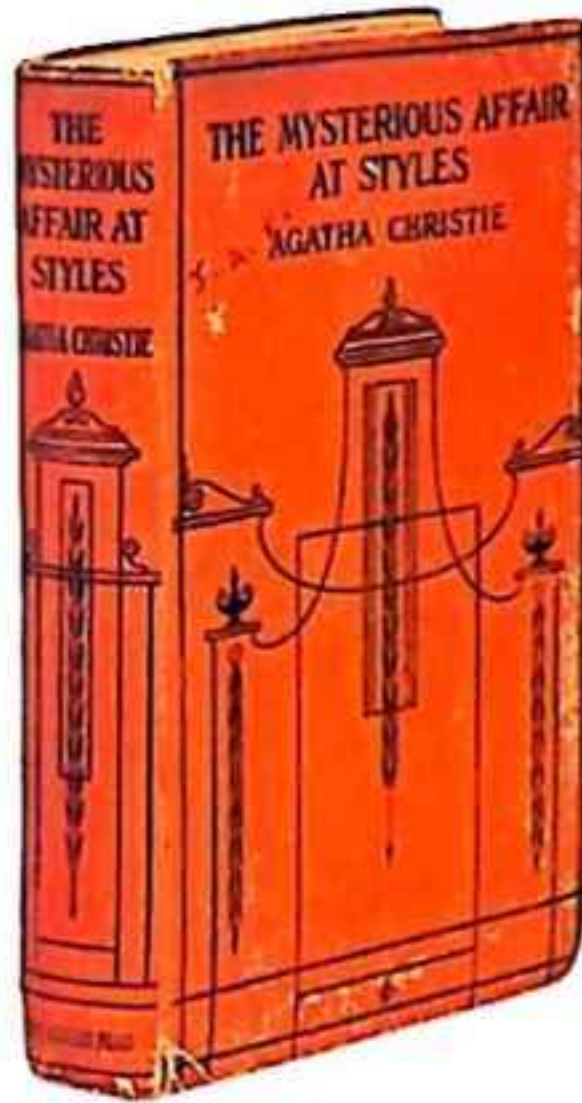
1. قضية سنابلز الغامضة	1920
2. العدو الغامض	1922
3. جريمة في ملعب الجولف	1923
4. تحقيقات بوارد	1924
5. ذو البدلة البنية	1924
6. شارع الأحلام (ديوان شعر)	1925
7. سر جريمة تشيمنيز	1925
8. مقتل روجر أكرويد	1926
9. الأربعة الكبار	1927
10. لغز القطار الأزرق	1928
11. لغز المنبهات السبعة	1929
12. شركاء في الجريمة	1929
13. المسيد كوين الغامض	1930
14. خبز العملاق (رواية رومانسية باسم ماري ويستماكوت)	1930
15. جريمة في المعبد	1930
16. لغز سبيتافورد	1931
17. خطر في البيت الأخير	1932
18. ثلاثة عشر لغزاً	1932
19. موت اللورد إدجووير	1933
20. كلب الموت	1933
21. جريمة في قطار الشرق	1934
22. صورة غير مكتملة (رواية رومانسية باسم ماري ويستماكوت)	1934
23. لغز ليستراد	1934
24. لماذا لم يسألوا إيفانز؟	1934
25. تحريات باركر بين	1934
26. مأساة من ثلاثة فصول	1934
27. موت وسط الغيوم	1935
28. جرائم الأبجدية	1936
29. جريمة في بلاد الراقدين	1936
30. أوراق لعب على الطاولة	1936
31. جريمة قتل في الإسطبلات وقصص أخرى	1937
32. المشاهد الصامت	1937
33. موت على النيل	1937
34. الموعد الدامي	1938
35. جريمة عبد الميلاد	1938

36.القتل المسهل	1939
37.لغز الزوارق وقصص أخرى	1939
38.ولم يبق أحد	1939
39.المسرو الحزين	1940
40.إبزيم الحذاء	1940
41.شمر تحت الشمس	1941
42.ن أو م؟	1941
43.جنة في المكتبة	1942
44.الخمسة المشتبه بهم	1942
45.الإصبع المتحرك	1942
46.ساعة الصفر	1944
47.غائس في الربيع (رواية رومانسية باسم ماري ويستماكوت)	1944
48.في النهاية يأتي الموت	1944
49.السيانيد الساطع	1945
50.الأجوف	1946
51.تعال قل لي كيف تعيش (سيرة ذاتية)	1946
52.أعمال هرقل	1947
53.ركوب التيار	1948
54.شاهد الادعاء وقصص أخرى	1948
55.الزهرة وشجرة التوت (رواية رومانسية باسم ماري ويستماكوت)	1948
56.البيت الأعوج	1949
57.ثلاثة فئران عمياء وقصص أخرى	1950
58.إعلان عن جريمة	1950
59.وصلوا إلى بغداد	1951
60.المضطهد وقصص أخرى	1951
61.موت السيدة ماغنتي	1952
62.خداع المرابا	1952
63.الابنة هي الابنة (رواية رومانسية باسم ماري ويستماكوت)	1952
64.بعد الجنائز	1953
65.جيب مملوء بالحبوب	1953
66.وجهة مجهولة	1954

67. جريمة في شارع هيكوري دوك	1955
68. مبنى الرجل الميت	1956
69. العبء، (رواية رومانسية باسم ماري ويستماكوت)	1956
70. فطار 4.50 من بادنغتون	1957
71. محنة البري،	1958
72. قطعة بين الحمام	1959
73. مغامرة كعكة العهد وقصص أخرى	1960
74. الخطيئة المزدوجة وقصص أخرى	1961
75. الحصان الأشهب	1961
76. المرأة المكسورة	1962
77. الساعات	1963
78. لغز الكاربي	1964
79. نجمة على مدى بيت لحم (كتاب مُصوّر من الشعر والقصص القصيرة)	1965
80. في فندق بورترام	1965
81. الفتاة الثالثة	1966
82. ليل لا ينتهي	1967
83. وخز الأصابع	1968
84. حفلة الهالوين	1969
85. مسافر إلى فرانكنورت	1970
86. الكرة الذهبية وقصص أخرى	1971
87. انتقام العدالة	1971
88. ذاكرة الأفيال	1972
89. بوابة المحصر	1973
90. قصائد (ديوان شعر)	1973
91. قضايا بوارو المبكرة	1974
92. المستارة	1975
93. الجريمة النائمة	1976
94. أجاثا كريستي: السيرة الذاتية (سيرة ذاتية)	1976
95. القضايا الأخيرة للأنسة ما	1979



أجاثا كريستي في طفولتها



الطبعة الأولى من رواية «قضية ستايلز الغامضة»، رواية أجاثا كريستي الأولى



MRS. CHRISTIE FOUND AT HARROGATE



**Dramatic Re-union With Husband
in Famous Hydro.**

“HER MEMORY GONE”

**How Missing Novelist Spent Time While
Police and Public Looked for Her**

Mrs. Christie, the missing inventor of detective stories, was traced last night to the Hydro, Harrogate, by her husband, Colonel Christie.

In an interview after a dramatic meeting between the pair, Colonel Christie told the DAILY HERALD that his wife had suffered from the “most complete loss of memory.” She did not even recognise him, he added.



Mrs. Christie

*“She does not
know why she
is here.”*

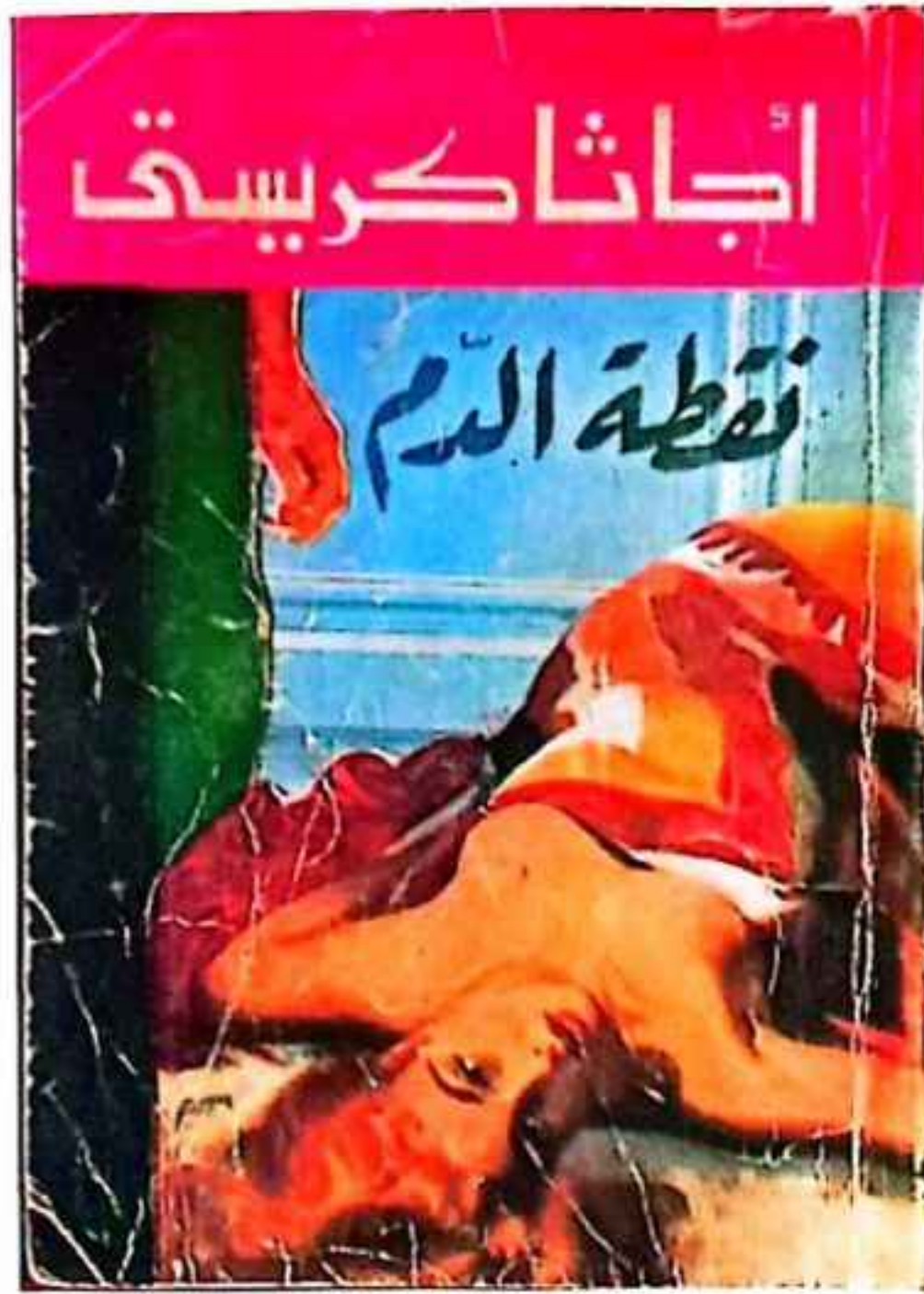
—Col. Christie



Col. Christie

الإعلان عن العثور على أجاثا كريستي، في صحيفة ديلي هيرالد،
بتاريخ 15 ديسمبر 1926، بعد اختفائها لمدة أحد عشر يومًا



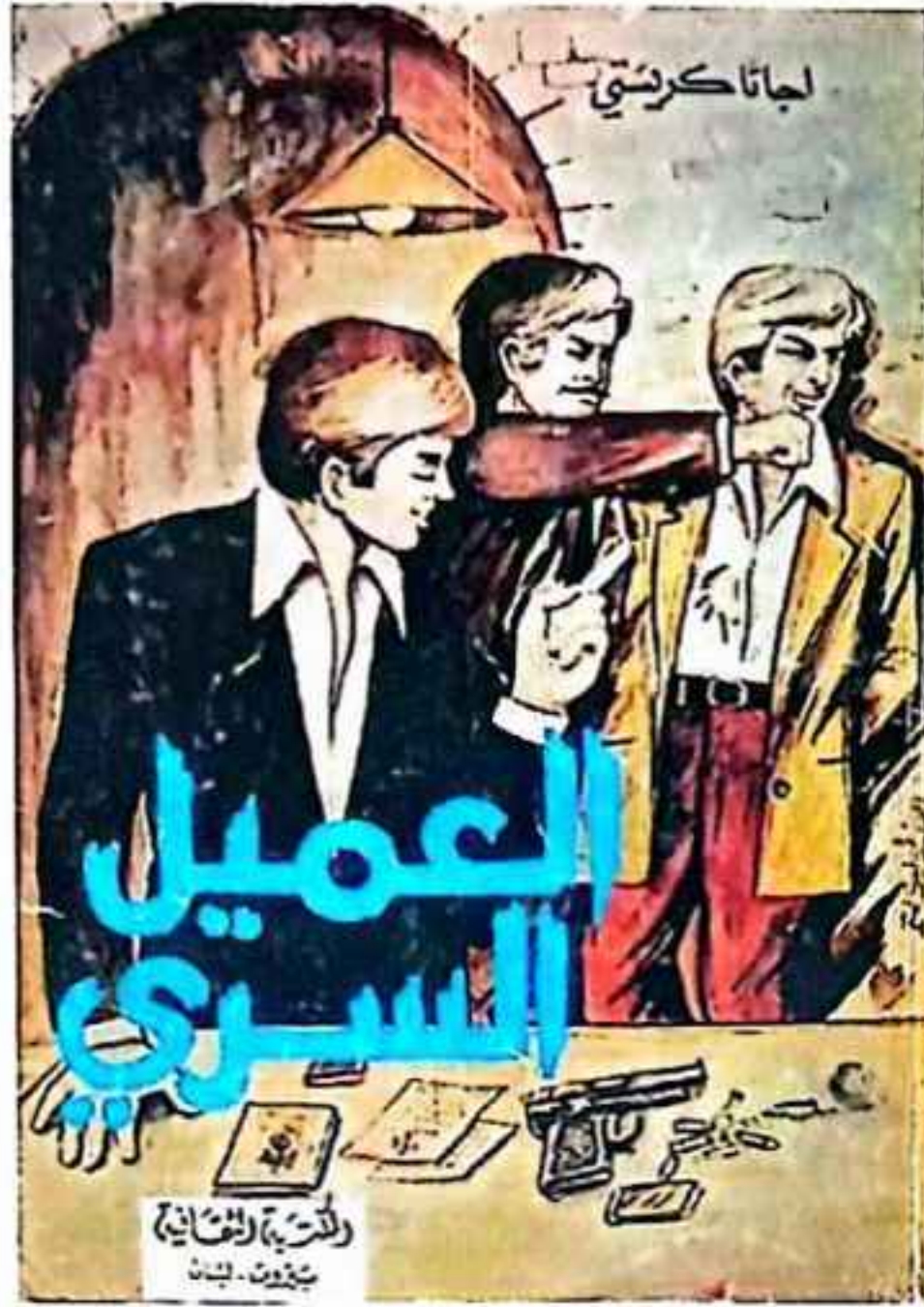


أحد أغلفة مجلة روايات الجيب لروايات أجاثا كريستي





الغلاف الخلفي من طبعة روايات الجيب لروايات أجاثا كريستي،
والتي اشتهرت بوضع صورة لها مبتسمة



أحد أغلفة المكتبة الثقافية لروايات أجاثا كريستي





النص الكامل

أجاثا كريستي



قضية ستايلز الغامضة



قضية ستايلز الغامضة، رواية أجاثا كريستي الأولى، طبعة دار
الأجيال





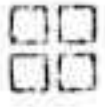
القضية الغامضة في مدينة ستايلز، رواية أجاثا كريستي الأولى،
طبعة مكتبة جرير





أجاثا كريستي مع زوجها ماكس مالون، يتصفحان صور بعض المواقع الأثرية





موريس لوبلان (۱۸۶۴ - ۱۹۴۱)



أرسين لوبين اللص الظريف

في 15 يوليو سنة 1905 وجد قراء جريدة Je sais tout الفرنسية أنفسهم أمام قصة قصيرة لكاتب غير معروف يُدعى موريس لوبلان، بعنوان «اعتقال أرسين لوبين». القصة يحكيها برنارد داندريزي، أحد المسافرين على متن سفينة «بروفانس»، التي تصل إليها برقية عبر التلغراف تخبرهم بأن أرسين لوبين معهم على متن السفينة، وأنه ينزل في الدرجة الأولى، أشقر الشعر، وفي ذراعه جرح قديم، واسمه ز... ثم يُدوِّي الرعد في السماء وتنقطع الرسالة قبل أن تكتمل.

نعرف من خلال القصة أن أرسين لوبين هو لص شهير، حارت الشرطة في الإمساك به. يُصاب ركاب الباخرة بالرعب ويضربون أحماسًا في أسداس، ويحصرّون المشتبه فيهم في عدة أشخاص. راوي حكايتنا، برنارد داندريزي، مهتم بأنسة من الطبقة الراقية اسمها نيللي أندردون، ولكنها مهتمة بشاب يُدعى دي روزين، وللمصادفة الغربية تنطبق عليه الأوصاف التي حملتها البرقية المبتورة بخصوص أرسين لوبين، فيتعامل معه الركاب بحذر، وما يزيد الطين بلة أن مجوهرات إحدى السيدات تختفي، فيلقى القبض على الشاب، ولكن تثبت براءته بعد فترة، ويقرر أن ينفي عن نفسه شبهة أنه اللص الشهير، فيعلن عن جائزة عشرة آلاف فرنك لمن يساعده في القبض على أرسين لوبين. في اليوم التالي يجدون روزين مضروبًا ومشدود الوثاق، مع بطاقة معلقة بدبوس في سترته مكتوب فيها: «أرسين لوبين يقبل بامتنان مبلغ العشرة آلاف فرنك التي يقدمها مسيو روزين مكافأة».

وفي الحقيقة، إن محفظة روزين التي أخذها لوبين كانت تحوي عشرين ألف فرنك، لا عشرة فقط!

ساد الذعر بين الركاب، ولم تنجح خفة دم لوبين في التخفيف منه،



فقد اختفت ساعة القبطان، وبعد بحث وجدوها في جيب مساعد القبطان!

كل هذه الأحداث جاءت في صالح راوي حكايتنا، برنارد داندريزي، الذي أصبحت نيللي ملتصقة به تستمد الأمان من كلماته المطمئنة، وهو لم يألُ جهدًا في استعراض خبراته البوليسية أمامها، من ذلك -مثلًا- أنه أراها الكاميرا التي يحملها، وشرح لها أن المسروقات من الممكن أن تكون في أي مكان صغير، حتى ولو كانت داخل كاميرا كالتى معه.

لم ينجح القبطان ورجاله في القبض على أرسين لوبين، حتى وصلت الباخرة إلى وجهتها. وبينما يستعد برنارد ونيللي لمغادرتها، فوجئ الجميع بوجود شرطي عجوز بين من ينتظرونهم على الشاطئ، اتضح أنه المفتش جانيمار، الذي يعرف الجميع أنه طالما طارد أرسين لوبين ولم ينجح في القبض عليه. يبدو الارتباك على صديقنا برنارد، ويعطي كاميرته لنيللي بحجة أن تلتقط صورة لجانيمار، لكن نيللي تُفاجأ بأن جانيمار يتجه إلى صديقها ويمسكه باعتباره أرسين لوبين!

لا يهتم لوبين بالقبض عليه، بل يتابع ردة فعل نيللي، يراها ترمق الكاميرا وقد بدا أنها انتبهت لشيء. أجل، المجوهرات المسروقة مخبأة فيها. ينسى لوبين كل ما حوله، وينتظر ما ستفعله نيللي، هل سُبِّغ عنه وتقدم المسروقات لجانيمار، فتثبت عليه التهمة؟ لكنه يُفاجأ بها تُلقى الكاميرا في الماء بحركة عفوية، وكأنها سقطت رغبًا عنها(45).

هذه القصة التي لا تزيد صفحاتها على عشرين صفحة تُلخّص لنا ما ستكون عليه سلسلة روايات أرسين لوبين، التي كتبها موريس لوبلان على مدى ما يزيد عن خمسة وثلاثين عامًا، ففيها نعرف أن أرسين لوبين لص مشهور بين العامة، اسمه يحمل رهبة، ووجوده كفيل بإرعاب الناس، رغم ما هو واضح من خفة ظله. عدوه الأهم هو مفتش الشرطة الفرنسية جانيمار، المفتش العجوز الذي يسخر منه



لوبين دوّمًا ويستمتع بجعله أضحوكة أمام الناس. وهو تقليد سيتبعه فيما بعد كثير من كُتّاب الروايات التشويقية: يجب أن يكون للبطل عدو رئيسي أو أكثر، يتكرر ظهوره من مغامرة إلى أخرى، وتنشأ بينه وبين القارئ رابطة لا تقل عن تلك التي تنشأ بينه وبين بطل السلسلة.

نحن لم نتابع رحلة صعود أرسين لوبلان وكيف حصل على هذه الشهرة، وما هي المغامرات التي خاضها حتى وصل إلى ما وصل إليه، بل نبدأ من لحظة ذروة معينة: لحظة القبض عليه. القصة أيضًا تُوضّح لنا أسلوب موريس لوبلان في التلاعب بالقارئ، فالراوي الذي نثق بما يقول يتضح لاحقًا أنه هو نفسه اللص الذي يبحث عنه الجميع. ربما هذا الأسلوب لجأ إليه كثيرون فيما بعد، مثلًا أجاثا كريستي في رواية «مقتل روجر أكرويد»، لكن بالتأكيد في عام 1905 كان هذا الالتواء المفاجئ جديدًا على قارئ هذه النوعية من القصص. هكذا ستسير قصص موريس لوبلان، التواءات مفاجئة وأحداث لا يمكن توقُّعها وبطل يخوض مغامراته بسخرية واستهانة بالمخاطر، وأكثر ما يهّمه النكتة، فقد يُعرّض نفسه للخطر ليضع رسالة طريفة يسخر فيها من مطارديه، أو يسرق ساعة القبطان فقط ليضعها في جيب مساعده على سبيل المزاح والعبث.

لم يكن موريس لوبلان عندما كتب هذه القصة ينوي كتابة المزيد منها، ولا تحويل شخصية أرسين لوبلان إلى بطل دائم لسلسلة من الروايات، كانت مجرد قصة قصيرة كتبها ونُشرت في ذلك الوقت، لكن النجاح والصدى اللذان حققتهما في الشهور التالية دفعه إلى التفكير في استثمار هذا النجاح وكتابة قصة أخرى لأرسين لوبلان، نُشرت في نفس الصحيفة بعد عدة شهور، تحديدًا في 15 ديسمبر 1905، وحملت عنوان «أرسين لوبلان في السجن»، والتي يستكمل فيها ما وقع للوبلان بعد القبض عليه، وفي الشهر التالي نشر قصة «هروب أرسين لوبلان»، ثم أخذ ينشر كل شهر أو شهرين قصة جديدة لأرسين لوبلان، حتى أتمّ تسع قصص، جُمعت بعدها سنة 1907 فيما

عُرف بأول كتب أرسين لوبين، الذي حمل عنوان «أرسين لوبين اللص الجنتلمان»، والذي يحوي -بالإضافة إلى قصة القبض على أرسين لوبين، وسجنه، ثم هروبه من السجن- بعض مغامرات اللص الشهير في الاستيلاء على أموال ومجوهرات الأغنياء، وقصة أول مواجهة دارت بينه وبين شرلوك هولمز، والتي حملت عنوان «شرلوك هولمز يصل متأخرًا».



أرسين لوبين اللص الشريف؟

سمعتُ اسم أرسين لوبين لأول مرة وعمري سبع سنوات، كنت أتابع حلقات مسلسل أطفال عُرض سنة 1987 بعنوان «مكتبة هناء وعلاء»، أخ وأخت يشجعهما والدهما على القراءة ويبدأن في تكوين مكتبة، وفي كل حلقة يناقشان الكتب التي يقرآنها. في إحدى الحلقات سألت هناء أختها إن كان قد سمع عن «اللس الشريف»، فاستغرب الوصف، هل يوجد لس شريف؟ فأجابته نعم، إنه أرسين لوبين، اللص الذي يسرق الأغنياء ليعطي الفقراء.

كان وقع الاسم غريباً على أذني، ولم أكن أقرأ وقتها سوى مجلات الأطفال، كميكى وسمير. في مجلة ميكى جيب هناك باب للتبادل بين القراء، اسمه «تبادلني»، يرسل القارئ رسالة إلى المجلة تحوي الأشياء التي لديه، والأشياء التي يريدتها مقابلها، مثلاً أنا لديّ ثلاثة مجلدات ميكى، وأريد مكانها عشرة أعداد من مجلة سمير، وهكذا. كنت أتسلى بقراءة ممتلكات القراء، ومن خلال ذلك عرفت أسماء الكثير من سلاسل الجيب التي لم أكن أعرف عنها شيئاً: المغامرون الخمسة والشياطين الـ13 ورجل المستحيل، وطبعاً أرسين لوبين.

بعد ذلك بثلاث سنوات سيقع في يدي أول كتيب لأرسين لوبين، كنت مع خالي ورأيت بائع جرائد لديه كتيبات جيب، فاشتريت عددًا من أعداد رجل المستحيل، التي بدأت قراءتها منذ عدة شهور، بينما تناول خالي رواية «الشعاع الأخضر» لأرسين لوبين من إصدار سلسلة «روايات الجيب»، بأغلفتها المميزة. لفت الكتيب نظري، مع الرسم الغامض في الطرف الأيمن العلوي من الغلاف لرأس رجل مغطى بالسواد ويرتدي قبعة سهرة طويلة، وهو اللوجو الذي اعتمدته «روايات الجيب» في سلسلة «مغامرات أرسين لوبين» التي كانت تصدرها، مع غلاف داخلي يطالعنا بعبارة «رواية بوليسية طريفة حافلة بالمفاجآت»، وأسفل منها عبارة «بطلها اللص الظريف أرسين لوبين».



أخذتُ الكتيب فيما بعد من خالي وقرأته، وعندها انفتحت أمامي مغارة أرسين لوبين.

المترجمون العرب في الخمسينيات والستينيات وصفوا أرسين لوبين باللص الشريف، وهي الصفة التي التصقت به، وأصبح من «الكليشيات» المعروفة عنه أنه كرويين هود، لا يسرق طمعًا في أموال الناس كما يفعل اللصوص والمجرمون، بل ليحقق فلسفته في العدالة، وما يسرقه يمنح جزءًا كبيرًا منه للفقراء ليحدث التوازن. في الحقيقة هذا الكلام خطأ، وقد ينطبق أكثر على لص آخر هو «القديس»-الذي سنتحدث عنه لاحقًا- أما أرسين لوبين، فقد كان يسرق فقط حبًا في المغامرة!

لم يعط شيئًا للفقراء، ولم تشغله فلسفة العدالة، ولم ير نفسه شريفًا، بالعكس، في أوقات كثيرة تحدّث عن إدراكه أنه بعيد عن الشرف وأنه يمتهن مهنة وضيعة. في قصة «اعتقال أرسين لوبين»، وعندما يُلقى المفتش جانيمار القبض عليه أمام نيللي، الفتاة التي أُعجب بها، ينتابه الخزي منها، ولا يحاول الهرب، وينشغل بالتدقيق في ردة فعلها وكيف ستنظر إليه، وبعد أن تخلصت من دليل إدانته ومضت بعيدًا، قال:

«بقيتُ جامدًا لحظةً، أشعر بحزن وحنان في نفس الوقت، ثم تنهدتُ مثيرًا دهشة جانيمار وتمتمتُ: إن من المؤسف حقًا ألا يكون المرء شريفًا!»(46).

ورغم أن شخصية أرسين لوبين ستتطور كثيرًا في الروايات اللاحقة، وفي بعض الروايات سيتوب عما يفعله، أو يقرر التقاعد، أو يعمل في مجال التحقيق البوليسي، أو يساعد بعض الأشخاص لسبب أو لآخر، لكن ستظل عادة السرقة من أجل المغامرة وهواجة المخاطر موجودة لديه.

ظهر أرسين لوبين، خصوصًا في المرحلة الأولى من الروايات،





كشخصية عابثة فوضوية تسخر من النظام وتعمل ضده، ليس لصالح المجتمع -كما صوّرها المترجمون- ولكن لصالحها الخاص!

لكنه رغم ذلك لا يسرق أبدًا من الفقراء أو المحتاجين، كل نضاله تقريبًا موقوف على الأغنياء والموسرين، خصوصًا أن لديه ذوقًا رقيقًا في الفن، لذلك فأغلب سرقاته مُنصَّبة على اللوحات الفنية وقطع الأثاث والتحف النادرة، التي في العادة لا يمتلكها سوى الأثرياء.

على سبيل المثال، في قصة «علامة الظل» من مجموعة «اعترافات أرسين لوبين»، يكتشف لوبين أن أحفاد أحد الجنرالات الذين أطاحت بهم الثورة الفرنسية -وهم مجموعة من الأشخاص البائسين المعوزين- يعرفون أن جدّهم أخفى ثروة ضخمة لا يعلمون مكانها، ويتدخل لوبين ويعثر لهم على ثمانين ألف مائة كان الجنرال قد خبأها، وعندما يسأله صديقه لماذا لم يحصل على الماسات لنفسه، يجيبه ببساطة:

«ما كنت لأتردد فعلًا لو أنني كنت إزاء أناس آخرين غيرهم، ولكنني رثيت لهؤلاء البائسين حقًا، ثم إنك تعرف هذا الغبي لوبين.. بدا له فجأة أن يكون واسطة خير، وأن يبهر هؤلاء المساكين» (47).

لكن حتى مع مشاعره النبيلة تلك تجاه الفقراء، فهذا لا يعني أن سرقاته -المُوجَّهة إلى الأغنياء- الهدف منها دعم الفقراء ومساعدتهم، فلقب اللص الشريف ليس مناسبًا لوصف أرسين لوبين، وربما الأدق وصفه باللس الجنتلمان، أو اللص الظريف كما اشتهر في الطبقات العربية.

وفي اعتقادي، فالترجمات العربية حاولت قدر الإمكان إظهار لوبين بمظهر اللص صاحب المبدأ ليكون هناك مبرر لعرض أعماله على القارئ العربي المحافظ، الذي قد لا يتفهم وجود قصص ومغامرات بطلها سارق، وقد يجد في ذلك تشجيعًا على السرقة ومخالفة القوانين، خصوصًا أن الصورة التي تطرحها مغامرات أرسين لوبين للشرطة ليست صورة جيدة، فهم دائمًا متخبطون محدودو الذكاء



ينهزمون بسهولة أمام ذكاء اللص العبقري. أما إذا كان بطلنا يفعل ذلك من أجل مبدأ ولينصر العدالة، فعندها قد يصبح الأمر أخلاقياً ويستسيغه القارئ.

ورغم أنه لا يسرق من أجل مبدأ أو فلسفة، لكنّه مع ذلك -في بعض الأحيان- إذا استنجد به محتاج أو طلب أحدهم مساعدته، لا يتردد في مدّ يد العون إن استطاع ذلك، كما حدث في قصة «الشمعدان اليهودي» (48)، من كتاب «أرسين لوبين في مواجهة شرلوك هولمز»، والتي يتضح في نهايتها أنه لم يكن يهدف إلى سرقة البارون دامبلفال، بل إلى مساعدة زوجته التي تعرضت للابتزاز. ولنفس السبب قد نراه أحياناً في مغامرة بوليسية، يلعب فيها دوراً أقرب للمحقق الذي يحاول إمطة اللثام عن غموض ما، أو تبرئة متهم متورط في جريمة يؤمن لوبين ببراءته منها.

وفي أحيان كثيرة يبدو أرسين لوبين متناقضاً، فتارةً يبدو نبيلاً في تصرفاته، وتارةً أخرى يظهر في مظهر النذل الذي لا يهمه سوى الوصول إلى أهدافه، ففي قصة «زواج أرسين لوبين»، من مجموعة «اعترافات أرسين لوبين»، لا يهتم بتوريط فتاة بريئة في خطته، وترتيب زواج مزيف بها ليستولي على ثروتها، وعندما يلتقي بها للمرة الأولى يقول لها آسفاً:

«ألتمس عذرك يا آنسة؛ كل هذه الأحداث عنيفة بعض الشيء.. وتصرفي قد يكون غير طبيعي، ولكن الظروف ترغمننا أحياناً على إتيان أعمال لا تقرأها ضمائرنا.. فمعذرة».

وعندما تنقذه الفتاة في النهاية، وتتعامل معه بنبل لا يتوقعه، يشعر بالخزي ويحاول تعويضها:

«أرجو منك الصفح والمغفرة.. إنني وغد حقيير تعس، وقد حطمت حياتك!» (49).

وعندما انضمت الفتاة إلى الدير وترهبنت، وصل إلى رئيسة الدير

رسالة من مجهول فيها خمسون ألف فرنك -وهو كل المبلغ الذي سرقه لوبين من الفتاة- ومكتوب فيها أن هذا المبلغ للفقراء الذين ترعاهم هذه الأخت.

وفي أحيان أخرى يبدو وطنيًا، يسعى جاهدًا لمصلحة بلده فرنسا، فمثلًا في قصة «سبعة الكبة»، من الكتاب الأول «أرسين لوبين اللص الجنتلمان»، يبذل جهده وطاقته ليحصل على تصميمات غواصة ابتكرها مهندس فرنسي وكاد يبيعهما للألمان -فلنلاحظ أن هذه القصة نُشرت قبل الحرب العالمية الأولى بسبع سنوات- وخلال سعيه استطاع تحصيل مبلغ عشرين ألف فرنك، ثم أرسل هذه التصميمات إلى وزير البحرية الفرنسي، وتبرّع للحكومة الفرنسية بمبلغ العشرين ألف فرنك في سبيل بناء الغواصة (50).

أما في رواية «المسلة الجوفاء» (51)، فنجده يتبرع لفرنسا بكل التحف واللوحات والنفائس التي تحضّل عليها في مشواره، ويوصي بوضعها جميعًا في متحف اللوفر في قاعة تحمل اسمه!

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى تتخذ الروايات منحى آخر تمامًا، فيظهر لوبين وطنيًا يسعى لخير فرنسا، ويقاوم من أجلها متخفيًا في أفريقيا مع جيش أعدّه، ويكوّن هناك مملكة كبيرة حجمها في حجم فرنسا، ويعود إلى فرنسا ليهدّيها تلك المملكة.

وفيما يبدو لي، فإن أرسين لوبين كان يكبر مع موريس لوبلان، وتتطور شخصيته ورؤيته للعالم من عمل إلى آخر، خصوصًا أنه ظهر للوجود قبيل الحرب العالمية الأولى، وخاض معظم مغامراته في الفترة ما بين الحربين العظميين.

أرسين لوبين اللص العبقرى

تتسم قصص أرسين لوبين بالذكاء والتخطيط العبقرى، وفي العادة -خصوصًا في الروايات الأولى- لا نراه وهو يعمل، بل تُحكى لنا القصة ونحن في موقع الجمهور، أو الضحية التي ينوي لوبين سرقتها، نتابع معها ظهوره الخاطف من مكان إلى آخر، نندهش من تنفيذه لمخططاته رغم كل العوائق التي تضعها الشرطة في طريقه، ونفاجأ معها بذكاء خطته. أرسين لوبين -كما يعرضه موريس لوبلان- شخص عبقرى متعدد المواهب، ذكاؤه يوازي ذكاء شرلوك هولمز، خطته دقيقة وكل شيء فيها محسوب، نادرًا ما يفاجئه شيء، وهو يجيد التنكر إلى درجة أن أحدًا لا يعرف شكله الحقيقي، حتى هو في بعض المغامرات يعترف بأنه يكاد ينسى ملامحه الأصلية. والتنكر يلعب دورًا مهمًا في مغامرات أرسين لوبين، فكثيرًا ما نكتشف في النهاية أنه كان أحد أصدقاء الغني أو النبيل الذي سرقه، ويكون قد تعرّف عليه بعد أن تنكّر وأقام أواصر الصداقة معه. في قصة «شرلوك هولمز يصل متأخرًا» (52) اتضح أنه الرسام الذي كان يعمل على رسم اللوحات للسيد دوفان، وفي مسرحية «أرسين لوبين» (1908)، نكتشف أنه متنكر في شخصية الدوق دي شارميراس، الذي سيتزوج ابنة المليونير مارتان (53). بل إن تنكّره هو الذي ساعده على الهرب من السجن، إذ غيّر ملامحه قليلًا من خلال بعض العقاقير والمركبات الكيميائية، كما أخضع نفسه لحمية غذائية قاسية، وعندما جاء وقت محاكمته تظاهر بأنه شخص آخر، وشكله مع تمثيله المتقن حملا القاضي ومعه الشرطة، ممثلةً في المفتش جانيمار، على الظن بأن لوبين وضع شخصًا آخر مكانه في السجن وهرب، فأطلقوا سراحه وهم لا يدركون أنهم يطلقون سراح أرسين لوبين نفسه.

فيما بعد يقول لوبين شارحًا الأمر للمفتش جانيمار: «إذا كنت، كما تعلم، قد عملت ثمانية عشر شهرًا مع الدكتور ألتيه في سان لويس،

فلم يكن ذلك حبًا في الفن. خطر لي ذات يوم أن ذلك الذي سيتشرف باسم أرسين لوبين يجب أن يكون أستاذًا في التنكر. يمكنني أن أُغَيِّرَ مظهري وهيئتي كما يحلو لي؛ حقنة من البارافين تحت الجلد مباشرةً فيتورم المكان المختار تمامًا. وحمض خاص يغير هيئتك كما تريد، وخلاصة بعض النباتات الخاصة تُحدث أورامًا ودمامل كثيرة، وتركيبه كيميائية تتسبب في إطلاق لحيتك وشعرك، وتركيبه أخرى تُغيِّرَ صوتك. أضف إلى كل هذا شهرين من الاستحمام في الزنزانة رقم 24، وتجارب مكررة ألف مرة لكي أفتح فمي بتكشيرة خاصة، ولأحني رأسي وظهري بطريقة معينة، وأخيرًا خمس قطرات من الأتروبين في العينين لكي أبدو شاردًا وزائغًا.. وتتم اللعبة»(54).

هذه المهارة الأسطورية في التنكر قد تبدو مبالغة لبعض القراء، لكن في مثل هذه النوعية من القصص قد يعيل القارئ إلى تقبُّل بعض المبالغات إذا كانت مبررة جيدًا ومكتوبة بحرفية، وقد كان لوبين يستغل التنكر في ابتكار شخصيات جديدة يتخفى وراءها، وهي نفس المهارة التي لدى شخصيات بوليسية أخرى، كشرلوك هولمز وأدهم صبري وتختخ بطل المغامر الخمسة!

ومع ذلك، لم تكن مهارة لوبين في التنكر دائمًا مبررة، ففي أثناء هروبه في مسرحية «أرسين لوبين»، يسارع بينما يهبط به المصعد في التنكر في شخصية المفتش جوشيار(55)، وخلال الدقيقة التي احتاجها المصعد ليهبط كان قد أصبح صورة طبق الأصل من المفتش في الشكل والصوت إلى درجة خدع بها رجال الشرطة وتجاوزهم ببساطة.

وعلى مدار مغامراته تقمَّص لوبين العديد من الشخصيات واتخذ العديد من الأسماء، كهوراس فيلمونت ولويس بيرينا وجيم بارنيت. وإذا كان أدهم صبري يحب استخدام أسماء مستعارة تبدأ بالحرفين الأولين من اسمه -أ. ص- فأرسين لوبين يحب استخدام أسماء مستعارة مُكوَّنة من نفس حروف اسمه: أرسين لوبين، لكن بترتيب

ولأرسين لوبين وسائل عجيبة في الوصول إلى أهدافه، لا تستغرب إذا أرسل إلى ضحيته يخبرها بأنه سيسرقها في يوم كذا في ساعة كذا، ولا تستغرب إذا أخذت الضحية محاذيرها كافة ورغم ذلك ينجح في تنفيذ خطته، ويتضح لاحقاً أن تحذيره للضحية لم يكن على سبيل الغرور أو الاعتداد بالنفس أو زيادة حجم المخاطر التي يود أن يواجهها، بل هو جزء أصيل من خطته، ولولاه ما وقع شيء. مثلاً، في بداية قصة «أرسين لوبين في السجن»، تصل إلى أحد البارونات رسالة من أرسين لوبين، يطلب منه فيها أن يحزم مجموعة من اللوحات النادرة التي يمتلكها ويرسلها إليه في محطة القطار خلال أسبوع، وإلا سيأتي بنفسه ليأخذها، وعندها لن يكتفي بأخذ تلك اللوحات فقط! يجن جنون البارون، ورغم أن قصره محصن بشكل جيد فإنه يُبلِّغ الشرطة لتتدخل، لكنهم لا يأخذون الرسالة بجدية، لأن أرسين لوبين في السجن. هنا يعرف البارون بوجود المفتش جانيمار نفسه في المدينة، فيطلب مساعدته، ويأخذه معه إلى القصر، ويتركه ساهراً في غرفة التحف حتى الصباح ليتأكد أن أحداً لن يستطيع سرقتها. لكن في الصباح يكتشف البارون وجانيمار أن اللوحات قد اختفت، وأن لوبين فعلها كعادته.

ثم ما يلبث البارون أن يكتشف أن جانيمار الذي معه ليس جانيمار الحقيقي، بل أحد رجال أرسين لوبين، ويتضح أن الهدف من تلك الرسالة الهزلية كان إثارة خوف البارون ودفعه إلى طلب المساعدة، وعندها يضعون في طريقه شخصاً يدّعي أنه المفتش جانيمار، فيأخذه معه إلى قصره. وهكذا لولا رسالة أرسين لوبين لما سمح البارون بنفسه للصوم بدخول قصره المحصن(56)!

وفي قصة «الشمعدان اليهودي»، تصل إلى شرلوك هولمز رسالة تطلب منه المساعدة في حل قضية صعبة، وفي نفس الوقت تصل إليه رسالة أخرى من أرسين لوبين تقول:

«أيها الصديق العزيز...



لا شك أنك تعرف مبلغ إعجابي بك، ومدى حرصي على سُمعتك، لذلك أنصحك بعدم الاضطلاع بالقضية التي طُلب إليك أن تميط اللثام عن غوامضها، لأن تدخلك سيؤدي إلى كثير من الأضرار، ولأن جهودك لن تسفر إلا عن نتائج تثير الرثاء، وستضطر آخر الأمر إلى الاعتراف بفشلك الذريع.. ولما كنت أشفق عليك من هذا المصير، وأرغب رغبةً مخلصة في أن أجنبك هذا الهوان، فقد بادرتُ بالكتابة إليك، لكي أستحلفك بحق ما بيننا من صداقة أن ترفض هذه القضية وتلتزم بمكانك الهادئ بجوار الموقد.

تحياتي إلى الدكتور واطسون، وأطيب تمنياتي لشخصك العزيز.

المخلص

أرسين لوبين»(57).

فيثور هولمز ويسبُّ ويلعن!

ولا يكتفي لوبين بمراسلة الأفراد فقط، بل إنه يأخذ موضوع المراسلات هذا درجةً أعلى، فهو كثيرًا ما يرسل الصحف وينشر من خلالها بياناته، التي يسخر من خلالها من الشرطة، أو يشرح فيها للجمهور حقيقة ما قام به في قضية من القضايا، أو يعلن عبرها أنه سيفعل شيئًا معينًا في وقت معين متحدثًا الشرطة والحكومة، فمثلًا في رواية «813»، وبعد القبض على أحد أعوانه، أرسل إلى الصحف بيانًا مُوجَّهًا إلى رئيس البوليس يقول فيه:

«أهنتك يا سيدي العزيز على إلقاء القبض على الساعي «جيروم»، فقد كان توفيقك السريع يدعو إلى الإعجاب والاحترام (...).

على أن لي كلمة أخرى، هي أنني لا أرضى السجن لمن يعملون تحت رايتي، ولهذا أنذرك من الآن بأنني سأنقذ الساعي جيروم من سجنه بعد خمسة أسابيع، أي في يوم الجمعة الموافق 31 مايو



القادم، فلا تنس هذا التاريخ: الجمعة 31 مايو.



أرسين لوبين»(58).

وأكثر رسائله وبياناته ينشرها من خلال صحيفة إيكو دي فرانس، أو صوت فرنسا، والتي لكثرة ما نشرت بياناته دار جدل حول أنه يملكها، أو على الأقل هو من كبار المستثمرين فيها.

وأرسين لوبين لا يعمل وحده، بل يعمل من خلال عصاة يتزعمها، مجموعة من الرجال الأشداء الذين درّبهم جيدًا على أساليبه ومبادئه. ذلك أن لأرسين لوبين مجموعة من المبادئ أو القوانين، التي نكتشفها خلال مغامراته، فهو مثلًا ضد القتل تمامًا، ضد الإيذاء عمومًا، هو شخصية مسالمة يحب أن يتلاعب بخصومه ويتهم عليهم ويعبث بهم، لكنه لا يؤذيهم بدنيًا، قد يحاول السيطرة عليهم وتقييدهم أو خطفهم ليبعدهم عن طريقه أو ليبترهم، لكن دون إلحاق ضرر بهم.



أرسين لوبين والمرأة

لوبين ضعيف أمام المرأة، لم يهزم في حياته سوى بسبب حبيباته! في كل مغامرة من مغامراته تقريبًا لا بد أن يقع في الحب، رأينا ذلك في أول قصة نشرها لوبلان عنه، «اعتقال أرسين لوبين»، فبسبب إعجابه بنيللي أندردون، استسلم للمفتش جانيمار ليقبض عليه، لأنه شعر بالخزي من اكتشافها أنه اللص الشهير أرسين لوبين. وفي قصة «شِرلوك هولمز يصل متأخرًا» -والتي تنتمي إلى نفس المجموعة القصصية، «أرسين لوبين اللص الجنتلمان»- بعد أن ينجح في سرقة قصر السيد «دوفان» مع عصابته، وقبل أن يلحق بهم، تظهر نيللي ويُفاجأ بأنها ضيفة دوفان التي لم يلتقِ بها بعد، وتتعرف عليه فيُصاب بالحرج منها، ويعتذر لها عن السرقة، ويعدّها بأنه سيعيد المسروقات في اليوم التالي في تمام الثالثة، ويفي بوعدّه، ضاربًا عُرض الحائط بصورته أمام عصابته، وبكل المجهود الذي بذله ليُتم تلك العملية.

وفي الكتاب الثاني، «أرسين لوبين ضد شِرلوك هولمز»، لا يستطيع شِرلوك هولمز هزيمة لوبين سوى بعد اكتشافه أنه يحب فتاة تُدعى كلوتيلد دياتنج، وأنها تساعد في سرقاته مدفوعةً بعاطفتها، فيساومه على تسليم نفسه مقابل أن يترك كلوتيلد حرة، فيستسلم لوبين خوفًا عليها(59).

وفي المسرحية التي كتبها موريس لوبلان بعنوان «أرسين لوبين»، يقع لوبين في حب «سونيا كريتشنوف»، وصيفة جرمين ابنة المليونير مارتان التي كان سيتزوجها متخذًا شخصية الدوق دي شارميراس، وعندما يحاصره جانيمار ويساومه على تسليم نفسه مُقابل ترك سونيا حرة، يقبل لوبين ويستسلم.

وفي الكتاب الثالث، «المسلة الجوفاء»، يصل الأمر إلى ذروته،

فلوبين يقع في حب رايموند، ابنة أخ الكونت دوجيفر الذي حاول سرقة قصره، وتوافق هي على الزواج به شرط أن يعتزل السرقة ويتخلص من اسمه، وهذا بالضبط ما فعله لوبين: تاب وسلّم للحكومة الفرنسية كل مسروقاته التي جمعها خلال سنين عمله!

أما في الكتاب الرابع، «813»، فنجده يقع في حب مدام دولوريس كاسبلاخ، الأرملة الحسنة، وعندما تلقى مصرعها ينتحب فوق جثتها قائلاً:

«ما أتعس حظي! لقد كنت أحبك يا دولوريس أعرق الحب! وا أسفاه، إن النساء اللاتي أحببتهن جميعاً كان الموت نصيبهن (...)
ما أحببت امرأة إلا كان الموت لها بالمرصاد! وا أسفاه! لماذا أعيش إذن؟!».

وأمسك ورقة وكتب عليها:

«لقد انتصرتُ على كل شيء، ولكني هُزمت في الحب!»(60).

وكلما أحبّ لوبين امرأة تزوجها، أو حاول أن يتزوجها، كما حدث مع كلاريس مرجي في «سداة الكريستال»، وهي والدة تلميذه جيلبير، الذي اعتُقل وحُكم عليه بالإعدام قبل أن ينقذه لوبين، لكن كلاريس ترفض حبه، رغم أنها تُكن له مشاعر كما هو واضح، لأنها امرأة شريفة بينما هو «ليس سوى أرسين لوبين!»(61).

ولم تكن تلك المرة الوحيدة التي لم يُوفَّق فيها أرسين لوبين في حبه، ففي قصة «خاتم الزواج» في مجموعة «اعترافات أرسين لوبين»، عندما وقعت إيفون دوريني في مشكلة وطلبت مساعدته، نعرف لاحقاً أنه يحبها، وأنها أيضاً تبادله الحب، لكنها تكتُم مشاعرها لأنها متزوجة وتريد أن تعتني بابنها(62).

موريس لوبلان يواجه آرثر كونان دويل!

مرت روايات أرسين لوبين -في رأيي- بثلاث مراحل رئيسية.

المرحلة الأولى كانت مرحلة العبث والشيطنة، وهي الفترة التي ظهر فيها للمرة الأولى للوجود سنة 1905، واستمرت حتى قبيل الحرب العالمية الأولى.

في تلك الفترة كتب موريس لوبلان ستة كتب بطلها أرسين لوبين، وفي اعتقادي أنه في البداية لم يكن ينتظر الكثير من القصص القصيرة التي يكتبها لأرسين لوبين وينشرها في الصحف، فبعد نجاح القصة الأولى نشر قصة ثانية، ثم ثالثة، وبعد تسع قصص رأى أن يجمعها في كتاب سماه «أرسين لوبين اللص الجنتلمان».

ثم اختبر نفسه في قصة أطول، فكتب قصة «المرأة الشقراء»، وهي رواية قصيرة يهزم فيها لوبين جانيمار كالعادة، فيُستعان بشخصية أقوى من جانيمار لمواجهة: شرلوك هولمز!

أجل، في أول ثلاثة كتب لأرسين لوبين كانت هناك مواجهات مع شرلوك هولمز!

بدأ الأمر، كما ذكرنا، في قصة «شرلوك هولمز يصل متأخرًا»، وهي القصة السابعة في كتاب «أرسين لوبين اللص الجنتلمان»، ولم يحدث فيها صراع بين الرجلين، فقد وصل شرلوك هولمز إلى أرض المعركة بعد أن كان لوبين قد غادر، وكشف كيف نفَّذ اللص الداهية سرقة.

وجاءت المواجهة الثانية في قصة «المرأة الشقراء»، ثم نشر لوبلان قصة طويلة أخرى بعنوان «الشمعدان اليهودي» ظهر فيها هولمز أيضًا، وبعد ذلك جمعت القصتان في كتاب واحد، هو الكتاب الثاني من مغامرات أرسين لوبين، ونُشر سنة 1908، وحمل عنوان «أرسين لوبين يواجه شرلوك هولمز».



وفيما يبدو، فبعد النجاح الذي حققه هذان الكتابان، استجمع لوبلان شجاعته وقرر كتابة رواية كاملة عن أرسين لوبين، فحملت عنوان «المسلة الجوفاء»، ونُشرت سنة 1909، والتي تُشكّل في رأيي الخاص أفضل أعمال موريس لوبلان عن أرسين لوبين!

في تلك الرواية ظهر شرلوك هولمز للمرة الرابعة أمام أرسين لوبين، وخاض الاثنان مواجهة قصيرة ومأساوية في نهاية الرواية.

المواجهات الأربع في غاية المتعة، أذكر في طفولتي أنني كنت أبحث عن تلك القصص وأتتبعها، فموريس لوبلان يُظهر بطله أرسين لوبين في صورة لا تقل عبقريةً ودهاءً عن شرلوك هولمز، تلك المواجهات كانت لقاء السحاب كما يقولون، عندما يصطدم الطود العظيم بالطود العظيم. الشخصيتان تتباريان في إظهار الذكاء، وكلما رمى أحدهما الآخر بخطة عبقرية، أبطأها الآخر وردّها من حيث جاءت.

لكن أكثر ما كان يثير استغرابي هو كيف استخدم موريس لوبلان شخصية شرلوك هولمز بتلك البساطة دون مساءلة قانونية. الفترة التي ظهرت فيها شخصية هولمز في قصص لوبلان -الفترة من 1906 وحتى 1909 - كانت ذروة نجاح شخصية شرلوك هولمز في كتابات آرثر كونان دويل، فكيف يأتي كاتب فرنسي ويأخذ الشخصية هكذا ببساطة ويُدخلها في مغامرات من تأليفه، ويسخر منها ويُظهرها أقل من بطله!

في الحقيقة ما أثار بلبتي هم المترجمون الذين ترجموا روايات أرسين لوبين، فقد استخدموا اسم شرلوك هولمز صراحةً، لكن ما حدث فعلاً في الأعمال الأصلية أن موريس لوبلان كان يستخدم اسم «هرلوك شولمز»!

أجل، موريس لوبلان كان يتبع نفس أسلوب بطله أرسين لوبين في الشيطنة والعبث، استخدم في البداية اسم شرلوك هولمز وصديقه الدكتور واطسون، لكن آرثر كونان دويل اعترض قانونيًا، فأدخل لوبلان تغييرًا كوميديًا على اسم الشخصية وتلاعب بحروفها، لتصبح «هرلوك





شولمز»، ويصبح صديقها هو الدكتور «ويلسون»، فكان القارئ يجد أمامه شخصية شرلوك هولمز، المحقق الإنجليزي العبقرى، بكل طبيعتها وصفاتها التي يعرفها القارئ، لكن باسم آخر!

وهكذا فإن عناوين القصص الأصلية في الفرنسية كانت «هرلوك شولمز يصل متأخرًا» في مجموعة «أرسين لوبين اللص الجنتلمان»، و«أرسين لوبين يواجه هرلوك شولمز» في الكتاب الثاني!

بالنسبة إليّ كانت شخصية هولمز في روايات موريس لوبلان تختلف عن الشخصية الأصلية، فلم يجعله لوبلان يُظهر نفس الذكاء والعبقرية في الاستدلال واستنباط المعلومات من أبسط الأشياء، كما هو الحال في قصص آرثر كونان دويل، بل أظهره فقط كمحقق واثق بنفسه ومُصر على الوصول إلى هدفه، ويمكنه ربط الأمور بعضها بعضًا ليصل في النهاية إلى الحقيقة.

والمواجهات تنتهي بالتعادل، هولمز يكشف خطط لوبين ويوقع به، لكن لوبين رغم ذلك يصل إلى مساعيه. بل إن هولمز نجح في الإيقاع بلوبين والقبض عليه في قصة «السيدة الشقراء»، وتركه بين يدي المفتش جانيمار ورحل، فتلاعب لوبين بجانيمار وهرب منه، وأسرع ليودّع هولمز في محطة القطار(63)!



ارتباك أرسين لوبين



«المسلة الجوفاء» (1909) كانت ذروة كتابات موريس لوبلان عن أرسين لوبين في تلك المرحلة.

كعادة روايات لوبلان في تلك الفترة لا نرى أحداث القصة سوى من خلال الآخرين، بينما يبقى لوبين بعيدًا، نسمع عن أفعاله ونفاجأ بظهوره وضرباته، هذا الأمر جعله يبدو في عيون القراء كشخص خارق لا تحدّه حدود. مهما اتخذ خصومه من احترازا، يفاجئهم بأنه مستعد لكل أفعالهم ويضع في حسابه كل نياتهم.

في هذه الرواية نكتشف أن كل سرقات لوبين التي تابعتها خلال الكتابين السابقين هناك ما يجمع بينها، فكلها تقريبًا تدور في منطقة النورماندي، وكأن للوبين مركز عمليات ينطلق منه إلى المناطق المجاورة.

شهدت الرواية الظهور الأول والأخير لشخصية من أفضل الشخصيات التي ابتكرها لوبلان، وهي شخصية إيزيدور بتروليه المحقق العبقرى، طالب بلاغة في السابعة عشرة من عمره، ورغم صغر سنه نجح لوبلان في تحريكه بشكل أفضل مما فعل مع هولمز، وجعله يُظهر من النبوغ والعبقرية والحيوية في استنتاجاته ما جعل لوبين يخشاه، إلى درجة لقائه وتهديده بالابتعاد عن طريقه.

يستنتج إيزيدور بعد مشقة أن مركز عمليات لوبين يقع في أثر تاريخي يُشكّل لغزًا تاريخيًا؛ مسلة صخرية -بالمناسبة، هي موجودة بالفعل- قرب حصن قديم، اكتشف لوبين أن ملوك فرنسا كانوا يستخدمونها في حفظ كنوزهم وثوراتهم، فاعتبر نفسه وريثهم واستولى على ما بقي من الكنز، ووضع في المسلة كل التحف واللوحات والكنوز التي سرقها منذ بدأ مهنة اللصوصية. وفي نهاية الرواية يكشف لوبين لإيزيدور أنه تعمد أن يقوده ليصل إلى مسلته،





فقد قرر الاعتزال وتسليم كل كنوزه إلى الحكومة الفرنسية، نظير أن يضعوا كل تلك التحف الثمينة في قاعة بمتحف اللوفر تحمل اسم «قاعة أرسين لوبين»!

لكن بانتهاء هذه الرواية اختفت شخصية إيزيدور تمامًا ولم تظهر مرة أخرى في روايات موريس لوبلان، لا أعرف لماذا!
ما ظهر بعد ذلك هو حالة غريبة من التخبط!

فالرواية التي تلت «المسلة الجوفاء» كانت رواية «813» (64) (1910)، وهي رواية غريبة يبدو أسلوب لوبلان فيها مختلفًا عما اعتاده القراء في الكتب الثلاثة السابقة، يظهر لوبين فيها بشكل مختلف عما نعرفه، فهو أقل مرًا وأكثر عنفًا. كانت الرواية دموية تمتلئ بحوادث القتل، بل إن لوبين نفسه يضطر فيها إلى قتل عدوته في نهاية الرواية، وهو الذي لم نرّه من قبل يقتل قط.

في «813»، يتجاوز الأمر سرقة تحفة فنية أو تحدي الشرطة، فأرسين لوبين في هذه المرة يسعى للسيطرة على أوروبا، وهذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها جانب سياسي بهذا الوضوح في مغامرات أرسين لوبين! ويبدو أن غيوم الحرب العالمية الأولى كانت تقترب وأثّرت في كتابات لوبلان ونظرته للأمور، إذ يحاول لوبين في هذه الرواية الضغط على القيصر الألماني ليوافق على تنصيب أحد أعوان لوبين حاكمًا لدولة صغيرة تقع بين ألمانيا وفرنسا، ويصرّح لوبين بأنه سيحكم من خلفه ليصير هو الإمبراطور الفعلي لأوروبا، ومن خلال دويلته تلك سيمنع التصادم بين الدول الأوروبية، وبالتالي سيمنع وقوع الحرب.

تبدأ الرواية بحادث مقتل السيد كسلباخ وسكرتيه بالإضافة إلى خادم الفندق الذي يقيم فيه، وكما هو واضح فكسلباخ ألماني، والعصابة التي تقوم بكل تلك الجرائم يقودها شخص ألماني، وفي الطبعة الثانية التي نُشرت عام 1917 عُدّل نص الرواية ليحمل المزيد من العبارات المُعادية للألمان بسبب الحرب العالمية الأولى، التي



كانت ألمانيا خلالها تحتل جزءًا من فرنسا!



فلنلاحظ أنه لم تكن هناك قبل هذه الرواية أي إشارات عدائية للألمان أو ذكر لهم في مغامرات أرسين لوبين، ما عدا في قصة «سبعة الكبة»، من الكتاب الأول «أرسين لوبين اللص الجنتلمان»، والتي حاول فيها الألمان سرقة تصميمات الغواصة التي اخترعها مهندس فرنسي، قبل أن يتصدى لهم لوبين ويرسل التصميمات إلى الحكومة الفرنسية.

تبدو «813» وكأن «المسلة الجوفاء» لم تحدث، فلا توجد أي إشارة إلى توبة لوبين عن السرقة وفضّه عصابته واعتزاله، بل نجده وسط مجموعة من أعوانه وكأن شيئاً لم يحدث!

وفي الحقيقة فهذه سمة أخرى من سمات روايات أرسين لوبين، فهي لا تخضع للتسلسل الزمني، فالرواية التالية، «سداة الكريستال»، تبدو في فترة زمنية سابقة على «المسلة الجوفاء». ورغم هذه الملاحظة، فهناك نوع من الصلة بين الروايات، فبعض الشخصيات تستمر في الظهور في أكثر من رواية، وبعض الحوادث يظل تأثيرها مستمرًا، فمثلًا هناك شخصية «فيكتور» مربية لوبين، والتي ظهرت لأول مرة في مسرحية «أرسين لوبين»، وتكرر ظهورها بعد ذلك في «المسلة الجوفاء»، و«813»، و«سداة الكريستال»، وغيرها. وفي قصة «الشمعدان اليهودي»، نجد شرلوك هولمز يشير إلى قصة «السيدة الشقراء»، وهناك ألغاز ماري أنطوانيت الأربعة، التي يحل لوبين ثلاثة منها في روايات «المسلة الجوفاء» و«جزيرة الثلاثين تابوتًا» و«كونتيسة كاغليوسترو».

ومع ذلك، فقد وجدت رواية مترجمة بعنوان «غريم أرسين لوبين» (65)، وأحداثها تقع مباشرة بعد «المسلة الجوفاء»، وفي سطورها الأولى نعرف أن لوبين اختفى بعد تخليه عن كنوز المسلة الجوفاء لحكومة فرنسا، ثم تسطو عصابة تُسمى «المخلب» على المسلة وتسرق محتوياتها، فيضطر لوبين إلى العودة من عزلته





والتدخل ليستعيد المسروقات ويضع حدًا لتلك العصاة وزعيمها، الذي يبدو شخضًا دمويًا لا يتورع عن سفك الدماء للوصول إلى أهدافه. الرواية ممتعة، لكنها غير موجودة ضمن قائمة الأعمال التي كتبها لوبلان عن أرسين لوبين، وهذا ما رجح لديّ أن من كتبها أحد المؤلفين الذين قرروا كتابة أعمال من بطولة أرسين لوبين بعد وفاة موريس لوبلان. وبعد البحث اكتشفت أنها رواية بعنوان «الوجه الآخر لأرسين لوبين»، من تأليف الكاتبين الفرنسيين بيير لوي بوالو وتوماس نارسيجاك، نشرها عام 1975، بعد الحصول على موافقة رسمية من ورثة موريس لوبلان. أعمال هذا الثنائي عن أرسين لوبين جاءت متقنة ومحاكية لأسلوب لوبلان وأجواء روايات لوبين، وقد كتبا أربعة أعمال أخرى بنفس الطريقة: «سر أونيرفيل» (1973)، «البارود» (1974)، «عدالة أرسين لوبين» (1977)، و«قسَم أرسين لوبين» (1979).

بعد «813» تأتي رواية «سعادة الكريستال» (66) (1912)، لنجد أنفسنا أمام عمل آخر مختلف، وإن كان أقل دموية من «813». فلوبين الذي كنا نراه في الكتب السابقة من الخارج، فجأة نجد أنفسنا لصيقيين به في هذه الرواية، نراه يتحرك ويفكر، وللغرابة الشديدة نجده يُخفق في كل ما يقوم به. تبدأ الرواية بالقبض على شابين من معاوني لوبين، ويكتشف أن عصابته تستغله في مساعدة كلاريس مرجي، وهي سيدة وقعت ضحية النائب «دوبريك» الذي يبتزها، بل يبتز الحكومة الفرنسية نفسها من خلال قائمة سرية لديه، كشفها سيؤدي إلى فضيحة لكثير من رجال السياسة النافذين.

يحاول لوبين مساعدة كلاريس، لكن النائب دوبريك يسبقه دائمًا بخطوة أو خطوتين، كلما نسج خطة للإيقاع به أفسدها دوبريك ورد الصاع للوبين. كان هذا أمرًا غريبًا ولم أستطع فهمه، فدوبريك لا توجد لديه ميزة تجعله يتفوق على شرلوك هولمز وجانيمار وغيرهما من أعداء تلاعب بهم لوبين وهزمهم شر هزيمة. في هذه الرواية بدأ لوبين بطيئًا متراخيًا أقل من خصمه، وظل هكذا إلى اللحظة الأخيرة، إلى أن تغيّر فجأة وبدأ يُظهر طباع أرسين لوبين التي اعتدناها في





وأخيرًا انتهت تلك المرحلة بمجموعة «اعترافات أرسين لوبين»، والتي تكوّنت من تسع قصص، وكان لوبلان بعد الارتباك الذي أظهره في الروايتين السابقتين، فضّل أن يعود إلى ما بدأ به: القصص القصيرة التي ينشرها بشكل شهري، ثم يجمعها بالنهاية في كتاب.



اختفاء أرسين لوبين



المرحلة الثانية كانت مرحلة الحرب العالمية الأولى.

في تلك الفترة اختفى أرسين لوبين تقريبًا من روايات موريس لوبلان!

في نهاية رواية «813»، نعرف أن لوبين لَقِق انتحاره، ورحل تاركًا العالم يظنه قد مات. ولن تكون تلك المرة الأخيرة التي يختفي فيها لوبين أو يظن العالم أنه تُوفي، ويبدو أن موريس لوبلان كانت تمر به فترات يرغب فيها أن يتخلص من الشخصية، ويكتفي بما كتبه عنها، ثم ما يلبث أن يُقرّر إعادتها. ففي أعمال تالية كان لوبين يقرر الاعتزال، ويختفي فترةً يعيش فيها بعيدًا عن الأضواء -كما حدث في نهاية «المسلة الجوفاء»- ثم ما يلبث أن يضطر إلى العودة نتيجة حدث خارجي، كأن يطلب أحدهم مساعدته، أو تقع جرائم تُنسب إليه، فيعود للإيقاع بالمجرم الحقيقي.

وبعد «سعادة الكريستال» و«اعترافات أرسين لوبين»، وخلال أعوام الحرب العالمية الأولى، لم ينشر موريس لوبلان سوى ثلاث روايات تنتمي إلى سلسلة أرسين لوبين، لكن -وللغرابة الشديدة- كان لوبين يظهر فيها بشكل عابر، غالبًا في النصف الثاني من الرواية. بل إن رواية «شظية القذيفة» (1916)، لم يظهر فيها أرسين لوبين في طبعتها الأولى، وعندما أُعيد نشرها عام 1923، أضاف لوبلان مشهدًا يظهر فيه أرسين لوبين، إذ يُصاب البطل في قتاله مع الألمان ويدخل المستشفى، وهناك يلتقي بلوبين متنكرًا في شكل طبيب، ويعطيه خريطة سرية للأنفاق التي يستخدمها الألمان لتساعده في إنقاذ حبيبته.

وفي رواية «المثلث الذهبي» (1918)، يستعين بطل الرواية بأرسين لوبين في مرحلة من مراحلها، رغم ما يُشاع عن انتحاره. وفي رواية





«جزيرة الثلاثين تابوثًا» (1919)، يظهر لوبين في القسم الثاني من الرواية ليساعد البطلة في العثور على أبيها وابنها المفقودين.

في تلك المرحلة تتراجع شخصية اللص الفوضوي العاثر الذي يستمتع بخرق النظام والتلاعب بخصومه، ويتحوّل إلى شخص وطني يقاتل الألمان ويسعى لنصرة فرنسا. وكما ذكرنا من قبل، سنعرف أنه في غيبته الطويلة كان قد انضم إلى الجيش وقاتل في أفريقيا من أجل فرنسا، بعد أن كوّن جيشًا خاصًا به، ونجح في إنشاء مملكة ضخمة أهداها لفرنسا!

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى لم يعد لوبلان لكتابة قصص أرسين لوبين، بل كتب روايات خيال علمي منفصلة، فمثلًا نشر عام 1920 رواية «العيون الثلاثة»، وفي عام 1921 نشر رواية «الحدث المدهش».

وحتى رواية «أسنان النمر» (67) (1921)، التي نُشرت في تلك الفترة وكان بطلها أرسين لوبين، وتدور أحداثها في الفترة التي تلت رواية «813» وتستكملها؛ حتى هذه الرواية لا تُعتبر عودة إلى مغامرات أرسين لوبين، لأن لوبلان كتبها قبل الحرب العالمية الأولى، لكنه لم يستطع نشرها في فرنسا بسبب قيام الحرب، فنُشرت إلى الإنجليزية ونُشرت في أمريكا عام 1914، ثم نُشرت طبعتها الفرنسية بعد ذلك بسبع سنوات!

أما عودة لوبلان الفعلية لكتابة مغامرات جديدة لأرسين لوبين، بعد الحرب العالمية الأولى، فجاءت مع مجموعة «دقات الساعة الثمانية» (68) (1923)، والتي حوت ثمانين قصة قصيرة لأرسين لوبين.



أرسين لوبين محقق خاص



المرحلة الثالثة والأخيرة كانت مرحلة تحوُّل لوبين تدريجيًّا من كونه
لصًّا مشاغبًا إلى العمل كمحقق بوليسي!

لم تكن تلك المرة الأولى التي يفعل فيها لوبين ذلك، ففي بعض
مغامراته السابقة جعله لوبلان يُحقِّق في جرائم غامضة ويكشف
السر وراءها، فلم تكن مغامراته كلها قبل تلك المرحلة تدور حول
السرقعة وتحدي الشرطة فقط، فمثلًا في قصة «ألعاب الشمس» من
مجموعة «اعترافات أرسين لوبين»، يتدخل لوبين ليكشف سر مقتل
مسيو «لافرنو» وكيل البارون «ربستين»، الذي هربت زوجته بعد أن
سُرقت مجموعة من المجوهرات النادرة، لكنه لا يستمر طويلًا في لعب
دور المحقق، بل يعود سريعًا إلى شخصية اللص، عندما يساوم القاتل
على أن يساعده في الفرار مقابل اقتسام الأموال معه (69)!

وفي نفس المجموعة، في قصة «الوشاح الأحمر»، نجد لوبين يطلب
مساعدة عدوه اللدود، المفتش جانيمار، في كشف غموض جريمة
وقعت في طريقه بعض الأدلة عليها، لكنه لا يجد الوقت الكافي
لحلها بسبب مشاغله الكثيرة، وبسبب توجيهاته يستطيع جانيمار حل
القضية والعثور على القاتل، لكنه يكتشف أن لوبين كان يستغله
بطريقةٍ ما!

ويبدو أن موريس لوبلان كان لديه شغف بكتابة قصص المحققين
الذين يميطنون اللثام بذكاء وعبقرية عن الجرائم الصعبة والمعقدة،
نفس القصة التي يكتبها آرثر كونان دويل، والذي استخدم لوبلان
عدة مرات شخصيته الشهيرة «شرلوك هولمز».. فهل كان لوبلان
يحسد دويل على الشهرة التي حققها، أو القصة التي يكتبها؟!

أحيانًا يُخيَّل إليَّ أن لوبلان لم يكن راضيًّا تمامًا عن نوعية الروايات
التي يكتبها، وشخصية أرسين لوبين -على ما حققته له من شهرة



وانتشار- لم تكن تُشعره بالفخر، بدليل أنه حاول التخلص منها أكثر من مرة، والبدء في سلسلة مغامرات جديدة يكون بطلها محققًا خاصًا.

ففي مجموعة «وكالة بارنيت وشركاه» (70) (1928)، والتي تدور في ثماني قصص، يبدأ موريس لوبلان سلسلة مغامرات جديدة بطلها محقق شاب يُدعى جيم بارنيت، يفتح مكتبًا خاصًا للتحريات يسميه وكالة بارنيت وشركاه، رغم أنه ليس لديه شركاء، بل يعمل وحده، وللغرابية الشديدة فكل الاستشارات والتحقيقات التي يقدمها مجانية، وهو الأمر الذي يثير استغراب زبائنه، لكنه يخبرهم بصراحة أنه سيحصل على حسابه بطريقة الخاصة، ففي قصة «عقد اللؤلؤ»، يفاوض البارونة «إسرمان» على أن تترك له عقد اللؤلؤ، الذي تبلغ قيمته خمسمائة ألف فرنك، مقابل أن يخفي وصية زوجها التي يحرّمها فيها من ثروته، وفي قصة «السرقعة العجيبة» يحصل على أتعابه عندما تقع الراقصة أولجا فومان -التي تعرّض منزلها للسرقعة- في حبه، وتمضي معه في رحلة غرامية. وهكذا تسير الأمور.

في هذه المجموعة اتجه لوبلان إلى قصص التحقيقات البوليسية بشكل مباشر، بعدما كان يتطرق إليها من آنٍ لآخر من خلال بعض قصص أرسين لوبين، وإن احتفظ فيها ببعض أساليب لوبين، من خلال الطرق الملتوية التي يلجأ إليها بطله الجديد بارنيت. وكالعادة فهناك مفتش شرطة يظهر في الأحداث، وهذه المرة هو المفتش ثيودور بيشو، الذي يشترك مع بارنيت في حل القضايا. والتعاون بينهما غريب، فبارنيت لا يَكُف عن السخرية والاستهزاء ببيشو وسذاجته، بينما بيشو يشعر بالشك تجاه بارنيت، ويخشى أنه يستغل زبائنه، لكنه في نفس الوقت يحترم عبقريته وقدرته على حل أصعب الألغاز، فيلجأ إليه مضطراً كلما واجهته قضية صعبة، ويعود إليه مهما استهزأ به ومهما كان حجم المقابل التي يدبرها له.

ونحن لا نعرف كيف بدأ بارنيت عمله، ولا كيف تعرّف على بيشو، بل تبدأ القصة الأولى في المجموعة -قصة عقد اللؤلؤ- بالبارونة إسرمان



وهي تشرح لبارنيت الجريمة التي وقعت في قصرها، وأنها اتصلت به بناءً على توصية من المفتش بيشو الذي عمل معه من قبل (71)، وفي قصة «رسالة غرام من الملك جورج»، يلجأ بيشو إلى بارنيت ليساعده في حل قضية جديدة، لكنه -وبدافع من ضميره- يخبره أولاً بشيء يضايقه:

«الواقع أنني متردد قليلاً يا بارنيت.. إننا عملنا معاً في ثلاث حوادث؛ أنا بصفتي مفتش بوليس وأنت بصفتك بوليساً سرّياً خاصاً تعمل لحسابك. وفي كل مرة كان الشخص الذي يستخدمك ويطلب معونتك -وأخص بالذكر البارونة إسرمان- يفترق عنك وفي نفسه الشيء الكثير من المرارة!» (72).

لكن بارنيت يطمئنه بأنه لا يبتز عملاءه ولا يأخذ منهم فرنكاً واحداً، ولما سأله بيشو بدهشة عن مصدر إيراد مكتبه، أجابه بارنيت ببساطة أن هناك محبين للإنسانية يتولون تمويل مكتبه، فيطمئن بيشو.

لكن يبدو أن لوبلان قرر في اللحظات الأخيرة، قبيل نشر القصص، أن يجعلها ضمن سلسلة لصه الظريف، فجعل بارنيت هو نفسه لوبين، مستغلاً قدرة لوبين على التنقل بين الشخصيات المختلفة وتقمصها من خلال التنكر. أنت عندما تقرأ قصص جيم بارنيت تجد نفسك أمام شخصية جديدة بعيدة إلى حدّ ما عن عوالم لوبين المعتادة التي ألفناها في القصص السابقة، فبارنيت يعمل وحده ولا توجد عصاة تساعد، ولا يسعى خلف سرقات كبيرة أو يحاول التخفي من الشرطة، ولا نجد المفتش جانيمار يطارده ويحاول الإيقاع به، علاقته بالشرطة -تمثلة في المفتش بيشو فقط- علاقة صداقة من نوع خاص. ربما يشترك مع لوبين في بعض الصفات، فكلاهما ذكي ساخر متهمك يلجأ إلى الأساليب الغريبة وغير المعتادة، لكن بارنيت عالمه محدود مقارنةً بلوبين، وعلاقته بالنساء مفتوحة، فلا يجد حرجاً في خوض العلاقات الغرامية والتنقل بين النساء، بينما لوبين إذا تعلق بامرأة يسعى للزواج بها وهو يخشى أن ترفضه بسبب ما هو عليه.





ولا يوجد ما يدل على أن بارنيت هو لوبين سوى إشارات نادرة وردت في بعض قصص المجموعة، مثلما حدث في قصة «السرقة العجيبة»، عندما أعلن المجرم -بعدها كشفه بارنيت- أن لا أحد يمكنه أن يقهره بتلك الطريقة سوى أرسين لوبين، أو عندما أشار بيشو، في قصة «رسالة غرام من الملك جورج»، إلى أن براءة بارنيت تُذكره بأرسين لوبين! فقط إشارات عابرة كهذه هي ما استخدمها لوبلان للربط بين الشخصيتين، وأعتقد أن هذه الإشارات النادرة ربما أضيفت في اللحظة الأخيرة، عندما قرر لوبلان أن يكون بارنيت هو لوبين.

لكني أعترف، عندما كنت صغيرًا لم يشغلني هذا الأمر، ولم أفكر فيه كما فكرت فيه الآن. كنت فقط سعيدًا بقراءة مجموعة قصص أخرى لأرسين لوبين يظهر فيها بمظهر جديد واسم جديد، وإن تضايقتُ من تهكُّمه واستهزائه ببيشو، الذي بدا لي ساذجًا طيب القلب رغم عصبيته، ووصل الأمر بي إلى الضيق والنفور عندما أخذ بارنيت طليقته منه، بعد أن حل قضية سرقة شقتها وأثار إعجابها، ثم سافر معها في رحلة غرامية عبر أوروبا، وهو يعلم أن بيشو ما زال متعلقًا بها ويأمل أن يجتمعا معًا مرة أخرى (73). أشعرتني هذا التصرف -الذي عرضه لوبلان في شكل مقلب يقوم به بارنيت في بيشو- بدناءة لوبين ونذالته مع صديقه!

ومع اختفاء جانيمار في تلك المرحلة، ظل بيشو -الذي وردت إشارة أكثر من مرة أنه من تلاميذ جانيمار- مستمرًا معنا، فظهر كذلك في روايتي «المسكن الغامض» (74) (1929)، و«البيت الريفي» (1931).

وفي رواية «المفتش فيكتور» (75) (1934) -وهي من أواخر قصص أرسين لوبين- نجد لوبين وقد انتحل شخصية المفتش فيكتور، بعد وقوع عدة سرقات نُسبت زورًا إلى أرسين لوبين، فقام بمطارد السارق. ولم تكن هذه المرة الأولى التي يعمل فيها لوبين منتحلًا شخصية مفتش شرطة، فمن قبل شاهدناه في رواية «813»، وقد انتحل وظيفة مدير الشرطة السرية ذاته.



ماضي أرسين لوبين



لم يمنحنا موريس لوبلان معلومات كافية عن أرسين لوبين سوى على مدى سنين طويلة. فكما ذكرنا، القصة الأولى تبدأ بلوبين وهو مكتمل الشهرة وسمعته معروفة، لكن في نفس الكتاب الأول -«أرسين لوبين اللص الجنتلمان»- نجد في قصة «عقد الملكة» ما يشير إلى بدايات أرسين لوبين، ونعرف اسمه الحقيقي. اسمه راؤول وكان يعيش مع أمه هنرييت التي تعمل خادمة. وهو في عمر ست سنوات سرق عقدًا ثمينًا يخص الملكة ماري أنطوانيت، وأُثِّمَت أمه بذلك وطُردت من عملها (76).

وفي قصة «خزانة مدام إمبير» نعرف أن اسم «أرسين لوبين» هو اسم مستعار، أطلقه على نفسه مصادفةً. فعندما بدأ يسعى لسرقة ملايين آل إمبير حاول التعرف عليهم، وعندما سأله الرجل عن اسمه أخبره بأول ما تبادر إلى ذهنه، وكان «أرسين لوبين»، ثم أعجبه الاسم فاتخذه علمًا على نفسه في عالم اللصوصية وصار يُعرَف به في كل مكان (77).

وفي مسرحية «أرسين لوبين»، نتعرف على مرضعته فيكتوار، التي اعتنت به منذ طفولته، وفي رواية «813»، نكتشف أن لديه ابنة تُدعى جنيفيف أنجبها من مغامرة قام بها مع إحدى السيدات، وتركها لتتربى بعيدًا عنه، وإن كان يعتني بها عن بُعد دون أن يكشف حقيقة شخصيته لها، لخشيته أن تحتقره لأنه لص خارج عن القانون.

ظلت المعلومات التي تصل إلينا عن لوبين متفرقة وقليلة، إلى أن طالب القراء موريس لوبلان بأن يوضح لهم قصة أرسين لوبين الحقيقية وكيف صار إلى ما صار إليه، واستجاب لهم لوبلان، فكانت رواية «كونتيسة كاغليوسترو» (78) (1924). في تلك الرواية عرفنا أن





الاسم الحقيقي لأرسين لوبين هو راؤول داندريزي (79)، وعرفنا أيضًا كيف اكتسب مهاراته المتعددة. كان ابنًا لمدرّب ملاكمة وجمباز يُدعى ثيوفراست لوبين، أما أمه فهي هنرييت داندريزي. وهكذا فلقب «لوبين» هو لقب أسرته فعلاً، وليس اسماً مستعاراً اخترعه مصادفةً كما فهمنا في قصة «خزانة مدام إمبير».

ومن والده تعلّم الملاكمة والمصارعة اليابانية، ثم درس الطب -ومنه اكتسب مهارته في التنكر وتغيير شكل ملامح الوجه- والقانون والفنون -وهذا يبرر ولعه بسرقة اللوحات والتحف الفنية- وبالإضافة إلى ذلك فقد أتقن عدة لغات، منها اللغة اللاتينية.

ومن خلال هذه الرواية يربط لوبلان أحداث روايات لوبين السابقة بعضها ببعض. فأمه هنرييت -التي رأيناها كخادمة في قصة «عقد الملكة»- تنتمي في الأصل إلى عائلة غنية، لكنها تحب ثيوفراست لوبين، الذي ينتمي إلى بيئة متواضعة، وتتزوجه رغماً عن أهلها، فيقاطعونها. لكن يتضح لاحقاً أن ثيوفراست يعمل لئلاً ويُقبض عليه في أمريكا ويموت في السجن، فتظل هنرييت وحيدة مع ابنها الصغير راؤول، وتضطر إلى العمل في بيت قريبتها الكونتيسة دي دور سوبيز، وعندما يراها ابنها راؤول تعاني -وكان يمتلك ذكاءً وطموحاً يفوقان سنه- يسرق عقد الملكة ماري أنطوانيت الذي كانت الكونتيسة تحتفظ به، فتتهم هنرييت بذلك وتُطرد، كما رأينا في قصة «عقد الملكة».

وعندما يصير شاباً، يتعرف على الكونتيسة كاغليوسترو، وهي شخصية داهية يحيطها الغموض وتُنسج حولها الأساطير، ومنها يتعلم الكثير، ويصير الشخص الذي نعرفه. لكن كاغليوسترو تتحول إلى لعنة في حياته، حتى بعد أن ينقلب عليها ويخوض صراعاً ضدها وينتصر، إذ تنتقم منه باختطاف ابنه الصغير.

كان لوبين قد تزوج بفتاة يحبها اسمها كلاريس، وعاش معها ست سنوات في سعادة، وفي الخفاء بدأ في ممارسة سرقاته





وإنشاء عصابته، إلى أن تُنجب كلاريس ابنتهما، وتُتوفى أثناء الولادة، وتكتمل المصيبة باختفاء الطفل الوليد، ويعرف لوبين أن كاغليوسترو اختطفته انتقامًا منه.

ينغمس لوبين بعد ذلك في حياة السرقة، ويصير الشخصية التي نعرفها، ويحاول حل ألغاز كاغليوسترو الأربعة، فقد كان لديها مرآة أثرية على ظهرها لغز شعري يتحدث عن أربعة كنوز تاريخية:

«إذا عرفتها، فلا يعني هذا أنك فككتها

إليك هذه الألغاز الأربعة:

في جذع البلوط تجد الكنز

مخبوء تحت بلاطة ملوك بوهيميا

ثروة ملوك فرنسا

الشمعدان ذو السبعة فروع».

وخلال الرواية ينجح لوبين الشاب في حل اللغز الأول، والمتعلق بشمعدان ذي سبعة فروع، ونعرف أنه حل اللغز الثاني في «المسلة الجوفاء»، والذي اكتشف من خلاله كنز ملوك فرنسا المخبوء في المسلة الجوفاء، وحل اللغز الثالث في رواية «جزيرة الثلاثين تابوتًا»، والمتعلق بلوح ملوك بوهيميا. أي إن سعي لوبين خلال مغامراته السابقة كان في الأساس من أجل كشف تلك الألغاز التي وقعت في طريقه منذ مغامرته الأولى، وبذلك ربط موريس لوبلان الروايات بعضها ببعض.

أما اللغز الرابع والأخير فقد قدّمه لوبلان في رواية «دوروثي راقصة الحبل» (1923)، وهي رواية لم يظهر فيها أرسين لوبين، لكن كثير من القراء يعتبرونها جزءًا من سلسلة مغامراته بسبب وجود حل اللغز الرابع والأخير فيها.

وظل مصير ابنه المخطوف مجهولًا، إلى أن يكشفه لنا لوبلان في



رواية «انتقام كاغليوسترو» (1935)، والتي يعتزل فيها لوبين العمل، ويشترى منزلاً ليعيش فيه، ويطلب من المهندس الشاب فيليسان شارلز أن يقوم ببعض الإصلاحات في منزله الجديد، لكن تحدث جريمة قتل ويُتهم فيليسان بها، ويكتشف لوبين أن هذا الشاب ليس سوى ابنه جان، الذي اختطفته كاغليوسترو منذ ما يزيد على ربع قرن، وأنشأته ليكون لُصاً ماهراً مثل أبيه.



أرسين لوبين القديس!



نشر موريس لوبلان ما يقرب من ستين مؤلفاً، منها 21 عملاً فقط ضمن سلسلة مغامرات أرسين لوبين، ما بين عاقي 1905 و1941، أغلب هذه الأعمال كانت تُنشر مسلسلةً أولاً، ثم تُجمع في كتاب لاحقاً، وكلها روايات ما عدا خمسة أعمال عبارة عن مجموعة من القصص أو الروايات القصيرة، وهي: «أرسين لوبين اللص الجنتلمان» (1907)، وتحتوي 9 قصص، «أرسين لوبين يواجه شرلوك هولمز» (1908)، وتحتوي روايتين قصيرتين، «اعترافات أرسين لوبين» (1913)، وتحتوي 9 قصص، «دقات الساعة الثمانية» (1923)، وتحتوي 8 قصص، وأخيراً «وكالة بارنيت وشركاه» (1928)، وتحتوي 8 قصص.

بالإضافة إلى ثلاث روايات قصيرة لم تُنشر في مجموعات، هي: «معطف لوبين» (1926)، «الرجل ذو بشرة العنزة» (1927)، «خاتم الزمرد» (1930)، ليصير المجموع 34 قصة قصيرة، 5 روايات قصيرة، بالإضافة إلى 16 رواية، و5 مسرحيات، هي الأعمال الكاملة التي كتبها موريس لوبلان عن أرسين لوبين.

في أثناء طفولتي، لم يكن قد تُرجم من مغامرات أرسين لوبين إلى العربية -حسب علمي وما وصل إليّ- سوى ثلاثة عشر عملاً فقط، وتتبع هذه الأعمال في غاية الصعوبة، إذ كان المترجمون العرب يترجمون الأعمال بغير عناوينها الأصلية، وأحياناً يأخذون بعض القصص أو الروايات القصيرة ويترجمونها وحدها بعد تغيير عناوينها، أو يضمون معاً مجموعة من القصص التي تنتمي إلى أكثر من مجموعة قصصية، فكان الأمر يبدو وكأنهم أحضروا قصص أرسين لوبين وخلطوها ثم أعادوا توزيعها كيفما اتفق!

وكثير من قصص أرسين لوبين المترجمة -خصوصاً في سلسلة





«مغامرات أرسين لوبين» التي أصدرتها سلسلة روايات الجيب- كانت تُنشر دون ذكر اسم المترجم، وأحياناً بعنوان مختلف، فلا يمكننا معرفة الأصل الذي أخذت منه سوى من خلال مقارنة الأحداث بعضها ببعض.

والظاهرة الأكثر غرابة في ترجمات قصص أرسين لوبين، والتي خدعت كثيراً من القراء، أن الغالبية العظمى من الأعمال المترجمة باعتبارها من مغامرات أرسين لوبين، لا علاقة لها بأرسين لوبين! أغلبها في الأصل تنتمي إلى سلسلة «القديس» التي كتبها الروائي الإنجليزي ليزلي تشارتريس، وتُرجم الكثير منها بعد أن استبدلوا اسم القديس باسم «أرسين لوبين»، لأنه الأشهر لدى القارئ العربي.

مثلاً رواية «أرسين لوبين في قاع البحر» (80) تبدأ كالتالي:

«لم يكن هناك مَنْ يعرف -على وجه التأكيد- مكان أرسين لوبين».

أما رواية «القديس في قاع البحر» (81) فتبدأ:

«لم يكن هناك مَنْ يعرف -على وجه التأكيد- مكان سيمون تمبلر الملقب بالقديس».

أما رواية «أرسين لوبين في نيويورك» (82)، فنجد في بدايتها:

«من إدارة سكوتلانديارد بلندن إلى مدير بوليس مدينة نيويورك...

سيدي العزيز،

يجب أن نخطر ببالنا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن أرسين لوبين رحل عن هذه البلاد وأنه موجود في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر».

وإذا ذهبنا إلى رواية «القديس في نيويورك» (83) فسنجد:

«من إدارة سكوتلانديارد بلندن إلى مدير بوليس مدينة نيويورك...

سيدي العزيز،



يجب أن نخطر ببالنا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن سيمون تمبلر المعروف باسم القديس رحل عن هذه البلاد وأنه موجود في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر».

فقط اسم مكان اسم. وكما هو واضح، فإن التطابق في الترجمة أيضًا مثير للتساؤلات!

وهكذا امتلأت المكتبة العربية بعشرات الروايات المترجمة التي تحمل اسم أرسين لوبين ومكتوبًا عليها أنها من تأليف موريس لوبلان، في حين أنها في الواقع من مغامرات القديس وتأليف ليزلي تشارتريس. هذا أدى إلى أننا صرنا نرى أرسين لوبين في بيئات غريبة وغير معتادة في عالمه، فنجدته مثلًا في أمريكا، نجده في روسيا، نجده في أزمان تلت الحرب العالمية الثانية، وفي أجواء أكثر حداثة من الأجواء المعتادة في مغامراته، نجده يميل إلى مغازلة النساء وإقامة علاقات معهن، في حين أن كل هذا ليس سوى سيمون تمبلر المعروف بالقديس!

في صغري قضيتُ ساعات طويلة أطلع مغامرات أرسين لوبين، وأندعش من غزارة إنتاج موريس لوبلان، وأحاول تخمين المراحل التي مرت بها الشخصية وجعلتها تظهر في كل تلك العصور، ثم وأنا في الجامعة بدأت أتعرف على مغامرات القديس لدى بائع الكتب القديمة أمام كليتي، وفوجئت بأن بعضها قرأته في الماضي باعتباره من مغامرات أرسين لوبين، وهكذا بدأت أدرك الحقيقة.

وفي اعتقادي، فإن أكثر دار نشر التزمت بترجمة أعمال أرسين لوبين الأصلية، دون أن تُدخِل عليها قصصًا أخرى من أعمال مؤلفين آخرين غير موريس لوبلان، كانت دار معروف إخوان، التي ترجمت مجموعة كبيرة من روايات وقصص أرسين لوبين في سلسلة «مجموعة أرسين لوبين»، ثم في طبعة لاحقة أسمتها «أشهر القصص اللصوية»، وجميعها من ترجمة محمد عبد المنعم جلال، وإن كان يعيب بعض ترجماتها كثرة الأخطاء المطبعية.



أما دار ميوزك، والتي أصدرت سلسلة «أرسين لوبين» في 64 كتيبًا، المفروض أنها تحوي الأعمال الكاملة لمغامرات هذه الشخصية، فلم تحو من مغامراته الأصلية سوى ما يقرب من عشرة كتيبات فقط، والبقية كانت من مغامرات القديس التي نُسبت زورًا إلى أرسين لوبين.

وروايات القديس هي سلسلة روايات بدأها الكاتب الإنجليزي ليزلي تشارتريس سنة 1927 -في ذروة نجاح روايات أرسين لوبين- وكان متأثرًا فيها حتى الثمالة بشخصية لوبين ومغامراته. السلسلة بطلها مغامر إنجليزي اسمه سيمون تمبلر، ومثله كمثل أرسين لوبين؛ يحب المغامرات وخوض المخاطر، لكن المؤلف استفاد هذه المرة من الخطأ الذي وقع فيه موريس لوبلان -ودفعه لاحقًا إلى محاولة التنصل من شخصية أرسين لوبين- فجعل بطله من البداية يسرق ضمن مبدأ مثالي واضح: أن يأخذ من الأغنياء ليعطي الفقراء. فدائمًا نجد القديس يتبرع بمبلغ 10 % من أي سرقة يقوم بها للجمعيات الخيرية، ودائمًا يؤكد -أو تؤكد الشخصيات من حوله- أنه نصير الفقراء وعدو الأغنياء، وأنه في حرب لا هوادة فيها ضد المجرمين والخارجين عن القانون، وأنه روبين هود العصر الحديث، دون توضيح لماذا يفعل هذا أو ما هي دوافعه!

لكنه على الجانب الآخر مختلف عن لوبين في كثرة علاقاته النسائية، ويتخذ من السخرية طابعًا عامًا لشخصيته كلوبين، لكن سخريته ليست ظريفة ولاذعة مثل هذا الأخير. وكما يترك لوبين وراءه بطاقة تحمل اسمه، سيمون تمبلر أيضًا كان يترك بطاقة لا تحوي سوى رسم كاريكاتوري لشخص فوق رأسه هالة القديسين، وهو اللوجو الذي اعتمد للسلسلة.

والحقيقة أنني عانيت كثيرًا لأفرز قصص القديس من قصص أرسين لوبين وأفرق بينهما، وفي النهاية وضعت عدة معايير يمكن من خلالها تخمين إن كانت هذه قصة للقديس أم لأرسين لوبين. أرسين





لوبين كل مغامراته تدور في فرنسا، بينما القديس بدأ مغامراته في إنجلترا، وانتقل بعدها إلى أمريكا، وظل يتنقل بين البلدين، كما زار روسيا وبعض البلدان الأخرى. ولوبين مغامراته تدور في الثلث الأول من القرن العشرين، قبيل الحرب العالمية الثانية، في أجواء القصور ومع النبلاء الفرنسيين، فالشخصيات التي يسطو عليها في الغالب تحمل ألقاب كونت ودوق وماركيز وبارون، بينما القديس مغامراته تدور في أجواء أكثر حداثة، معظمها يقع في الفترة من الثلاثينيات حتى السبعينيات، وأغلب من يتعامل معهم من المليونيرات والمستثمرين، بالإضافة إلى إنه في مرحلة معينة سيبدأ في التركيز على محاربة العصابات والمجرمين والجواسيس والوقوف في طريقهم، وسيصدر عفو عام في حقه بعد أن يُسدي خدمات جليلة للحكومة، فيبدأ في العمل باسمه الحقيقي دون خشية أن يُلقى القبض عليه، بل إنه سيعمل كمحقق خاص -تمامًا كما فعل لوبلان مع أرسين لوبين في مرحلته الأخيرة- ويساعد الناس في تجاوز المحن التي يمرون بها.

من الأمور التي تساعد أيضًا في التفرقة بين مغامرات أرسين لوبين والقديس، أن الأخير يتخذ لنفسه بعض الأسماء المشهورة، كما تن ديل مثلًا، والمفتش الذي يواجهه ويتصارع معه هو المفتش تيل من إدارة سكوتلانديارد، وصديقه المقربة التي تظهر في كثير من مغامراته هي باتريشيا هولم، ومن ضمن أصدقائه وأعضاء عصابته الذين يشاركونه قصصه أشخاص مثل روجر كونوي وهوبي بريجز.

كل هذه أسماء وأجواء إن وجدتها في مغامرة لأرسين لوبين، فاعلم أنك تقرأ مغامرة للقديس.

ولا يتوقف الأمر على روايات القديس فقط، أذكر أنني وقعت في يدي ذات مرة رواية مترجمة لأرسين لوبين، فلما تصفحتها اكتشفت أنها لبوارو بطل أجاثا كريستي، وغيّر المترجم اسم بوارو وجعله أرسين لوبين، وهكذا أصبح لوبين عجوزًا بطيء الحركة؛ تحدث جريمة



في الفندق الذي يقيم فيه ويطلب منه أن يُحقّق فيها، فيأخذ في
استجواب المشتبه فيهم إلى أن يكتشف القاتل!



من روكامبول إلى رافلز

أرسين لوبين كبطل مغامرات بوليسية ذات طبيعة مغايرة للمألوف، لم يكن الشخصية الأولى من نوعها، فقد كانت هناك قبله مغامرات أبطالها لصوص نبلاء يعملون من أجل الخير، ولا بد أن موريس لوبلان تأثر بتلك النماذج قبل أن يصيغ شخصيته.

هناك مثلًا شخصية «روكامبول»، التي كتبها الفرنسي بونسون دي برايل في الفترة من 1857 وحتى وفاته سنة 1871، وروكامبول كان في البداية مجرمًا شريرًا يفتك بالأبرياء، لكنه لم يلبث أن تاب واتجه إلى الخير ومساعدة الناس، مستغلًا مهاراته الإجرامية في تحقيق ذلك. عندما قرأت بعض مغامرات هذه الشخصية في طفولتي كنت أشعر بالفزع! الروايات دموية، وأحداثها شديدة العنف!

وهناك شخصية «رافلز» التي اخترعها الكاتب الإنجليزي إرنست ويليام هورنونج (84) سنة 1898، وربما هذه الشخصية هي الأقرب لشخصية أرسين لوبين، فهو لص ينتمي إلى الطبقة الراقية، ينخرط في التجمعات الأرستقراطية في الصباح، ويسطو على ما لديهم من تحف ونفائس في الليل، ويقال إن الصحفي بيير لافيت عندما عرض على موريس لوبلان أن يكتب قصة قصيرة، طلب منه أن تكون على غرار «رافلز»، فجاءت قصته الأولى «اعتقال أرسين لوبين»!

وربما الاختلاف الواضح بين «رافلز» و«أرسين لوبين»، أن الأول ينتمي إلى المجتمع الراقى، بينما لوبين منقسم ومتذبذب بين انتمائه إلى المجتمع الراقى من خلال أصول عائلة أمه هنرييت داندريزي، وبين انتمائه إلى الطبقة البسيطة من خلال أصول والده ثيوفراست لوبين. وطوال مغامراته نجد لوبين يتصرف أحيانًا كشخص راقٍ ومهذب، وأحيانًا أخرى نراه كشخص ينتمي إلى الرعاع، خصوصًا عندما يكون بين أفراد عصابته، أو عندما يواجه أفراد الشرطة ويتهم عليهم. وربما

يتضح هذا التذبذب في انتحاله شخصيات نبلاء، مثلما فعل عندما ادعى أنه الأمير بول سرنين في رواية «813»، أو عندما صار الأمير سيرج رنين في مجموعة «دقات الساعة الثمانية».

أما في الواقع، فكانت هناك شخصية الفوضوي الفرنسي ماريوس جاكوب، الذي وُلد عام 1879، ولا يمكننا ألا نرى التشابه بين شخصيته وشخصية أرسين لوبين، فقد كان ماريوس فوضويًا يعمل ضد السلطة، وكوّن عصابة لسرقة الأشخاص الذين يمثلون النظام الاجتماعي ويدافعون عنه، كرجال الدين والشرطة والقضاة والرؤساء، أو أصحاب المهن التي يراها غير منتجة، كالأطباء والمهندسين والفنانين، واشتهر بروح المرح، فكان يُوقّع جرائمه باسم «إله اللصوص»، ويترك ملاحظات ساخرة في الأماكن التي يسرقها، ووضع نظامًا صارفًا لعصابته بألا يسفكوا الدماء تحت أي ظرف، إلا في حالة الدفاع عن النفس.. وكل هذه أشياء في شخصية أرسين لوبين. بدأ ماريوس سرقاته عام 1900، وألقي القبض عليه وحوكم عام 1905، وهو العام نفسه الذي نشر فيه موريس لوبلان قصة أرسين لوبين الأولى!

ومع كل هذه التشابهات، إلا أن موريس لوبلان رفض الاعتراف بتأثره بأيّ منها، ولم يُصرّح بأصول شخصيته قط.

ورغم أن آخر رواية كتبها موريس لوبلان عن أرسين لوبين، والتي جاءت بعنوان «مليارات أرسين لوبين»، نُشرت سنة 1941، فإن العالم كان على موعد مع رواية أخيرة لأرسين لوبين نُشرت سنة 2012!

فبينما كانت فلورنس بوسفلوغ لوبلان -حفيدة موريس لوبلان- تبحث في متعلقاته، اكتشفت مسودة رواية قديمة لأرسين لوبين لم تُنشر، تحمل عنوان «العشق الأخير لأرسين لوبين». كتبها لوبلان سنة 1936، ثم أُصيب بجلطة دماغية منعه من إنهاؤها وتنقيحها، وكانت الرواية تحوي الكثير من الأخطاء، ومع ذلك نُشرت احتفالاً بالذكرى السبعين لوفاة موريس لوبلان، لتكون الرواية الأخيرة التي تظهر فيها شخصية أرسين لوبين بشكل رسمي.

الأعمال الكاملة لأرسين لوبين

تأليف موريس لوبلان،

كما صدرت في النسخة الفرنسية الأصلية

1 - أرسين لوبين: اللص الجنتلمان (1907): تُرجمت قصص: «اعتقال

أرسين لوبين» - «أرسين لوبين في السجن» - «هروب أرسين لوبين»

- «المسافر الغامض» - «سبعة الكبة»، في كتاب «اللس الظريف»،

ترجمة محمد عبد المنعم جلال، ومن إصدار دار معروف إخوان.

· أما قصص: «عقد الملكة» - «خزانة مدام إمبير» - «شيلوك هولمز

يصل متأخرًا»، فترجمت في مجموعة «عودة أرسين لوبين»، لنفس

المترجم ودار النشر.

2 - أرسين لوبين ضد هرلوك شولمز (1908): تُرجمت قصة «السيدة

الشقراء»، في كتاب «الجائزة الكبرى»، ترجمة محمد عبد المنعم جلال،

ومن إصدار دار معروف إخوان، وتُرجمت قصة «الشمعدان اليهودي»

باسم «المصباح الفضي» في كتاب «الفخ الرهيب»، ترجمة برنارد

الأسطه، ومن إصدار دار ميوزك.

3 - المسلة الجوفاء (1909): ترجمها بسام حجار بنفس العنوان، في

السلسلة البوليسية، من إصدار دار صوت الناس.

4 - 813 (1910): تُرجمت ترجمة مختصرة بنفس العنوان ضمن سلسلة

«مغامرات أرسين لوبين» في سلسلة روايات الجيب، دون ذكر اسم

المترجم.

5 - سداة الكريستال (1912): ترجمها إبراهيم جزيني بنفس العنوان،

في السلسلة البوليسية، من إصدار دار صوت الناس.

6 - اعترافات أرسين لوبين (1913): تُرجمت قصص: «ألعاب الشمس» -

«عود القش» - «دبلة الزواج» - «الإيشارب الأحمر»، في كتاب «الجائزة

الكبرى»، ترجمة برنارد الأسطه، ومن إصدار دار ميوزك.



وُترجمت قصة «إشارة في الظلام» في كتاب «عودة أرسين لوبين» (الذي احتوى كذلك على ترجمة أخرى لقصة «الإيشارب الأحمر»)، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، ومن إصدار دار معروف إخوان.

وُترجمت «زواج أرسين لوبين» في كتاب «ذو الوجهين» (الذي احتوى كذلك على ترجمة أخرى لقصة «دبلة الزواج»)، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، ومن إصدار دار معروف إخوان.

وُترجمت قصة «إديث سوان» في كتاب «السرقة العجيبة»، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، ومن إصدار دار معروف إخوان.

وُترجمت قصة «الموت الذي يحوم» باسم «الإرث المشؤوم» في كتاب «غريم شرلوك هولمز» (الذي احتوى كذلك على ترجمة أخرى لقصة «إديث سوان» و«زواج أرسين لوبين»)، ضمن سلسلة «مغامرات أرسين لوبين» في سلسلة روايات الجيب.

وُترجمت قصة «الفخ الرهيب» في كتاب «الفخ الرهيب»، ترجمة برنارد الأسطه، ومن إصدار دار ميوزك.

7 - شظية القذيفة (1916)

8 - المثلث الذهبي (1918)

9 - جزيرة الثلاثين تابوًا (1919)

10 - أسنان النمر (1921): تُرجمت مُجَزَّأَةً على كتابين: «أسنان النمر»، و«الميراث المشؤوم»، ترجمة برنارد الأسطه، ومن إصدار دار ميوزك.

11 - دقائق الساعة الثمانية (1923): تُرجمت ست قصص منها -من أصل ثمانية- في كتاب «البرنس أرسين لوبين»، ترجمة برنارد الأسطه، ومن إصدار دار ميوزك.

12 - كونتيسة كاغليوسترو (1924): ترجمها محمد عبد المنعم جلال ترجمة مختصرة بعنوان «امرأة أرسين»، من إصدار دار معروف إخوان.





13 - الأنسة ذات العيون الخضراء (1927)

14 - وكالة بارنيت وشركاه (1928): تُرجمت قصصها الست الأولى في مجموعة «سر عقد اللؤلؤ»، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، ومن إصدار دار معروف إخوان، وتُرجمت آخر قصتين في مجموعة «السرقعة العجيبة»، لنفس المترجم ودار النشر.

كما أُعيد ترجمة أربع قصص منها في كتاب «أرسين لوبين بوليس سري»، ترجمة برنارد الأسطه، ومن إصدار دار ميوزك.

15 - المسكن الغامض (1929): تُرجمت بعنوان «لغز القصر المهجور»، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، ومن إصدار دار معروف إخوان.

16 - البيت الريفي (1931)

17 - المرأة ذات الابتسامتين (1933): تُرجمت بعنوان «ذو الوجهين»، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، ومن إصدار دار معروف إخوان.

18 - المفتش فيكتور (1934): تُرجمت بعنوان «أرسين لوبين بوليس آداب»، ترجمة برنارد الأسطه، ومن إصدار دار ميوزك.

19 - كاغليوسترو تنتقم (1935)

20 - مليارات أرسين لوبين (1941)

21 - العشق الأخير لأرسين لوبين (2012)

بالإضافة إلى ثلاث روايات قصيرة:

- معطف أرسين لوبين (1926)

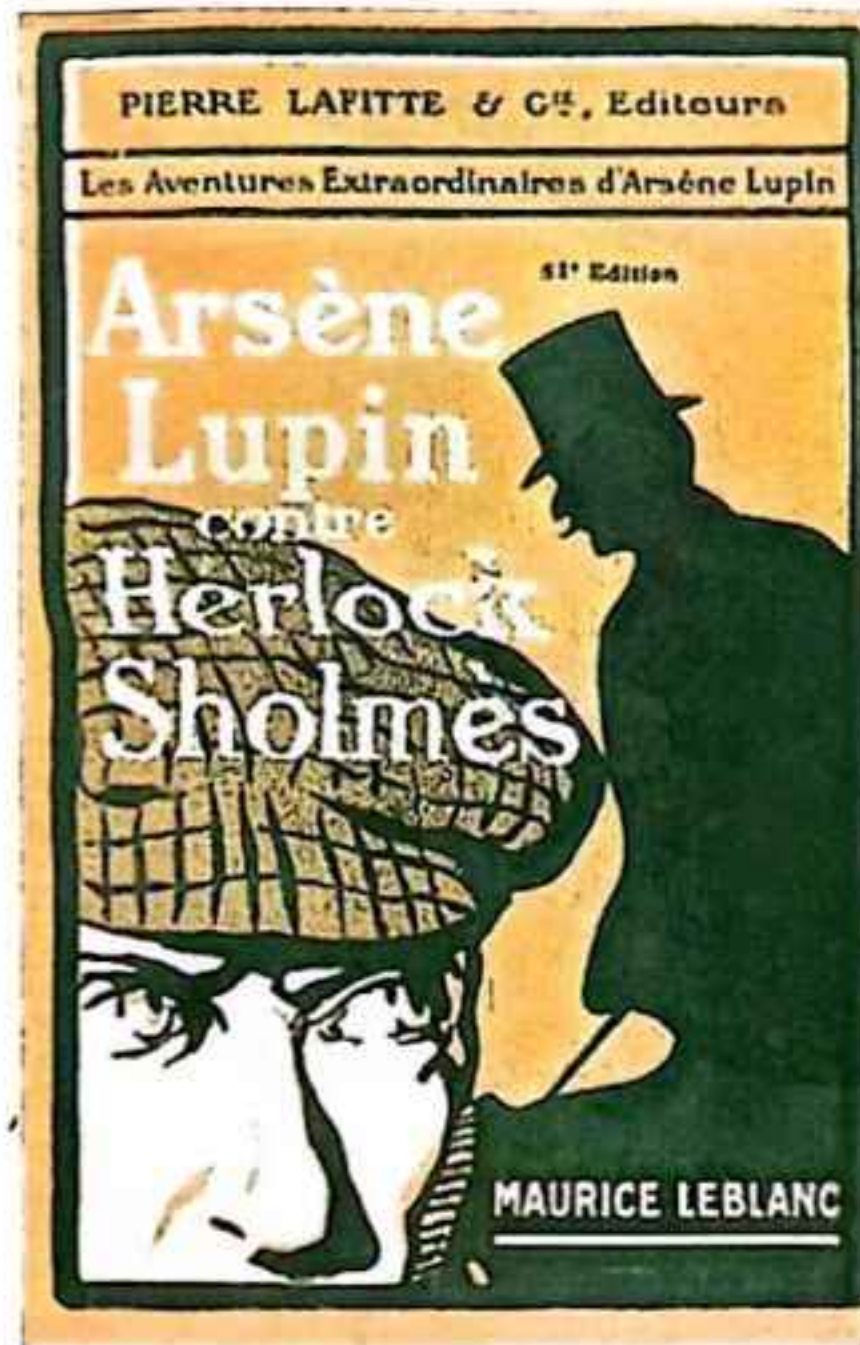
- الرجل ذو بشرة العنزة (1927): تُرجمت مع قصص أخرى في كتاب «الخدعة الكبرى»، ترجمة برنارد الأسطه، ومن إصدار دار ميوزك.

- خاتم الزمرد (1930): تُنشر عادةً في الطبعات الفرنسية مع قصة «الرجل ذو بشرة العنزة» في كتاب واحد، وأحياناً أخرى تُوضع مع «وكالة بارنيت وشركاه».





الطبعة الأولى من كتاب أرسين لوبين الأول، أرسين لوبين اللص
الجنّلمان



كتاب أرسين لوبين الثاني، أرسين لوبين يواجه هرلوك شولمز



أحد أغلفة مجلة روايات الجيب لروايات أرسين لوبين

الغرفة الصفراء

رواية بوليمية حافلة باروع المفاجات

بطلها اللص الخريف
أرسين لوبين

للكاتب الفرنسي الكبير
موريس لبلان

حقوق الطبع محفوظة
لمجلة روايات الجيب





الغلاف الداخلي من طبعة روايات الجيب لروايات أرسين لوبين، وفيه يظهر التوضيف المعتاد: رواية بوليسية حافلة بأروع المفاجآت، بطلها اللص الظريف أرسين لوبين



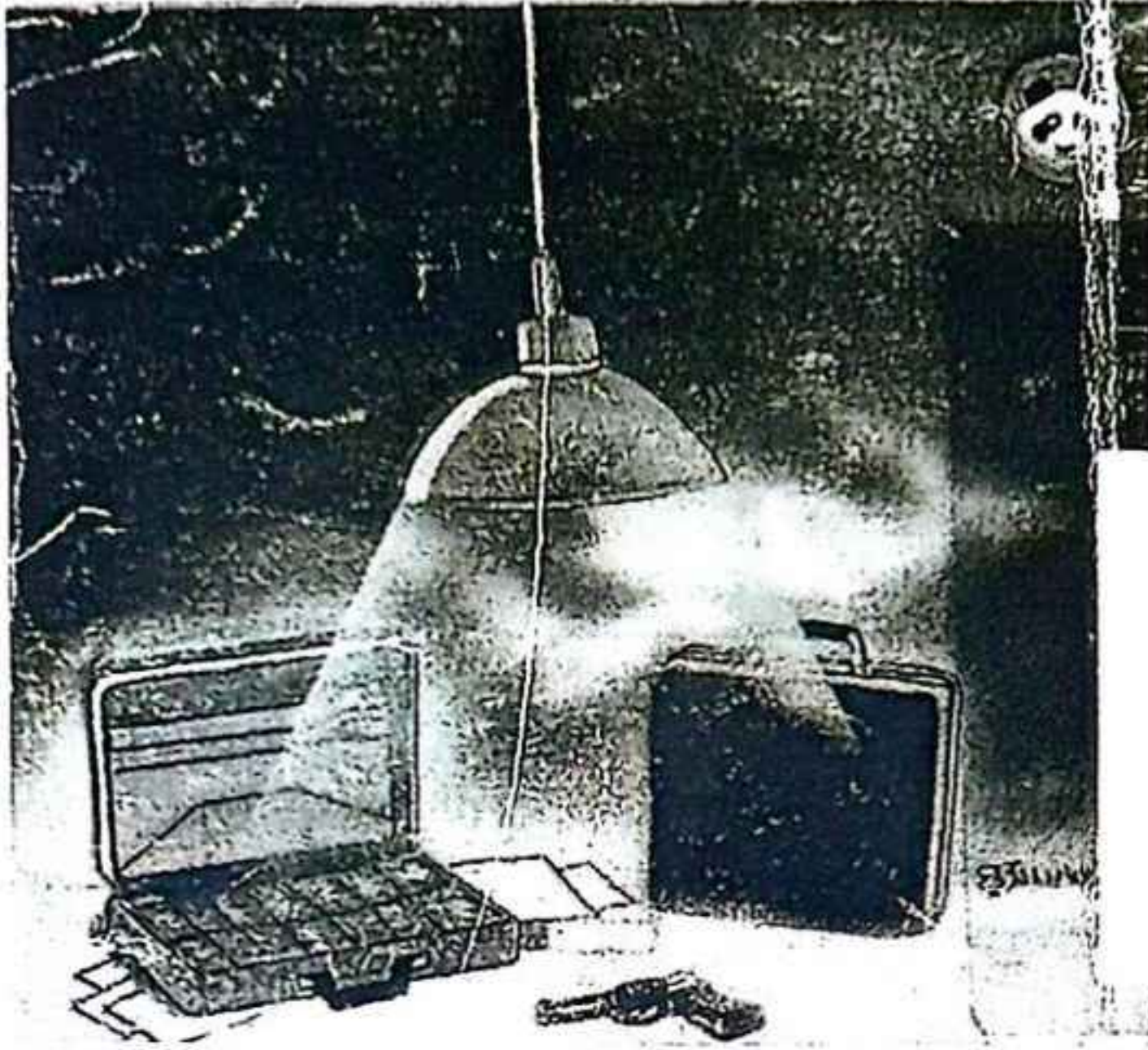
لوجو مجلة روايات الجيب لسلسلة أرسين لوبين، والذي اعتاد القراء أن يجده في الطرف العلوي الأيمن من الغلاف



أحد أغلفة دار معروف أخوان لروايات أرسين لوبين

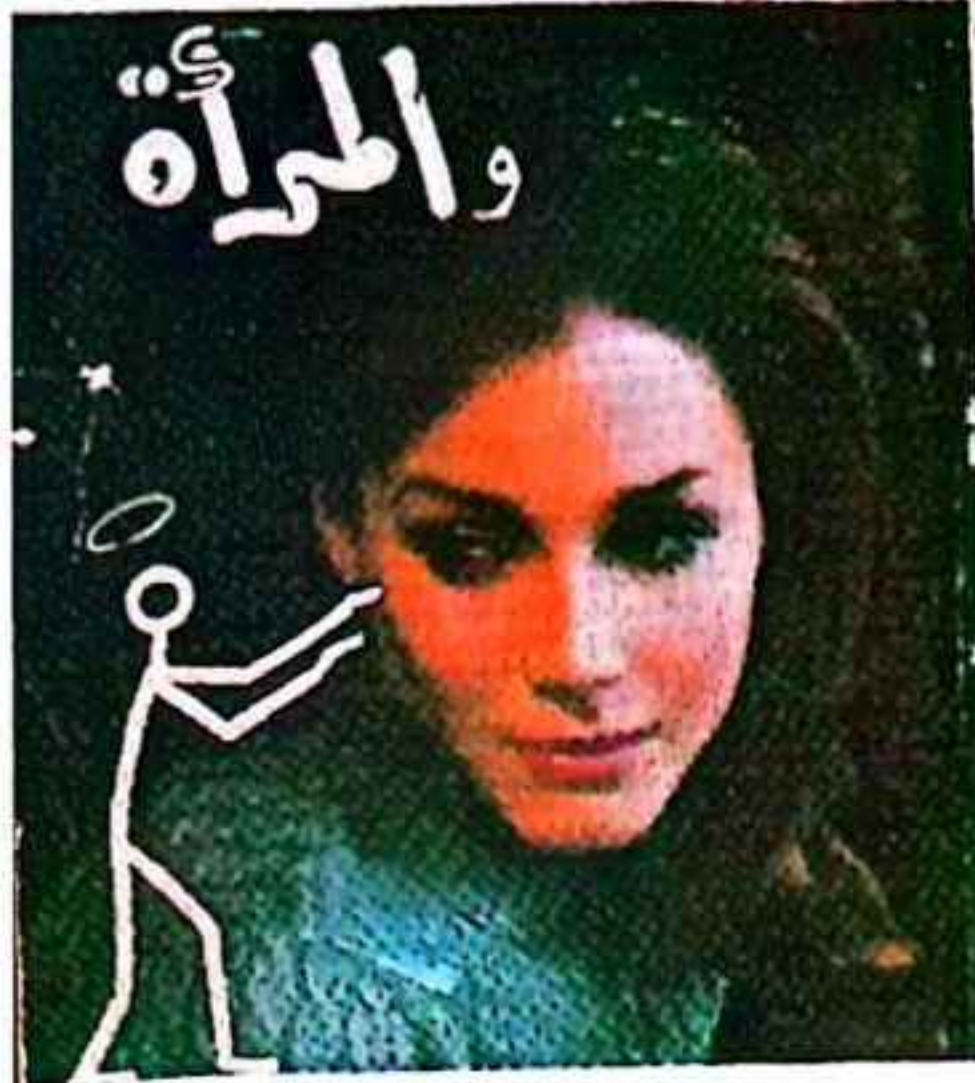


السرقفة العجيبة



أحد أغلفة الطبعة القديمة من روايات أرسين لوبين، التي أصدرتها
دار معروف أخوان

الفتديس..



معلم: توفيق مزيمير، ليسانس في الفنون المسرحية - جامعة القاهرة

أحد أغلفة روايات القديس



أحد أغلفة دار ميوزيك لروايات أرسين لوبين





لوجو روايات القديس، وهو نفسه الرمز المرسوم على البطاقات
التي يتركها القديس خلفه في مغامراته





آرثر کونان دوویل (۱۸۵۹ - ۱۹۳۰)



مغامرة النجاح الأيقوني

أعشق تأقُل وتسجيل اللحظات الاستثنائية، اللحظات التي يبلغ فيها نجاح المرء حدًا أيقونيًا، وبالتأكيد جاءت إحدى تلك اللحظات للطبيب الأسكتلندي آرثر كونان دويل صبيحة يوم 25 يوليو عام 1891، عندما نُشرت في مجلة The Strand قصته القصيرة الأولى، عن بطله المحقق الإنجليزي شرلوك هولمز، «فضيحة في بوهيميا».

أتخيله يومها جالسًا ينتظر ردود الأفعال. ربما في البداية كان متشككًا، وعندما بدأت الآراء الحارة تردده وتثني على عمله، ربما ظنّها آراءً لن تتكرر، آراءً أولية جيدة سيتلوها فتور أو انتقادات. لكن الأيام التالية ظلت تحمل له تقريظًا للقصة جعله يدرك أن الشخصية -أخيرًا- نجحت نجاحًا يفوق كل تصوراتها!

بالتأكيد لم يكن يتوقع ذلك، كان يظن أن القصة ستمر مرور الكرام على القراء ولن ينتبه لها أحد، فلماذا ينتبهون لقصة قصيرة لشرلوك هولمز وهم قد فوّتوا من قبل -وعلى مدى أربع سنوات- روايتين كاملتين لبطله، رغم ما بذله فيهما من جهد! لماذا ستلفت هذه القصة -التي لا تزيد صفحاتها على ثلاثين أو أربعين صفحة- انتباههم هذه المرة؟!

كتب روايته الأولى عن ذلك المحقق العبقري عام 1886، تحت عنوان «دراسة في القرمزي»، وعمره 27 عامًا، وحتى ذلك الوقت كان قد نشر عددًا لا بأس به من القصص القصيرة في مجلات مختلفة. كان الأدب يستهويه، وعندما جاءت فكرة كتابة رواية عن محقق عبقري لديه أساليبه الخاصة في الاستنتاج، أنهاها في ثلاثة أسابيع وحاول نشرها في أكثر من مجلة لكنه قوبل بالرفض في كل مرة، إلى أن نجح في نشرها بعد عام كامل في مجلة Beeton's Christmas Annual، ليكون عام 1887 هو العام الذي ظهرت فيه مغامرات



لكن الرواية لم تلقَ أي نجاح، لم ينتبه لها أحد، وأتخيل أن هذا الأمر أصاب دوويل بالإحباط الشديد، ومع ذلك لم ييأس، فبعد ثلاث سنوات نشر رواية شِركوك هولمز الثانية، «علامة الأربعة»، عام 1890، والتي كانت أفضل حظًا من أختها، لكن النجاح الذي حققته لم يكن كبيرًا. شخص غيره كان سييأس ويقرر التوقف عن الكتابة والتركيز أكثر على مهنته الأساسية كطبيب، أو على الأقل سيُنهي مغامرات بطله الذي لم يُقدِّره أحد، لكن دوويل لم يكن كاتبًا كغيره، ولا بطله شِركوك هولمز كان بطلًا عاديًا. لذلك في منتصف عام 1891 كتب قصة هولمز القصيرة الأولى، ثم هاله النجاح الذي حققته!

مُنن القراء الإنجليز بشخصية هولمز، جُثُوا بها. وأمام النجاح الذي حازته قصة «فضيحة في بوهيميا»، بدأ دوويل في نشر قصة من مغامرات شِركوك هولمز كل شهر، فقرأ الجمهور القصة الثانية، «عصبة ذوي الشعر الأحمر»، في أغسطس 1891، وظل القراء ينتظرون كل شهر قصة شِركوك هولمز التي تُنشر في مجلة The Strand، إلى أن نُشرت القصة الثانية عشرة، «مغامرة كوبر بيتشز»، في يونيو 1892، فتوقف دوويل عن نشر قصص شِركوك هولمز عدة أشهر لالتقاط الأنفاس، جمع خلالها القصص الاثنتي عشرة ونشرها في كتاب حمل عنوان «مغامرات شِركوك هولمز» في أكتوبر 1892.

وأمام تلهُّف القراء عاد دوويل لكتابة المزيد من قصص شِركوك هولمز، بدأها بقصة «مغامرة سيلفر بليز»، وأنهاها بعد اثني عشر شهرًا كالعادة بقصة «المشكلة الأخيرة»، التي نُشرت في ديسمبر 1893، ثم جُمعت القصص الاثنتي عشرة في كتاب واحد بعنوان «مذكرات شِركوك هولمز».

وبعد النجاح غير المسبوق الذي حققته قصص شِركوك هولمز الأربع والعشرين على مدار سنتين، ووسط احتفاء العالم كله بتلك الشخصية، والشهرة العالمية التي حازها المؤلف، والعوائد المادية



الهائلة التي حققها، ووسط تعطُّش القراء إلى مزيدٍ من القصص؛
توقف آرثر كونان دويل عن الكتابة عن شرلوك هولمز لثمانى سنوات!



١١٢٨ / ١١٢٨ / ١١٢٨



مغامرة الحب المتأخر



في طفولتي الأولى لم أنجذب كثيرًا إلى قصص شرلوك هولمز!

في المغامرات المترجمة كانت قصص أرسين لوپين هي الأمتع بالنسبة إليّ طوال المرحلة الابتدائية والإعدادية، تليها روايات أجاثا كريستي، ثم تأتي قصص شرلوك هولمز في المؤخرة. وعندما أفكر في هذا الآن وأحاول تحليله أجد أن أغلب أعمال شرلوك هولمز كانت قصصًا قصيرة، وربما هذا لم يجذبني كالروايات الطويلة التي تحوي أحداثًا متصلة وشخصيات نتابعها في مراحل مختلفة من صراعها مع قوى الشر. وبالإضافة إلى ذلك، فقصة شرلوك هولمز اعتمدت بشكل كبير على الحوار الذكي الذي يدور بين هولمز وصديقه واطسون، أو بين هولمز وعملائه الذين يلجؤون إليه ليحل قضاياهم الغامضة، وهذه الحوارات كانت تفقد كثيرًا من قيمتها في بعض الترجمات العربية التي اطلعت عليها في طفولتي، سواء لضعف الترجمة أو لاختصار بعض الحوارات.

وربما كذلك لم أنسجم مع جو القصص التي دارت في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حيث لا توجد هواتف ولا كهرباء ولا وسائل مواصلات حديثة، وأبطال القصص يبذلون جهدًا كبيرًا لإيصال رسالة أو للوصول إلى مكان.

لكن الغريب في الأمر أن نظرتي تجاه قصص هولمز كانت تتغير كلما تقدّم بي العمر، ففي نهاية المرحلة الإعدادية بدأت أبتعد عن قصص أجاثا كريستي وأرسين لوپين وأولع أكثر بقصص شرلوك هولمز، خصوصًا عندما قرأت رواية «كلب آل باسكرفيل» و«وادي الخوف»، في ترجمة المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، التي استخدمت للرواية الأولى عنوانًا مثيرًا: الكلب الجهنمي!

ربما قصص شرلوك هولمز لا يمكن تقديرها سوى في سن معينة،





فالأطفال لن يدركوا أساليب هولمز الباهرة في الاستنتاج، وقد لا تعجبهم رواياته التي تخلو في معظمها من الحركة، وتعتمد بشكل كبير على الاستدلال المنطقي وربط الأمور بعضها ببعض، وملاحظة ما لا ينتبه له الآخرون؛ هناك قصص كاملة لا تغادر فيها غرفة الجلوس في منزل هولمز، كقصة «قضية هوية»، وبالتأكيد لن ينتبه الأطفال لأسلوب السخرية المبطن الذي يستخدمه هولمز في حواراته مع واطسون أو مع المفتش ليستراد.

وفي الحقيقة لا أذكر القصة التي بدأت بها قراءتي لشرلوك هولمز والتعرف عليه، ربما سمعت اسمه لأول مرة من أحد الكبار، عندما وصف أمامي شخصًا ذكيًا أو ناداه بـ«شرلوك هولمز»، وبالتأكيد مرّ عليّ الاسم في أثناء قراءتي لكتيبات جيب أخرى، كانت الشخصيات فيها تمدح البطل الذي يحقق في الجرائم بأنه أشبه ما يكون بـ«شرلوك هولمز». في سلسلة ملف المستقبل مثلًا، أذكر أن بطل السلسلة، نور الدين محمود -الذي كان عبقرياً جيد الاستنتاج وحل الألغاز والقضايا الصعبة- وُصف أكثر من مرة بأنه «شرلوك هولمز جديد».

قد تكون أول قصة قرأتها هي «عصبة ذوي الشعر الأحمر»، أو «مغامرة العصاة الرقطاء»، لا أذكر بالتحديد، لكنّ هاتين القصتين بالذات تُلحان على ذهني كلما تذكرت مغامرات هولمز، قرأتها في سلسلة «مغامرات شرلوك هولمز»، ضمن سلسلة «السنابل» التي أصدرتها مكتبة لبنان في بداية التسعينيات (85)، وصدر منها خمسة كتب: أربعة كتب يحوي كل واحد منها من ثلاث إلى سبع قصص مترجمة لشرلوك هولمز بترجمة مبسطة للأطفال، والكلمات فيها مُشكّلة ليسهل قراءتها، والكتاب الخامس ترجمة مختصرة لرواية «كلب آل باسكرفيل» بعنوان «شبح باسكرفيل»، وعلى أغلفة السلسلة يظهر شرلوك هولمز بردائه الشهير: المعطف الكاروهات وقبعة صياد الأيائل -التي صارت الصورة النمطية لزي المحققين البوليسيين لاحقًا- وهو يطلق النار على أحد الأشرار، أو يمسك بعدسته المكبرة وينحني على الأرض لتفقد أثر، أو يضع غليونه في فمه ويفكر في حل قضية





ما؛ تلك الصور التي صارت أيقونية.

قصة «عصبة ذوي الشعر الأحمر» لا يمكن أن أنساها بسبب طرافتها، هناك رجل أحمر الشعر يعرض على هولمز قضية محيرة، فقد وظيفته جمعية تُدعى «عصبة ذوي الشعر الأحمر» ليعمل معها، وتلك الجمعية لا تقبل توظيف سوى ذوي الشعر الأحمر مثله. الوظيفة في غاية الغرابة، فالمطلوب منه أن يذهب يوميًا إلى مقر الجمعية ويجلس وحده في غرفة لا يوجد فيها سوى مكتب، وينسخ الموسوعة البريطانية بخط يده!

كان الأجر مُجزئًا، لذلك بعد مُضي عدة أسابيع، وعندما فوجئ صاحبنا بأن مقر الجمعية أُغلق واختفى موظفوها، ومن ثم تبخرت وظيفته؛ لجأ إلى هولمز لأنه مستاء بسبب ضياع أجره. وعندما يتدخل هولمز سيكتشف أن جمعية ذوي الشعر الأحمر كانت خدعة الهدف منها جعل الرجل يترك متجره طوال اليوم، لأن هناك عصابة تود أن تحفر نفقًا من قبو متجره إلى البنك الذي يقع خلف المتجر!

والحقيقة أن كثيرًا من قصص شرلوك هولمز تحمل شيئًا من الطرافة، ففي قصة «قضية هوية» مثلاً، يحقق هولمز في قضية اختفاء خطيب فتاة ضعيفة النظر، ويكشف في النهاية أن الخطيب لم يكن له وجود من الأساس! زوج أمها كان يستغل ضعف نظرها ويتنكر ويُغيّر صوته، ثم يلقاها منتحلًا شخصية شاب معجب بها، حتى أحبته ووافقت على الزواج به، ليختفي الشاب صبيحة يوم الزفاف. كان هدفه من كل هذا أن يجعلها تُصاب بعقدة تجاه الرجال ولا تفكر أبدًا في الزواج، فتظل مقيمة معه هي وأمها، ويظل يحصل على عوائد ميراثها!

أو في قصة «ذو الشفة الملتوية»، عندما تلجأ إلى هولمز سيدة تدّعي أنها رأت زوجها يطل من نافذة الطابق الثاني في إحدى الحانات، ولما دخلت تبحث عنه لم تجده في أي مكان، واستدعت رجال الشرطة، الذين فتشوا الطابق الثاني جيدًا ولم يجدوا فيه سوى





متسول يعرفونه جيداً. اختفى الزوج تمامًا ولم يترك وراءه سوى ملبسه، وتشك الشرطة في المتسول فتحتجزه. يكتشف هولمز في النهاية أن المتسول هو نفسه الزوج متنكرًا! فالزوج طوال السنين الماضية كان يعمل في مهنة التسول، بعد أن اكتشف أنها تدر عليه ربحًا أكبر من أي مهنة أخرى، فاستغل عمله قديمًا في التمثيل وإجادته للتنكر، وكان يخرج يوميًا من بيته، فيذهب إلى تلك الحانة، وفي الطابق الثاني يُغير ملامحه، ويقضي يومه متسولًا في الشوارع، إلى أن رآته زوجته مصادفةً قبل أن يتنكر، وأفسدت كل شيء!

بالطبع ليست كل القصص بهذه الطرافة، هناك تنوع كبير في مضمون القضايا؛ هناك قضايا مأساوية أو مرعبة، وأخرى ذات طابع تاريخي أو سياسي، هناك قضايا فكرتها بسيطة لا تحوي خطرًا كبيرًا، وقضايا أفكارها معقدة يكاد بطلنا يلقي حتفه خلالها!



مغامرة فن الاستنتاج

عادةً ما تبدأ القصة في منزل هولمز، حيث يكون جالسًا مع صديقه واطسون يتبادلان الحديث، ثم يأتي عميل فيعرض عليه قضية غريبة ليحلها، أو يكون واطسون مازًا به فيجد لديه عميلًا، ويطلبه هولمز بالاستماع معه إلى تفاصيل القضية والمشاركة في حلها. نادرةً هي القصص التي لا تبدأ بهذا الأسلوب، مثل «ذو الشفة الملتوية»، التي تبدأ بواطسون وهو يحاول إنقاذ صديق له من وكر مخدرات، ويُفاجأ بهولمز متنكرًا هناك في أثناء حله لإحدى القضايا، أو «مغامرة إبهام المهندس»، التي تبدأ بواطسون وهو يعالج مهندسًا قُطع إبهامه في ظروف غامضة، ويأخذه إلى هولمز ليحكي أمامه ما حدث له.

والعامل الأهم في القصص، وأكثر ما يلفت الانتباه، هو طريقة هولمز في الاستدلال، والتي يستعرضها في كل قصة تقريبًا، فهو من أشياء بسيطة يمكنه أن يستنتج العديد من الأمور. يمكنه مثلاً أن يراك فيقول لك إنك عدت لتوِّك من عند الحلاق بعد أن مررت بالمكتبة، وقد توقفت قليلاً لتعقد رباط حذائك! أسلوب هولمز في الاستدلال دائماً ما يصيب الآخرين -سواء شخصيات القصص أو القراء- بالذهول، ويُشعرهم بأنهم أمام ساحر لديه قدرة على قراءة الغيب! لكنه عندما يفسر لهم كيف توصل إلى ما توصل إليه، يجدون أن الأمر كان بسيطاً وواضحاً، ويتساءلون كيف لم يتوصلوا بأنفسهم إليه!

نرى ذلك منذ الرواية الأولى، «دراسة في القرمزي»، عندما يلتقي واطسون بهولمز لأول مرة، فيعرف هولمز على الفور أن واطسون طبيب في الجيش وقد عاد لتوّه من أفغانستان بعد أن أصيب هناك! وعندما يسأله واطسون فيما بعد كيف عرف، وهو يظن أن أحدًا ما قد أخبره، يفسر له هولمز الأمر ببساطة:

«الحقائق توالى في رأسي تبعاً، هذا رجل يمتحن الطب، ولكنه

يعمل في الجيش، كيف عرفت ذلك؟ لأنك صديق لستامفورد، وهو محدود الأصدقاء من خارج دائرة عمله في الجيش، فقلت لنفسى، ربما كان ضابطًا طبييًا، وقد جاء لتوّه من أحرّاش ما، بالنظر إلى لون وجهه، الذي يخالف لون باقي جلده، وقد مرّ بظروف صحية سيئة مؤخرًا كما يقول وجهه الشاحب هذا، كما أنه أصيب في ذراعه اليسرى، لأنه يحركها بطريقة غير طبيعية، وفيها القليل من الحدة، أين يمكن أن يكون طبيب في الجيش قد أصيب في معركة دارت في مناطق استوائية أو بها أحرّاش؟ ببساطة لا يوجد سوى أفغانستان، ثم قال متابعًا بلا مبالاة: «وصل القطار إلى المحطة في ثانية واحدة، قلت لك إنك جئت من أفغانستان، وكنت أنت مندهشًا، وهذه هي القصة» (86).

وهولمز يستعرض هذه الموهبة طوال الوقت، ففي قصة «عصبة ذوي الشعر الأحمر»، يتأمل زائره الذي يطلب منه حل قضية غامضة، ودون أن يعرف سوى اسمه يستنتج أنه كان يشتغل في الأعمال اليدوية، وزار الصين في فترة من حياته، ومارس الكتابة كثيرًا في الفترة الأخيرة! ولما يُصاب الزائر بالذهول من هذه الحقائق التي عرفها عنه هولمز بمجرد رؤيته، يشرح له هولمز الأمر بأن يده اليمنى أكبر من اليسرى، ولا معنى لذلك سوى أنه كان يعمل بها فنمت عضلاتها أكثر، وعرف أنه كان في الصين بسبب وشم صغير لمحّه فوق معصمه الأيمن، ولا يمكن عمله سوى في الصين، بالإضافة إلى عملة صينية يعلقها في سلسلة الساعة الخاصة به، أما ممارسة الكتابة فقد استنتجها لأن طرف كفه الأيمن يلي لمسافة خمس بوصات عند المعصم، والأيسر فيه رقعة ملساء بالقرب من الكوع، في المكان الذي يستند به إلى المكتب في أثناء الكتابة (87).

ونفس الشيء يفعل في قصة «قضية هوية»، فيصارع السيدة التي زارته لتطلب مساعدته بأنه يعرف أنها قصيرة النظر وتمارس الكتابة على الآلة الكاتبة، وأنها خرجت مسرعة لتأتيه. ثم يوضح فيما



بعد لواطسون سر استنتاجاته تلك:

«كما لاحظت فهذه المرأة لديها على كمها قماش من المخمل، وهو مفيد جدًا في إظهار الأثر. وقد ظهر بوضوح خط صغير فوق المعصم بقليل، وهو المكان الذي يستند إليه كاتب الآلة الكاتبة على الطاولة، وعلى الرغم من أن آلة الخياطة اليدوية تترك أثرًا مشابهًا فإنه يكون على الذراع اليسرى فقط وعلى الجانب الأبعد من الإبهام، بدلًا من أن يمتد الخط على طول الجزء الأعرض من الكم كما كان هذا. وبعد ذلك نظرتُ إلى وجهها، فلاحظت علامة النظارة الأنفية على جانبي أنفها، فغامرتُ بالملاحظة المتعلقة بقصر نظرها والكتابة على الآلة الكاتبة مما أصابها بالدهشة (...).

بعد ذلك أصابتنى الدهشة وزاد اهتمامي حين نظرتُ إلى أسفل ولاحظت أن الحذاء الذي ترتديه كان من فرديتين غير متطابقتين! فعلى الرغم من أن الاختلاف بينهما ليس كبيرًا فإن إحدى الفرديتين كان على مقدمتها قطعة جلدية مزخرفة قليلاً، أما الأخرى فقد كانت القطعة الجلدية على مقدمتها غير مزخرفة، بالإضافة إلى أن إحدى الفرديتين كانت مزررة بزرين سفليين فقط من أزرارها الخمسة أما الأخرى فكانت مزررة بالزر الأول والزر الثالث والزر الخامس! وهكذا فحين ترى أن امرأة شابة خرجت من منزلها بحذاء غير متطابق وغير مُزَرَّر بالكامل فليس من الصعب أن تستنتج أنها خرجت مسرعة» (88).

كل هذه التفاصيل الدقيقة رآها هولمز في الفتاة، وربطها ببعضها بعضًا، وخرج منها باستنتاجات دقيقة أثارت ذهولها هي وواطسون، رغم أن الأمر بسيط كما يقول هولمز!

وعندما يُبدي واطسون دهشته في قصة «فضيحة في بوهيميا» من أنه رأى مع هولمز كل ما رآه لكنه لم يخرج بمثل استنتاجاته؛ يوضح له هولمز الفرق بينهما قائلاً:

«أنت ترى، لكنك لا تنتبه لما تراه» (89).



وفي «قضية هوية» يقول:



«ليس الأمر أنك لم تَرَه يا واطسون، بل أنت لم تلاحظه! فأنت لم تعرف إلى أين تنظر، وهكذا فقد فاتك كل ما هو مهم».

وفي قصة «بذور البرتقال الخمسة» يشرح طريقته أكثر لواطسون:

«المحلل المثالي هو الذي يأخذ حقيقة واحدة بكل تفصيلاتها ويستنتج منها، ليس فقط سلسلة الأحداث المؤدية إليها، ولكن أيضًا النتائج المترتبة عليها، فكما يستطيع العالم الطبيعي أن يصف لنا حيوانًا كاملًا من دراسة عظمة واحدة، فكذلك المراقب الذي فهم تمامًا حلقة واحدة من سلسلة حوادث يجب أن يكون قادرًا على أن يعرض بقية الأحداث السابقة واللاحقة. إننا لم ندرك بعد النتائج التي يؤدي إليها المنطق وحده، ويمكننا -ونحن جلوس في المكتبة- حل المشكلات التي حيرت كل أولئك الذين سعوا وراء الحل عن طريق استخدام كل حواسهم»(90).

ورغم أن توضيح هولمز دائمًا ما يجعل استنتاجاته تبدو منطقية وليست مثيرة للدهشة كما بدت في البداية، إلا أن مَنْ يستمعون إليها دائمًا -وفي كل مرة- يُصابون بالذهول للوهلة الأولى، إلى درجة أن واطسون صارحه ذات مرة بأنه لو كان يعيش منذ قرون لقبضوا عليه بتهمة ممارسة السحر وأحرقوه(91)!

في صغري، وعندما كنت أقرأ قصص شرلوك هولمز، كنت أصاب بالدهشة وأعجب -مثل واطسون- بقدرة هولمز الخارقة على الملاحظة والاستنتاج. ثم بعد ذلك، وعندما بدأت أمارس الكتابة، صرت أتعجب من قدرة آرثر كونان دويل على رسم الأحداث بهذه الطريقة وجعل بطله يتصرف بتلك الكيفية. لكني الآن عندما أفكر في الأمر أجد أنه قد يكون سهلًا، فما أبسط أن أرتب كمؤلف الأمور لبطل ليكتشف ما أود أن يكتشفه. أضع على لسانه استنتاجات ليس من السهل أن يستنتجها أي شخص، ثم أضع له من الدلائل ما يجعل استنتاجاته تلك





منطقية. فإذا أردت أن أجعل بطلي يستنتج أن الشخص الذي أمامه زار الصين ويكون الاستنتاج صحيحًا، سأضع وشفاً على معصم ذلك الشخص، وسأجعل سلسلة مفاتيحه تحمل عملة معدنية صينية، ويتم الأمر بهذه البساطة!

لكن هل الأمر حقًا بهذه البساطة؟ ظننت ذلك حتى اكتشفت أن هذه هي نفسها طريقة آرثر كونان دويل في الاستنتاج! فبسبب كتابته لقصص شرلوك هولمز كان كثيرًا ما يأتيه أشخاص يسألونه مساعدتهم في قضاياهم، فيحلها لهم بطريقة باهرة كبطله الشهير. في المقدمة الثابتة لقصص شرلوك التي ترجمتها دار الأجيال نجد القصة التالية:

«كانت إحدى تلك القضايا تتعلق برجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلًا عاد بعده إلى فندقه حيث أبدل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حلَّ المشكلة سريعًا إذ قال: «سوف تجدون رجلكم في غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولما كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بد أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى اسكتلندا تغادر محطة كينغز كروس عند منتصف الليل». وقد عُثر على الرجل في إدنبرة فعلًا!».

وخلال القصص والروايات، يضع هولمز مجموعة من القواعد التي يعتمد عليها في منهجه الاستدلالي، ففي رواية «علامة الأربعة»، يقول: «عندما تستبعد الاحتمالات المستحيلة، فما يتبقى لك، مهما بدا غير محتمل، لا بد أن يكون هو الحقيقة» (92).

وفي «لغز بلدة ريجيت» يضع قاعدتين أخريين: «إن من الأهمية القصوى في فن الاستنتاج أن تتمكن من تمييز الحقائق الجوهرية





الحيوية من تلك التي حدثت بالمصادفة»، وأيضًا: «لا ينبغي أن يضع أيُّ منا في عقله أحكامًا سابقة، بل ينبغي أن نتبع الحقيقة أينما تأخذنا دون مقاومة»(93).

ورغم عبقرية هولمز التي تجعله منيعًا في نظر القارئ، فإن دويل جعل الشخصية إنسانية إلى درجة أنه سمح لها بالفشل في بعض المغامرات! في القصة الأولى «فضيحة في بوهيميا»، لا يستطيع هولمز التغلب على أيرين آدلر، صحيح أنه اكتشف أين تُخبئ الصورة، لكنها هربت قبل أن يحصل عليها. وفي «مغامرة الوجه الأصفر» يضع هولمز تفسيرًا متكاملًا للقضية الغامضة التي عرضها عليه عميله وهو بالمناسبة نفس التفسير الذي توصلتُ إليه، الأمر الذي جعلني أشعر بأنني صرت في نفس نباهة وعبقرية هولمز- لكنه يكتشف فيما بعد أن حل اللغز كان أبعد ما يكون عما ذهب إليه، وفي بداية هذه المغامرة يقول واطسون إن هناك بعض المغامرات التي فشل هولمز في حلها، وهذه المغامرة هي إحداها، وفي نهاية القصة يقول هولمز لواطسون: «إذا لاحظت يا واطسون أنني أصبحت شديد الثقة بقدراتي أو أنني أعطي قضية ما مجهودًا أقل مما تستحق، فأرجو أن تهمس في أذني بكلمة «نوربوري»، وسأفهمك بالتأكيد»(94). و«نوربوري» هي المنطقة التي وقعت فيها أحداث القصة وشهدت فشل هولمز في التوصل إلى الحل الصحيح للقضية.

أتوقع أن مثل هذه القصص كانت تُمثل للقراء إثارة كبيرة، فهولمز بطل متفرد إلى درجة أننا نراه يفشل في بعض الأحيان، رغم كل مواهبه، بعكس الشخصيات الأخرى المماثلة، التي لا يسمح لها مؤلفوها بالفشل أبدًا!!



مغامرة دائرة المعارف



لم يكن هولمز يعتمد في استنتاجاته الباهرة فقط على ذكائه الفذ وقدرته الخارقة على الملاحظة، فما كانت الملاحظة لتسعه في إدراك أن ذلك الوشم الذي رآه على معصم زائره -في قصة «عصبة ذوي الشعر الأحمر»- لا يمكن وشمه سوى في الصين. هذه المعلومة عرفها هولمز من قاعدة بيانات يستعين بها لدعم ملاحظاته.

هولمز أعد نفسه جيداً بعدد كبير من الخبرات والدراسات يدعم بها مواهبه الفطرية ليستطيع أن يؤدي وظيفته -وظيفة المحقق الخاص- على أكمل وجه. ففي المرة الأولى التي يلتقيه فيها واطسون، في «دراسة في القرمزي»، نراه كباحث كيميائي سعيد باكتشافه لأسلوب جديد في تحليل بقع الدم، ومع الوقت يكتشف واطسون أن معرفة صديقه بالكيمياء عميقة، وكذلك بعلم التشريح. بل إنه يعرف أشياء في غاية الدقة، وقد تبدو لنا في غاية التفاهة، إلا أنها تساعد بشكل كبير في حل قضاياها. فهو مثلاً يمكنه التفرقة بين أنواع التربة المختلفة، لو أريته لطفة طين على بنطالك فسيخبرك من أي مكان في لندن جاءت. يمكنه إذا فحص رماد السجائر أن يعرف نوعية السيجارة التي جاء منها. في قصة «لغز وادي بوسكومب» تُفاجأ بإجادته لفن اقتفاء الأثر، فمن خلال تأمله لمسرح الجريمة عرف كيف تحرك القاتل وماذا فعل بالضبط وإلى أين ذهب، ومن عمق أثر إحدى قدميه استنتج أنه أعرج!

كما أن لديه خبرة كبيرة في علم النفس يتلاعب من خلالها بخصومه، كما فعل في «فضيحة في بوهيميا»، عندما أجبر إيرين آدلر على كشف مكان الصورة التي تخفيها بأن افتعل حريقاً، وهو واثق بأنها ستسعى عند شعورها بالخطر إلى محاولة إنقاذ الصورة، وهو ما حدث بالفعل.





وفي نفس القصة نكتشف أن لديه خبرة في أنواع الورق! فمن خلال تحليله لنوعية ورق الرسالة التي وصلت إليه استطاع أن يكتشف الدولة التي ينتمي إليها زائره.

كما أن لديه مهارة فذة على التنكر -وتلك المهارة عادة ما تكون موجودة عند أغلب أبطال هذه النوعية من المغامرات- فهو يستطيع التنكر في شكل شخصيات تنتمي إلى الشارع كي يمكنه التحقيق في قضاياها، وحتى واطسون نفسه قد يُفاجأ بمثل هذا التنكر، مثلما حدث في «ذو الشفة الملتوية» عندما فوجئ بهولمز متنكرًا في شكل مدمن في وكر لتدخين الأفيون، وعلى مدار القصة نراه متنكرًا مرة في شكل شحاذ ومرة في شكل سائس خيل أو بخّار أو قسيس، إلخ.

ولم ينس هولمز أن يتدرب على الملاكمة وفنون القتال، لأن مهنته قد تحتاج أحيانًا إلى الالتحام الجسدي مع الأشرار، وهو ما حدث أكثر من مرة، كانت الغلبة فيها لهولمز بسبب لكماته السريعة وقبضته القوية.

وبالإضافة إلى كل ذلك فله ما يشبه دائرة المعارف، كل معلومة تمر عليه يدونها في دفتر كبير لديه، كل خبر أو إعلان في جريدة يقصه ويضعه في دفتر مُرتبًا حسب التاريخ أو الموضوع. فعندما وجد نفسه في مواجهة امرأة تُدعى أيرين آدلر، في «فضيحة في بوهيميا»، أحضر دفتره هذا وفتح على حرف الألف، وبحث فيه حتى وجد كل ما دونه من معلومات عن تلك الشخصية. وعندما أخبره عميله في «بذور البرتقال الخمسة» بأنه تصل إليه رسائل غامضة مُوقَّعة باسم «ك ك ك»، بحث في دفتره تحت حرف الكاف، واكتشف أن هذه الحروف الثلاثة تشير إلى جماعة «الكو كلوكس كلان» العنصرية.

ماذا أيضًا يمكن أن يفيد هولمز؟ قراءة الروايات والقصص البوليسية طبعًا!

فحسب واطسون، لا توجد رواية أو قصة تنتمي إلى هذا النوع



من الأدب إلا وقرأها هولمز ودرس نوعية الجرائم فيها وأساليب حلها. وعلى الجانب الآخر فإن معرفته بالفلسفة والسياسة والفلك والأدب -بعيدًا عن الأدب البوليسي- هي معرفة ضعيفة، إلى درجة أننا نكتشف في «دراسة في القرمزي» أن هولمز لا يعرف أن الأرض تدور حول الشمس! وعندما يتعجب واطسون من ذلك يخبره هولمز ببساطة أنه ليس بحاجة إلى تلك المعلومة، فلماذا يضعها في ذهنه؟ ويوضح له وجهة نظره العملية في هذا الشأن:

«أنا أعتقد أن مخ الإنسان ما هو إلا غرفة خاوية، وعليك أن تؤثتها بالمفروشات التي تختارها، الأحمق فقط من يجمع كل أنواع الأثاث التي يقابلها، لذا قد تصبح قطعة الأثاث الوحيدة المفيدة له ضائعة وسط هذا الزحام، أو في أحسن تقدير تصبح مخفية، وغير واضحة، إلى درجة أنه يصبح غير قادر على استحضارها عندما يحتاج إليها، العامل الماهر هو من يأخذ معه إلى ذلك الطابق الأدوات الصحيحة التي يحتاج إليها، ولا بد أن يكون حذرًا في ذلك، وعليه أن يفهم أن الجدران الصلبة لن تكون يومًا لينة لتستوعب كل هذه الأشياء. عندما تضم أي شيء جديد إلى هذه الغرفة يا عزيزي، فإنك تخسر شيئًا آخر في المقابل، لذا فمن الضروري ألا تملأ رأسك بحقائق فارغة قد تطرد منه الحقائق المفيدة»(95).

ومع ذلك، وعلى مدار القصة، كان هولمز يُبدي معارف من المفروض -حسب كلام واطسون في «دراسة في القرمزي»- أنه لا يعرفها. فكثيرًا ما اقتبس في كلامه من كبار الأدباء كشكسبير أو جوستاف فلوبير أو جوته وغيرهم. بل إنه في «كلب آل باسكرفيل» أمكنه التعرف على أعمال بعض الرسامين العالميين. ويبدو أن آرثر كونان دويل مع تتابع القصة كان ينسى الخطوط الأولية التي وضعها لشخصيته، فمثلًا مما عرفناه عن هولمز في الرواية الأولى أنه مبارز جيد بالسيف، لكن هذه المهارة لم تظهر في أي مغامرة من مغامراته. وربما كان الحد الفاصل بين هولمز ودويل نفسه يتلاشى في بعض الأحيان، فتصير معارف دويل هي نفسها معارف

هولمز.



ويبدو أنه انتبه لذلك فيما بعد، فقد تغيرت نظرة هولمز العملية إلى المعارف غير الضرورية للمحقق، إذ يقر أخيرًا في «وادي الخوف» الرواية الأخيرة- أن «كل المعارف مفيدة للمحقق»! ويمضي خطوة أبعد من ذلك عندما يذكر في «مغامرة لبدة الأسد» -وهي من آخر القصص التي كتبها دويل- أنه قارئ نهم وذاكرته لا تنسى حتى التفاهات مما يقرأ!



مغامرة صديق المحقق

شِرلوك هولمز شخصية غير اجتماعية، ليس لديه أصدقاء، ولولا احتياجه إلى مَنْ يقاسمه أجره السكن لما تعرّف على واطسون، الذي سيصبح لاحقًا صديقه الوحيد في هذا العالم، ومن خلال عينيه سنتعرف على عالم شِرلوك هولمز.

واطسون هو راوي قصص شِرلوك هولمز، أغلب قصص هذا الأخير يحكيها لنا واطسون بأسلوب الراوي المتكلم، ربما ما عدا «مغامرة الجندي الشاب» و«مغامرة لبدة الأسد» اللتين يحكيهما هولمز نفسه، وهناك كذلك «مغامرة وصية موسجريف» و«مغامرة جلوريا سكوت» اللتان ينقل إلينا واطسون فيهما القصة كما رواها له هولمز، أما قصة «مغامرة حجر مازارين» و«الظهور الأخير» فيرويها لنا الراوي العليم، ونفس الشيء يتكرر في رواية «وادي الخوف» وفي أجزاء من رواية «دراسة في القرمزي».

أول مرة يسمع فيها واطسون اسم شِرلوك هولمز -ونحن معه كقراء- كانت بالطبع في «دراسة في القرمزي»، عندما يخبره صديقه ستامفورد بوجود شخص يُدعى هولمز يبحث عن يقاسمه أجره المسكن، ويصف ستامفورد هولمز بأنه «غريب قليلًا في تصرفاته» (96)، وهذا أول انطباع سيخرج به واطسون عن هولمز، وسيؤكد هذا الانطباع مع الوقت عندما يتشارك المسكن.

توليفة شخصية هولمز غريبة، وبُنيت على مدار القصص، في كل قصة كنا نعرف شيئًا جديدًا عنه في وسط المغامرة. هولمز يقضي أيامه في غرفة الجلوس مستلقيًا فوق مقعده، قد تمضي عليه أيام كاملة دون أن ينطق بكلمة، وفي أوقات أخرى يحلو له أن يعزف على الكمان، وهو يحب الموسيقى الكلاسيكية، خصوصًا الألمانية منها، والتي تدفعه إلى التفكير (97)، وأحيانًا يتسلى بإطلاق النار على



جدار الغرفة راسمًا عليه بثقوب الرصاصات حرقًا VR، اللذين كانا رمزًا وطنيًا يشير إلى Victoria Regina، أي الملكة فيكتوريا(98)!

لكن أعجب ما سيكتشفه واطسون عنه أنه مدمن مخدرات! ليس مدمن مخدرات بالمعنى الشائع لدينا، بل إنه يتعامل مع الأمر كزيت التشحيم الذي يُستخدم لصيانة الآلات، فعقله الفذ يحتاج إلى شيء من التنشيط عندما لا يجد قضايا يحلها، ولذلك يمده هولمز بجرعات من الأفيون والكوكايين بتركيز معين (7 %) ليحافظ عليه. ورغم تحذيرات واطسون بأن هذا الأمر قد يسبب له ضررًا، فإنه يستمر فيه، إلى درجة أن واطسون في بداية رواية «علامة الأربعة» يصف ذراع هولمز بأنها امتلأت بثقوب المحقن ولم يعد فيها مكان!

وهذا يوضح لنا أهمية التحقيق في القضايا بالنسبة إلى هولمز، فهو الوسيلة التي من خلالها يُفرِّغ طاقة عقله الجبارة، وفي غيابها يشعر بضياغ طاقته.

مع الوقت يزداد انبهار واطسون بهولمز، ويتعامل معه كأعجوبة من أعاجيب الزمان، ويتطوع لتسجيل مغامراته، ورغم أن هولمز يُبدي في البداية اعتراضه، وينتقد أسلوب واطسون العاطفي في كتابة القصص، والذي -في رأيه- يفتقد الدقة والموضوعية ولا يركز على الجوانب العلمية في القضايا(99)؛ رغم هذا فهولمز يهتم بالتأريخ الذي يقوم به واطسون، ويحرص دائمًا على أن يرافقه في قضاياها، وأحيانًا يقدم له ما يساعده على إكمال مهمته، كما فعل في «مغامرة جلوريا سكوت»، عندما قدّم له أوراق أول قضية حقق فيها، وقصّ عليه تفاصيلها، ليحتفظ بها في سجل قضاياها التي يسجلها!

وفي هذه القضية نكتشف أن هولمز كان يأخذ التحقيق البوليسي على سبيل الهواية، وفي أثناء دراسته الجامعية تعرّف بالمصادفة على فيكتور تريفور وصارا صديقين -ربما كان صديقه الوحيد قبل لقائه بواطسون- وعندما التقى بوالد صديقه أبهره بقدرته على الاستنتاج من أبسط الأشياء، فقال له تريفور الأب:





«يبدو لي أنك تتفوق على كل المخبرين الحقيقيين منهم والخياليين! إن هذا هو طريقك في الحياة يا سيدي، ولتعتبرها نصيحة من رجل عنده خبرة كبيرة بالحياة»(100).

ومن حينها أخذ هولمز الأمر على محمل الجد، وعندما التقى بواطسون لأول مرة كانت قد مضت عليه ست سنوات وهو يمارس مهنة المحقق الخاص، وسنعرف في «مغامرة النزيلة المثلثة»(101) أن هولمز عمل كمحقق لمدة ثلاثة وعشرين عامًا، أرخ واطسون سبعة عشر عامًا منها.

ولم ينشر لنا واطسون كل القضايا التي سجلها أو التي خاضها شرلوك هولمز، فكثير من القصص تحوي إشارات إلى مغامرات وألغاز حلها هولمز قبل بداية القصة الحالية، فمثلًا في بداية «مغامرة بلدة ريجيت» نعرف أن هولمز خاض مغامرة كبيرة خارج بريطانيا استهلكت صحته، وتبدأ الرواية وقد أخذه واطسون إلى الريف ليتعافى، وهناك يجد نفسه أمام قضية جديدة فيسعى لحلها. وفي بداية «فضيحة في بوهيميا» يقول واطسون: «وكنت أسمع من حين إلى آخر بعض الروايات المبهمة التي تتحدث عما يفعله، فقد سمعتُ عن استدعائه إلى أوديسا في قضية قتل ترييوف، وعن حله قضية قتل الإخوة أتكينسون الغربية في ترينكومالي، وأخيرًا عن المهمة التي أنجزها بدقة ونجاح للعائلة المالكة في هولندا»(102).

وفي «مغامرة بناء نوروود» يقول واطسون: «تلك الفترة تضمنت قضية أوراق الرئيس السابق موريو، وكذلك القضية المروعة المتعلقة بالباخرة الهولندية فريسلاندا، التي أوشكت للغاية أن تكلفنا حياتنا نحن الاثنين»(103).

فهناك إشارة دائمة إلى قضايا ومغامرات لا نعرف عنها شيئًا، وكأن واطسون يختار وينتقي قضايا بعينها ليعرضها لنا.

وإذا كان واطسون يرى هولمز بعين الانبهار والإكبار، فعلى الجانب



الآخر كان هولمز يرى واطسون كصديقٍ وفيٍّ يرتاح إليه ويثق به. وعندما يتزوج واطسون ويترك سكنه مع هولمز، نجد هذا الأخير كثيرًا ما يرسل إليه ليرافقه في قضاياها، كما حدث في بداية «لغز وادي بوسكومب»، أو «مغامرة الرجل الأحذب»، دون أن يكون هناك داعٍ واضح لذلك. كثيرًا ما يقول هولمز إنه يحتاج إلى واطسون لأنه ذو نفع كبير له، فهو يمدّه بالرأي الطبي في الجرائم التي تقع، لكني لا أعتقد أن هذا صحيح، النفع الأكبر الذي يقدمه واطسون لهولمز أنه يشهد عبقريته وانتصاراته، يلعب دور المرأة التي يرى من خلالها كم هو عبقرى وماهر، فمن خلال ردود أفعاله المنبهرة الساذجة كان هولمز يُرضي في داخله احتياجًا دفينًا لرؤية تأثير ذكائه في الآخرين. هولمز لم يكن محبًا للظهور كأرسين لوبين، بل يمكنه أن يحل قضية معقدة ويستمتع فقط بنشوة الوصول إلى الحقيقة وإعمال عقله في اكتشافها، ثم يترك محققي سكوتلانديارد ينسبون الأمر إلى أنفسهم دون أن يعترض. لكن من خلال واطسون بدأ الناس يعرفونه وحاز شهرته العالمية، وصار العملاء يطرقون بابه للحصول على خدماته، فأى نفع لواطسون أكبر من هذا؟!

مع ذلك، لا أعتقد أن هولمز ارتبط بواطسون لأنه فقط مؤرخ مغامراته والشاهد على عبقريته، بل لأنه كان يحبه بالفعل، رغم أنه ليس بالشخص الذي يُظهر عاطفته! في الحقيقة لم يُظهر هولمز على مدار القصة تعاطفًا مع واطسون سوى في «مغامرة جاريديب الثلاثة»، عندما أُصيب الأخير بطلق ناري!

يصفه واطسون في «علامة الأربعة» بأنه أشبه ما يكون بإنسان آلي أو آلة حاسبة. هولمز هو الانتصار المطلق للمنطق والمنهج العلمي، ومع ذلك -ومن ردود أفعاله خلال مجمل مغامراته- كان واطسون أقرب ما يكون لمفهوم العائلة بالنسبة إليه.

لم يكن هناك في حياة هولمز أقارب ما عدا أخاه الأكبر مايكروفت هولمز، الذي سنكتشف وجوده في «مغامرة المترجم اليوناني»،



وسيظهر لاحقًا في «مغامرة مخططات بروس بارتينجتون»، وسيُشار إليه بشكل عابر في قصة «المشكلة الأخيرة» و«مغامرة المنزل الخالي»، وهو بالمناسبة -للغرابة الشديدة- أكثر عبقرية من أخيه شِركوك، لولا أنه لا يهتم بالاستنتاج مثله، بل يعمل في وظيفة حكومية هادئة ورفيعة، ولا يوجد غيره يشغلها، إذ يعمل كقاعدة بيانات حية للسياسات والقوانين الحكومية، وهو باختصار كسول يُفضّل قضاء وقته في نادٍ أرستقراطي على حياة المخاطر التي يعيشها أخوه!

أما النساء فلم يكن لهن دور في حياة هولمز، ما عدا أنهن يأتين إليه بقضايا غامضة ليحلها لهن، وحتى عندما يلاحظ واطسون أن هولمز يُبدي اهتمامًا خاصًا بامرأة، يُفاجأ به يفقد اهتمامه بها بعد انتهاء القضية، وكأن اهتمامه كان مُنصَّبًا على اللغز الذي جاءته به المرأة، لا المرأة نفسها! يقول واطسون في نهاية «مغامرة كوبر بيتشيز»: «أما بالنسبة إلى الآنسة فيوليت هانتر، فقد خيَّب صديقي هولمز أملي، فلم يُبِدِ أي اهتمام بها بعدما لم تعد مركز واحدة من معضلاته التي يسعى لحلها!» (104).

وربما أقصى ما فعله هولمز مع امرأة، أنه تظاهر في «مغامرة تشارلز أوجستس ميلفيرتون» بإعجابه بإحدى الخادمت، إلى درجة أنه خرج معها عدة مرات وصارا يتعاملان كخطيبين، وذلك كي يعرف من خلالها أسرار ومداخل بيت عدوه، الذي يبتز السيدات الفاضلات ويهدم حياتهن، ليستطيع التسلل إليه لاحقًا مع واطسون، ويحصل على الرسائل التي يستخدمها ذلك المبتز في جرائمه! وعندما لامه واطسون على ذلك، برّر له هولمز فعلته بأن المقصد النهائي هو إنقاذ سيدة محترمة قبل أن تتحطم حياتها، وفي الوقت نفسه فتلك الخادمة التي خدعها هناك شخص آخر معجب بها، وسيأخذ مكانه ما إن ينسحب، فتحصل الفتاة على حبيب جديد يرضيها بعد رحيل هولمز، الذي كان يلتقيها متنكرًا في شخصية عامل شاب!





وعدم سعي هولمز للشهرة والأضواء لا يعني أنه ليس مغرورًا واثقًا بنفسه، فهولمز معتدٌ بنفسه إلى حدٍ كبير، ولم يأتِ هذا بسبب نجاحاته المتتالية فقط، ولا ذكائه وعبقريته اللذين لا يدانيه فيهما أحد، بل أيضًا لنوعية عملائه، ففي «فضيحة في بوهيميا» ساعد ملك بوهيميا على النجاة من فضيحة كانت ستهدد عرشه، وفي «مغامرة النبيل الأعزب» ذكر بشكل عارض أنه قدّم خدماته لملك اسكندنافيا، وفي «مغامرة النظارة الذهبية» منحتة الحكومة الفرنسية وسام جوقة الشرف نظير مساعدته، وساعد الحكومة البريطانية أكثر من مرة، في «مغامرة مخططات بروس بارتينجتون» و«مغامرة وثائق المعاهدة البحرية» و«الظهور الأخير»، بل إن رئيس الوزراء البريطاني نفسه زاره في «مغامرة البقعة الثانية» وطلب مساعدته، وعندما نجح هولمز في القضية رفض الحصول على لقب سير. وفوق ذلك فقد ساعد الفاتيكان في رواية «كلب آل باسكرفيل» وفي «مغامرة بيتر الأسود».

بعد كل هذا لماذا لا يشعر بالغرور والاعتداد بالنفس؟!

ومع ذلك فهولمز لا يقبل العمل على قضية سوى عندما تثير اهتمامه، قد يرفض قضية لعميل مهم إذا كانت عادية لا تثير شهيته، وقد يقبل قضية لشخص بسيط لا يملك مالا إذا كانت مثيرة تتحدى ذكائه!



مغامرة القضية الأخيرة

منذ صغري كنت أقرأ عبارات عابرة عن المؤلف الذي أصابته الغيرة من بطله فقرر قتله، وعندما لقي أدهم صبري في سلسلة رجل المستحيل مصرعه، قرأت لنبيل فاروق قولاً يدافع فيه عن نفسه أمام غضب القراء ويقول لهم إنه ليس كآرثر كونان دويل، يغار من بطله فيقتله!

وكان هذا الأمر يدهشني، لماذا يقتل دويل هولمز بهذه البساطة؟! ما أعرفه أن المؤلفين يفرحون بنجاح أبطالهم ويتعلقون بهم، وقد يلجأ بعضهم إلى ليّ عنق الأحداث ليجعلهم ينتصرون في نضالهم أو ينجون من المواقف الصعبة.. فلماذا عمد آرثر كونان دويل إلى العكس؟

تخيّلوا معي ما حدث: القراء الإنجليز يتابعون مغامرات شرلوك هولمز على مدى سنتين، شهراً بشهر، ثم يفاجؤون في ديسمبر 1893 بقصة جديدة لشرلوك هولمز بعنوان «المشكلة الأخيرة»، في آخرها يلقي بطلهم المحبوب مصرعه.. فأى صدمة!

ولتدركوا وقع الأمر على القراء يجب أن تعرفوا أن الجميع وقتها كانوا يعتبرون هولمز بطلاً قومياً، فخر الثقافة الإنجليزية، وأغلب القراء صدّقوا أن هذه القصة وقعت فعلاً، إلى درجة أن كثيرين منهم كانوا يذهبون إلى المنزل رقم 221 ب في شارع بيكر بحثاً عن منزل هولمز كما ورد في القصة. وكان دويل يضيق ذرعاً بالمرضى الذين يزورونه في عيادته ثم يكتشف أنهم قراء جاؤوا ليسألوه عن هولمز لا ليفحصهم. حالة جنون تلبّست القراء بتلك الشخصية، ربما لم تحدث ولن تحدث مع شخصية غيرها، إلى درجة أن الصحف القومية في اليوم التالي لنشر قصة «المشكلة الأخيرة» ظهرت بعناوين تنعى إلى القراء وفاة بطلهم!



الذين ذهبوا إلى أن آرثر كونان دويل أصابته الغيرة من بطله فقتله، معذورون في استنتاجهم. فكما ذكرت سابقاً، نحن عندما نشير إلى تلك القصص عادةً نذكرها باسم بطلها: شرلوك هولمز، قلة من القراء من يعرفون اسم آرثر كونان دويل، وأعتقد أن هناك من الكُتّاب وهذا أمر طبيعي- إذا وجدوا عملاً من أعمالهم ينجح وينال شهرة ربما تؤثر في بقية أعمالهم، قد يشعرون بالضيق، ربما يظنون أن في هذا تقليلاً من موهبتهم وقدرتهم على صنع أعمال أخرى تحظى بذات الشهرة والنجاح. لكني لا أعتقد أن هذا كان حال آرثر كونان دويل مع شرلوك هولمز. ربما شعر بشيء من تلك المشاعر، لكن السبب الرئيسي قد يكون شيئاً آخر.

دويل أديب كبير وموهوب وغزير الإنتاج، كتب عشرات الأعمال بعيداً عن قصص شرلوك هولمز، بل إنه كتب سلاسل لأبطال آخرين غير هولمز، منها مثلاً سلسلة مغامرات بطلها يُدعى البروفيسور تشالنجر(105)، بالإضافة إلى العديد من الروايات التاريخية والمسرحيات وكتب أدب الرحلات والسيرة الذاتية. لم تكن قصص شرلوك هولمز إذن سوى جزء من إنتاجه، وكانت لديه العديد من المشاريع الأخرى التي يود أن يطلع القراء عليها، لذلك ومع النجاحات الأولى لقصص شرلوك هولمز بدأ يتكون لديه خوف من أن يلهيه هذا النجاح الهائل، هذا الإقبال والإلحاح الكبير من القراء؛ يلهيه عما هو أهم. وفي تلك الفترة أرسل رسالة إلى أمه يقول فيها: «أفكر في قتل هولمز وتصفيته بطريقة مُرضية للجميع. لقد شغل عقلي عن أشياء أفضل». ولا بد أنه تردد في الأمر، إذ كان يأمل أن يتوقف الناشرون من أنفسهم عن طلب المزيد من قصص هولمز، لكنهم استمروا في ذلك، فرفع أجره بطريقة مبالغ فيها، ففوجئ بأنهم يرحبون بدفع أي مبلغ يطلبه!

وهكذا لم يجد أمامه سوى أن يكتب قصة «المشكلة الأخيرة». هناك من يقولون إنه كتبها في فترة مبكرة عن الوقت الذي ظهرت فيه، لكنه أدر نشرها مرة بعد أخرى. في هذه القصة يظهر





البروفيسور موريارتي لأول وآخر مرة في قصص هولمز، ونعرف أنه عدو رهيب وعقل إجرامي لا يقل عن عقل شرلوك هولمز، وهو المسؤول عن أغلب الجرائم التي تقع في لندن. يتتبعه هولمز ويتصارع معه في شلالات ريشنباچ في سويسرا، ويسقط الاثنان ويلقيان مصرعهما (106).

وعاد دويل يكتب لوالدته ويخبرها: «يجب أن أوفر عقلي لأشياء أفضل، حتى لو عنى ذلك أن أدفن محفظة نقودي معه!».

ومضت ثماني سنوات ودويل صامد أمام غضب القراء وتساؤلاتهم واتهاماتهم وإلحاحهم، ثم فجأة وعلى غير توقُّع فوجئ الجميع في أغسطس عام 1901، بنشر رواية جديدة مسلسلة لشرلوك هولمز بعنوان «كلب آل باسكرفيل».

شرلوك هولمز عاد أخيرًا!! يمكننا تخيُّل فرحة القراء ولهفتهم.

لم يتراجع دويل بعد، فأحداث القصة يُفترض أنها تقع قبل وفاة هولمز. هولمز لم يعد من الموت، فقط يمكننا قراءة بعض مغامراته السابقة التي لم ينشرها واطسون. لكن لم يطل الأمر حتى تراجع دويل ونشر قصة «مغامرة المنزل الخالي»، في أكتوبر 1903 -بعد عشر سنوات من توقف قصص هولمز القصيرة- وفيها نكتشف أن هولمز ما زال حيًّا، لم يمُت مع موريارتي كما ظننا منذ سنين، بل اختفى ليخضع أعداءه (107). وهكذا بُعث هولمز من جديد وعاد ليحل القضايا الغامضة.

لا أعرف لماذا تراجع آرثر كونان دويل في تلك الفترة عن إنهاء قصص شرلوك هولمز، ربما لأنه بعد مُضي ثماني سنوات ثبَّت قدميه في عالم الأدب، وقَدَّم نفسه للقراء بقصص أخرى بعيدة عن شرلوك هولمز، ولم يعد يشعر بأن تلك القصص ستؤثر في بقية إنتاجه.

وربما شعر بأنه رُوِّض القراء، وأصبح زر التحكم في يده، لذلك فبعدما كتب ثلاث عشرة قصة جديدة من مغامرات شرلوك هولمز





-جُمعت لاحقًا في كتاب «عودة شرلوك هولمز»- توقف لمدة أربع سنوات عن كتابة قصص هولمز، ثم عاد بقصة «مغامرة منزل ويستريا» عام 1908، لكنه هذه المرة لم يلتزم بنشر قصة جديدة كل شهر، بل كان ينشر قصة جديدة كلما رغب في ذلك، وهكذا فالقصص السبع الجديدة-التي نُشرت لاحقًا في كتاب بعنوان «الظهور الأخير»- نُشرت بين عاقي 1908 و1917، كل عام أو أكثر كان ينشر قصة، تخلل ذلك نشر رواية «وادي الخوف» سلسلة بين عاقي 1913 و1914.

أما المجموعة الأخيرة من القصص-التي جُمعت لاحقًا بعنوان «قضايا شرلوك هولمز»- فنشرها بين عاقي 1921 و1927.

يطلق القراء على الفترة التي اختفى فيها هولمز-داخل عالم القصص وليس في الحقيقة- فترة «التوقف الكبير»، وهي الفترة ما بين عاقي 1891 و1894، والتي من المفترض أنها تقع بين «المشكلة الأخيرة» و«مغامرة المنزل الخالي».

كانت آخر مغامرات هولمز-داخل عالم القصص- هي قصة «الظهور الأخير»، وفيها يظهر هولمز في الستين من عمره، وقد تقاعد في مزرعة يربي فيها النحل، لكنه يضطر إلى قطع تقاعده ليشارك في الحرب العالمية الأولى مع واطسون(108). وبقية القصص التي نُشرت بعد قصة «الظهور الأخير»-قصص مجموعة «قضايا شرلوك هولمز»- من المفترض أنها وقعت زمنيًا في الفترة التي سبقت تقاعده، ومن القضايا التي دُونها واطسون.

وعلى عكس موريس لوبلان، الذي لم يصرّح قط بالمصادر التي ألهمته بشخصية أرسين لوبين، لم يتوقف آرثر كونان دويل عن الإشارة إلى أنه استلهم الشخصية من أستاذه جوزيف بيل، الطبيب الذي عمل تحت إمرته في المستشفى الملكي بإدنبرة في اسكتلندا. كانت لبيل طريقة خاصة في الاستنتاج من أقل الأشياء التي لا يمكن ملاحظتها، وهي نفس الطريقة التي جعل دويل بطله هولمز يستخدمها في مغامراته.



لكن لا يمكننا ألا نرى تأثير آرثر كونان دويل بإدجار آلان بو في سلسلة القصص البوليسية التي كتبها بين عامي 1841 و1844، والتي جاءت بعنوان: «جرائم شارع مورج» - «غموض ماري روجيت» - «الرسالة المسروقة»، وظهرت فيها شخصية المحقق «أوجست دوبيين»، الذي اعتمد في حل القضايا الغامضة على الاستنتاج، وهو نفس ما سيتبعه شرلوك هولمز فيما بعد.



مغامرة الإرث الخالد



من سنة 1887 وحتى 1927 كتب آرثر كونان دويل 60 عملاً من بطولة شرلوك هولمز؛ 56 قصة قصيرة و4 روايات طويلة.

الروايات هي «دراسة في القرمزي» (1887)، «علامة الأربعة» (1890)، «كلب آل باسكرفيل» (1902)، و«وادي الخوف» (1915).

أما القصص القصيرة فجمعت في خمسة كتب: «مغامرات شرلوك هولمز» (1892)، وتحتوي 12 قصة، «مذكرات شرلوك هولمز» (109) (1894)، وتحتوي 12 قصة، «عودة شرلوك هولمز» (1905)، وتحتوي 13 قصة، «الظهور الأخير» (110) (1917)، وتحتوي 7 قصص، وأخيراً «قضايا شرلوك هولمز» (1927)، وتحتوي 12 قصة.

تبدو القصص للوهلة الأولى منفصلة، لكن الحقيقة غير ذلك، ففي كثير من القصص يُشار إلى قصص سابقة، أو حتى قصص لم نقرأها، وأحياناً يشير هولمز نفسه إلى قضية سابقة حلها -ولا نعرف كقراء عنها شيئاً- لأنها تشبه القضية التي يعمل عليها الآن، فقصص هولمز تختلف عن القصص التي يبدو فيها المحقق في كل رواية أو قضية يخوضها وكأنه شخص جديد نلتقيه للمرة الأولى، ليس لديه تاريخ أو ذاكرة.

لحسن الحظ لم تتعرض مغامرات شرلوك هولمز المترجمة إلى العربية لنفس العشوائية التي تعرضت لها مغامرات أرسين لوبين أو روايات أجاثا كريستي، فلم يستطع المترجمون أن يختصروها لأن أغلبها في الأساس قصص قصيرة، وأقصى ما كان يحدث أن يجمعوا معاً مجموعة من القصص التي تنتمي إلى كتب مختلفة، لكن ذلك لم يُشكّل مشكلة بسبب الانفصال الظاهر بين أغلب القصص.





ظهرت عشرات الكتب التي ترجمت العديد من قصص شرلوك هولمز، منها مثلًا ترجمة أمين سلامة لمجموعة «مذكرات شرلوك هولمز» تحت نفس الاسم في سلسلة روايات الهلال، ومن بين قصص المجموعة الاثنتي عشرة اختار ترجمة ثماني قصص، وترجمة المكتبة الحديثة للطباعة والنشر لست قصص من «مغامرات شرلوك هولمز» نشرتها بذات العنوان، وكذلك سلسلة «السنابل» التي أصدرتها مكتبة لبنان، والتي ترجمت قرابة عشرين قصة مختلفة من أصل ست وخمسين، في سلسلة بعنوان «مغامرات شرلوك هولمز»، وتقع في خمسة كتب.

. إلى أن ترجمت دار الأجيال مجموعتي «مغامرات شرلوك هولمز» و«مذكرات شرلوك هولمز» بالكامل، ترجمةً دقيقة وأمينة، لكنهم في البداية نشروا كل قصة في كتيب منفصل، ولما كانت كل قصة لا تزيد على ثلاثين صفحة، لجأوا إلى وضع مقدمة ثابتة من عشرين صفحة في كل كتيب تتكلم عن دويل وهولمز، والكتيبات مدعمة بالرسومات الأصلية التي كانت تُنشر في الجرائد مع كل قصة، ليصل عدد صفحات كل كتيب إلى سبعين أو ثمانين صفحة، فأصبحت المجموعة الأولى عبارة عن سلسلة من اثني عشر كتيبًا، ونفس الشيء مع المجموعة الثانية، ثم استدرکوا ذلك لاحقًا وأصدروا طبعات جديدة، تجمع كل أربع قصص في كتاب واحد. ثم ترجموا بعد ذلك بسنين قصص المجموعات الثلاث الأخرى، بالإضافة إلى الروايات الأربع، وكلها من ترجمة سالي أحمد حمدي، لتصير المجموعة الكاملة لشرلوك هولمز مترجمة بالكامل في دار الأجيال في ثمانية عشر كتابًا؛ أربعة عشر كتابًا تحوي ترجمة القصص القصيرة -كل مجموعة في ثلاثة كتب، ما عدا مجموعة «الظهور الأخير» في كتابين- وأربعة كتب تشمل الروايات الأربع.

أما دار عصير الكتب فترجمت كل قصص شرلوك هولمز ورواياته في تسعة كتب؛ كتاب واحد يضم لكل مجموعة قصصية، وأربعة كتب لكل رواية.



كما ترجمت مؤسسة هنداوي كذلك قصص مجموعات «عودة شرلوك هولمز»، و«الظهور الأخير»، و«قضايا شرلوك هولمز».



تأثير قصص شرلوك هولمز لا يمكن حصره، فهي من الأعمال المؤسسة في أدب الجريمة، وبلورت الشكل الذي ستتخذه روايات وقصص المحققين بعد ذلك. أي أعمال تقوم على التحقيقات البوليسية والاستنتاج والاستدلال تأثرت بها، بما في ذلك أعمال أجاثا كريستي نفسها، ومن لم يتأثر بها مباشرة ففي الغالب تأثر بأعمال تأثرت بها.



الأعمال الكاملة التي كتبها آرثر كونان دويل عن شِركلوك هولمز حسب ترتيب صدورها



1. دراسة في القرمزي

(رواية - 1887)

2. علامة الأربعة

(رواية - 1890)

3. مغامرات شِركلوك هولمز (مجموعة قصصية - 1892):

1. فضيحة في بوهيميا

(يوليو 1891)

2. عصبة ذوي الشعر الأحمر

(أغسطس 1891)

3. قضية هويّة

(سبتمبر 1891)

4. لغز وادي بوسكومب

(أكتوبر 1891)

5. بذور البرتقال الخمسة

(نوفمبر 1891)

6. ذو الشفة الملتوية

(ديسمبر 1891)

7. مغامرة الجوهرة الزرقاء

(يناير 1892)





8. مغامرة العصاة الرقطاء

(فبراير 1892)

9. مغامرة إيهام المهندس

(مارس 1892)

10. مغامرة النيل الأعزب

(أبريل 1892)

11. مغامرة تاج الزمرد

(مايو 1892)

12. مغامرة كوبر بيتشز

(يونيو 1892)

4. مذكرات شرلوك هولمز (مجموعة قصصية - 1894):

1. مغامرة سيلفر بليز

(ديسمبر 1892)

2. مغامرة الطرد البريدي

(يناير 1893)

3. مغامرة الوجه الأصفر

(فبراير 1893)

4. مغامرة موظف البنك

(مارس 1893)

5. مغامرة جلوريا سكوت

(أبريل 1893)



6. مغامرة وصية موسجريف



(مايو 1893)

7. مغامرة بلدة ريجيت

(يونيو 1893)

8. مغامرة الرجل الأحذب

(يوليو 1893)

9. مغامرة المريض المقيم

(أغسطس 1893)

10. مغامرة المترجم اليوناني

(سبتمبر 1893)

11. مغامرة وثائق البحرية

(أكتوبر-نوفمبر 1893 «نُشرت على جزئين»)

12. المشكلة الأخيرة

(ديسمبر 1893)

5. كلب آل باسكرفيل

(رواية - 1902)

6. عودة شرلوك هولمز (مجموعة قصصية - 1905):

1. مغامرة المنزل الفارغ

(سبتمبر 1903)

2. مغامرة بناء نوروود

(أكتوبر 1903)





3. مغامرة الرجال الراقصون

(ديسمبر 1903)

4. مغامرة راكبة الدراجة

(يناير 1904)

5. مغامرة مدرسة الرهبان

(فبراير 1904)

6. مغامرة بيتر الأسود

(مارس 1904)

7. مغامرة تشارلز أوجست ملفرتون

(إبريل 1904)

8. مغامرة تماثيل نابليون الستة

(مايو 1904)

9. مغامرة الطلاب الثلاثة

(يونيو 1904)

10. مغامرة النظارة الذهبية

(يوليو 1904)

11. مغامرة اللاعب المفقود

(أغسطس 1904)

12. مغامرة قصر أبي جرينج

(سبتمبر 1904)

13. مغامرة البقعة الثانية





7. وادي الخوف

(ديسمبر 1904)

(رواية - 1915)

8. الظهور الأخير (مجموعة قصصية - 1917):

1. مغامرة ويستريا لودج

(سبتمبر-أكتوبر 1908 «نُشرت على جزئين»)

2. مغامرة مخططات بروس بارتينجتون

(ديسمبر 1908)

3. مغامرة قدم الشيطان

(ديسمبر 1910)

4. مغامرة الدائرة الحمراء

(مارس-إبريل 1911 «نُشرت على جزئين»)

5. اختفاء الليدي فرانسيس كارفاكس

(ديسمبر 1911)

6. مغامرة المحقق المريض

(ديسمبر 1913)

7. الظهور الأخير

(سبتمبر 1917)

9. قضايا شرلوك هولمز (مجموعة قصصية - 1927):

1. مغامرة جوهرة التاج

(أكتوبر 1921)



2. لغز جسر ثور



(فبراير-مارس 1922 "نُشرت على جزئين")

3. مغامرة الرجل الزاحف

(مارس 1923)

4. مغامرة مصاصة دماء ساكس

(يناير 1924)

5. مغامرة جاريديب الثلاثة

(أكتوبر 1924)

6. مغامرة العميل المرموق

(نوفمبر 1924)

7. مغامرة الجلمونات الثلاثة

(سبتمبر 1926)

8. مغامرة الجندي الشاحب

(أكتوبر 1926)

9. مغامرة لبدة الأسد

(نوفمبر 1926)

10. مغامرة رجل الطلاء المتقاعد

(ديسمبر 1926)

11. مغامرة النزيلة الملثمة

(يناير 1927)

12. مغامرة شوسكوم أولد بليس



(مارس 1927)



١٩٩ / ٤٧٨ الاعمال الكمياء التي كتبت في كل هذه العصور من قبلنا. هو من حسن نيتنا في هذا المجال.





صورة شرلوك هولمز، كما تخيلها ورسمها الفنان «سيدني باجيت»،
رسام مجلة ستراند

PRICE ONE SHILLING

BEETON'S CHRISTMAS ANNUAL

A STUDY IN SCARLET



By A. CONAN DOYLE

Containing also
Two Original

DRAWING ROOM PLAYS.

1.

FOOD FOR POWDER

By R. ANDRÉ

2.

THE FOUR LEAVED SHAMROCK

By C. J. HAMILTON

With ENGRAVINGS

By D. H. FRISTON

MATT STRETCH

R. ANDRÉ

WARD LOCK & CO
LONDON · NEW YORK
AND MELBOURNE

الطبعة الأولى من «دراسة في القرمزي»، رواية شرلوك هولمز الأولى



Adventures of Sherlock Holmes.

ADVENTURE I. A SCANDAL IN BOHEMIA.

By A. Conan Doyle.

TO Sherlock Holmes she is always *the woman*. I have seldom heard him mention her under any other name. In his eyes she eclipses and predominates the whole of her sex. It was not that he felt any emotion akin to love for Irene Adler. All emotions and that one particularly, were abhorrent to his cold, precise, but admirably balanced mind. He was, I take it, the most perfect reasoning and observing machine that the world has seen; but, as a lover, he would have placed himself in a false position. He never spoke of the softer passions, save with a gibe and a sneer. They were admirable things for the observer—excellent for drawing the veil from men's motives and actions. But for the trained reasoner to admit such intrusions into his own delicate and finely adjusted temperament was to introduce a distracting factor which might throw a doubt upon all his mental results. Grit in a sensitive instrument, or a crack in one of his own high-power lenses, would not be more disturbing than a strong emotion in a nature such as his. And yet there was but one woman to him, and that woman was the late Irene Adler, of dubious and questionable memory.

I had seen little of Holmes lately. My marriage had drifted us away from each other. My own complete happiness, and the home-centred interests which rise up around the man who first finds himself master of his own establishment, were sufficient to absorb all my attention; while Holmes, who loathed every form of society with his whole Bohemian soul, remained in our lodgings in Baker-street, buried among his old books, and alternating from week to week between cocaine and ambition, the drowsiness of the drug, and the fierce energy of his own keen nature. He was still, as ever, deeply attracted by the study of crime, and occupied his immense faculties and extraordinary powers of observation in following out those clues, and clearing up those mysteries, which had been abandoned as hopeless by the official police. From time to time I heard some vague account of his doings: of his summons to Odessa in the case of the Trepoff

murder, of his clearing up of the singular tragedy of the Atkinson brothers at Trincomalee, and finally of the mission which he had accomplished so delicately and successfully for the reigning family of Holland. Beyond these signs of his activity, however, which I merely shared with all the readers of the daily press, I knew little of my former friend and companion.

One night—it was on the 20th of March, 1888—I was returning from a journey to a patient (for I had now returned to civil practice), when my way led me through Baker-street. As I passed the well-remembered door, which must always be associated in my mind with my wooing, and with the dark incidents of the *Study in Scarlet*, I was seized with a keen desire to see Holmes again, and to know how he was employing his extraordinary powers. His rooms were brilliantly lit, and, even as I looked up, I saw his tall spare figure pass twice in a dark silhouette against the blind. He was pacing the room swiftly, eagerly, with his head sunk upon his chest, and his hands clasped behind him. To me, who knew his every mood and habit, his attitude and manner told their own story. He was at work again. He had risen out of his drug-created dreams, and was hot upon the scent of some new problem. I rang the bell, and was shown up to the chamber which had formerly been in part my own.

His manner was not effusive. It seldom was; but he was glad, I think, to see me. With hardly a word spoken, but with a kindly eye, he waved me to an armchair, threw across his case of cigars, and indicated a spirit case and a gasogene in the corner. Then he stood before the fire, and looked me over in his singular introspective fashion.

"Well, Watson," he remarked, "I think, Watson, that you have put on seven and a half pounds since I saw you."

"Seven," I answered.

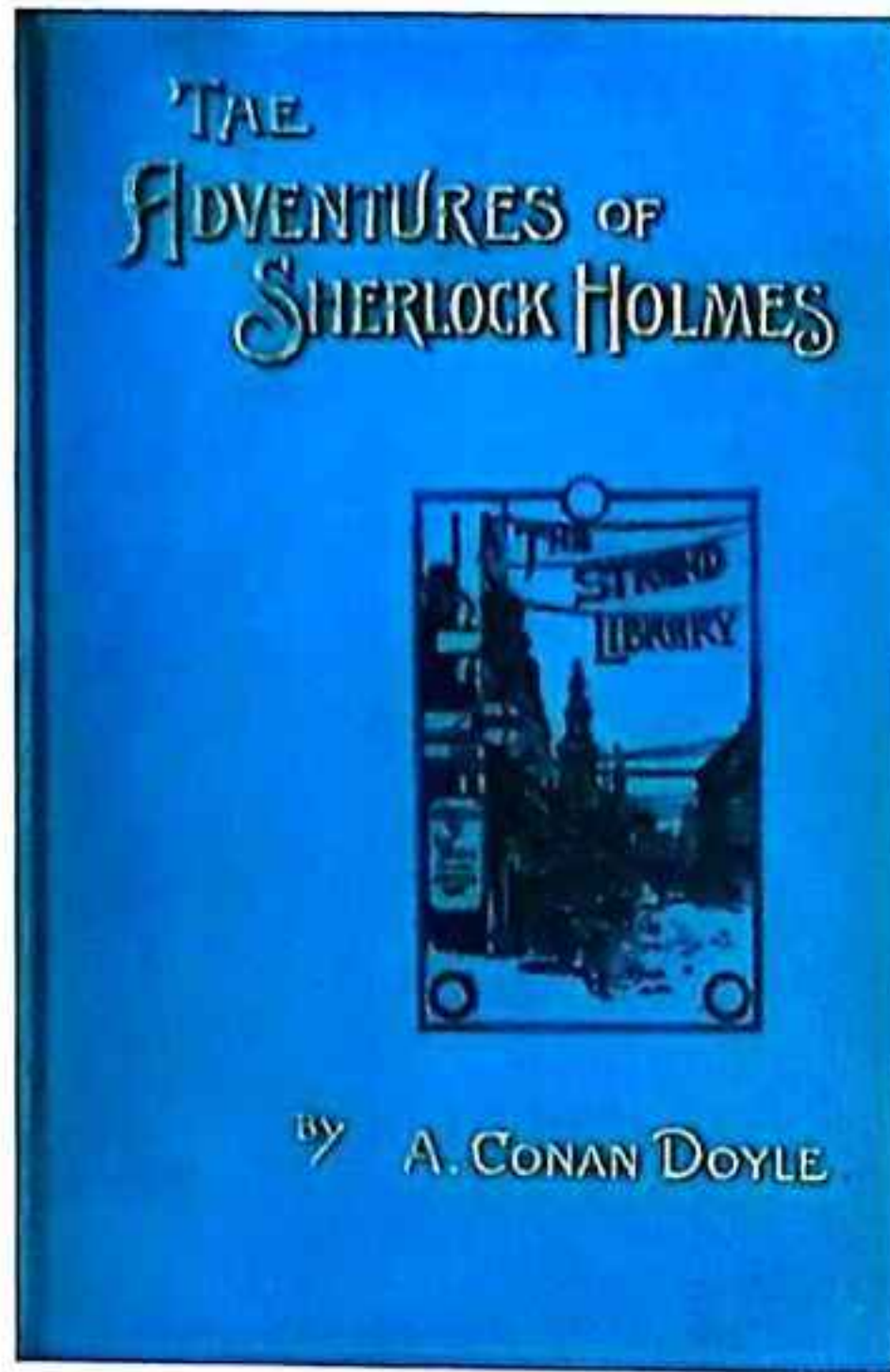
"Indeed, I should have thought a little more. Just a trifle more, I fancy, Watson. And in practice again, I observe. You did not tell me that you intended to go into harness."

"Then, how do you know?"

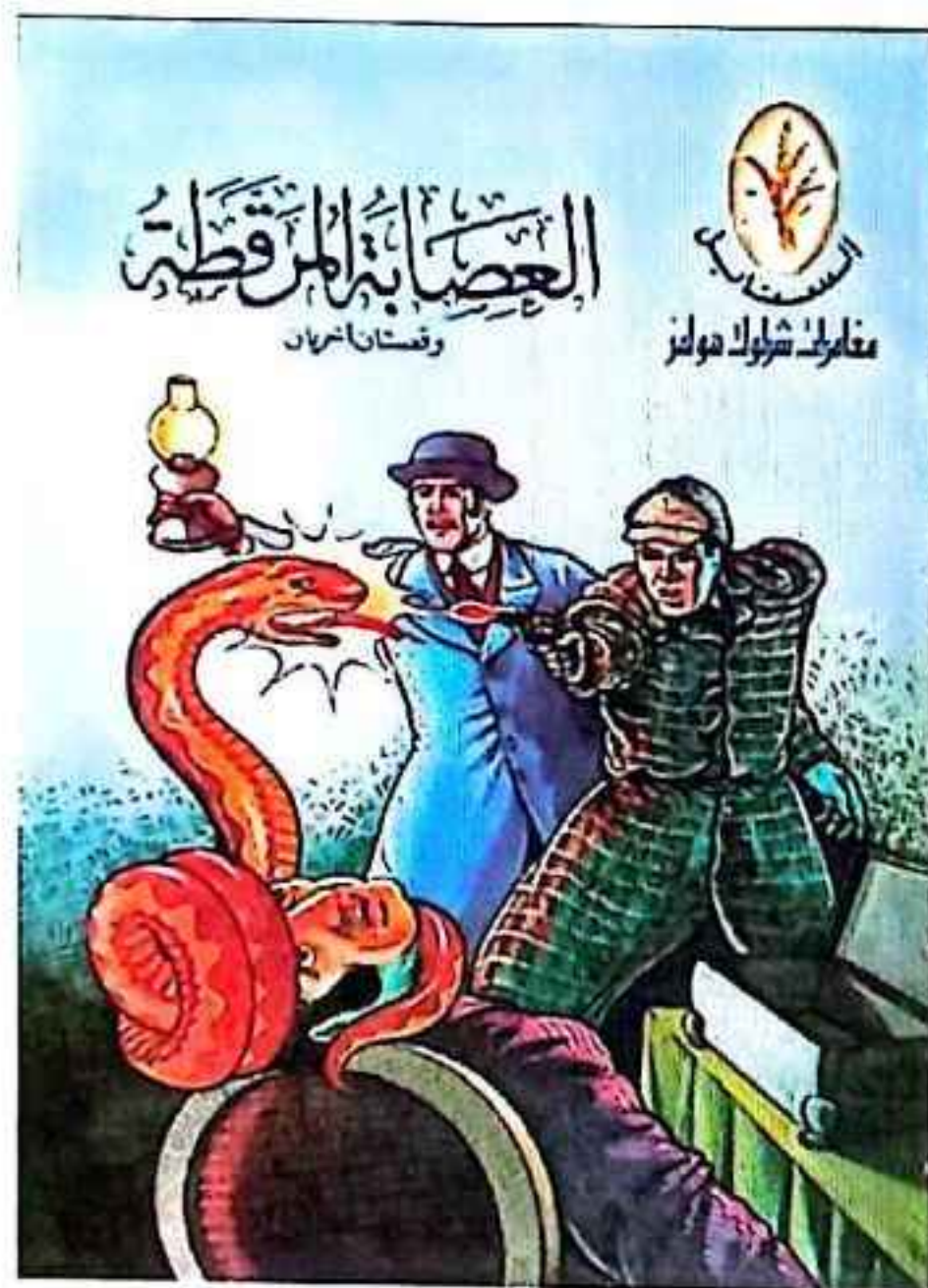
"I see it, I deduce it. How do I know

الصفحة الأولى من قصة «فضيحة في بوهميا»، كما نُشرت في

مجلة ستراند، في يوليو 1891



الطبعة الأولى من كتاب «مغامرات شرلوك هولمز»



أحد أغلفة سلسلة «مغامرات شرلوك هولمز»، من إصدار سلسلة



السنايبل، والتي تعرفت من خلالها على شرلوك هولمز في صفري



روايات الحقلان
ارثر كونان دوويل

مذكرات شرلوك هولمز



«مذكرات شرلوك هولمز»، طبعة دار الهلال



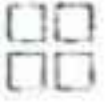


ترجمة مجلة روايات الجيب لرواية «وادي الخوف»



أحد أغلفة دار الأجيال للأعمال الكاملة لـ شيرلوك هولمز





أحد أغلفة دار عصير الكتب للأعمال الكاملة لشرلوك هولمز





نبيل فاروق
(١٩٥٦ - ٢٠٢٠)



١ الأعداد الجهنمية!

كتبُ عناوين هذا الفصل مستلهماً الروح التي كتب بها د. نبيل فاروق عناوين أعماله، مع إضافة نبرة من المبالغة الدرامية، التي كانت تتسم بها أعمال هذا المبدع العظيم كذلك.. نبيل فاروق كاتب من نوع خاص بالنسبة لي، ويحمل بداخلي مكانة قد لا يدانيه فيها كاتب آخر.. هذه العناوين، وهذا الفصل ككل، هو تحية لمبدع كبير، سيظل طفلي الصغير يشعر دائماً أنه مدينٌ له بالكثير..

في الصف الرابع الابتدائي كنت أقرأ كل ما يقع تحت يدي من كتيبات الجيب، بعد أن اختبرت نفسي في قراءة الشياطين الـ13 والمغامرون الخمسة، ثم بعدها روايات أرسين لوبين وأجاثا كريستي. أصبحت أقضي أغلب يومي أطلع صفحات روايات المغامرات، وبالنسبة إليّ كانت المغامرون الخمسة هي أفضل ما يمكن قراءته. في روايات أجاثا كريستي وأرسين لوبين المغامرات تدور في أجواء أجنبية ويقوم بها أبطال أجنب، بينما في المغامرين الخمسة الأجواء هي أجوائنا، والشخصيات تنتمي إلينا. الروايات البوليسية المترجمة كانت تُشعِرني بأنني أقرأ عن كوكب آخر بعيد عنا، بينما المغامرون الخمسة أشعرتني بأنني أقرأ عن مغامرات يمكنني أنا شخصياً أن أخوضها. ظللتُ هكذا إلى أن تعرفت على كتابات نبيل فاروق.

كنت أحاول في تلك الفترة أن أجمع حولي أشخاصاً يمكنني تبادل الحديث معهم حول الروايات، ويمكنهم فهم العوالم التي أعيش فيها داخل ذهني، فكوّنت مع أبناء الجيران ما يشبه نادي القراءة، بعد أن عرّفتهم على الروايات التي أقرأها وحبّبتهم فيها. فاجأني ابن جيراننا ذات يوم بأن مكتبة مدرسته تحوي بعض ألغاز المغامرين الخمسة، لكنني عندما تصفحتها اكتشفت أنها من تأليف كاتب آخر غير



محمود سالم، اسمه محمد عبد الحميد الطرزي، استعار جاري مجموعة منها، وأخذنا نقرأها متأففين، فهي أقل جودة بكثير مما يكتبه محمود سالم، والحقيقة أنني عندما تصفحتها عندما كبرت اكتشفت أنها قد لا تكون مناسبة للأطفال!

وفي إحدى المرات أخبرني جاري بحماس أن لديه مفاجأة، وأعطاني كتيبًا صغير الحجم يحمل عنوان «رأس العقرب» وفي أعلاه رقم 25، ثم عبارة «روايات مصرية للجيب» وبجوارها «إدارة العمليات الخاصة - المكتب رقم 19».

أما الغلاف الخلفي فكان غريبًا بالمقارنة بكل كتيبات الجيب التي قرأتها حتى ذلك الوقت! هناك صورة للمؤلف وتحتها اسمه: شريف شوقي. وبالأسفل عبارة تقول: «العدد القادم: مزرعة الموت».

كانت هذه المرة الأولى التي أجد فيها صورة لمؤلف الرواية، بالإضافة إلى تنويه عن العدد القادم من السلسلة. قرأت العدد وأعجبني، وأحضر لي جاري عددًا أو عددين آخرين من سلسلة المكتب رقم 19، قبل أن يخبرني بأنه وجد سلسلة أخرى اسمها «ملف المستقبل»، ويجيئني بالعدد 28 منها، «النهر المقدس».

إذن فروايات مصرية للجيب تحوي أكثر من سلسلة!

قرأت العدد، وهذه المرة انبهرت!

الأحداث تقع في المستقبل، وهناك مخابرات علمية، وفريق خاص يحقق في القضايا الغامضة، وفراغة متقدمون علميًا يختبئون تحت الأرض. الفكرة بأحداثها المثيرة.. بأجواء القصة.. بشخصية أبطالها! كل هذا أدار رأسي!

أصبحت أنتظر بلهفة أعداد ملف المستقبل التي يحضرها لي جاري، قرأت العدد 24، «الضوء الأسود»، والعدد 29، «الإيقاع المفترس»، وعدة أعداد أخرى، كلها ممتازة وأفكارها مختلفة عما اعتدت قراءته من قصص، لدرجة أن أُلغاز المغامرين الخمسة بدت بجوارها ساذجة!



وذات يوم أخبرني جاري بأنه استعار من المكتبة عددًا من سلسلة أخرى اسمها «رجل المستحيل». في الحقيقة لم تكن أسماء السلاسل مفاجأة بالنسبة إليّ، فكما ذكرت من قبل، كانت تمر عليّ في باب «تبادلني» في مجلة ميكي جيب، لكنني استغربتُ عندما أخبرني جاري بأن رجل المستحيل هذا اسمه «أدهم صبري»! استغربتُ الاسم في البداية وبدا لي ثقيلًا؛ أسماء الأبطال العرب الذين قرأت عنهم حتى ذلك الوقت كانت خفيفة ولطيفة، تختخ ومحب في المغامرين الخمسة، أحمد وإلهام في الشياطين الـ13، ممدوح في المكتب رقم 19، نور وسلوى في ملف المستقبل.. لكن أدهم؟!!

شعرت بأنني لن أحب تلك السلسلة كما أحببت غيرها، ولم أكن أعرف وقتها أنني سأتعلق بها أكثر من أي سلسلة أخرى، وسيصبح اسم أدهم محببًا لي إلى درجة أنني سأفكر جدًّا في تسمية ابني في المستقبل بـ«أدهم»!

الكتيب الذي أعطانيه جاري حمل عنوان «فارس اللؤلؤ»، العدد 23، وهناك صفحات ناقصة في بدايته، لكنني مع ذلك اندمجتُ للغاية مع الأحداث، فقد كانت في الحاضر، بعكس ملف المستقبل، وبدأت أكثر إثارةً وتشويقًا من أعداد المكتب رقم 19. الأحداث تدور في اليابان، التي لم أكن أعرف عنها الكثير وقتها، وأدهم صبري واجه خلالها منظمة جريمة يابانية تُدعى اللؤلؤ الأسود. انقبض قلبي عندما سقط أدهم في الماء أثناء صراعه مع رجال المنظمة، وبقي هناك دقائق عديدة كاتمًا أنفاسه، إلى أن تمكن من النجاة. بدا لي بطلًا أسطوريًا يحقق كل ما قد أتمناه وأصبو إليه من بطولة!

بعد انتهائي من قراءة هذا العدد عرفتُ أنني سأظل أسير تلك الأعداد لسنين قادمة، وأخذتُ أتأمل بإعجاب صورة المؤلف على الغلاف الخلفي وأعيد قراءة اسمه: نبيل فاروق. الرجل الذي سيزيح من داخلي محمود سالم -رغم تعلُّقي بأعماله- وستكون أكثر قراءاتي خلال السنين القادمة له، وسأتأثر بأسلوبه إلى درجة أنني سأكتب

بنفس طريقته لعدة سنوات حتى أصل إلى الجامعة!



100/100



الهوس القاتل!

فُتنتُ بأعداد رجل المستحيل وملف المستقبل، لم يعد لي شاغل سوى قراءتها أو البحث عنها. مكتبة مدرسة جاري لم تكن تحوي سوى بضعة أعداد، فانقطع ما كان يمدني به. لكنني اكتشفت مكتبة قريبة لديها الأعداد حتى رقم 45 من كل سلسلة، مع نواقص عديدة، وكان ذلك أفضل من لا شيء.

كنت أعود من المدرسة يوميًا وكلي شوق، أجلس لمدة نصف ساعة فأنتهي واجباتي المدرسية، ثم أستغرق في القراءة لساعات متواصلة، كتبي صارت جنتي. عندما أتعرف على صديق جديد في المدرسة لديه أعداد تنقصني، وأتفق معه على أن أحضر له أعدادًا من عندي وأبادلها معه، كنا نتصرف وكأننا نُهزّب مخدرات! أضع الأعداد في حقيبة المدرسة وسط الكتب، وأعطيه ما لديّ وأخذ ما لديه في الفسحة، محاذرين أن يرانا أحد المدرسين، أو أن يبلغ عنا أحد الطلبة. أذكر أنني أيامها كنت أمتلك ذاكرة حديدية، أي عدد أقرؤه أحفظ أحداثه بكافة تفاصيلها من شدة شغفي بما قرأت. وكنت أجمع أبناء الجيران حولي وأقص عليهم الأعداد التي قرأتها عددًا تلو الآخر، وهم يتابعونني بشغف، ثم تنتقل عدوى القراءة إليهم، فيرغبون في التعرف على تلك العوالم بأنفسهم، فأمدتهم عن طيب خاطر بالأعداد التي يحتاجونها. كنت أشبه ما أكون برجل مخبرات يُجنّد المزيد من العملاء ليعملوا لصالحه، إذ إنهم بعدها يبدؤون بدورهم في البحث عن الأعداد التي تنقصنا، بدلًا من بحثي وحدي.

كنت أحفظ جيدًا أرقام الأعداد التي تنقصني، وكلما قابلت أحدًا.. كلما التقيتُ زميل دراسة أو صديقًا محتملًا، أسأله بلهفة بعد السؤال عن الاسم والسن- «هل تقرأ رجل المستحيل وملف المستقبل؟»، صرت كالمجنون الذي سحره البحث عن كنزٍ ما وطار بصوابه. وإذا وجدت أحدًا يعرف السلسلتين ويقرؤهما، كنت أسأله

وقلبي يدق: «هل لديك أعداد كذا وكذا وكذا؟»، وأعدّد له أرقام الأعداد التي تنقصني، وفي الغالب لا يذكر إن كانت لديه أم لا.

بل إنني كدت أصبح نصابًا بسبب هوسي بتلك الأعداد!

كنت قد اكتشفتُ في تلك الفترة سلسلة أخرى لنبيل فاروق اسمها «كوكتيل 2000»، حجمها أكبر من حجم أعداد رجل المستحيل وملف المستقبل، وبالتالي فسعرها أعلى، ولم يكن معي ما يكفي من النقود، وكنت متلهفًا للحصول على كل أعدادها المتوفرة في السعودية في ذلك الوقت -تقريبًا عشرة أعداد إن لم تحُني الذاكرة- ولم أستطع الصبر عدة أسابيع حتى أوفر المبلغ المطلوب من مصروفي، فبدأت أحاول تجنيد زميل لي في المدرسة ليشتري أعداد السلسلة ثم يعيرها لي! أعطيته العدد الذي أملكه من السلسلة، وكانت فيه قصة قصيرة مُشوِّقة تنتهي نهاية مفتوحة، أي إنها قصة منتهية ولا توجد تكملة لها، ومع ذلك كتبتُ في نهايتها بقلم حبر أسود: «انتهى الجزء الأول بحمد الله ويليه الجزء الثاني بإذن الله في العدد القادم!»، وفي ظني أن صديقي عندما يقرأ العدد وتعجبه القصة سيتلهف للحصول على العدد التالي ليعرف ما حدث -ولن ينتبه إلى أن العبارة المكتوبة بخطي الطفولي ليست مطبوعة!- وعندما لا يجده معي يضطر إلى شرائه ثم يعيره لي! لكن اتضح لاحقًا أن صديقي مفلس مثلي، وبعد قراءته للعدد حثني على سرعة شراء العدد التالي ليستعيّره مني!

هنا تفنّقتُ ذهني عن خطة جهنمية!

الأعداد كانت تُباع في مكتبة تهامة، وهي سلسلة مكتبات شهيرة في السعودية، وكانت الوحيدة التي أجد فيها الأعداد الجديدة، وذلك قبل ظهور سلسلة مكتبات جرير بعدة سنوات، والتي ستصبح المكان الذي توجد فيه كل الأعداد التي يحتاج إليها أي قارئ.

الخطة التي رسمتها كانت أشبه بعملية سطو على المكتبة!



فكرت أن أذهب إليهم ومعى العدد القديم الذي أعرثه لصديقي
والذي كتبته داخله بالقلم الحبر- فأخفي العدد في مكان ما خارج
المكتبة -خلف صفيحة قمامة أو صندوق أو ما شابه- ثم ادخل إلى
المكتبة واشتري عددًا جديدًا من كوكتيل 2000، وعندما أخرج أضع
العدد الجديد مكان القديم، وأخذ القديم وأعود به إلى المكتبة،
وأقول للبائع إنني غيرت رأيي ولا أريد شراء هذا العدد، بل عدد آخر،
وأخذ العدد الآخر وأغادر المكتبة، وهكذا يصبح معى عددان جديان:
عدد اشتريته، وعدد بدّلته بعددي القديم!

نويت تنفيذ الخطة، لكن ضميري أُنّبني، وشعرت بأن هناك شيئًا ما
غير مريح فيما سأفعله -كان عمري حينها عشر سنوات- فذهبت إلى
أبي وشرحت له ما أنويه، وسألته ببراءة إن كان ما سأفعله حلالًا أم
حرامًا! ظل أبي يتابع ما أقوله مندهشًا ثم أوضح لي أن هذا الأمر
فيه خداع للبائع، كما أن من سيشتري العدد الذي سأتركه هناك
سيجد نفسه قد اشترى عددًا مستعملًا، إلخ، فشعرت بالخجل من
نفسي، وتراجعت عن تنفيذ الخطة، وقررت الصبر حتى يصير معى من
النقود ما أستطيع به شراء ما أريد.

أكثر ما أثار ضيقي في تلك الفترة أنني لم أكن أعرف كم عددًا صدر
من كل سلسلة بالضبط، الأعداد التي وصلت إلى السعودية توقفت
عند العدد 45، لكن كم عددًا صدر في مصر؟ تخيلت أن مئات الأعداد
صدرت، وأنه ينقصني الكثير!

ومما زاد غيظي أن العدد 45 من رجل المستحيل، «القضبان
الجليدية»، كان الجزء الثاني من مغامرة من أصعب مغامرات أدهم
صبري. ذهب مع زميلته منى توفيق إلى الاتحاد السوفيتي -في وقت
صدور تلك الأعداد لم يكن الاتحاد السوفيتي قد انهار بعد- وبعد عدة
مواجهات قتلت «الكي جي بي» -المخابرات السوفيتية- منى، فانهار
أدهم ونجحوا في القبض عليه، وأخذوه إلى المعتقل في سيبيريا
وهو مستسلم لهم، وهناك يكتشف أن منى ما زالت



حية، فيقرر الهرب وإنقاذها، ويخوض الأهوال في سبيل ذلك، وعندما يغادر المعتقل يبدأ في وضع خطة إنقاذ منى. وينتهي هذا الجزء هنا، والجزء الثالث «لهيب الثلج» ليس موجودًا! كان عليّ الانتظار حتى عودتنا إلى مصر في إجازة الصيف لأحصل عليه وأعرف ما حدث!

أذكر أنني وقتها أحضرت دفترًا وقطعت صفحاته، ثم قسمتها نصفين -لتصبح في حجم كتيبات روايات مصرية للجيب- وألصقتها معًا باللاصق، وبدأت تأليف سلسلة روايات أسميتها «هالك»، بطلها شاب مصري لديه قوة خارقة، لذلك شبّهوه بهالك أو الرجل الأخضر، وبينما يواجه المخابرات الأمريكية في إحدى المغامرات استطاعوا إطلاق أشعة عليه تسلب قوته، فأصبح شخصًا عاديًا وضعيفًا، ونجحوا في القبض عليه وأرسلوه إلى المعتقل (111)، وانتهى العدد هنا، وكتبته في نهايته: «إلى اللقاء مع الجزء الثاني». ثم بدأت في كتابة الجزء الثاني، مستلهمًا تصوّري لكيفية نجاة أدهم صبري مما صار إليه، وكانت تلك طريقتي في محاولة معرفة ما سيحدث، وتصيير نفسي حتى أصل إلى بقية الأعداد!

وعندما عدت إلى مصر، اكتشفت أن كل سلسلة صدر منها سبعون عددًا، ولم أستطع الحصول سوى على عدد قليل منها رغم كل محاولاتي. توزيع الأعداد كان ضعيفًا وأغلبه مع باعة الجرائد، الذين يضعون فقط الأعداد الجديدة، وربما من حين إلى آخر يضعون عددًا قديمًا أو أكثر، مما تبقى لديهم في المخازن.

كل يوم كنت أنزل من البيت في العاشرة صباحًا فأذهب إلى بائع الجرائد وقلبي يخفق في ترقب، ترى ماذا سأجد لديه اليوم؟ ووسط أكوام الجرائد والمجلات، كنت أجد عددًا قديمًا من رجل المستحيل، أو لغزًا من ألغاز المغامرين الخمسة، أو العدد الشهري الجديد من الشياطين الـ13، أحيانًا أجد كومة -بعضها فوق بعض- من عدد لرجل المستحيل اشتريته بالأمس، فأخذ أقلب فيها عددًا عددًا، لعل وعسى أن يكون بائع الجرائد قد نسي بينها عددًا قديمًا ليس لدي، وأعود

كل يوم ومعني غنيمة من عدة كتيبات أحملها بين يديّ، وأمنع نفسي بصعوبة من أن أفتح أحدها وأقرأ فيه وأنا أسير في الطريق كي لا أصطمم بشيء، أعدّ الخطوات المتبقية للوصول إلى البيت لأختلي مع كتبي الجديدة وأتصفحها وأتخير أحدها لأبدأ به. أحياناً لا أجد شيئاً عند بائع الجرائد أكثر مما اقتنيت في الأيام الماضية، فأبى أن أعود خالي الوفاض، وأنطلق إلى بائع جرائد آخر ربما أجد لديه ما لم أجد عند الأول، وفي أحيان أخرى أجد عند الأول ما يكفي، لكن الطموح يأخذني إلى الثاني لعلي أجد لديه المزيد.

كنت أحياناً أجد عددًا هو الجزء الثاني من عدد ليس معي، وأؤجل قراءته إلى حين حصولي على الجزء الأول، وإذا طال الأمر أضطر إلى قراءة الجزء الثاني وأكتفي بالملخص السريع في بدايته لأحداث الجزء الأول.

في إحدى السنين كان آخر عدد قرأته من رجل المستحيل هو العدد 77، «عمالقة مارسيليا»، وفي اليوم الأول لوصولنا إلى مصر في إجازة، وجدتُ عند بائع الجرائد العدد 83، «معركة القمة»، فاشتريته وبدأت في قراءته، لأكتشف في فصله الأول أن هذا العدد هو الجزء الثالث لعددتين سابقين: «الرجل الآخر»، العدد 81، و«الأخطبوط»، العدد 82، ومن الصفحات الأولى عرفت أحداثاً فاتتني أدارت رأسي: أدهم صبري فقد الذاكرة وظنه الجميع قد مات، وتزوج سونيا جراهام عدوته اللودود! متى وأين وكيف حدث كل هذا؟! والمشكلة أن هذا العدد لم يكن هو الجزء الأخير، بل هناك جزء رابع لم يصدر بعد!

ذات مرة، كنت أنتظر بلهفة قراءة العدد رقم 90 من رجل المستحيل، «الهدف»، وهو ختام جزئين سابقين قرأتهم في مصر قبل عودتي إلى السعودية. وعرفت في إجازة منتصف العام أن العدد الجديد قد صدر في مصر، لكنه لم يصل بعد إلى السعودية، فظلت لعدة ليالٍ أدعو الله قبل النوم وأتوسل إليه: يا رب، أعرف أنه أمر كبير، لكنك لا يعجزك شيء، أريد أن أستيقظ فأجد العدد موجودًا تحت



وسادتي! وأستيقظ في اليوم التالي، فأرفع الوسادة متهيئاً، ولا أجد شيئاً، فأستمر في الدعاء. وفي الغالب، لو كنت وجدت العدد تحت الوسادة لأصبت بالفزع، ولما استطعت قراءته!

انتشرت في تلك الفترة محلات صغيرة أضافت إلى نشاطها الرئيسي-الذي كان بيع الخردوات أو ما شابه- نشاطاً آخر يتعلق بكتيبات الجيب، فكان صاحب المحل يُخصّص رقماً يملؤه بأعداد مختلفة من روايات مصرية للجيب-رجل المستحيل وملف المستقبل وكوكتيل 2000، إلخ- ويتيح لك أن تُبدّل عدداً أو أكثر مما لديك بأعداد مما لديه، مقابل ربع جنيه على كل عدد تأخذه. كانت فكرة عبقرية، أتاحت للشباب قراءة الكثير من الأعداد بمبالغ بسيطة، دون أن تنقص الأعداد لدى صاحب المحل، لأنك تمنحه عدداً بدلاً من كل عدد تأخذه.

وهكذا، ولعدة سنوات، ظللت أسعى بلا كلل للحصول على ما ينقصني من أعداد، وحتى بعد أن جمعتُ أغلبها، ظلت هناك أعداد نادرة وغير موجودة في أي مكان، وكان عثوري على واحد منها بمنزلة عيد حقيقي!

وكنت أتساءل وقتها، وعمري عشر سنوات: كيف يستطيع نبيل فاروق كتابة كل هذا؟ ما كل هذا الخيال؟ كيف يستطيع نسج الأحداث بكل هذا التشويق؟!



فريق المستقبل



عرفتُ فيما بعد أن كل شيء بدأ عام 1984، عندما اكتشف حمدي مصطفى، صاحب المؤسسة العربية الحديثة، التي كانت متخصصة في طبع كتب الدارسة الخارجية، وأهمها كتاب سلاح التلميذ؛ اكتشف أن هناك الكثير من بواقى الورق من عملية طباعة تلك الكتب. وبدلاً من التخلص من تلك البواقى، فكر في استغلالها في طباعة كتيبات صغيرة مُوجَّهة إلى الأطفال والناشئة، ومن هنا كانت انطلاقة مشروع من أهم المشاريع الثقافية العربية في القرن العشرين: سلاسل روايات مصرية للجيب!

أُعلن عن مسابقة في النشر، فاز فيها شريف شوقي بالعدد الأول من سلسلته المكتب رقم 19، «الانفجار المجهول».

وقتها كان الطبيب الشاب نبيل فاروق في الثامنة والعشرين من عمره، قضى فترة انتدابه في الصعيد، ويحاول الزواج، ولديه حالة إحباط عامة. كان يرسم ويكتب، لكن دون أمل في نشر أيٍّ من أعماله. وكما ذكر في أكثر من لقاء فيما بعد، كلَّمه أحد أصدقائه بعدما قرأ في مجلة «عالم الكتاب» إعلان مسابقة المؤسسة العربية الحديثة، واقترح عليه أن يتقدم لها، لكنه لم يتحمس. فما كان من صديقه إلا أن أخذ زمام المبادرة وحصل منه على مخطوط روايته «أشعة ضاد»، وذهب بنفسه لتقديمها في مقر المؤسسة العربية الحديثة في المنطقة الصناعية بالعباسية. هناك أخبره الموظف المسؤول بأن المسابقة أُغلقت منذ قليل، لكنه أصر على تسليم الرواية، واضطر الموظف إلى الإذعان تحت إلحاحه. ويمكننا تخيُّل ما كانت ستصير إليه الأمور لو أن الموظف أصر على رأيه، أو أن الصديق لم يتحمس لتقديم الرواية.

ما حدث بعدها أن حمدي مصطفى أعجبه الرواية، وقرر نشرها،





فتواصلت المؤسسة مع نبيل فاروق وطلبت حضوره، وبدأ كل شيء. الرواية نُشرت باعتبارها العدد الأول من سلسلة ملف المستقبل، بعد تغيير اسمها إلى «أشعة الموت». سلسلة تدور أحداثها في القرن الحادي والعشرين -الذي بدأ بعيدًا عام 1984!- ففي العدد الأول نعرف أن الأحداث تقع في أواخر عام 1999، لكن مع توالي الأعداد سيختار نبيل فاروق أن يجعل الأحداث تقع في وقتٍ ما من القرن الجديد، دون تحديد سنة من السنين.

في العدد الأول نعرف أن مصر أصبحت دولة عظمى، وصارت التكنولوجيا متقدمة. هناك سيارات صاروخية تتحرك بسرعات هائلة، والأسلحة المستخدمة هي مسدسات وبنادق الليزر، الناس يتصلون بعضهم بعضًا من خلال هواتف التليفيديو (جهاز هاتف متصل بشاشة تلفاز يرى عليها المتصل وجه من يتصل به)، وهناك سجن على القمر يوضع فيه المجرمون الخطرون، والوقود المستخدم هو الوقود الأميني، وأشياء أخرى من هذا القبيل. والحقيقة أن تصوّر المستقبل في السلسلة تأثر بشكل كبير بالصورة المتخيلة التي كانت سائدة في السبعينيات عما سيكون عليه حال التكنولوجيا خلال عقدين. فرغم كل التقدم التكنولوجي الذي تعرضه السلسلة خلال أول مائة عدد من أعدادها، فإنها لم تنجح في تصوّر انتشار الكمبيوترات ووجود شبكة الإنترنت وأجهزة المحمول، وهي التكنولوجيا التي بدأت تسود في العالم منذ أواخر التسعينيات.

لكن أهم الإنجازات التكنولوجية في ملف المستقبل وجود أجهزة المخبرات العلمية، فمع كل هذا التقدم العلمي صار الصراع المخبراتي يدور حول العلوم والاكتشافات، لذلك كان ضروريًا إنشاء مثل هذا الجهاز.

في «أشعة الموت» نتعرف على بطلنا نور الدين محمود، وهو ملازم في المخبرات العلمية، شديد الذكاء -أو عبقرى حسب وصف السلسلة وأبطالها له- شديد الشاعرية، شديد القوة، شديد المثالية،



يكره القتل والتدمير، وتمر بجسده قشعريرة إذا جاءت سيرة الدماء. وصف مدى كرهه نور للقتل والتدمير في السلسلة كان فيه شيء من المبالغة، لأنه سيُشعر مَنْ يقرأ بأنه أمام فتاة رقيقة مرهفة الحس لا يمكنها تخيُّل مدى بشاعة العالم، لا رجل مخابرات محترف! وأحداث السلسلة نفسها ستجعلنا نقع في حيرة، لأننا كثيرًا ما سنرى نور وهو يقاتل ويقتل ويدمر -مضطربًا بالطبع- ورغم ذلك إذا ذكر أحدهم أمامه عدد القتلى الذين تتسبب فيهم القنبلة الذرية أو الهيدروجينية تنتابه رعدة وينهره طالبًا منه التوقف!

وعندما يُضطر نور إلى القتل لأول مرة في العدد 15، «مثلث الغموض»، يُصاب بانهيار عصبي! تخيّلوا هذا! ضابط مخابرات مُدرَّب على أعلى مستوى يُصاب بانهيار عصبي عندما يضطر إلى القتل!

في «أشعة الموت» نرى نور يقابل القائد الأعلى للمخابرات العلمية لأول مرة، المفروض أنه تخرَّج في كلية الشرطة منذ فترة قريبة والتحق لتوّه بالمخابرات العلمية، وما زال يحمل رتبة ملازم، ومع ذلك يُكلِّفه القائد الأعلى بمهمة خطيرة، فهناك مَنْ سرقوا جهاز أشعة الموت ويهددون بإطلاقه ما لم تُنقذ طلباتهم. يتساءل نور عن السبب في تكليفه بتلك المهمة رغم أنه حديث التخرج، فنعتقد نحن القراء أن هناك سببًا وجيهاً لذلك سيتضح فيما بعد، لكن تنتهي الرواية دون توضيح! هناك مهمة كبيرة ومعقدة وقد يؤدي الفشل فيها إلى كوارث، وبدلاً من تكليف ضابط مخضرم بها، أو عدة ضباط، يُكلِّف بها ضابط صغير حديث التخرج لم يُختبر من قبل، ولا سبب منطقي لذلك سوى أن المؤلف أراد هذا لأن هذا الضابط هو بطل السلسلة الوليدة!

يقوم نور بعدها بأهم حدث وقع في السلسلة، وهو تكوين فريقه العلمي الخاص، فريق يحوي ثلاثة أشخاص غيره، كل واحد منهم عالم في مجاله؛ سلوى خبيرة الاتصالات، ومحمود خبير الأشعة، ورمزي الطبيب النفسي. هذه هي التخصصات التي رأى نبيل فاروق

أنها ضرورية لحل الألغاز العلمية التي ستكون طبيعة السلسلة في بدايتها.



أعضاء الفريق كلهم صغار السن، في بداية العشرينيات، ما عدا رمزي الذي كان في الثلاثينيات، وبالطبع ينجح الفريق في المهمة ويقبض على العصاة ويستعيد جهاز أشعة الموت.

في الأعداد الثلاثين الأولى كانت طبيعة السلسلة قريبة من روايات أجاثا كريستي، أي أنها تقوم على سؤال: مَنْ الجاني؟ تحدث جريمة علمية، أو ظاهرة غامضة، ويكلف الفريق بالتحقيق فيها، ويكون هناك عدة مشتبه فيهم، وبعد عدة مواجهات يكتشف نور الجاني. ونعرف أن نور توصل إلى الحل عندما ينهمك في التفكير ثم فجأة تلتمع عيناه ببريق معين، عندما يراه أفراد الفريق يستبشرون بأنه حلّ غموض القضية.



الشیطان المصري!



حماس نبیل فاروق وطاقته كانا واضحين منذ البداية، فبعد أسبوع واحد من لقائه الأول بحمدي مصطفى كتب العدد الثاني من ملف المستقبل، «اختفاء صاروخ» (112)، ثم لم يكتفِ بنشر سلسلة ملف المستقبل، بل بدأ يسعى لتنفيذ حلم كان يراوده منذ سنين عديدة: خلق شخصية بطل حركة مثل جيمس بوند، لكنه عربي ملتزم بعاداتنا وتقاليدينا، ومن هنا جاءت فكرة سلسلة «رجل المستحيل».

في المرحلة الأولى من السلسلة كان أدهم صبري يوصف بـرجل المستحيل بسبب أنه يجيد الكثير من المهارات رغم صغر سنه. فهو في الخامسة والثلاثين من عمره، ورغم ذلك يجيد سائر فنون القتال، واستخدام جميع أنواع الأسلحة، ويستطيع قيادة كافة أنواع المركبات -سيارات، طائرات، غواصات- ويتقن التنكر، ويتحدث ست لغات. فهو رجل المستحيل لأنه أجاد كل هذه الأمور في هذه السن الصغيرة. فيما بعد سيتغير هذا المفهوم، وسيصبح رجل المستحيل ليس لكثرة المهارات التي لديه، بل لأنه خارق! أدهم صبري خارق، يجيد كل شيء، ويمكنه فعل أي شيء، على مدار أعداد السلسلة سندرك أن المهارات التي ذُكر في مقدمة السلسلة أنه يجيدها هي فقط بعض مهاراته، ففي كل عدد سنكتشف مهارات جديدة لديه لم نكن نعرفها، وفي كل مغامرة يزور فيها بلدًا جديدًا سنُفاجأ بأنه يجيد لغة ذلك البلد إجادة تامة، بل ويتقن أيضًا لهجاته المحلية! مع الوقت صار واضحًا للقراء أن رجل المستحيل لا يتحدث فقط ست لغات كما تقول مقدمة السلسلة. وفي الغالب فقد لاحظ المؤلف الأمر ذاته، لذلك في العدد 60، «دونا كارولينا»، وعندما تسأله دونا كارولينا عن مهاراته، سيخبرها بأنه في البداية كان يجيد ست لغات، ثم لاحقًا أضاف إليها ثلاث أو أربع لغات أخرى!

في البداية كان أدهم صبري ضابط مخابرات حربية، والمقدمة الثابتة



التي توضع في بداية كل عدد كانت تنتهي بعبارة: «واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات الحربية، لقب رجل المستحيل». ظل الأمر هكذا حتى العدد 16، ثم بدءًا من العدد 17 أصبحت المقدمة تقول: «واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة، لقب رجل المستحيل».

ولا أعرف هل كان نبيل فاروق وقتها لا يعرف الفرق بين المخابرات العامة والحربية، أم أنه خشي إذا نُسب أدهم صبري إلى المخابرات العامة أن يتسبب ذلك في مشاكل. ففي الأعداد الأربعين الأولى كان هناك نوع من الحذر في التعامل مع الأمور التي قد تجلب المشاكل، فمثلًا لم يُذكر اسم إسرائيل بشكل مباشر في تلك الأعداد، رغم أن أغلبها يحوي مواجهات مع الموساد؛ كانت أسماء الشخصيات كافية للدلالة على انتمائها، كحاييم وديفيد وموشي وغيرها، وعند الاضطرار إلى الإشارة كان نبيل فاروق يلجأ إلى وصف من نوعية: «في دولة شرق أوسطية...»، أو «رجل يحمل ملامح شرق أوسطية»، أو يُذكر الاسم مبتورًا، تقول الشخصية الإسرائيلية: «أنا أنتمي إلى إسرائيل...»، ثم تقاطعها شخصية أخرى قبل أن تُكمل، أو تقول الشخصية الإسرائيلية: «دولتي لن تسمح بكذا»، «مخابرات دولتي ستفعل كذا». ودائمًا ما يُوصف الإسرائيليون بأن أنوفهم معقوفة، دون الإشارة إلى كونهم إسرائيليين، بحيث صرنا كقراء كلما ظهرت شخصية ووُصفت بأن أنفها معقوف، ندرك على الفور أن المقصود أنها شخصية إسرائيلية.

ويمكن تفهّم هذا الحذر، فالسلسلة بدأت عام 1984، واتفاقية كامب ديفيد - وكل الجدل الذي أثير حولها - لم يمض عليها خمس سنوات، وربما في ذلك الوقت خشي نبيل فاروق -أو المؤسسة العربية الحديثة- ألا تتم الموافقة على وجود سلسلة تهاجم الإسرائيليين أو تُظهرهم في صورة الأعداء!

ونفس الشيء مع المخابرات الأمريكية، لم تقع في تلك الأعداد أي



مواجهات مع المخابرات الأمريكية، ولم يُشر إليهم باعتبارهم أعداء أو منافسين. كل المواجهات كانت تقع مع «جهات آمنة»: الموساد-دون الإشارة إلى جنسية رجاله- أو المافيا الإيطالية، أو منظمات إجرامية خيالية كمنظمة سكوريون أو اللؤلؤ الأسود، أو زعماء عصابات، أو المخابرات السوفيتية «كي جي بي»، وتلك الأخيرة كانت الإشارة إليها تتم بأريحية وبلا حرج، بسبب عدم وجود محاذير سياسية تجاه الاتحاد السوفيتي منذ غيّر الرئيس السادات سياسات مصر وطرد الخبراء السوفييت، واتجه ناحية أمريكا والغرب في السبعينيات.

وأدهم صبري يجيد التنكر لدرجة مذهلة، فهو يمكنه استخدام الأصباغ والمكونات الكيميائية ليصنع قناعًا متقنًا لوجه أي شخصية يقابلها، فإذا ارتدى القناع صار صورة طبق الأصل من تلك الشخصية. ولتكتمل الصورة فهو يجيد أيضًا تقليد الأصوات؛ لديه حنجرة مرنة درّبها على تقليد أي صوت، وبالتالي بإمكانه إذا أراد أن يصبح أنت، ولن يستطيع أقرب أقربائك تفريقه عنك. والتنكر فقرة أساسية في مغامرات أدهم صبري، فبإمكانه التسلل إلى حصون أعدائه متنكرًا في صورتهم، وإثارة البلبلة بينهم بتلك الطريقة، وفي بعض الأحيان يرتدي أكثر من قناع -بعضها فوق بعض- فإذا خلع القناع الأول تحوّل إلى شخصية أخرى، وهكذا.

وأعداء أدهم دائمًا ما ينادونه -على غير اتفاق بينهم- بلقب «الشیطان المصري»، تكرر هذا الوصف في السلسلة كثيرًا جدًّا، وفي كل عدد تقريبًا، إلى درجة أنني تساءلت: لماذا اسم السلسلة رجل المستحيل وليس الشيطان المصري!

ودائمًا ما يظهر أمام أدهم خمسة عمالقة من رجال أعدائه، ويحاولون مهاجمته، وقراء السلسلة يحفظون ما سيحدث بعد ذلك، فالوصف هنا ثابت: سيلكّم أدهم فك الأول فيحطمه، ثم يلكّم أنف الثاني فيهشمه، ثم يغوص بقبضته في معدة الثالث، ثم يركل صدر الرابع، ثم يدور في الهواء ويركل وجه الخامس، فيسقط العمالقة





الخمسة فاقدى الوعي تحت قدميه، ولا بد من وصف ثابت يُكمل هذه المعركة: وقع كل هذا في جزء من الثانية، وباستخدام أطرافه الأربعة في نفس الوقت! وهو وصف كفيل في حد ذاته بإرباك عقل القارئ وجعله يفقد وعيه!

هذا ما يحدث في كل مغامرة تقريبًا، خصوصًا في الأعداد الثلاثين أو الأربعين الأولى، يقع الأمر بنفس التتابع، بنفس الوصف، إلى درجة أن منى زميلة أدهم عندما وجدت خمسة عمالقة يتبعونها في أحد الأعداد، سألت أدهم السؤال الذي لا بد وأنه ورد على ذهن كثير من القراء: لماذا دائمًا يهاجمنا خمسة عمالقة؟!

ودائمًا ما يلجأ أدهم إلى إفقاد خصومه وعيهم، أو إطلاق النار على أيديهم وأرجلهم، لأنه يكره القتل وإزهاق الأرواح إلا للضرورة.

في الأعداد الأولى كانت شخصية أدهم صبري أقرب ما تكون لشاب مستهتر عابث، تشبهه في رأبي شخصية أرسين لوبين، فهو يهوى السخرية من أعدائه، ويحب التلاعب بهم، وأحيانًا ينتابه الغرور والاعتداد بقدراته، مثلما حدث في العدد 17، «انتقام العقرب»، عندما قال لرجال منظمة سكوريون إنهم كان عليهم إدراك أن أدهم صبري هو أشد العقارب سمًا!

وهذا الأمر سيختفي تمامًا في السلسلة فيما بعد، وسيبدو أدهم متواضعًا، لا يشعر بالتميز الذي تضيفه عليه قدراته. سيتحول من شخصية أرسين لوبين-الشاب المستهتر الذي يحب استعراض مواهبه والسخرية من أعدائه- إلى شخصية سوبر مان! الشخص الخارق الذي يمكنه فعل كل شيء ولا يقف في طريقه شيء، وهو يدرك مسؤولية ذلك ويعتبره عبئًا عليه تحمُّله والقيام به.

وفي الحقيقة فإن السلسلة تحمل حسًا وطنيًا وقوميًا كبيرًا، عندما بدأتُ قراءتها شعرت بتعلق شديد بمصر -وأعتقد أن أغلب القراء شعروا بالأمر ذاته- وربما زاد الأمر معي لأنني كنت وقتها أعيش بعيدًا عن مصر، وأحلم طوال الوقت بالعودة إليها. تمنيت وقتها،





ولسنيين طويلة بعدها، أن انضم إلى المخابرات العامة لأقاتل أعداء مصر -خصوصًا الموساد- بكل ما أملك. كان ذلك أمرًا طبيعيًا لأن أدهم صبري تحوّل لدينا نحن القراء إلى قدوة نصبو إليها، أدهم صبري -تلك الشخصية الفائقة التي تداعب مكانن الذكورة عند القارئ- مع كل ما لديه من قدرات، ومع استهتاره بأعدائه وشجاعته في مواجهتهم وقدرته على الانتصار عليهم؛ يذوب حبًا في مصر، ويمكنه أن يفعل أي شيء ويضحى بكل شيء من أجل مصلحتها. السلسلة باختصار تُظهر لنا تفوق المخابرات المصرية على أعدائها، الإسرائيليون يبدون ضعفاء مرتبكين تافهين أمام بطلنا وقدراته، ويقرون طوال الوقت بتفوقه وتفوق المصريين عليهم، والأمريكيون ينظرون إليه بغيرة ويشعرون بالمرارة لأنه لا يعمل في صفوفهم، ويقرون بدورهم بتفوق المخابرات المصرية عليهم برجالها، رغم تفوقهم -الأمريكيين- بتكنولوجيتهم.



علاقات الجحيم!

العلاقات بين الشخصيات في سلسلتي ملف المستقبل ورجل المستقبل كانت متباينة، ففي حين جاءت الأمور سريعة للغاية ومتشعبة في ملف المستقبل، كانت بطيئة في رجل المستقبل، لكنها أكثر إثارة!

في ملف المستقبل ندرك من الأعداد الأولى أن هناك استلطافاً بين نور وسلوى، يشوبه شيء من الغيرة عندما تظهر الصحفية مشيرة محفوظ في العدد 5، «القنبلة الغامضة»، لكن لا يستمر هذا طويلاً، إذ يتزوج نور وسلوى في العدد 13، «الزمن المفقود»، وينجبان ابنتهما نشوى في العدد 16، «الوباء الجهنمي». حدث الأمر بسرعة ودون تطويل.

أما مشيرة فتتزوج رمزي عضو الفريق، لكنهما يتطلقان بعد فترة، ثم ما يلبث رمزي أن يتزوج من نشوى ابنة نور وسلوى، والتي كانت قد تعرضت لتجربة رهيبة على يد مخلوقات تعيش في أعماق المحيط، وبسبب تلك التجربة يقفز عمرها عشر سنوات، وتصبح قريبة من عمر والديها ورفاقهما. ومشيرة بعد طلاقها من رمزي تقع في حب أكرم عضو الفريق الجديد، وتتزوجه.

علاقات عديدة ومتشعبة، يقابلها شبه تجدد في العلاقات في سلسلة رجل المستقبل!

فأدهم صبري الذي بدأ مع زميلته منى توفيق بشيء من العدائية، يعتاد وجودها رويداً رويداً، ثم يميل إليها، وعندما تُصاب وهي تنقذه في العدد 12، «حلفاء الشر»، وتسقط في غيبوبة -لا تستيقظ منها سوى بعد ثلاثة أعداد- يُصاب بما يشبه الاكتئاب في غيابها عنه.

يعترف لها بحبه ويطلب الزواج بها، لكنها ترفض رغم أنها تحبه بجنون! السبب أنها تخشى على أبنائهما من حياة المخاطر التي

يعيشانها! وتظل العلاقة بينهما هكذا، يجبان بعضهما بعضًا بجنون، لكن لا يمكنهما الزواج بسبب رفض منى. وعندما يعرض عليها أدهم الزواج مرة أخرى ترفض لكن هذه المرة بحجة مختلفة: فخلال مغامراتهما تشوّه جسدها من كثرة ما أصابها من رصاصات، وهو يستحق امرأة أفضل منها!

في ملف المستقبل لم تكن العلاقات العاطفية تشغل القراء كثيرًا، فأبطال السلسلة أغلبهم متزوجون ويعيشون حياة أسرية مستقرة، لكن جزء كبير من اهتمام القراء بسلسلة رجل المستحيل كان بسبب تتبّع تطور العلاقة العاطفية بين أدهم ومنى، تلك العلاقة التي لم تكن تتطور من الأساس!

وجود منى في السلسلة كان غريبًا! فمن المفترض أنها ضابطة مخبرات، ومع ذلك لم تُظهر أي مهارة تُذكر! بدت شخصية سلبية كل مهمتها أن تُختطف أو تتعرض للخطر، فيتدخل أدهم لإنقاذها. في العدد 8، «غريم الشيطان»، يطارد أدهم عدوه، وتتبعه منى، لكنها في أثناء قفزها فوق حاجز من النباتات وهي تُشهر مسدسها، تتعثر وتسقط، فتنتقل من مسدسها طائشة تصيب أدهم في قدمه بالخطأ، فيسقط ويفقد أثر غريمه! وفي العدد 61، «ملائكة الجحيم»، يقاتل أدهم مجموعة من أعدائه ويترك منى تقاتل واحدة من الأعداء، ثم يُفاجأ بأنها تعثرت في البساط أثناء القتال فتسيطر عليها غريمتها!

وستقع منى في غيبوبة مرتين؛ المرة التي ذكرناها، ومرة ثانية في العدد 100، لكننا سنلمس تغييرًا -أخيرًا- في شخصيتها منذ العدد 58، «إعدام بطل»، سيزيد ويتضح أكثر في أعداد الثمانينيات، وستصبح فتاة مخبرات حقيقية، يمكنها القتال وحدها والاعتماد على نفسها، لكن هذا حدث بلا تمهيد؛ لم تكن تجيد القتال ولا اتخاذ القرارات والتصرف وحدها، ثم فجأة صارت مقاتلة لا يشق لها غبار، يمكنها أن تخوض عملية بمفردها دون مساعدة أحد، فكأننا صرنا أمام شخصية





أخرى، قرر المؤلف أن يستبدلها بمنى القديمة الباهتة التي كنا نعرفها على مدار ثمانين عددًا.

وبعيدًا عن منى، فأدهم صبري يظهر في السلسلة كشخص فائق الوسامة والجادبية، كلما قابل امرأة وقعت في هواه. فدونا كارولينا زعيمة المافيا تُفتن به وتعرض عليه الزواج، وفي غياب منى كلما عملت معه فتاة مخبرات جديدة تقع في هواه، مثلما حدث مع جيهان فريد التي ظهرت منذ العدد 104، «الإعصار الأحمر». وفي سلسلة الأعداد الخاصة في العدد 3، «العميل»، يلتقي أدهم بممثلة إيطالية الأولى، وفي العدد 6، «أسير الثلوج»، يقابل ممثلة الاتحاد السوفيتي الأولى، وكلتاهما فانتتان، وتقعان في حبه، لكنه يرفض كل هؤلاء الفتيات الفاتنات اللاتي يدُبن عشقًا فيه، ولا يستطيع سوى التفكير في منى.

الاستثناء الوحيد كانت فدوى، التي التقاها أدهم قبل أن يتعرف على منى، في العدد الخاص رقم 1، «المعركة الكبرى»، ووقع في حبها، لكنها ستلقى مصرعها دون أن يستطيع إنقاذها، وسيُشكّل ذلك عقدة في حياته، وبسببها سيتعامل مع منى بعدائية في العدد الأول، لأنه لم يعد يرغب في العمل مع فتيات بعد ما حدث لفدوى. وربما حان الوقت الآن للحديث عن شخصية من أهم شخصيات السلسلة: سونيا جراهام!

وصفّ سونيا جراهام في السلسلة جعلني منذ صغري أشعر بالفضول لرؤيتها، فنبيل فاروق يصفها دائمًا وكأنها الفتنة المطلقة، كلما رآها شخص وقع في هواها؛ جابرة وزعماء منظمات تجسسية وعصابات إجرامية سال لعابهم وفقدوا السيطرة على أنفسهم عندما رأوها! كلهم ما عدا أدهم صبري!

في الأعداد الأولى كان عدو أدهم اللدود هو ضابط الموساد العجوز حاييم شيمون، ثم بعد ذلك ستصبح سونيا جراهام عدوة أدهم اللدود بلا منازع. هي ضابطة في الموساد، جمالها وبرائتها



يخدعان مَنْ يراها، فلا يدرك أنها أشرس وأقسى مخلوق قد يقابله في حياته. ظهرت في العدد 19، «أبواب الجحيم»، ثم تتابع ظهورها بعد ذلك في كثير من الأعداد. في الأعداد الأولى كان أكثر ما يميزها أنها تستطيع اكتشاف أدهم إذا تنكَّر من خلال بصمة أذنيه! من المفترض أن للأذن بصمة مثلها مثل الأصابع، وعندما يتنكر أدهم فالشيء الوحيد الذي لا يستطيع تغييره في وجهه هو أذناه، وسونيا تجيد قراءة بصمات الآذان، وعندما حفظت بصمة أذن أدهم أصبحت تتعرف عليه ما إن تراه، مهما ارتدى من أقنعة!

. علاقتها بأدهم معقدة، في البداية تسعى لهزيمته والانتصار عليه، ثم تتحول رغبتها إلى الانتقام منه، لأنهم سيطردونها من الموساد بسبب هزائمها المتكررة أمامه، في العدد 50، «مهمة خاصة»، ثم مع الوقت سنكتشف أنها تحبه، تحمل نحوه مزيجًا من العشق والكراهية!

لكن الأمور مع سونيا لا تتوقف هنا، فهي -بعكس منى- كانت من العوامل المحركة في السلسلة، وبسببها انفتحت خيوط ووقعت صراعات ومعارك!

وعلى الصعيد العائلي، نعرف في العدد 24، «الضباب القاتل»، أن والد أدهم صبري كان دبلوماسيًا -وفي أعداد لاحقة سنكتشف أنه كان قبلها ضابط مخابرات- واغتاله الموساد في لندن، بينما أدهم يدرس في الكلية الحربية، وسيسعى للانتقام له، خصوصًا عندما يكتشف في العدد 72، «شريعة الغاب»، أن مدير الموساد هو مَنْ قتله!

أدهم مخلص لذكرى والده وما علَّمه إياه، وليس لديه سوى أخ واحد، سنتعرف عليه في العدد 12، «حلفاء الشر»، اسمه أحمد، وهو جراح قلب عالمي يقيم في السويد.

التحوّل الغامض! الجزء الأول



مرت سلسلة ملف المستقبل ورجل المستحيل بعدة تحولات.

سارت السلسلتان بشكلٍ متوازٍ حتى في الصدور، في البداية كان يصدر عدد من كل سلسلة شهرياً، أي اثنا عشر عددًا في السنة، وظل الأمر هكذا حتى نهاية الثمانينيات، ثم أصبحت خمسة أعداد فقط تصدر في السنة؛ عددان في معرض الكتاب، وثلاثة أعداد في شهور الصيف الثلاثة، بمعدل عدد كل شهر. وغالبًا حدث هذا لأن صدور السلاسل طوال العام -خصوصًا وقت الدراسة- قد يُلهي التلاميذ عن المذاكرة، ولأن المطابع خلال العام الدراسي تكون مشغولة بطباعة كتب الدراسة الخارجية، فأصبح صدور السلاسل في الإجازات فقط. وجاء مردود هذا على عدد صفحات الأعداد، وعمق القصص، ففي الأعداد الأربعين الأولى من كل سلسلة كان عدد صفحات الكتيب الواحد في حدود مائة صفحة فقط، ثم ازدادت الصفحات، وتعددت القصص، إلى درجة أنها صارت تُطرح على أجزاء متعددة.

ظلت سلسلة ملف المستقبل في أعدادها الثلاثين الأولى تدور حول الألغاز والجرائم العلمية، أو الظواهر الغامضة، إلى أن وقع التحوّل الأول في العدد 36، «الموت الأزرق»، عندما التقينا لأول مرة بالغزاة الفضائيين الذين يحاولون الاستيلاء على الأرض. كائنات زرقاء الوجوه بإمكانها السيطرة على عقول البشر، وبسببها يجد نور نفسه مضطّرًا إلى مواجهة أفراد فريقه أنفسهم، واستمرت المواجهة على مدى ثلاثة أعداد، أسماها القراء «ثلاثية الموت الأزرق» (113). قبل هذه الأعداد لم نلتق بكائنات فضائية في السلسلة سوى بشكل عابر، مثلما حدث في العدد 14، «نداء النجوم»، عندما يلتقي الفريق بشكل من أشكال الحياة الفضائية، وكذلك في العدد 31، «رنين الصمت»، حيث يظهر لأول مرة كائن فضائي عاقل، لكن لم تقف معه مواجهة مباشرة.



ومنذ ثلاثية الموت الأزرق بدأت السلسلة تتحول تدريجيًا لتصبح بشكل أساسي عبارة عن مواجهات مع الكائنات الفضائية التي تحاول احتلال الأرض، خصوصًا في أعداد الخمسينيات والستينيات. وبالإضافة إلى ذلك فثلاثية الموت الأزرق كانت المرة الأولى التي يلتقي فيها قراء السلسلة مع الأعداد متعددة الأجزاء، وهو الأمر الذي لم يتكرر ثانية سوى في العددين 51 و52، ثم أصبح سمة عادية في السلسلة أن أغلب الأعداد يكون لها جزء ثانٍ وأحيانًا ثالث، مع بعض الأعداد الفردية التي تظهر من آن لآخر، ثم بدءًا من أعداد السبعينيات لم تعد هناك أعداد فردية على الإطلاق -ما عدا الأعداد الأولى بعد المائة- وأصبحت الأجزاء تمتد إلى أربعة وخمسة أعداد.

أما في رجل المستحيل فالتحول الأول وقع في العدد 61، «ملائكة الجحيم»، حينما بدأ العدد -دون سياق أو علاقة بموضوع مغامرة العدد- بالتعريف بأصول أدهم صبري وكيف أصبح رجل المستحيل. كنا على مدار الستين عددًا الماضية قد اكتشفنا أن أدهم صبري ليس مجرد ضابط مخابرات سريع الاستيعاب، استطاع باجتهاده أن يجيد مجموعة كبيرة من المهارات في سن صغيرة، ولم تعد مقدمة السلسلة الثابتة كافية لتبرير أو توضيح ذلك، لذلك وضع له نبيل فاروق في هذا العدد قصة منطقية توضح كيف وصل إلى ما وصل إليه.

يذهب أدهم لإلقاء محاضرة على ضباط المخابرات الشباب في مدرسة المخابرات. وقبيل حضوره يتهامس الضباط بأن من سيلقي محاضرة اليوم هو أدهم صبري الأسطورة، وهو اللقب الذي سيرتبط بأدهم صبري في السلسلة من الآن فصاعدًا، ربما أكثر من لقب رجل المستحيل، فنادرًا ما سيُشار إليه فيما بعد كرجل المستحيل، بل باعتباره «الأسطورة».

وعندما يحضر أدهم يسألونه كيف أصبح ما هو عليه، فيقص عليهم قصته. والده كان ضابط مخابرات من الرعيل الأول الذين أسسوا

الجهاز بعد ثورة يوليو، وكان مشغولاً بصنع رجل مخابرات فذ يتفوق على منافسيه من رجال المخابرات الآخرين، فاطلع على تجارب أجهزة المخابرات الأخرى، وكوّن برنامجًا لتأسيس رجل المخابرات المثالي في رأيه، وقرر تطبيقه على ابنه أدهم وأحمد. كان عمر أدهم وقتها ثلاث سنوات، وعندما أبدى استجابة أكثر من أخيه للتدريبات التي بدت أشبه بألعاب رياضية- قرر الأب تركيز اهتمامه عليه:

«وهكذا كان أدهم يجيد حلّ وتركيب المسدسات، والبنادق، والمدافع الرشاشة، ويتحدث بعض الإنجليزية، وقليلًا من الفرنسية، ويمكنه تمييز نوع أي سلاح بمجرد رؤيته، وهو بعد في الخامسة من عمره. وفي السابعة كان أدهم يتحدث الإنجليزية على نحو جيد، ويجيد لعبة الشطرنج، ويمكنه التقاط كرة سريعة بكفيه الصغيرتين، ويتلقى تدريبات مثالية في رياضتي الجودو والكاراتيه. وفي العاشرة أثبت الصغير نبوغًا، فبات يتحدث الإنجليزية والفرنسية بطلاقة، وحصل على الحزام الأسود في لعبتي الكاراتيه والجودو، ووصلت سرعة استجابته إلى حد لافت للنظر، بالنسبة إلى عمره، وأصبح باستطاعته حل الرسائل الشفرية، التي يتبادلها معه والده، وبدأ دروسه في الألمانية والإيطالية، والتحق بفريق الأشبال، ومارس رياضة الجمباز، دون أن يسمح لكل ذلك بمنعه من التفوق في دراسته. وفي الخامسة عشرة، أصبح الجميع ينظرون إلى أدهم بصفته معجزة، أو فلتة من فلتات الزمان، فقد كان يتحدث الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية بطلاقة بالغة، ويجيد رياضات الجودو والكاراتيه والجمباز وألعاب القوى في مهارة يُحسد عليها، ويحفظ كل جزء من أجزاء الطائرات الحربية، والدبابات، والغواصات، والزوارق البخارية. وفي الثامنة عشرة أضاف إلى التدريبات التي تلقاها في الكلية الحربية التي التحق بها على الرغم من حصوله على أحد المراكز الأولى في شهادة الثانوية العامة- قيادة السيارات والدراجات البخارية في مهارة، وبدأ يتلقى دروس اللغة الروسية، واللغة اليابانية، بالإضافة إلى اللغة العبرية، التي يدرسها في الكلية الحربية»(114).



اي إن أدهم صبري ظل يتدرب لما يزيد على ثلاثين عامًا.

أذكر أنني وقتها شعرت بأن مهارات أدهم الأسطورية صارت مبررة ومنطقية، وكنت أخوض جدالات مع أصدقائي، أو مع الكبار الذين يسخرون من السلسلة والمبالغات التي فيها، وأقول لهم إن أي شخص يتدرب كل هذه الفترة على كل هذه المهارات فمن الطبيعي أن يصبح كأدهم صبري! وأشعر بالإحباط لأنني وقتها كنت في العاشرة أو الحادية عشرة من عمري، ولم يعد بإمكانني أن أتدرب منذ الثالثة كأدهم! وأعتقد أن كثيرين من أبناء جيلي فكروا في نفس الأمر: أن نتدرب كثيرًا ونصبح رجال مستحيل! وفي تلك الفترة أصبح حلمي أن ألتحق بكلية الشرطة، لأنني علمت أن أغلب رجال المخابرات يُنتَقون من جهاز الشرطة. وفي الحقيقة أن سلسلة رجل المستحيل جعلتنا نعتقد أن عمل ضابط المخابرات هو أشبه بما يفعله جيمس بوند: مطاردات وتبادل إطلاق نار والتحام بالأيدي، إلخ، وذلك قبل أن نعرف أن الأمر يعتمد بشكل كبير على التخطيط والذكاء، ونادرًا ما ينزل ضابط المخابرات بنفسه إلى الميدان، أو يحدث التحام كما كنا نرى في القصص.

ومع ذلك، فما دُكر في عدد «ملائكة الجحيم» يتنافى مع بعض ما دُكر في السلسلة سابقًا، ففي بداية العدد 4، «صائد الجواسيس»، نشهد تدريب أدهم على الكاراتيه مع مدربه الياباني، في صالة تدريب المخابرات العامة، ويؤدي المدرب إعجابه بمهارة أدهم، ويخبره بأنه فخور بما وصل إليه وسعيد لأنه من درّبه على هذا الفن منذ بدايته! فهل تدرب أدهم على الكاراتيه مع مدربه الياباني في جهاز المخابرات العامة كما رأينا في العدد 4، أم تدرب عليه تحت إشراف والده وهو في السابعة من عمره كما رأينا في العدد 61؟

على كل حال تبلورت شخصية أدهم صبري كما نعرفها الآن منذ العدد 61، صارت شخصية ناضجة ومقنعة ومهاراتها محددة -وليست مفتوحة كما كان الحال في الأعداد السابقة- ولا يمكن قهرها. اسمه





أصبح معروفًا لكل رجال المخابرات في العالم، إذا ذكر يشعر خصومه بأن هزيمتهم صارت مسألة وقت، واعتُبر أقوى ضابط مخابرات في التاريخ، الرجل الذي لم يخسر أي عملية من عملياته.

ومع قوة أدهم ومهارته البالغة، فلا بد أن سؤالًا دار في أذهان القراء: هل يوجد من يمكنه أن يوازيه في قدراته؟ هذا السؤال أجابه نبيل فاروق بشكل مبكر في العدد 8، «غريم الشيطان»، إذ يواجه أدهم «كريس الأسود»، وهو أبرع قاتل محترف في العالم، ويجيد جميع فنون القتال واستخدام جميع أنواع الأسلحة والتنكر، ربما الشيء الوحيد الذي يقل فيه عن أدهم هو أنه يتقن ثلاث لغات فقط! يكلفه الموساد باغتيال أدهم صبري، وتقع المواجهة بينهما، والتي يُفترض فيها أن نجد أنفسنا أمام خصمين متكافئين إلى حد ما، لكن المواجهة جاءت مُخيّبة للآمال، إذ يتفوق أدهم على خصمه ويهزمه ببساطة.

الشخص الثاني الذي ظهر في السلسلة وامتلك قدرات مكافئة لأدهم كان ضابط الموساد موشي حايم دزرائيلي، الذي ظهر أولًا في العدد 65، «الجليد المشتعل»، وفيه يتعاون مع أدهم للقضاء على زعيم منظمة يحاول -كالعادة- السيطرة على العالم، ثم يظهر في العددين التاليين (115)، والمواجهة بينهما كانت بالتأكيد أفضل من المواجهة مع كريس الأسود، وكالعادة ينتصر أدهم في النهاية.

وبعكس ملف المستقبل، بدأت الأعداد المُجزأة في رجل المستحيل بشكل مبكر، منذ العدد 18، «قاهر العمالقة»، والذي استُكمل في جزء ثانٍ في العدد 19، «أبواب الجحيم»، ولم نتعرض لأجزاء ثانية بعدها سوى مع ثلاثية العين الثالثة (116)، والتي تلتها ثلاثية شيطان المافيا (117)، التي يشن أدهم صبري خلالها حربًا مفتوحة على المافيا الإيطالية، بعد قتلهم لصديقه وزميله حازم، وكانت هذه المرة الأولى التي يموت فيها أحد أبطال السلسلة الرئيسيين.

وبعد ذلك أصبحت الأجزاء أمرًا معتادًا؛ جزءان متتاليان يتلوهما عدد



أو عدنان مفردان ثم جزءان متتاليان، وهكذا. لكن منذ العدد 61، «ملائكة الجحيم»، أصبحت كل أعداد السلسلة عبارة عن جزأين أو ثلاثة وأحياناً أربعة- ولم ينقطع الأمر سوى في الأعداد الثلاثة الأولى بعد المائة، قبل أن تعود الأجزاء مرة أخرى، والتي كانت تصل أحياناً إلى خمسة أجزاء متتالية.

حدث هذا بشكلٍ متوازٍ في رجل المستحيل وملف المستقبل، ويبدو أن نبيل فاروق في تلك المرحلة لم تعد تكفيه عدد الصفحات المعتادة للعدد الواحد -قراءة 100 - 120 صفحة- ليعرض لنا مغامرة كاملة؛ الأحداث صارت أنضج وأكثر تعقيداً وتحتاج إلى عدد أكبر من الصفحات، ولا يمكن زيادة صفحات العدد الواحد، لأن صفحات أكثر تعني سعراً أعلى قد لا يناسب شريحة القراء الذين تتوجه السلاسل لهم، وأغلبهم من طلبة المدارس، لذلك جاء الحل في زيادة طفيفة في عدد الصفحات، مع استمرار المغامرة على عدة أعداد أو أجزاء.

بالإضافة إلى ذلك، تضمن الأجزاء المتعددة استمرار السلسلة بأفكار أقل، ففكرة واحدة يمكن أن تستمر إلى سنة، بدلاً من الاضطرار إلى تقديم خمس أفكار كل سنة.

ولأوضح ما أقصده أكثر، دعونا نتعامل مع المغامرات ذات الأجزاء المتعددة باعتبارها مغامرة واحدة -ما دامت بنفس الفكرة والأحداث والشخصيات- ولنأخذ سلسلة ملف المستقبل، ونحسب عدد المغامرات التي خاضها الفريق على مدار السلسلة، سنجد أنه في أول خمسين عدداً خاض 48 مغامرة -لأن الأجزاء المتعددة كانت نادرة في تلك المرحلة- لكن في الخمسين عدداً التالية خاض 26 مغامرة فقط، أما في الستين عدداً الأخيرة فقد خاض 24 مغامرة!

أي إننا خلال 160 عدداً تعاملنا مع 98 مغامرة، أو فكرة.

أما في رجل المستحيل، فخلال الخمسين عدداً الأولى خاض أدهم صبري 45 عملية، وفي الخمسين عدداً التالية خاض 21 عملية، وفي الأعداد الستين الأخيرة خاض 19 عملية فقط!

أي إن سلسلة رجل المستحيل خلال 160 عددًا، قدمت لقرائها 85
مغامرة كاملة!



٢٢٧ / ١٤٤٠ هـ



التحوّل الرهيب! الجزء الثاني



كما قلت، كانت سلسلتا رجل المستحيل وملف المستقبل تسيران معًا من حيث الترقيم، يصدر هنا العدد 70 فيصدر هناك العدد 70 في نفس التوقيت. بل أكثر من هذا، فعندما تحدث أحداث فارقة في إحدى السلسلتين، تقع أحداث موازية في السلسلة الأخرى.

نقطة التحول الكبرى جاءت في العدد 80 في كلتا السلسلتين.

في ملف المستقبل تُفاجأ في العدد 76، «الاحتلال»، بأن الفضائيين الذين طالما حاولوا احتلال الأرض على مدار الأعداد السابقة- نجحوا هذه المرة! وصل جنود كوكب جلوريال إلى الأرض وهزموا جيوشها وقضوا على حضارتها واحتلوها، وعلى مدار خماسية الاحتلال(118) تابعنا محاولات نور وفريقه تكوين جبهة مقاومة ضد المحتلين، إلى أن نجحوا في النهاية في تحرير الأرض بمساعدة س - 18 في العدد 80، «النصر».

وس - 18 من الشخصيات الرئيسية في السلسلة، ربما هو أكثر شخصية غير حية تعاطف القارئ وتآلف معها! هو عبارة عن آلي خارق-ربما يوازي في عالم الروبوتات أدهم صبري في عالم البشر!- من بقايا حضارة أطلنتس الغارقة. س - 18 بإمكانه أن يفعل أي شيء، قدراته غير محدودة وغير محددة. معدنه لا يمكن خدشه أو تدميره، يمكنه أن يطلق النيران والصواريخ من أي مكان في جسده، يمكنه أن يقدم أي تكنولوجيا تُطلب منه، ولا يستجيب سوى لصوت نور الدين، فهو يعتبره سيده، ويرد عليه بعبارته الوحيدة المُسجّلة داخله بكل لغات العالم: «س - 18 في خدمتك يا سيدي!».

وجدوا س - 18 في العدد 47، «المقاتل الأخير»، فقد اكتشفوه في مقبرة فرعونية قديمة، واتضح أن حضارة أطلنتس كانت تجامل الحضارة المصرية القديمة وتساعدتها في حربها ضد الهكسوس،



فأرسلوا إليهم س - 18 ومجموعة من المقاتلين الآليين مثله، وعندما استيقظ س - 18 من سباته أخذ يقاتل كل من يقابله باعتباره من الهكسوس، إلى أن نجح نور في السيطرة عليه بعد أن تحدّث إليه باللغة المصرية القديمة باعتباره أحد أسياده المصريين القدماء، ومن يومها لم يعد س - 18 يطيع أحدًا غير نور. وعندما تتعرض الأرض لمحاولة غزو فضائي في العدد 49، «غزو الأرض»، يستدعي نور س - 18 ويطلب منه القضاء على الغزاة، فيدمرهم بكل بساطة.

وهذا نفس ما حدث في العدد 80، «النصر»! كان الفريق قد فقد بس - 18 في مغامرة سابقة، وبالمصادفة وجده نور قبيل أن يقضي غزاة جلوريال على مقاومة البشر، وطلب منه أن يتدخل لإنقاذهم. وانتهى الأمر هنا! بكل بساطة انطلق س - 18 يدمر مركبات وأسلحة وجنود كوكب جلوريال، وقضى عليهم وأنهى احتلالهم الذي دام لأكثر من سنة!

لا أنكر أنني في صغري أطرني هذا، كان الأمر كأن ينزل محمد صلاح إلى مباراة نحن على وشك الهزيمة فيها، فيقلب الموازين ونفوز! لكني الآن أجد أن الحل في هذه المغامرة جاء من الخارج، فبدلاً من أن تنتصر المقاومة في النهاية رغم كل العراقيل التي توضع في طريقها، جاء الخلاص من خلال عامل خارجي لم يكن موجوداً طوال الأحداث. هذا الأسلوب يسمونه في المسرح الإغريقي «الإله داخل الآلة». فعندما تتعقد الأمور في المسرحية، هناك من يموت وهناك من يخون وهناك من يكره، ولا يوجد حل لإصلاح كل هذا، كانوا يلجؤون إلى إنزال ممثل من أعلى المسرح في صندوق يُدلى بحبل، ليُمثّل الإله نازلاً من السماء. يشير إلى الممثل الفلاني الذي مات فيحييه، يشير إلى الممثل العلاني الذي أصبح يكره زوجته، فيحبها من جديد، يشير إلى الممثل الفلتكاني الذي خان صديقه، فينسى الاثنان الخيانة ويعودان صديقين من جديد. وتنحل كل المشكلات بسبب التدخل الإلهي هذا!

كثيرًا ما يحدث هذا في سلسلة ملف المستقبل باستخدام س - 18، فعندما يجد الفريق نفسه أمام قوة لا قبل له بها، فجأة يظهر س - 18 ويقول عبارته الآلية الشهيرة «س - 18 في خدمتك يا سيدي»، ثم يصبح الأمر بعد ذلك تحصيلًا حاصلًا، فلنجلس ونتابع الآلي الخارق وهو يقضي على الأعداء!

لكن تحرير الأرض لم يكن نهاية المطاف، فقبل رحيل الغزاة فجّروا قنبلة جاما، التي أثّرت في أغلب البشر وجعلتهم يتحولون إلى همج أو زومبي، فقدوا عقولهم وأصبحوا يحاولون أكل بعضهم بعضًا.

أما في سلسلة رجل المستحيل، ففي العدد 80، «وكر الإرهاب»، يواجه أدهم صبري إرهابيًا مكسيكيًا خطيرًا يُدعى بانشو سيلازر، وينجح في القضاء عليه، لكن بانشو لا يستسلم بسهولة، فيقوم بتفجير مقره الموجود في باطن الجبل، ويضّي أدهم بنفسه ليسمح لمنى بالفرار بطائرة هليكوبتر، قبل أن ينفجر كل شيء.

وعلى مدى شهور ظن القراء أن أدهم صبري قد مات فعلاً، لأنها كانت المرة الأولى التي ينتهي فيها أحد الأعداد بتلك الطريقة. لأكثر من مرة في أعداد سابقة زيّف أدهم صبري موته، وكان العدد ينتهي بأن أعداءه يعتقدون أنه قد مات، بينما نعرف نحن القراء أن الحقيقة عكس هذا، مثلما حدث في العدد 40، «مهنتي القتل»، لكن بعد العدد 80 اعتُبر قد مات رسميًا، وجهزت المخابرات المصرية بديلًا له: حسام حمدي، الذي حمل رمز «ن - 2»، وبدأ يتقرب من منى إلى درجة أنه عرض عليها الزواج!

أذكر وقتها أن خالي كلمني -لأنه يعرف مدى اهتمامي بالسلسلة- وسألني عما حدث لأدهم صبري، لأن أحد أصدقائه قلق على ابنته التي تتابع السلسلة، وفي الفترة الأخيرة صارت مكتئبة، وتجلس وحيدة ولا تود الحديث مع أحد!

كانت صدمة بالغة للقراء، خصوصًا أن الصفحات الأولى من العدد 81، «الرجل الآخر»، بدت وكأن نبيل فاروق قد أغلق ملف أدهم صبري



وجَهَّز بديلاً له ليصبح رجل المستحيل الجديد. لكن أدهم ما لبث أن ظهر والتقى بمنى، وأخبرها بالأحداث المذهلة التي وقعت له! كان قد استطاع النجاة من الانفجار في اللحظة الأخيرة، لكنه لم ينجُ تمامًا، فقد أصيب في رأسه وفقد الذاكرة، ووجد مزارع مكسيكي وأخذه إلى مزرعته واعتنى به.

لم يعد أدهم يذكر شيئاً عن نفسه وهويته، فسَّاه المزارع باسم «أميجو»، بمعنى صديق بالإسبانية، وصار يساعده في أعمال المزرعة. وعندما يتعرض المزارع للخطر يتدخل أدهم ويتصدى لمنظمة سكوريون التي تهدده. ومنظمة سكوريون هي منظمة جاسوسية خاصة خاض أدهم ضدها عدة مواجهات، وعندما واجهها هذه المرة اكتشف أنه ما زال يحتفظ بنفس مهاراته المذهلة رغم نسيانه كل شيء عن نفسه. وهكذا أذلَّ رجال المنظمة مرة تلو الأخرى ودفَعهم للجنون، إلى أن ظهرت سونيا جراهام!

جاءت وفي نيتها الانتقام منه وقتله، لكنها فوجئت بأنه فقد ذاكرته ولم يعد يتعرف عليها، وهنا تفجرت مشاعرنا نحوه، فخدعته وأوهمته بأنها منى -التي يذكر عقله بشكل مبهم أنه يحبها- وتزوجته!

ومنها ينجب ابنه الوحيد!

وعندما استعاد ذاكرته ظل معها من أجل ابنه، لكنها عندما اكتشفت أنه ما زال يحب منى، وتركها من أجلها، أخذت ابنها وهربت به، وقضى أدهم الوقت بعدها في محاولة العثور عليه.

هربت سونيا بابن أدهم في العدد 87، «خط المواجهة»، الذي صدر في بداية التسعينيات، واستمر أدهم يبحث عن ابنه حتى نهاية السلسلة في العدد 160! ولم يحسم نبيل فاروق الأمر سوى في سلسلة الأعداد الخاصة، بعد انتهاء السلسلة الأصلية في 2009، أي إننا ظللنا كقراء ننتظر حسم هذه المسألة ما يزيد على عشرين عامًا! كان عمري عشر سنوات عندما حدثت، ولم تُحسم سوى وأنا في





التحوّل القاتل! الجزء الثالث

العدد 80 في كلتا السلسلتين كان نقطة مفصلية، ظلت أعداد السلسلتين بعدها، وحتى العدد 100، تدور في إطار معالجة الآثار المترتبة على الاحتلال في ملف المستقبل، وفقدان أدهم لذاكرته في رجل المستحيل.

نقطة التحول جاءت بعد ذلك في العدد 100 في كلتا السلسلتين.

في رجل المستحيل، وبعد استعادته لذاكرته، ظل أدهم بعيدًا عن الضوء يعيش في مزرعته في المكسيك بعد أن أنشأ هناك شركة إلكترونيات وصار غنيًا، ولم يعد إلى مصر أو يعلن عن أنه ما زال حيًا، لأنه خشي أن يُفصل من المخابرات المصرية بسبب زواجه بإسرائيلية! لكنه كان يتدخل من آن لآخر لينقذ منى إذا كُلفت بمهمة مع حسام-رجل المستحيل الجديد- وفشلا في أدائها(119). وبدأت المخابرات المصرية تدرك وجوده، فصارت تتعمد تكليف منى بمهام معينة، ليتدخل فيها أدهم وينفذها بطريقة الخاصة(120). وظل الأمر هكذا إلى أن ذهب مدير المخابرات المصرية بنفسه إلى أدهم في مزرعته وأعاد(121). على الجانب الآخر بدأت سونيا في تكوين منظمة جاسوسية خاصة، فيتدخل أدهم بفريقه الجديد-المكوّن من منى وحسام- للتصدي لها(122).

جاء العدد 100، «الضربة القاصمة»، فيما يقرب من ثلاثمائة صفحة، وهو ضعف عدد صفحات الأعداد العادية، ونهايته كانت قاسية، إذ يلقي حسام مصرعه، وتسقط منى في غيبوبة، وتفجر سونيا نفسها مع ابن أدهم. ولأول مرة يُفاجأ القراء بأن الغلاف الخلفي لا يحوي تنويهاً بعنوان العدد القادم، لقد أنهى نبيل فاروق السلسلة!

أما في ملف المستقبل، فقد نجح نور وفريقه في إعادة البشر إلى



عقولهم(123)، وبدأ بناء الحضارة البشرية من جديد، اعتمادًا على مكعبات الكمبيوتر التي تحوي كل ما يتعلق بحضارة البشر(124)، والتي سلمها القائد الأعلى لنور مع وقوع الغزو. مكعبات الكمبيوتر كانت تصوّر نبيل فاروق، في منتصف التسعينيات، عن تطور أجهزة التخزين الرقمية. في ذلك الوقت، انتشرت الأقراص المرنة «الفلوبي ديسك»، وسمعنا عن الأقراص المدمجة -الأسطوانات أو «السيديها»- كتكنولوجيا وليدة، ولم تكن أجهزة الفلاش ميموري قد ظهرت بعد، فتخيّل نبيل فاروق أن هناك وسائط تخزين خارجية عبارة عن مكعبات كمبيوتر.

في تلك الفترة ظهرت في السلسلة شخصية أكرم(125)، والذي سيصبح الأقرب إلى معظم القراء. هو مهندس نجا من تأثير قنبلة جاما، وانضم إلى فريق نور، وشاركهم مغامرات فترة ما بعد الاحتلال. يتميز أكرم بالحدة والاندفاع، وفي الوقت نفسه هو صديق وفي وشجاع، ومع الوقت سيزداد الدور الذي يلعبه في المغامرات.

وفي أثناء فترة الاحتلال جاء إلى الأرض مقاتل فضائي يُدعى بودون من كوكب أرغوران، كان قد واجه نور في العددين 58 و59، «معركة الكواكب» و«جحيم أرغوران»، ويتعاون مع نور وفريقه في مقاومة غزاة جلوريال، الذين احتلوا كوكبه قبل أن يغزوا الأرض، وكان يأمل أن يساهم في تحرير الأرض، ليعاونه نور لاحقًا في تحرير أرغوران. لكن بودون يلقي مصرعه في العدد 79، «التحدي»، وفي أثناء احتضاره يوصي نور بالأينسي أرغوران. وفي الأعداد من 96 إلى 100، يسافر نور وفريقه إلى كوكب أرغوران لتحريره، ويخوضون من جديد صراعًا ضد غزاة جلوريال، وينجحون بالنهاية في تحرير الكوكب، لكن كما حدث في العدد 80، «النصر»، لم يرحل الغزاة دون ترك مصيبة وراءهم، في المرة السابقة فجّروا قنبلة جاما، وفي العدد 100، «الزمن=صفر»، وضعوا قنبلة زمنية في سفينة الفضاء التي ستعود بنور وفريقه إلى الأرض، الأمر الذي نقل السفينة خارج حدود الزمان



والمكان، إلى ما يُسمى بنهر الزمن، ليصبحوا عالقين فيه. لكن محمود عضو الفريق، الذي كان باهت الشخصية طوال المائة عدد الماضية، يقرر التضحية بنفسه لإنقاذ الفريق، فيعيدهم إلى سياق الزمن الطبيعي، ويضيع هو في نهر الزمن ومعه س - 18.

ونفس الشيء في الغلاف الخلفي لهذا العدد: لم يكن هناك تنويه بوجود عدد جديد!

ستكون هذه هي المرة الأولى التي ينهي فيها نبيل فاروق السلسلتين رسمياً، المرة الثانية جاءت في العدد 134، «أسياد الكون» في ملف المستقبل، و«الأبطال» في رجل المستحيل، إذ لم يحوِ الغلاف الخلفي تنويهاً بالعدد القادم، وتوقفت السلسلتان عدة شهور، قبل أن تعودا من جديد. ثم حدث الشيء نفسه في العدد 150 في كلتا السلسلتين: «آخر العمالقة» في ملف المستقبل، و«النهاية» في رجل المستحيل، ثم عادت السلسلتان للصدور، لتتوقفا نهائياً هذه المرة بعد العدد 160: «نهاية العالم» في ملف المستقبل، و«الوداع» في رجل المستحيل.

هذا التذبذب ما بين إنهاء السلسلتين واستكمالهما جعل القراء مع الوقت يستقبلون خبر توقف السلسلة بفتور، وهم الذين صُدموا في العدد 80 من رجل المستحيل عندما ظنوا أن نبيل فاروق قرر إيقاف السلسلة، لكن مع التكرار بدا الأمر أشبه باللعبة، ولم يعد أحد يهتم. ستتوقف السلسلة مرة أخرى؟ طيب!

لذلك عندما توقفت السلسلتان بالفعل في العدد 160 لم يبالي كثير من القراء، فبغض النظر عن الفتور الذي أصبحوا يتعاملون به مع الأعداد الأخيرة مع تباعد فترة صدورها -بسبب مشاكل نبيل فاروق مع المؤسسة العربية الحديثة، والتي سنتناولها لاحقاً- أو التطويل الذي بدا أنه بلا نهاية؛ بغض النظر عن كل ذلك.. لم يأخذ كثير من القراء التوقف بجدية، وفكروا في أن السلسلتين سيتم استكمالهما لاحقاً، كما حدث ثلاث مرات من قبل. ومضت سنين ولم يحدث ذلك، لكن حدث

أمر مشابه، إذ بدأ نبيل فاروق يستكمل أحداث رجل المستحيل من خلال سلسلة الأعداد الخاصة، فأصدر العدد رقم 23 بعنوان «أدهم»، ثم العدد 26 بعنوان «خدعة القرن»، وكلاهما يتحدثان عن مصير أدهم صبري بعد العدد 160.



التحوّل الدامي! الجزء الرابع

فلندع جانبًا الآن مسألة توقف السلسلتين، ولنعد إلى المرحلة التي تلت العدد رقم 100.

لم تلبث الأعداد أن عادت للصدور من جديد بعد هذا العدد، وبدا أن نبيل فاروق قد قرر اتخاذ استراتيجية جديدة، فالأعداد سيصبح عدد صفحاتها كبيرًا -يقترّب من 300 صفحة- وستكون مفردة، ستتوقف الأجزاء المتعددة بعد أن اشتكى العديد من القراء منها.

مشكلة الأجزاء المتعددة أن السلسلة الواحدة يصدر منها خمسة أعداد سنويًا -كما ذكرنا- وكثيرًا ما نقرأ في إحدى السنين مغامرة يكون العدد الأخير الصادر منها في تلك السنة هو الجزء الثاني، ونضطر إلى الانتظار سنة كاملة حتى يصدر الجزء الثالث والرابع، وبعد ذلك تبدأ مغامرة جديدة نقرأ منها ثلاثة أجزاء في تلك السنة، ثم نضطر إلى الانتظار سنة كاملة لنقرأ الجزء الرابع، وهكذا. أصبحت حياة القراء مع الأجزاء المتعددة عبارة عن انتظار دائم لاستكمال قراءة المغامرة الواحدة على مدى شهور وسنين. وفوق الانتظار فهناك الذاكرة، كنا كثيرًا ما ننسى عند صدور جزء جديد ما حدث في الأجزاء السابقة، حتى مع تعقّد نبيل فاروق أن يضع في بداية كل عدد تلخيصًا سريعًا للأجزاء السابقة.

لكن سياسة الأعداد المفردة لم تستمر سوى لثلاثة أعداد بعد المائة في رجل المستحيل، وستة أعداد بعد المائة في ملف المستقبل، ثم عادت الأجزاء للظهور من جديد، بشكل مستمر وأكبر مما سبق، ففي تلك المرحلة أصبحت قراءة مغامرة مُجرّأة على أربعة أو خمسة أعداد أمرًا طبيعيًا. بل إن مغامرة أدهم صبري مع المافيا الروسية دارت مع زعيمها إيفان إيفانوفتش في الأعداد من 131 وحتى 134 (126) -أربعة أجزاء- ثم بعد ذلك بدأت مغامرة



جديدة لنكتشف أنها أيضًا مع العافيا الروسية التي تحاول أن تنتقم لزعيمها، بقيادة شقيقه يوري إيفانوفتش، واستمرت في الأعداد من 135 وحتى 140 (127) - ستة أجزاء، لأول مرة في كل السلاسل!- أي إن المغامرة الروسية استمرت على مدار عشرة أعداد، وتابعتها على مدار أكثر من سنتين.

كان هذا الأمر مريبًا ومرهقًا للقارئ، الذي لم يعد باستطاعته الاستمتاع بمغامرة سوى على مدى سنين طويلة.

أبرز ما وقع في تلك المرحلة كان تشكيل أدهم لفريق مخابراتي يرأسه، والذي يتكون من علاء وشريف وربهام (شريف وربهام بالمناسبة اسما اثنين من أبناء نبيل فاروق)، وفي تلك المرحلة لم يعد ذكر عمر أدهم صبري ممكنًا، فبعد كل تلك المغامرات بدا أن سنين عديدة مرت منذ العدد الأول، «الاختفاء الغامض»، والذي عرفنا فيه أن عمره خمسة وثلاثون عامًا، وبدا أدهم في تلك الأعداد على مشارف الخمسين، صار أستاذًا يترأس الأجيال الجديدة، وأصبح لقب «الأستاذ» لقبًا شائعًا يُشار إليه به.

ومن أبرز ما وقع أيضًا مواجهة أدهم مع منظمات يقودها أشخاص يحاولون السيطرة على العالم! بدأ الأمر بمواجهة أدهم مع الزعيمة الغامضة التي تُسمّى نفسها «السنّيورا»، والتي تقود منظمة الأفعى، في الأعداد من 106 إلى 109 (128)، ثم تكرر ذلك في الأعداد من 113 وحتى 117 (129)، ثم في الأعداد من 118 وحتى 121 (130)!

أي إن الأعداد العشرين الأولى بعد المائة فيها 13 عددًا لا يواجه فيها أدهم صبري سوى عدو واحد!

بل إنه يكتشف خلال تلك الأعداد أن سونيا جراهام ما زالت حية، ويشك في أنها هي السنّيورا، ثم ما يلبث أن يكتشف أن تلك الأخيرة ليست سوى كلوديا موريس، التي كان قد واجهها في ثلاثية



«ملائكة الجحيم» وتسبب في سجنها في سيبيريا، قبل أن تخرج من هناك وكلها حقد ورغبة في الانتقام منه.

بعد ذلك تحولت السلسلة إلى حلقات طويلة لا تنتهي من اللف والدوران حول نفس الفكرة: مواجهات أدهم صبري مع سونيا جراهام! عشر سنوات، من أواخر التسعينيات وحتى نهاية السلسلة عام 2009، ونحن ندور في نفس الدائرة، يواجه أدهم زعيمة غامضة تسعى للسيطرة على العالم أو التحكم في القوى العظمى، ثم يتضح لاحقًا أنها سونيا جراهام. تكرر هذا كثيرًا، أحيانًا كانت تواجهه بمفردها أو بالتعاون مع زعيم غامض يُطلق على نفسه اسم -صدّقوا أو لا تصدّقوا!- مستر إكس(131)! وإذا اعتقدنا أنها لقت مصرعها في أحد الأعداد، فإن مستر إكس يتولى وحده مهمة الصراع مع أدهم ومحاولة القضاء عليه(132)، ثم ما تلبث سونيا أن تعود وتتحالف مع منظمات وأجهزة مخابرات أخرى وتسعى خلف أدهم(133)!

ثلاثا أعداد السلسلة بعد المائة -أربعون عددًا- كانت عبارة عن مواجهات طويلة تمتد إلى أربعة أو خمسة أعداد متتالية مع زعيمة غامضة، يتضح في النهاية أنها كلوديا موريس أو سونيا جراهام، بالتعاون مع الزعيم الغامض مستر إكس! هناك في بعض الأعداد شرير جديد -أو جهة ما- قد تكون المواجهة الرئيسية معه، لكن يظل خط الزعيمة الغامضة ومستر إكس موجودًا ولو في الخلفية.

كان الأمر محبطًا، سلسلة طفولتي المفضلة صارت مسلسلًا طويلًا لا ينتهي، ولا يموت فيه أحد، كلما مات أحدهم ما يلبث أن يتضح أنه نجا بطريقة ما، ويعود! أغلب شخصيات السلسلة الرئيسية ماتت خلال تلك الأعداد: أدهم، منى، قدرى، ريهام، شريف، سونيا، ابن أدهم، ثم عادوا من جديد في أعداد لاحقة. وحتى أولئك الذين يقضون نحبتهم فعليًا، يستمر منصبهم من خلال أشخاص جدد يمارسون نفس دورهم. فعندما واجه أدهم زعيم المافيا الروسية، إيفان إيفانوفيتش،



في أعداد الثلاثينيات بعد المائة، وقضى عليه، ظهر أخوه يوري إيفانوفيتش وتولى زعامة المنظمة من بعده، وخاض حربًا ضروسًا ضد أدهم. وعندما لقي يوري مصرعه، تولى قيادة المنظمة أبل كوربوف، وتصارع مع أدهم في أعداد الخمسينيات بعد المائة.

أيضًا من ضمن التكرار في تلك المرحلة أن معظم المغامرات صارت تنتهي بإصابة أدهم إصابة بالغة تقترب من الموت، أو اختفاؤه دون أن يعرف أحد إن كان حيًا أم ميتًا، لكنهم يقرون في النهاية بأصدقائه أو رجال المخابرات المصرية- أنه أبدًا لن يموت، لأنه أسطورة، والأساطير لا تموت(134).

في ذلك الوقت توقفت عن متابعة السلسلة، لكنني كنت أعود إليها كل عدة سنوات مدفوعًا بالحنين لأرى إلى ماذا انتهت الأمور، أفتح الأعداد التي فاتتني، فأجد مستر إكس وسونيا جراهام مازالا هناك، فأصاب بالإحباط!

في تلك الفترة تولت إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن قيادة أمريكا، وشنت حربًا على ما أسموه بالإرهاب، وكانت مستشارته للأمن القومي هي كونداليزا رايس. وما يثير السخرية أنها ظهرت في آخر خمسة عشر عددًا من السلسلة، لأن الزعيمة الغامضة كانت تُهدد الرئيس الأمريكي وتحاول السيطرة عليه، ولما التقت بأدهم صبري، ذكَّرها بشاب عربي أحبته في شبابها لكنه تركها، وهو ما جعلها تحقد على العرب، وكلما التقت بأدهم تجد قلبها يخفق رغماً عنها!

أدهم صبري لم يترك امرأة تُفلت من سحره، حتى كونداليزا رايس!



التحوّل المشتعل! الجزء الخامس والأخير

في ملف المستقبل أصبحت الأعداد بعد المائة تدور في إطار ثابت: مواجهة وحش فضائي أو مُخلّق في المعمل - عالم مجنون، أو شخص خارق يحاول السيطرة على العالم - غزاة فضائيون أو من عالم مواز يحاولون احتلال الأرض.

هناك ثلاثة أحداث بارزة في تلك المرحلة، أولها وأبرزها نعرفه في بداية العدد الأول بعد المائة، أن فريق نور تقاعد بعد الأحداث الصعبة التي مروا بها وانتهت بضياح محمود في نهر الزمن، فشكّل نور ثنائياً مع أكرم، الذي انضم رسمياً إلى المخابرات العلمية. فريق نور وأكرم كان فريقاً من نوع خاص، فنور من جهة رومانسي ومثالي، بينما أكرم مندفع وعنيف، وهذا التناقض بينهما سيصنع مع الوقت مذاقاً خاصاً في المغامرات التي خاضها معاً، خصوصاً أن أكرم كان شخصية استثنائية في عالم نبيل فاروق، فهو الوحيد الذي يُمثّل شخصية الـ«anti hero» أو البطل الضد. كل أبطال نبيل فاروق مثاليون أنقياء إلى أبعد درجة، فقط أكرم هو الصوت الوحيد المعترض على هذا، ولذلك أحبه القراء.

لكن الفريق ما يلبث أن يعود مع الوقت. والحقيقة أن فريق نور لم يعد مُكوّناً فقط من الأفراد الأربعة الذين بدأت السلسلة بهم: نور، سلوى، رمزي، محمود، بل أخذ المزيد من الأفراد ينضمون إليه مع الوقت. فبعد مرحلة الاحتلال تنضم إليهم نشوى ابنة نور كخبيرة كمبيوتر، ثم ينضم أكرم، وأحياناً تنضم مشيرة محفوظ، أو الدكتور محمد حجازي كبير الأطباء الشرعيين وأستاذ نور، الذي كثيراً ما يظهر في أعداد السلسلة، وكان نبيل فاروق قد أعلن أكثر من مرة أنه استوحاه من صديق له يحمل نفس الاسم.

وأحدث المنضمين إلى الفريق -وهذا هو الحدث البارز الثاني- كان

طارق، خير أشعة شاب، انضم إلى الفريق كبديل لمحمود، ويتضح مع الوقت أنه قادم من المستقبل، وأنه من نسل نور، ولم تُحدّد درجة القرابة بشكل واضح، ولكن من الإشارات والتلميحات نعتقد أنه ابن نشوى ورمزي، ثم من إشارات أخرى نعتقد أنه ابن نور وسلوى، خصوصًا أنهما سينجبان في الأعداد الأخيرة طفلًا سيسميانه طارق! وهذا الجزء من السلسلة فيه شيء من الارتباك والإشارات المتضاربة، وتنتهي السلسلة دون توضيحه.

الحدث البارز الثالث هو محاولات استعادة محمود من نهر الزمن، والتي تستمر إلى أن يتم استعادة طاقته في الأعداد الأخيرة ووضعها في جسد بديل.

وكما حدث في رجل المستحيل، حيث المغامرة الواحدة أصبحت تدور على مدار أربعة أو خمسة أجزاء، وكما رأينا المغامرة الروسية وحدها تقع في عشرة أعداد، مقسمة على مغامرتين إحداهما أربعة أجزاء والثانية ستة أجزاء؛ نفس الشيء يحدث في ملف المستقبل. ففي العدد 143، «بلا جسد»، يواجه الفريق رجلًا يمتلك عقلًا خارقًا يمكنه السيطرة على أي عدد من الأشخاص، ويواجهونه خلال الأعداد من 143 وحتى 146 (135)، وبعد أن يهزموه يعود ثانيةً في الأعداد من 147 وحتى 150 (136)!

أي إن تلك المغامرة وحدها وقعت في ثمانية أعداد.

من الأمور الطريفة في تلك المرحلة ظهور شخصية أمجد صبحي، الذي يعمل مستشارًا أمنيًا لرئيس الجمهورية، ونعرف من تعامل نور وفريقه معه أنه رجل مخابرات سابق، وكان أسطورة في مجاله، وأنه واجه أجهزة مخابرات الدول كلها وهزمها، وحطم منظمات كاملة كالمافيا الإيطالية!

من في رأيكم ينطبق عليه هذا الوصف؟

بالضبط! أدهم صبري!



فإذا عرفنا كذلك أن أدهم صبري يختار أسماءه المستعارة بحيث تبدأ بحرفي الألف والصاد -الحرفين الأولين من اسمه- وأن شخصيتنا هنا اسمها أمجد صبحي، يصبح الأمر واضحًا وضوح الشمس! إلى درجة أن الفنان إسماعيل دياب -رسام أغلفة كتب المؤسسة العربية الحديثة- عندما رسم أمجد صبحي بجوار نور في غلاف العدد 134، «سادة الكون»، رسمه في صورة أدهم صبري بالشكل الذي اعتاد أن يرسمه به في أغلفة رجل المستحيل، مع جعل شعره أشيب تمامًا!

أجل، أدهم صبري المستقبلي ظهر في ملف المستقبل وعاون فريق نور أكثر من مرة، بل أكثر من ذلك: في العدد 133، «نقطة التماس»، سيواجه مخلوقًا فضائيًا ويتقاتلان معًا، وسيستخدم كلاهما كل ما تعلمه من فنون القتال ليهزم الآخر!

وما أثار ذعر القراء، أن أمجد صبحي في أثناء استعادته ذكرياته، ذكر ما يدل على أن منى لقيت مصرعها!

ولما سُئل نبيل فاروق بخصوص هذا الأمر في باب عزيزي القارئ في سلسلة كوكتيل 2000، رد ردًا في غاية الغرابة: أكد أن ما يحدث لأمجد صبحي في ملف المستقبل لا علاقة له بما سيحدث لأدهم صبري في رجل المستحيل، وأن هذا سيتضح مع الأعداد القادمة(137)!

لكن الأعداد انتهت دون أن تُحسم تلك المسألة. والحقيقة أن سلسلة ملف المستقبل نفسها انتهت نهاية مفتوحة وقائمة!



مبالغات الهلاك!



الفترة الذهبية التي مرت بها سلسلة رجل المستحيل بالنسبة إليّ كانت من الأعداد 81 وحتى 121 -فترة استعادة أدهم لذاكرته وما تلى ذلك- أما ملف المستقبل فمن الأعداد 72 وحتى 114 -فترة مواجهة ابن الشيطان واحتلال الأرض وما تلى ذلك- في تلك الأعداد وصلت السلسلتان إلى ذروتها، ثم بدأ الانخفاض.

لا أعرف هل الفتور الذي أصابني -وأصاب كثيرًا من معارفي- في قراءة الأعداد الأخيرة من سلسلتي رجل المستحيل وملف المستقبل مرده إلى الأسباب التي ذكرتها سابقًا: التكرار والأجزاء الطويلة، أم بسبب السن، وتنوع القراءات لكُتّاب آخرين. فرصدي للتغير في مستوى جودة السلسلتين واكب دخولي الجامعة، وفي ذلك الوقت بدأت التعرف على الأدب الروسي، وكنت قبلها ومنذ سن الرابعة عشرة قد بدأت أنغمس في عوالم نجيب محفوظ ويوسف إدريس، وأرى العالم من منظور مختلف.

في تلك الفترة -أواخر التسعينيات- كان أغلب من بدأوا قراءة السلسلتين من أطفال الثمانينيات قد نضجوا وغادروا مرحلة الطفولة، وفي تلك الفترة أيضًا بدأوا ينتقدون ما يرونه مبالغًا وتكرارًا وتطويلاً في السلسلتين.

لكن المبالغات كانت موجودة دائمًا، لم تكن شيئًا جديدًا، منها مثلًا ما كنا نراه دائمًا من كيفية استدعاء أدهم ومنى لتكليفهما بمهمة جديدة. عادةً يأتي ضابط مخابرات زميل لأدهم بينما يتدرب، ويخبره بأن المدير يطلبه. هكذا بكل بساطة، وكأنا في مدرسة والناظر يرسل أحد المدرسين ليستدعي مدرسًا آخر!

بعد ذلك يجلس أدهم ومنى أمام مدير المخابرات، الذي يخبرهما بتفاصيل المهمة ويتمنى لهما التوفيق. المبالغة هنا في أن منصب



مدير المخابرات أكبر من أن يجلس مباشرةً مع ضباطه ليكلفهم بمهمة. من المفروض أن يجتمع المدير فقط مع رؤساء الأقسام، وهؤلاء قد يجتمعون بمن تحتهم من ضباط ويكلفونهم بعمليات مختلفة.

وبعيدًا عن هذا الأمر الذي تكرر على طول سلسلة رجل المستحيل، وكذلك في ملف المستقبل -القائد الأعلى للمخابرات العلمية يكلف نور مباشرةً بمهام فريقه- فهناك العديد من الأحداث التي حوت مبالغات ربما مرت عليّ عندما قرأتها وعمري عشر سنوات، لكنني عندما أفكر فيها الآن أجدها عصية على المنطق. من ذلك مثلًا ما حدث في بداية العدد 68، «قلعة الصقور»، عندما فوجئ أدهم في أثناء دخوله منزله بثلاثة رجال يعترضون طريقه، وبعد أن يطرحهم أرضًا يُفاجأ بمدير المخابرات المركزية الأمريكية بنفسه يقف أمامه ويخبره بأن هؤلاء حرسه، ويطلب الجلوس معه لأمرٍ خاص. يصعد مع أدهم إلى شقته ويطلب منه تنفيذ مهمة في أمريكا لا يمكن لأحد غيره أن يقوم بها، مقابل تسليمه قائمة بجواسيس الموساد في الشرق الأوسط.

ما وجه المبالغة هنا؟

وجه المبالغة أن يحضر مدير المخابرات المركزية إلى مصر مُخاطرًا بنفسه، ودون أن ترصد المخابرات المصرية وجوده، وكل هذا فقط كي يكلف أدهم بمهمة، بدلًا من أن يرسل نائبه أو أحد رجاله أو حتى مسؤول في السفارة الأمريكية بالقاهرة. وبدلًا من أن يطلب لقاءه في مكان منعزل، ينتظره أسفل بيته -كما يفعل أصدقائنا معنا- ويصعد معه إلى شقته على مرأى ومسمع من سكان البناية!

ومن أكثر المبالغات التي كانت تزعجني وصف شخصية أكرم في ملف المستقبل، فدائمًا ما يُوصف بأنه همجي. لماذا؟ لأنه لا يحب التكنولوجيا الحديثة ولا استخدام مسدسات الليزر، بل يُفضّل استخدام المسدسات القديمة ذات الرصاص. وهو هنا شخصية قديمة الطراز،



أو يمكننا وصفها بأن لديها حنينًا دائمًا إلى الماضي، أو عدم ثقة بالتكنولوجيا، لكن وصفها الدائم بالهمجية كان غريبًا ومبالغًا وفي غير موضعه!

وهناك طبعًا المبالغات المعتادة الخاصة بانفعالات الأبطال المختلفة، والتي لا يخلو عدد من أعداد السلاسل منها، فكثير من ردود أفعال الشخصيات تأتي مبالغًا فيها؛ شخص ينفعل أو ينهار أو ينفجر في البكاء بسبب أمور لا تستدعي ذلك، تصرفات وانفعالات تبدو غير واقعية وفيها الكثير من المبالغة. ورجال المخابرات المعادية يبدون دائمًا كما لو كانوا مجموعة من الأطفال الذين يعانون عُقدَ النقص والاضطهاد، فيفقدون أعصابهم عند أقل المواقف، ويأخذون الأمور بشكل شخصي ويسعون للانتقام طوال الوقت ممن أهانهم أو آذاهم، فيبدون أحيانًا كأنهم أفراد في عصابة مافيا - كما نراهم في الأفلام والمسلسلات الأجنبية- أو مجموعة متتمرين يستأسدون على من هو أضعف منهم!

في صغرنا كنا نتقبل كل هذا، لأننا لم نكن نفهم عالم الكبار ولا ندركه، لكن المشكلة جاءت عندما كبرنا وفهمنا قوانين العالم وكيف تكون ردود الأفعال الحقيقية فيه، عندها بدا لنا كل هذا مبالغًا فيه! من المبالغات كذلك الأسماء. السلاسل تعج بالكثير من الأسماء، سواء لأماكن أو لشخصيات. ونبييل فاروق إذا تعلق الأمر بأسماء كواكب أخرى أو كائنات أخرى، يلجأ إلى استخدام أسماء إنجليزية! فأحد الكواكب التي زارها نور كوكب «أرغوران» -لاحظ استخدام حرف الغين بدلًا من الجيم، وكأننا أمام اسم أجنبي فيه حرف و يحوله المترجمون الشاميون إلى غين بدلًا من جيم- وكوكب آخر اسمه «جودان»، والكوكب الذي احتل الأرض اسمه «جلوريال»، وكلها أسماء ذات رنة إنجليزية. وعندما ذهب نور وفريقه ليحرروا كوكب «أرغوران» من احتلال كوكب «جلوريال» كان قائدًا المقاومة هناك اسمهما «هونور» و«دجنتي»، ويعنيان الشرف والكرامة بالإنجليزية!





لا اعتقد أن الكائنات الفضائية تتحدث الإنجليزية أو على دراية بها، في الغالب كل ما هنالك أن نبيل فاروق تأثر في أسمائه بما يقرؤه من روايات وما يشاهده من أفلام الخيال العلمي والفانتازيا الإنجليزية، التي بالطبع يطلق مؤلفوها أسماء ذات طابع إنجليزي على الكواكب والكائنات فيها!

وفي العدد 67 من رجل المستحيل، «الجحيم المزدوج»، كان رئيس مخابرات ألمانيا الشرقية اسمه الجنرال «بافلوف»، ومدير السجن المركزي اسمه العقيد «مولوتوف»، وضابطة المخابرات التي تطارد أدهم اسمها الملازم «مارتينا بوشكين». وهذه الأسماء الثلاثة هي لثلاثة مشاهير روس، فـ«بافلوف» هو عالم وظائف أعضاء روسي ارتبط اسمه بنظرية الارتباط الشرطي، و«مولوتوف» هو سياسي روسي نُسبت إليه قنبلة المولوتوف، و«بوشكين» هو أعظم شعراء روسيا. أي إن نبيل فاروق اختار أسماء ثلاثة روس معروفين ليسمي بهم شخصيات المغامرة التي تدور أحداثها في ألمانيا الشرقية، التي كانت وقتها تخضع لسيطرة الاتحاد السوفيتي. الأمر يشبه أن يكتب مؤلف غربي رواية تدور أحداثها في مصر التي لا يعرف عنها شيئاً، فيجعل أسماء أبطالها: زويل، محفوظ، السادات!

وفي العدد 110 من رجل المستحيل، «اغتيال»، كان رئيس الشرطة اليابانية اسمه المفتش «فوجي ياما»، وأي طالب درس جغرافيا يعرف أن فوجي ياما هو جبل شهير في اليابان! الأمر يشبه أن يكتب مؤلف ياباني رواية بوليسية تقع أحداثها في مصر، ولا يجد اسماً مناسباً لضابط شرطة مصري، فيفتح الأطلس، ثم يسميه المقدم «هضبة المقطم»!

وهلم جرّاً، ففي «أباطرة الشر»، العدد 70 من رجل المستحيل، كان اسم زعيم المافيا هو «دون كورليونوني»، وهو نفسه اسم بطل فيلم «الأب الروحي»، الذي أدى دوره الممثل العالمي مارلون براندو، ونال عنه جائزة الأوسكار في السبعينيات. وفي العدد 72 من رجل



المستحيل، «شريعة الغاب»، كان اسم الجاسوس الإسرائيلي الذي يعيش في مصر منتحلًا شخصية مصرية، هو «إيلي كوهين»، وهو نفسه اسم الجاسوس الإسرائيلي الذي قُبض عليه في سوريا في الستينيات، بعد أن انتحل شخصية سورية.

أيضًا من المبالغات، أن الشرير دائمًا -خصوصًا في رجل المستحيل- لا يحاول أبدًا أن يقتل أدهم بالطرق التقليدية، كان يطلق النار على رأسه وينتهي الأمر. فدائمًا إذا سقط أدهم بين أيدي أعدائه، يحاولون قتله بطريقة معقدة وعجيبة، كأن يتركوه في مكان سينفجر بعد فترة، أو يلقوه في الماء مربوطًا بأثقال ليغرق، وهكذا. وبالطبع ينجو أدهم دائمًا ما دام لديه الوقت الكافي، وفي كل مرة يُفاجأ أعداؤه بعد ذلك: كيف نجوت أيها الشيطان!

مثلًا في العدد الخاص رقم 1، «المعركة الكبرى»، بعد أن يسيطر رجال المخابرات السوفيتية على الموقف في إحدى مراحل الرواية، يقررون الفرار من قبو قصر بريطاني، بعد أن أفقدوا أدهم صبري وعيه، وأسروا مجموعة من رجال المخابرات الآخرين. وقبل أن يهربوا يطلقون النار على رؤوس الجميع فيقتلونهم كي لا يتركوا وراءهم شهودًا، أما أدهم فبدلاً من أن يقتلوه بذات الطريقة، يقررون -بلا سبب أو مبرر- وضعه في زنزانة وإطلاق غاز سام، ثم يغادرون وهم مطمئنون إلى أن الغاز سيقنتله، رغم أنهم كان بإمكانهم ببساطة إطلاق النار على رأسه، كما فعلوا مع الجميع!

وفي العدد 61، «ملائكة الجحيم»، عندما يقع أدهم في قبضة غريمه زعيم عصابات فرنسا، بدلاً من أن يقتله مباشرةً، يقول لا، يجب أن يموت أدهم صبري بطريقة مختلفة، فيتركه في مكان مغلق مع أسد، منتظرًا أن يلتهم أدهم، ولكن ما يحدث بالطبع أن أدهم يتصارع مع الأسد ويهزمه.

أيضًا هناك المبالغة في وصف بعض الأحداث. ولا أعني هنا أن يضرب شخص واحد خمسة رجال في ثانية واحدة، أو يقفز ليقطع عدة

أمتار ما بين سطحي مبنيين، إلى آخر ما كان يقوم به أدهم صبري من أفعال، فمن المفترض أن هذه القدرات الخارقة هي أساس السلسلة، وهي التي جعلته رجل المستحيل، لكن ما أعنيه أمور خارقة للطبيعة ولا يوجد تبرير منطقي لها، فمثلاً في العدد 91 من سلسلة ملف المستقبل، «ضد الزمن»، نقرأ الوصف التالي:

«هل يمكن التحكم في الجسم البشري في أثناء السقوط؟ هل يستطيع الإنسان مقاومة تأثير الجاذبية الأرضية ولو للحظة واحدة؟ وقبل أن تبحث عن الجواب، أو تلتقط موسوعتك وتقلب صفحاتها، دعنا نطالع معاً جواب السؤالين، عبر ما حدث في أثناء سقوط نور...

لقد رآه الجميع يسقط فوق الأسطوانة مباشرة، فانسعت عينا محمود في هلع ورعب، وشهقت سلوى في قوة، وتجمدت مشيرة مذعورة، ولكن اللحظة التالية حملت الكثير.. والكثير جداً.. لقد قلبت الموازين كلها دفعةً واحدة، ورأساً على عقب.. حتى موازين الطبيعة.

لقد كان سقوط نور مباشراً، فوق الأسطوانة، ولكن جسده بدا لهم فجأة وكأنه ارتفع عدة سنتيمترات دفعةً واحدة، ثم انحرف يساراً، وواصل سقوطه، بعد أن تفادى الأسطوانة.. وصرخت سلوى، عندما ارتطم جسده بالأرض: يا إلهي! نور!

ولكن نور وثب واقفاً على قدميه مرة ثانية، وانتزع مقعداً طويلاً، دفعه أسفل صندوق أسلاك التغذية الرئيسية، وقفز فوقه، والأسطوانة ترتج بقوة أكثر وأكثر، وخبير التجميد يقول: مستحيل! أكاد أقسم إن جسده وثب لحظة إلى أعلى.

تمتم محمود مأخوذاً: هذا ما حدث بالفعل.

هتف الخبير: ولكن هذا مستحيل! إنه يخالف كل القواعد العلمية المعروفة.

أجابه محمود: هناك قاعدة أقوى، يتجاهل العلماء وجودها في



معظم الأحيان.. قاعدة تُعرف باسم الإرادة»(138).

المشهد السابق يلخص كل ما أود قوله بخصوص المبالغات في السلاسل. لدينا رجل يسقط على الأرض من حلق، لكن جسده فجأة توقف في الهواء وارتفع قليلاً ثم تغير اتجاهه كي لا يسقط فوق الأسطوانة التي تحوي جسد ابنته، وبعدها أكمل سقوطه بشكل عادي! والتفسير لذلك أنه فعلها بقوة الإرادة وبحبه لابنته!

وفي العدد 68 من رجل المستحيل، «قلعة الصقور»، نقرأ الوصف التالي لاقتحام أدهم صبري للمكان الذي يربط فيه أعداؤه:

«اتجهت أنظار الجميع إلى حيث يشير، وتحولت نظراتهم إلى الذهول وعدم الفهم وهم يحدقون في باقة صغيرة من الزهور استقرت على أرضية المصعد.. ثم لمح أحدهم بريقاً معدنياً وسط الزهور، فتراجع وهو يصرخ في ذعر: احترسوا.. إنها قنبلة!

لم يكذ يُتم عبارته حتى دوى الانفجار، واندفع صقور أكونور يرتطمون بحوائط الطابق ويسقطون أرضاً، في حين ارتجّ المصعد وهوى إلى أسفل كالقنبلة. وفجأة، ومن أعلى المصعد، قفز عبر الباب المفتوح شيطان مريد.. شيطان يُدعى أدهم صبري».

في هذا المشهد، يحاول أدهم صبري اقتحام طابق يوجد فيه خمسة عشر مقاتلاً من أعدائه، يعرفون أنه يستقل المصعد إليهم وينتظرون وصوله، لكن المصعد يفتح ولا يجدون أدهم، بل باقة زهور فيها قنبلة. تنفجر القنبلة في وجوههم، ويهوي المصعد متحطماً وهو أمر طبيعي لأن القنبلة انفجرت داخله- لكن الأمر غير الطبيعي أن أدهم كان مستقرًا على سطح المصعد، ولم يُصبه شيء من انفجاره، ولم يتأثر بانقطاع كابلاته، بالعكس، عندما هوى المصعد، استطاع أدهم أن يقفز من فوق سطحه عبر الباب المفتوح ليفاجئ أعداءه!

كنت أشد شعري غيظًا مع مواقف غير منطقية مثل هذه! مثلًا،





في العدد 120، «السنيور»، يصاب قدري في نيويورك وتأخذه منى للمستشفى. أثناء انتظارها انتهاء الأطباء من إجراء عملية لإنقاذه، يهاجمها قاتل محترف وتتصارع معه، ويسرع إليهما أحد رجال أمن المستشفى، فيطلق عليه القاتل طلقة من مسدسه الكاتم للصوت، فيرديه قتيلاً. لكن رجال أمن المستشفى ينجحون في السيطرة عليه، ويأتي رجال الشرطة ليستجوبوه، بينما تكتشف منى أنه أثناء صراعها معه قام بعض الأشخاص باختطاف قدري، ويتبجح القاتل أمام منى ورجال الشرطة أن الخطة نجحت، وأنه قام بإلهائها حتى استطاع زملاؤه إتمام عملية الاختطاف. ثم يحدث شيء في غاية الغرابة! يخبرها القاتل أن الشرطة لا تستطيع احتجازه أكثر من 24 ساعة، قبل أن يقوم محاميه باستصدار أمر بالإفراج عنه، ويصارحها مفتش الشرطة أن هذا الأمر صحيح، فتقرر منى -التي تنوي التعامل مع الرجل بنفسها، بعيداً عن الشرطة- أنه لا داعي لاحتجازه من الأساس لأنها لن توجه له أي اتهام! يسألها مفتش الشرطة إن كانت متأكدة، ثم يطلق سراح الرجل! هكذا ببساطة! وكأن المؤلف نسي أن هذا القاتل أردى أحد رجال أمن المستشفى قتيلاً، وأنه اعترف بوقاحة أمام الشرطة بأن رفاقه هم من اقتحموا المستشفى واختطفوا قدري، وأنه يحمل مسدساً كاتمًا للصوت! هناك قتيلاً، ومريض مختطف، والشخص الوحيد المشتبه فيه في كل هذا يتم التعامل معه وكأن مشكلته الوحيدة أنه تعارك مع منى، فلما تنازلت هذه الأخيرة عن شكواها صار بإمكانهم إطلاق سراحه في التو واللحظة، دون حتى أن يصبوه إلى مركز الشرطة لأخذ أقواله!

هناك أمر آخر لا يمكنني إنكاره، فربما أثرت عليّ، وعلى قراء آخرين غيري، طبيعة الفترة التي كنا نعيشها في أواخر التسعينيات وأوائل الألفية. ففي تلك الفترة صار بنيامين نتنياهو رئيساً لوزراء إسرائيل للمرة الأولى، وفوجئنا جميعاً بصلفه وغطرسته وتطرفه في التعامل مع القضية الفلسطينية والقضايا العربية، وبعد ذلك بعدة سنوات استفز آرييل شارون الفلسطينيين، فقامت ضده الانتفاضة الثانية،





وقمعتها الإسرائيليون بوحشية، واستشهد الآلاف تحت أنظار العالم الذي لم يتحرك ضميره كالعادة، وتواكب ذلك مع أحداث 11 سبتمبر، التي شنت أمريكا بعدها حربًا على ما أسمته بالإرهاب، واحتلت أفغانستان والعراق. ووسط كل هذا، كان نبيل فاروق يكتب في رجل المستحيل عن انتصارات أدهم صبري المبهرة على الإسرائيليين والأمريكيين، وكيف يتفوق عليهم ويسخر منهم ويذل ناصيتهم، ويكتب في ملف المستقبل عن أن مصر صارت قوة عظمى في القرن الحادي والعشرين، القرن الذي وصلنا إليه بالفعل خلال تلك الفترة، وكانت الأوضاع حولنا ما تزال كما هي. كل هذا سبب لي إحباطًا، بين ما أقرأه على الورق وما أجده على أرض الواقع. وعندما أفكر في الأمر الآن أتساءل: هل كان بإمكان نبيل فاروق ألا يتفاءل؟ ألم يكن هذا أفضل خيار يقدمه للشباب، لمحة أمل وسط إحباطات العالم؟ الرجل قام بما اعتقد أن عليه القيام به، بينما كنا نحن نخوض في مراهقتنا ونرى العالم على حقيقته للمرة الأولى، ونشعر بالاستفزاز من الانتصارات الموجودة على الورق، والتي لا نجد ما يقابلها على أرض الواقع.

لكن في رأيي، أكثر ما فعله نبيل فاروق وعاد بالسلب على سلسلة رجل المستحيل بالذات، هو محاولته التأكيد على أن شخصية أدهم صبري مستوحاة من شخصية حقيقية. ففي العدد 25 من سلسلة كوكتيل 2000، «أوراق بطل»، والذي صدر عام 1997، وجدنا قصة تبدو كالسيرة الذاتية ملخصها أن نبيل فاروق في بداية عمله كمؤلف -أي في عام 1984 - قدّم طلبًا للمخابرات العامة ليسمحوا له بالاطلاع على عملياتهم وتحويل واحدة منها إلى رواية، وعندما سألوه عن طبيعة القصة التي يبحث عنها، صارحهم بحلمه في خلق شخصية بطل عربي يكون قدوة للشباب ويحمل عاداتنا وتقاليدينا، فأخبروه بأنه سيجد ضالته عند السيد «أ.ص»!

و«أ.ص» -كما حكوا له- هو ضابط مخابرات مصري لم يُهزم قط، وأذلل ناصية أجهزة المخابرات في العالم أجمع، ويُعتبر أسطورة في



ذلك العالم السري. يأخذونه للقاء «أ.ص» فينبهر بشخصيته وجاذبيته، ويبدأ «أ.ص» في حكي قصته، فقد كان والده من الرعيل الأول في جهاز المخابرات العامة المصرية، وكلم بخلق رجل المخابرات المثالي، فبدأ في تدريب ابنه وعمره ثلاث سنوات على كل ما يحتاج إليه رجل المخابرات من مهارات ذهنية وحركية. ويمضي الرجل في حكي قصته، التي هي نفسها قصة أدهم صبري كما رأيناها في العدد 61، «ملائكة الجحيم». لا يخبرنا نبيل فاروق باسمه الحقيقي، ويشير إليه باسم «أكرم صدقي». وفي العدد التالي من كوكتيل 2000، «الملحمة»، يحكي لنا قصة عملية أخرى خاضها «أكرم صدقي» أو «أ.ص»، وقصّها على نبيل فاروق عندما زاره مرة ثانية في فيلته.

كل هذا فاجأ القراء! هل أدهم صبري حقيقي؟ انهالت رسائل القراء على نبيل فاروق تسأله عن تفاصيل أكثر، واكتفى هو بالرد على الجميع في باب «عزيزي القارئ» في العدد 26 من كوكتيل 2000، «الملحمة»:

«ولأن الرسائل الخاصة بـ«أوراق بطل» كانت كثيرة وغزيرة للغاية، وجدتُ أنه من الأصوب أن أجيب عنها كلها دفعة واحدة، خاصة أن الإجابة بسيطة ومحدودة للغاية، فالواقع أيها الأصدقاء أنكم لن تحصلوا على معلومة واحدة إضافية، أكثر مما قرأتموه بالفعل، في «أوراق بطل».. ولأسباب عديدة.. لذا فالأفضل أن تكتفوا بما لديكم، وبما يمكنني تقديمه.. في الوقت الحاضر على الأقل.. وربما في المستقبل، تكون هناك أوراق أخرى.. ومعلومات أخرى»(139).

هذا الرد زاد من فضول القراء، فمعناه المستتر أن المعلومات محجوبة لأن المخابرات العامة لم تسمح لنبيل فاروق بالإدلاء بما هو أكثر!

لم أستطع استساغة كل هذا، وشعرت بالضيق والشك، لأن القصة حوت في نظري العديد من الثغرات. فمن تابع كتابات نبيل فاروق في تلك الفترة يعرف أنه كان يكتب مقالاً شهرياً في مجلة الشباب،

يحكي فيه عن الجاسوسية وعمليات المخابرات، سواء المصرية، أو العالمية التي وقعت في أثناء الحرب العالمية الثانية، في البداية كانت المقالات عن عمليات معروفة ومنشورة في عدة مصادر، ثم صار ما يكتبه عن عمليات المخابرات العامة المصرية بالذات أكثر دقة وغنى بالتفاصيل، وعن عمليات لم نسمع عنها من قبل، مما يدل على أنه بدأ في تلك الفترة التعاون مع جهاز المخابرات العامة لنشر مجموعة من عملياتهم المتاح نشرها. قبل ذلك لم تتوفر أي دلالة على وجود صلة بين نبيل فاروق والمخابرات العامة، وحتى أعداد رجل المستحيل نفسها كانت في فترة الثمانينيات تخلو من النضج والدقة في المعلومات مقارنة بتلك التي ظهرت فيما بعد في فترة التسعينيات، وهذا قد يكون مرده إلى زيادة معارف نبيل فاروق نفسه، لكني وقتها أخذت الأمر باعتبار أن احتكاك نبيل فاروق الفعلي بالمخابرات العامة جعله يرى أعمال المخابرات بمنظور مختلف وأكثر واقعية، ومن الأشياء التي زادت من شكّي وقتها أن أدهم صبري في الأعداد الأولى -كما ذكرت من قبل- كان ينتمي إلى المخابرات الحربية وليس المخابرات العامة.

بسبب كل ذلك لم أقتنع بأن نبيل فاروق بدأ تعاونه مع المخابرات العامة في منتصف الثمانينيات، فقد كانت هناك دلائل كثيرة أمامي وقتها تقول إن التعاون إذا حدث فقد وقع بعد ذلك بعشر سنوات على الأقل.

النقطة الأهم أن نبيل فاروق في كل حواراته حول رجل المستحيل ونشأته لم يتطرق إطلاقاً إلى موضوع تعاونه مع المخابرات، ولقائه مع البطل الذي استلهم منه شخصية أدهم صبري، فمثلاً في لقاء له مع إبراهيم عيسى على قناة دريم الفضائية، تحدّث عن بداية تعامله مع المؤسسة العربية الحديثة وبداية تفكيره في كتابة سلسلة عن رجل مخابرات عربي، وكيف قضى أياماً يفكر في اسم مناسب وموسيقي لهذه الشخصية، فكان: أدهم صبري، دون أي إشارة إلى وضعه الاسم على الحروف الأولى من اسم البطل الحقيقي.

وعلى الجانب الآخر، أخذ نبيل فاروق ينشر من آن لآخر في مقالاته في مجلة الشباب- بعض العمليات التي قام بها رجل المخابرات الفذ «أ.ص» في أثناء خطة الخداع الاستراتيجي قبيل حرب أكتوبر، مثيلاً تساؤلاً جديداً في عقلي: هل خاض رجل المستحيل عملياته في فترة الثمانينيات -وقت بداية السلسلة- أم منذ السبعينيات، أيام حرب أكتوبر؟

في الخط الزمني في رجل المستحيل، وفي «أوراق بطل»، نعرف أن أدهم صبري/أكرم صدقي شارك في حرب أكتوبر 1973، حيث كان ضابطاً متخرجاً حديثاً من الجيش، ثم عمل بعدها في المخابرات -أي في منتصف السبعينيات- وبدأنا نقرأ عملياته في منتصف الثمانينيات -وقت صدور السلسلة- وهو ما يتعارض مع الخط الزمني الموجود في مقالات مجلة الشباب، التي تقول إنه كان ضابطاً كبيراً ومخضرمًا في المخابرات وقت حرب أكتوبر!

عاش ملايين الشباب في الوطن العربي الحلم الرائع بمقابلة أدهم صبري الحقيقي، الذي أخبرنا نبيل فاروق -في «أوراق بطل» و«الملحمة»- بأنه اعتزل العمل في المخابرات منذ فترة، ويعيش الآن في فيلا في مكان ما في مصر ليكون في مأمن من أي عملية انتقامية من المنظمات وأجهزة المخابرات التي هزمتها طوال تاريخه! بل إن موقع مجانيين على الإنترنت، والذي يتبع دار المبدعون للنشر التي كان يديرها نبيل فاروق(140)، أعلن عام 2002 عن إجراء حوار «شات» مع البطل «أ.ص» عبر غرفة دردشة الموقع، وبإمكان أي عدد من القراء أن يحضره. وفي أثناء الحوار رفض «أ.ص» إجابة معظم الأسئلة التي وُجّهت إليه، بل إنه ردًا على أحد الأسئلة حول منى وقدرتي وبقية أبطال السلسلة قال إنه لا يعرف من هم أصلًا، وحينما كتب أحد القراء سؤالاً له بالروسية ليختبر إن كان هو الشخص الأسطوري الذي سمعوا عنه أم لا، رفض «أ.ص» الإجابة عن السؤال باعتبار أنه لا يقبل أسلوب الاختبار هذا.



في النهاية خرج كثيرون ممن حضروا اللقاء شاعرين بالإحباط (141). وفي السنين التالية، نشر نبيل فاروق كتابًا بعنوان «رجل المستحيل وأنا»، ثم تلاه بكتاب آخر بعنوان «رجل المستحيل - أوراق لم تُنشر»، وحكى في هذين الكتابين قصة جديدة، فعندما كان يدرس في الجامعة تعرّض لمحاولة تجنيد من قبل مخابرات دولة أجنبية! وعندما أبلغ عن ذلك، ظهر رجل أمن هادئ ووقور، وعاونه في هذا الأمر، ومن وقتها ربطت الصداقة بينهما. وفي مقالاته في جريدة الدستور -الإصدار الثاني- كان كثيرًا ما يكتب أنه احتار في أمر ما، فلجأ إلى «صديقه رجل الأمن»، الهادئ المتزن الحكيم، الذي يستمع إليه دائمًا في صبر، ثم يخبره بالرأي الأصوب ليعمل به، وبعد كتاب «رجل المستحيل وأنا» صار واضحًا لنا أن «صديقي رجل الأمن» ما هو إلا «أ.ص»!

فهل تعرّف على «أ.ص» عندما تواصل مع المخابرات العامة في منتصف الثمانينيات ليكتب عن عملياتهم -كما ذكر في «أوراق بطل»- أم عندما تعرّض لمحاولة تجنيد من مخابرات مُعادية -كما ذكر في «رجل المستحيل وأنا»- في أثناء دراسته الجامعية في السبعينيات؟

في اعتقادي، لم يكن نبيل فاروق بحاجة إلى كل هذا، فتأثّر القراء بالسلسلة بلغ حدًّا كبيرًا، ولم يخطر ببالهم أن يشككوا في حقيقة ما قرأوه، لكنه عندما بدأ في التأكيد على أن الأمر حقيقي، هنا بدأ القراء يسألون أنفسهم أسئلة ربما لم تخطر على بالهم قط، وهذه الأسئلة -للأسف- انتقصت من رصيد السلسلة لديهم.

ربما هناك بالفعل ضابط مخابرات مصري فذ عرف نبيل فاروق حكايته في وقتٍ لاحق، بعد كتابته لسلسلة رجل المستحيل بعدة سنوات، ووجد أنه مناسب ليكون المعادل الواقعي للشخصية الخيالية التي ابتكرها، لكن ما أرجّحه أن شخصية أدهم صبري موجودة من خلال بطولات رجال المخابرات المصرية والتضحيات التي قدموها والجهد الذي بذلوه، فهي رمز لتفوّق رجل المخابرات المصري، لكن



ليس بالضرورة أن تكون انعكاسًا لشخص موجود بالفعل في الحقيقة.



سلاسل الخطر!



صدر من سلسلتي رجل المستحيل وملف المستقبل 160 عددًا في كلٍ منهما، لكن كتابات نبيل فاروق لم تتوقف عليهما فقط. كان الرجل يملك طاقة ضخمة ظهرت في كتابته العديد من السلاسل، ففي فترة الثمانينيات كان يكتب في نفس الوقت عشر سلاسل كاملة!

سلسلته الثالثة الأهم هي كوكتيل 2000، وفي تلك السلسلة كان نبيل فاروق يشعر براحة أكبر، فالسلسلة عبارة عن كوكتيل من القصص القصيرة والمقالات والخواطر والدراسات والروايات المسلسلة والكاملة. كانت أشبه ما تكون بمجلة الحائط المدرسية التي يشرف عليها طالب واحد ينشر فيها كل ما يروق له.

وأنا صغير كانت تعجبني قصص نبيل فاروق القصيرة التي ينشرها في كوكتيل 2000، وتابعت بشغف حلقات رواية «أرزاق»، وهي الرواية الاجتماعية الوحيدة التي كتبها بعيدًا عن روايات الجاسوسية والخيال العلمي، وجمعها بعد ذلك في أربعة كتب، تحت عنوان «كتاب كوكتيل 2000»، لتُشكّل وحدها سلسلة جديدة. «أرزاق» رواية أجيال، ذكّرتني وقتها بمسلسل ليالي الحلمية، لأنه كان أقرب مثال بالنسبة إليّ لعمل يتناول عدة أجيال، وانعكاس الأحداث الكبرى في تاريخ مصر على عائلتهم.

وفي كوكتيل 2000 قرأنا قصة «العقرب» مسلسلة، والتي كانت أشبه ما تكون بمغامرات زورو، فنديم فوزي ضابط شرطة يصدمه أن القانون يقف عاجزًا في بعض الأحيان عن تحقيق العدالة، فيقدم استقالته ويفتح مكتب تحريات خاصًا، وفي الليل يرتدي ملابس سوداء وقناعًا أسود، ويُسمّي نفسه العقرب، ويبدأ في تحقيق العدالة بيديه كالأبطال الخارقين. وبعد انتهاء القصة، نشرت كوكتيل



2000 قصة أخرى مسلسلة للعقرب، وعندها أدركنا أننا سنتابع من خلال كوكتيل 2000 سلاسل مغامرات جديدة، لكن أعدادها ستُنشر هذه المرة فصلًا بفصل عبر أعداد تلك السلسلة.

هناك أيضًا في كوكتيل 2000 سلسلة فاي، والتي تدور حول مقاتل فذ من مقاتلي حرب أكتوبر، فقد ذاكرته في القتال، فأخذته المخبرات وأعدت تأهيله ليصبح مقاتلاً خاصًا لا هوية لديه سوى أنه مصري ويسعى لصالح مصر.

وفي نهاية كل عدد من كوكتيل 2000 هناك رواية قصيرة -اسم العدد مأخوذ منها- تدور في إطار فانتازي أو خيال علمي، وبعض تلك القصص ما زلت حتى الآن أذكر تفاصيلها. مثلًا رواية «جزيرة القدر» -في العدد 14 - تدور حول مجموعة من الأشخاص وجدوا أنفسهم فوق جزيرة عجيبة، ويعرفون مع الوقت أنهم يكررون أحداثًا وقعت من قبل، وأن الحضارة الإنسانية دائرية، فهي تعيد نفسها من البداية بنفس التفاصيل والأشخاص، وأن ما نعيشه الآن هو الحضارة السابعة، وهذا سر تكرار الرقم سبعة في الكثير من الأشياء حولنا(142).

أما رواية «المهمة» -في العدد 16 - فتدور حول فارس من عصر صلاح الدين كان مكلفًا بتوصيل رسالة مهمة إلى السلطان، لكنه ينتقل في الزمن إلى عصرنا الحالي. وهذه الرواية دار بسببها جدل كبير، فقد اتهم نبيل فاروق عادل إمام بسرقتها في فيلمه «رسالة إلى الوالي»، والذي يظهر فيه عادل إمام كفارس من عصر محمد علي وجد نفسه فجأة في عصرنا.

أما أهم ما في كوكتيل 2000، في رأيي، فهو باب عزيزي القارئ، حيث كان نبيل فاروق يردُّ على أسئلة القراء وينشر رسائلهم وإنتاجهم الأدبي. بدأ الباب في العدد 15، «التجربة الرهيبة»، واعتمد في البداية على نشر الإنتاج الأدبي للقراء من قصص وخواطر ومقالات، مع تعليق قصير من نبيل فاروق على كل عمل، وكان هذا

أمرًا رائعًا لأنه أتاح الفرصة للكثير من القراء صغار السن في أن يروا أعمالهم مطبوعة، وفي بعض الأحيان كان يرد على بعض التساؤلات أو يذكر تعليقًا عامًا على تساؤل تكرر وصوله، وهكذا. استمر ذلك حتى العدد 23، «آلة الزمن»، ثم منذ العدد 24، «اللغز»، انقسم باب «عزيزي القارئ» إلى قسمين: «عزيزي القارئ 1»، والذي يختص بالإجابة عن أسئلة القراء بخصوص السلاسل والإصدارات وما يدور فيها وكان هذا الباب موجودًا في سلسلة بانوراما، ثم انتقل إلى كوكتيل 2000 بعد توقُّف السلسلة الأولى- و«عزيزي القارئ 2»، الذي استمر في نشر إنتاج القراء الأدبي. وقرر نبيل فاروق منذ هذا العدد أن يختار قصة من بين القصص المنشورة لتحصل على لقب أفضل عمل، وكانت القصة التي اختارها تحمل عنوان «نظرة»، واتضح لاحقًا أنها قصة شهيرة ليوسف إدريس، ومقررة كذلك على طلبة المدارس لدراساتها! عرف نبيل فاروق ذلك عندما أرسل إليه مئات القراء رسائل يستنكرون فيها الأمر، فأعلن في باب عزيزي القارئ 1، في العدد 25، «أوراق بطل»، ضيقه وألمه من فعلة هذا القارئ، وعندما استمرت الخطابات الغاضبة في الوصول إليه، كتب في العدد 26، «الملحمة»، أنه لا داعي إلى نصب المشانق لذلك الصديق، فلا بد أنه عرف خطأه وانتهى الأمر، ودعاه للعودة إلى صفوف الأصدقاء.

من الأشياء الطريفة التي وقعت في باب عزيزي القارئ، أن نبيل فاروق خاض مناظرة مع محرر مجلة علاء الدين، عندما نشر هذا الأخير رسالة من قارئة تستفسر عن معلومة كان نبيل فاروق قد ذكرها في سلسلة ملف المستقبل -تحديدًا في العدد 95، «القوة السوداء»، و105، «وجوه من ثلج»- عن واقعة قال إنها حدثت فعلاً، عندما فوجئ فلاحون في إحدى القرى الأوروبية بظهور طفلين أخضرَي اللون ولا يجيدان الحديث بأي لغة، وأخبرها محرر علاء الدين أن هذه القصة بالتأكيد خيالية ولم تقع فعلاً، الأمر الذي أغضب نبيل فاروق، فأخذ يسوق الدلائل ويذكر المراجع التي تتكلم عن تلك الواقعة، وذلك في باب عزيزي القارئ في العدد 23، «آلة الزمن»، ولما رد عليه المحرر في



أحد أعداد مجلة علاء الدين، عاد نبيل فاروق ورد على رده في العدد 24، «اللغز».

والحقيقة أن نبيل فاروق لم يكتب قصصًا عن غزاة الفضاء وكائنات العوالم الأخرى من باب الخيال فقط، بل كان يؤمن بالفعل بوجود كائنات أخرى، ودافع دائمًا عن هذا الإيمان.

كان نبيل فاروق في باب عزيزي القارئ -سواء الذي يجيب فيه عن أسئلة القراء، أو الذي ينشر فيه إنتاجهم الأدبي- صبورًا على الكثير من التجاوزات. فبعض القراء كانوا يهاجمونه لأنه تأخر في نشر إنتاجهم، أو لأنهم اتصلوا بهاتفه ولم يرد عليهم -وكان قد نشر رقم هاتفه في أحد أعداد بانوراما- أو حتى يتهموه بأنه سرق أفكار بعض القصص التي أرسلوها إليه، وأحيانًا يهاجمون ما يكتب ويصفونه بالتفاهة والسخف!

المهم أننا في هذا الباب كنا نسمع نبيل فاروق يُحدِّثنا بشكل مباشر، ويكلمنا عن آرائه، ويفسر لنا ما غمض علينا في بعض الأعداد، وما ينوي فعله في أعداد أخرى، ويستمع إلى مشكلاتنا الخاصة ويحاول حلها معنا. وفي هذا الباب بدأ نبيل فاروق في إقامة مسابقة أوسكار رجل المستحيل، كان يستقبل قصص القراء القصيرة ويختار أفضل ثلاثة، ويمنح الأولى أوسكار رجل المستحيل الذهبي، والثانية أوسكار رجل المستحيل الفضي، والثالثة أوسكار رجل المستحيل البرونزي. ويلتقي بالفائزين ويُسلِّمهم تماثيل صغيرة لرجل المستحيل بألوان مختلفة حسب نوع الأوسكار الذي حصلوا عليه.

تلك المسابقة صنعت حراكًا ودفعت كثيرًا من القراء لمحاولة الكتابة، وفي مكتبتي تمثال من تلك التماثيل، لأن زوجتي فازت في طفولتها بواحد عن قصة رومانسية أرسلتها إلى باب عزيزي القارئ.

تطور الأمر لاحقًا ليصبح مسابقة في أدب الخيال العلمي يقيمها نبيل فاروق سنويًا، وينشر القصص الثلاث الفائزة بالكامل في كوكتيل 2000.





وفي العدد 42، «الغامض»، أعلن نبيل فاروق انتهاء باب عزيزي القارئ، وتحديث عن تحويله في الأعداد القادمة إلى باب يُدعى «مجلتنا»، والتي أصبحت بدءًا من العدد 45، «جريمة رقمية»، مخصصة فقط لنشر الأعمال الفائزة في مسابقة الخيال العلمي، ثم جاء العدد 47، «ذاكرة الغد»، ليخلو من «مجلتنا» ومن أي أبواب أخرى، العدد بالكامل -ولأول مرة في تاريخ سلسلة كوكتيل 2000 - يحوي فقط قصة العدد! وفي العددين 48 و49، عاد الباب ليحمل مسمى «عزيزي القارئ»، وإن استمر في نشر القصص الفائزة في مسابقة الخيال العلمي، ثم اختفى من جديد في العدد 50، «الهدف أنت».

وفي العدد 51، «صدمة»، فوجئنا بعودة باب عزيزي القارئ من جديد، لكنه في هذه المرة كان عبارة عن عدة صفحات يُودّعنا فيها نبيل فاروق ويخبرنا بأن هذا العدد سيكون الأخير في سلسلة كوكتيل 2000!

أذكر أنني أرسلت وأنا عمري خمسة عشر عامًا مجموعة من قصصي القصيرة إلى بريد عزيزي القارئ 2، وظلت طوال الأعوام الخمسة التالية كلما صدرت أعداد روايات مصرية للجيب، أبدأ بتصفح عدد كوكتيل 2000 الجديد، وأبدأ بباب عزيزي القارئ وقلبي يخفق، لعل وعسى أن أجد اسمي مطبوعًا وقصصي منشورة هناك، وهو الأمر الذي لم يحدث قط.

بعد كوكتيل 2000 هناك سلسلة ع×2: عماد وعلا، توأمان ذكيان، أبوهما ضابط شرطة، ويحلان القضايا الغامضة، تمامًا كالمغامرين الخمسة. عنوان كل عدد يبدأ بـ«قضية»، تمامًا كما تبدأ كل رواية من روايات المغامرين الخمسة بـ«لغز».

عندما قرأت تلك السلسلة في صغري انبهرت بذكاء عماد وعلا وحولهما العبقرية للقضايا الغامضة التي تواجه والدهما، أو يجدان نفسيهما فيها، لكني مؤخرًا بدأت أقرأ الأعداد الأولى من السلسلة لابنتي الصغيرة، وفوجئت بأن ما وجدته في طفولتي صعبًا وعبقريًا،



بدا لي الآن بسيطًا ومباشرًا. سألتني ابنتي بدهشة بعد قراءة خمسة أعداد: لماذا دائمًا يكون مع المجرم مسدس؟ بالفعل في كل عدد، ومهما كانت طبيعة المجرم؛ محاسب في بنك أو بائع أو أو... عندما تتعقد الأمور يحصل على مسدس بطريقة ما ويهدّد الآخرين به. نبيل فاروق في هذه السلسلة لم يُراعِ المحاذير التي انتبه لها محمود سالم في المغامرين الخمسة، فكانت هناك جرائم قتل وعنف في الكثير من الأعداد.

تطورت السلسلة بعد ذلك، فانضم الصحفي عصام كامل إلى الصغيرين عماد وعلا منذ العدد 10، «قضية العقد المفقود»، وصار يساعدهما في حل الجرائم، فبسبب صغر سنهما كان من الصعب عليهما الحركة والتحري، فأصبح عصام يلعب الدور الحركي بدلًا منهما، وصارت القضايا أكثر تعقيدًا. وفي العدد 32، «قضية الوصية الضائعة»، يشهد التوأمان انتحار المجرم في نهاية المغامرة، فيصابان بانهيار عصبي ويضطر والدهما إلى منعهما تمامًا من التحقيق في القضايا، ويبدو هذا وكأنه نهاية فريق ع2، لكن في العدد التالي، «قضية الحارس الليلي»، يُكوّن عصام فريقًا جديدًا مع العقيد عادل محمود، ويبدأ في حل القضايا معًا، ومع الوقت سيعود عماد وعلا للظهور في السلسلة من آن لآخر، ولكن سيكتفيان فقط بتقديم النصائح والاستشارات لعصام. يظهر أيضًا عضو آخر ينضم إلى الفريق، وهو الدكتور علي الطبيب الشرعي الشاب، الذي يساعد عصام في بعض المغامرات بتقديم الاستشارات، وهكذا يصبح فريق ع2 مُكوّنًا من أكثر من عضو يبدأ اسمه بحرف العين، القاسم المشترك بينهم دائمًا هو الصحفي عصام، الذي يقوم بالمغامرات وحده في بعض الأحيان. حتى العبارة التي تُوضع على الغلاف الخلفي للأعداد، صارت تتغير من عدد إلى آخر، على حسب من يقوم بدور البطولة فيه، في البداية كانت العبارة الثابتة: «اقرأ التفاصيل، وحاول أن تسبق عماد وعلا إلى حل اللغز»، والتي تحولت إلى «اقرأ التفاصيل المثيرة، وقايل مع عادل وعصام من أجل حل اللغز»، أو «اقرأ التفاصيل المثيرة، وقايل

الجريمة مع فريق ع×2 الجديد»، وأحياناً «اقرأ التفاصيل المثيرة، وحاول أن تسبق عصام إلى حل اللغز» أو «اقرأ التفاصيل، وحاول أن تسبق الفريق إلى حل اللغز».

تحقّقس نبيل فاروق كما ذكرتُ لكتابة العديد من الأعمال بعد أن ترك الطب وتفرّغ تمامًا للكتابة، وفي كل موسم كنا نجده يصدر سلسلة جديدة، وأعتقد أنه في فترة من الفترات لعب دور العقل التنفيذي لمشروع روايات مصرية للجيب، وبالنسبة لكثير من القراء كان نبيل فاروق هو روايات مصرية للجيب. فبينما شريف شوقي يكتب سلسلة المكتب رقم 19، ورؤوف وصفي يكتب سلسلة نوما(143)، ولاحقًا خالد الصفتي يرسم ويحرر سلسلة فلاش، كان نبيل فاروق وحده يكتب ما يزيد على عشر سلاسل، منها سلاسل شبيهة بكوكتيل 2000 من حيث المواد المتنوعة التي تقدمها، كسلسلة زووم، التي كانت من سلاسل المفضلة، وقدمت بعض المواد العلمية والبوليسية وألعاب الذكاء والنكات والمعلومات العامة والقصص الكاملة، واختلفت في أن تصميم غلافها ورسومات صفحاتها الداخلية قام بها الرسام عبد الحليم المصري، فكانت هي السلسلة الوحيدة وقتها التي لم يرسم أغلفتها إسماعيل دياب برسوماته المميزة. وكان عبد الحليم المصري يُطعم كل الصفحات الداخلية لزووم برسومات كاريكاتورية طريفة، بينما استمر إسماعيل دياب في رسم الرسومات الداخلية لقصص زووم الجادة.

وهناك سلسلة بانوراما، التي أخذت شكل المجلة، ونُشرت فيها تقريبًا نفس المواد التي كانت تُنشر في كوكتيل 2000: مقالات وقصص قصيرة وروايات مسلسلة وباب عزيزي القارئ، وشهدت الظهور الأول لخالد الصفتي، من خلال نشره بعض القصص المُصوّرة، وبالإضافة إلى ذلك تميزت السلسلة بوجود أبواب مختلفة، مثل باب «أخبارنا»، والذي يحوي أخبار السلاسل الجديدة والمناسبات الاجتماعية للمؤلفين.

ويبدو أن نبيل فاروق شعر بضغط وعبء كل هذه الأعمال في فترة من الفترات، ولم يعد باستطاعته العمل عليها كلها، وهكذا توقفت زووم بعد 11 عددًا، وبانوراما بعد 7 أعداد، أما سلسلة زهور الرومانسية، والتي تولى كتابتها حتى العدد 15 - ما عدا العدد 4، الذي كتبه شريف شوقي- فقد تقاسم كتابتها مع شريف شوقي بدءًا من العدد 16، هذا يكتب عددًا أو اثنين، وذاك يكتب عددًا أو اثنين، لكن بعد العدد 43 توقف نبيل فاروق تمامًا عن الكتابة في تلك السلسلة، ولم يعد إليها سوى لكتابة العدد رقم 100، «أزمة منتصف الحب». ونفس الشيء حدث مع سلسلة «روايات عالمية للجيب»، والتي ابتكرها نبيل فاروق ليترجم من خلالها أشهر الروايات العالمية، فقد نشر منها ستة أعداد، ثم توقف عدة سنوات، قبل أن يستلمها منه أحمد خالد توفيق ويصدرها بانتظام حتى وفاته. والحقيقة أن نبيل فاروق لم يترجم روايات بالمعنى المتعارف عليه للترجمة؛ بل كان يختار أفلامًا عالمية -كحروب النجم ودكتور نو وفلاش جوردون والفك المفترس- ويعيد كتابة الفيلم بأسلوبه، ويكتب على الغلاف اسم كاتب السيناريو باعتباره المؤلف، مع عبارة «إعداد: نبيل فاروق».

ظهرت بوضوح مشكلة الإرهاق والضغط التي تسببها كتابة كل هذه السلاسل في العدد 52 من سلسلة ع²، «قضية حكم الإعدام»، عندما كُتب على الغلاف الخلفي بدلًا من عنوان العدد القادم -ولأول مرة في تاريخ روايات مصرية للجيب- عبارة تقول: «هذا العدد هو آخر عدد في سلسلة روايات ع²، وستظهر بإذن الله قريبًا سلسلة جديدة تحت اسم سيف العدالة».

كانت هذه المرة الأولى التي يتم فيها إنهاء سلسلة بشكل رسمي وقاطع بهذه الطريقة. ورغم ذلك لم تتوقف ع²، فقد صدر العدد 53 بعد عدة سنوات، وكل عدة سنوات كان يصدر عدد جديد منها، إلى أن توقفت تمامًا بعد العدد 56، «قضية الدقائق الأخيرة».

أما سلسلة «سيف العدالة» التي نُوه عنها، فقد كانت تدور حول مجرمين من المستقبل يعودان في الزمان إلى زماننا بكل ما لديهما من أدوات تكنولوجية، ويتبعهما رجل أمن يُدعى سيف الدين ويحاول التصدي لهما. فكرة تحقّس لها نبيل فاروق في البداية كالعادة، وتورّط في إصدار العدد الأول، ثم فتر حماسه لها بعدها. فهذه السلسلة لم يصدر منها سوى 6 أعداد فقط على مدى ما يزيد على عشرين عامًا. ونفس الشيء حدث مع سلسلة فارس الأندلس والتي بدأت كمشروع لقصة عدد في سلسلة كوكتيل 2000، قبل أن تتحول إلى سلسلة منفصلة بسبب تحقّس حمدي مصطفى لها- وهي السلسلة التاريخية الوحيدة التي كتبها نبيل فاروق، وتدور حول فارس خارق المهارات -كأدهم صبري- يعيش في الأندلس في السنين الأخيرة قبيل سقوط غرناطة، ويواجه مؤامرات القشتاليين وخيانات العرب. بدأت السلسلة في أوائل التسعينيات، وعبر التسعينيات كلها لم يصدر منها سوى ثمانية أعداد، وفي الألفية لم يصدر منها سوى عشرين، لتتوقف السلسلة عند العدد العاشر.

وهكذا كانت تمضي الأمور، يتحمس نبيل فاروق لكتابة سلسلة جديدة، فيكتب منها عدة أعداد، ثم يفتر حماسه، ويتوقف عن إصدارها تمامًا، أو يُصدر منها عددًا كل بضع سنوات، ثم يتوقف عن كتابتها تمامًا في النهاية. يقول نبيل فاروق في مذكراته التي كتبها عن علاقته بحمدي مصطفى إن بعض أفكار تلك السلاسل -كزهور وبانوراما- كان حمدي مصطفى يطرحها عليه، ثم يتحمس نبيل فاروق لها (144).

السلاسل الوحيدة التي كان ملتزمًا بكتابتها بشكل ثابت هي رجل المستحيل وملف المستقبل وكوكتيل 2000؛ خمسة أعداد سنويًا في كلٍّ من السلسلتين الأوليين، وعدد واحد سنويًا في السلسلة الثالثة.

كان القراء يتساءلون عن أسباب توقف بعض السلاسل أو قلة إنتاج سلاسل أخرى؛ نبيل فاروق الذي كان يكتب في فترة الثمانينيات

وبداية التسعينيات ما يقرب من عشر سلاسل في نفس الوقت، أصبح منتظماً في كتابة ثلاث سلاسل فقط، وكل عدة سنوات يعود لسلاسله القديمة المهجورة لينشر فيها عددًا أو اثنين. أوضح نبيل فاروق أسباب هذا التغيير أكثر من مرة في باب عزيزي القارئ في سلسلة كوكتيل 2000، ففي العدد 26، «الملحمة»، أعلن أنه أصيب بأزمة قلبية أجبرته على التوقف عن الكتابة لفترة طويلة (145)، وفي العدد 31، «الدم»، تحدّث عن تعبته وإجهاده وأنه لم يعد قادرًا على مواصلة العمل بنفس الطريقة التي بدأ بها (146)، وفي العدد 35، «الغريب»، استفاض في الحديث عن أن الأمور لديه لم تعد مثل السابق، فقد التزم الكتابة في أكثر من مطبوعة دورية، وتقديم بعض البرامج في الفضائيات، ومشاغله الأسرية زادت لأن أولاده كبروا، وفوق كل ذلك هناك مشكلاته الصحية، وكل هذا يجعله لا يستطيع أن يستمر في الإنتاج بنفس الكيفية السابقة، وإلا طغى الكم على الكيف، وهو يفضل أن يُصدر أعمالاً أقل مع الاحتفاظ بجودتها (147). وفي العدد 38، «قلب البحر»، صرح القراء بأنه لن يستطيع الاستمرار سوى في سلاسل رجل المستحيل وملف المستقبل وكوكتيل 2000 (148).

وفي الألفية الجديدة أصدر سلسلة جديدة سماها حرب الجواسيس، جمع فيها مقالاته عن عمليات المخابرات، والتي كان ينشرها شهرياً في مجلة الشباب طوال فترة التسعينيات، وحتى تلك السلسلة توقفت بعد إصدار 11 عددًا، بالإضافة إلى 6 أعداد خاصة.

وبالإضافة إلى كل هذه السلاسل، هناك سلسلة الأعداد الخاصة، والتي يصدر فيها من آنٍ لآخر عدد خاص من رجل المستحيل أو ملف المستقبل، والأعداد الأولى من تلك السلسلة كانت من أفضل ما قرأت في السلسلتين. أذكر أنني كنت قد بدأت قراءة تلك السلاسل منذ شهور قليلة، ثم فوجئت في المكتبة التي أتعامل معها بوجود العدد رقم 1 من الأعداد الخاصة، «المعركة الكبرى»، فتصفحته

مذهولاً. وجدته في حدود 300 صفحة، وفي ذلك الوقت كان حجم العدد الواحد 120 صفحة، فشعرتُ أنني أمام هدية من السماء. أعجبنى العدد كثيرًا في ذلك الوقت، وفي السنوات التالية اعتبرتُ أن العدد رقم 3، «العميل»، ورقم 6، «أسير الثلوج»، عددين في غاية الروعة. وفي سلسلة ملف المستقبل، كان العدد الخاص رقم 2، «بلا حدود»، من أفضل أعداد ملف المستقبل التي قرأتها.

بقية أعداد السلسلة لم تعجبنى بنفس الدرجة، وفي السنين الأخيرة قبل وفاته، لم يعد نبيل فاروق ينشر جديدًا مع روايات مصرية للجيب ما عدا تلك السلسلة، فمن خلالها استكمل الأحداث التي توقفت في العدد الأخير من رجل المستحيل، والخاصة بمصير أدهم ومنى وما حدث لابن أدهم، بالإضافة إلى روايات من سلسلة ملف المستقبل بعيدًا عما انتهت إليه السلسلة فعليًا.

شهدت تلك السلسلة أيضًا ظاهرة بسيطة، لكنني اعتبرتها في وقتها دخيلة على عالم نبيل فاروق، فالعدد رقم 8 حمل عنوان «الموت لا يأتي مرتين»، وهذا العنوان يُعتبر غريبًا وشاذًا بين عناوين أعمال نبيل فاروق، فهو أقرب لعوالم جيمس بوند، التي تحمل أعماله عناوين مثل «أنت فقط تعيش مرتين»، «مُت في يوم آخر»، «عش ودعهم يموتون»، وليس عوالم نبيل فاروق التي تحمل عناوين مثل «الجليد الدامي»، «ملائكة الجحيم»، «غريم الشيطان»، «جبال الموت».

وحتى تقسيمة الفصول جاءت مختلفة في هذا العدد، فالتقسيمة المعتادة في جميع أعمال نبيل فاروق هي أن تُرقم الفصول بأرقام يتلوها اسم الفصل: 1 - كذا، 2 - كذا، 3 - كذا، ثم يأتي الفصل الأخير ليحمل دائمًا عنوان: الختام. مثلًا في أول عدد صدر لنبيل فاروق، العدد الأول من سلسلة ملف المستقبل، «أشعة الموت»، جاءت الفصول كالتالي: 1 - لقاء مع القائد الأعلى، 2 - الفريق، 3 - المواجهة، 4 - إشارة غامضة، 5 - قرار صعب، 6 - مفاجأة مثيرة، 7 - إعداد دقيق، 8 - الخطة، 9 - العملاق والقزم، 10 - صراع داخل الهرم، 11 - رأس

الأفعى، 12 - الخائن، 13 - الختام. وعادة لا يزيد عدد الفصول عن 15
10 - فصلًا، وفصل «الختام» يأتي فقط في نهاية المغامرة، فإذا
كانت المغامرة مكوّنة من أربعة أجزاء -مثلًا- يكون «الختام» هو الفصل
الأخير في الجزء الرابع. هكذا يُقسّم نبيل فاروق فصول جميع رواياته،
لكن في عدد «الموت لا يأتي مرتين» جاء التقسيم مختلفًا، فقد تكوّن
العدد هذه المرة من ثلاثة أقسام: القسم الأول حمل عنوان: الشبكة
الأسكندنافية، والقسم الثاني: دماء تحت الصفر، والقسم الثالث:
الثلوج السوداء، وداخل كل قسم قُسمت الفصول بالشكل المعتاد: 1 -
كذا، 2 - كذا، 3 - كذا، إلخ.

وبعيدًا عن سلاسل «روايات مصرية للجيب»، نشر نبيل فاروق عدة
سلاسل في مجلة باسم السعودية، هناك مثلًا مغامرات باسم بطل
المجلة، التي كان الفنان فواز يُطعّمها برسوماته، وكتب لها نبيل
فاروق أكثر من ثلاثين مغامرة، وأيضًا سلسلة «رجل العدالة»، وهي
عبارة عن تحقيقات يقوم بها رجل أمن عربي -لا ينتمي إلى بلد عربي
بعينه- اسمه هاشم همام، وسلسلة «ملف المخابرات العربية»، التي
يقوم ببطولتها رجل مخابرات عربي يدعى عمر زاهر. وكل هؤلاء
الأبطال كان يُشار إليهم فقط باعتبارهم عربيًا، وينتمون إلى أجهزة
أمن عربية، مع التركيز على أخلاقهم وتديّنهم وإيمانهم بالله. هذه
القصص نُشرت مسلسلة في أعداد المجلة، في كل عدد أربع أو
خمس صفحات من القصة، وبعد عدة أعداد من المجلة تنتهي القصة
لتبدأ قصة جديدة من نفس السلسلة. أُعيد نشر ثلاث مغامرات لرجل
العدالة في كوكتيل 2000، في الأعداد 30 و31 و32، «قارون»،
«الدم»، «النداء»، وحملت عناوين «نجمة الصباح»، «الخائن»، «لعبة
الخطر»، بالإضافة لأربع مغامرات أُعيد نشرها في سلسلة الأعداد
الخاصة، في العدد 10، «ساعات الخطر»، بعنوان: «السرقة الفنية»،
«سباق الخطر»، «الزورق الضائع»، «الدليل». وفي نفس العدد أُعيد
نشر المغامرتين الوحيدتين اللتين صدرتا من «ملف المخابرات العربية»،
بعنوان: «ساعات الخطر»، و«إرهاب»، بالإضافة لثلاث مغامرات لباسم



بعد تحويل اسمه إلى باسل، ربما لتجنب التعدي على حقوق الملكية الفكرية لاسم شخصية المجلة.

وكما أعاد نبيل فاروق في المؤسسة العربية الحديثة نشر بعض القصص التي كان ينشرها مسلسلة في مجلة باسم، حدث العكس كذلك، ففي العدد 447 و448 من المجلة -الصادر في إبريل 1996- أعاد نشر قصة «الفارس»، وهي قصة العدد العاشر من سلسلة كوكتيل 2000، والذي حمل العنوان نفسه، وظهرت في المجلة بعنوان «فارس الفرسان». القصة تتكلم عن فارس بدوي أثناء الحرب العالمية الثانية، يجد في الصحراء طيارًا ألمانيًا جريحًا فيسعه، ويفاجأ بأن جنود الحلفاء يسعون خلفه للقبض على ذلك الطيار، فيقرر أن يساعده ويحميه لأنه لجأ إليه، ويخوض بجواده صراعًا طويلًا ومطاردة حامية مع جنود الحلفاء. وربما بسبب أجواء القصة -فارس عربي شهم يصارع أعداءه في الصحراء- وجد نبيل فاروق أنها مناسبة للنشر في مجلة باسم، التي كان التركيز فيها على الشخصيات العربية أو السعودية كبيرًا.

كتب نبيل فاروق أيضًا لمجلة باسم سيناريوهات العديد من القصص القصيرة، مثل نوادر حمود، ورحلات السندباد، واللاعب رقم 10، ومغامرات فوفي وروبو، ومغامرات فارس، والعميل ثلاثة أصفار. كانت أفكاره في الكوميكس مبتكرة، فمثلًا: فوفي هو كائن فضائي لطيف يأتي إلى الأرض، ويستغرب ما يقوم به البشر، يصاحبه روبوت على شكل كرة طائرة اسمه روبو يجب أسئلته، أما رحلات السندباد فهي استكمال لقصص ألف ليلة وليلة، ولك أن تتخيل ماذا سيفعل السندباد عندما يدخل إلى عالم نبيل فاروق: سيقابل صحونًا طائرة وكائنات فضائية وأمورًا غامضة. ورغم أن نبيل فاروق قدّم رحلات السندباد في مجلة باسم كقصص مصوّرة «كوميكس» -كادرات تخرج منها بالونات الحوار- وكانت من رسوم الفنان إبراهيم سمرة؛ إلا أنه أعاد نشرها من جديد في المؤسسة العربية الحديثة كسلسلة أطفال في شكل «جرافيك نوفيل» -سرد يرافقه رسمة في كل صفحة- من





رسوم إسماعيل دياب، رَسَّام المؤسسة العربية الحديثة، وكل قصة في حدود 16 صفحة، كما أصدر سلسلة كاملة للعميل ثلاثة أصفار، بالتعاون مع رسام الكوميكس شريف الفار. قدّم كذلك في المؤسسة العربية الحديثة سلسلة قصص للأطفال الصغار بعنوان «مغامرات كتاكيتو».

وفي بداية عام 1996، فوجئنا بكتيب جيب يُوزَع بجوار أعداد مجلة باسم، وعند تصفُّحه وجدناه العدد الأول من سلسلة جديدة لنبيل فاروق كتبها خصيصًا للمجلة. السلسلة اسمها «رجل المستقبل» -وكانه يحاول فيها المزج بين سلسلتيه الشهيرتين: رجل المستقبل وملف المستقبل- وعددها الأول بعنوان «لصوص القمر»، وتدور حول رجل أمن عربي مستقبلي يُدعى خالد سلمان. ورغم أن الصفحة الأخيرة من العدد تحوي تنويهاً بالعدد القادم، «وحش الفضاء»، إلا أن هذا العدد لم يصدر قط.

وفي الألفية الجديدة أصدر نبيل فاروق سلسلة «المتخصصون»، مع دار ليلي، لكنها توقفت بعد ثلاثة أعداد.

وربما السلسلة الوحيدة التي كتبها وكانت بطلتها امرأة، هي سلسلة «مسرح الجريمة»، التي تُحقِّق فيها الطيبة الشرعية نهير سالم في الجرائم التي تقع في طريقها. السلسلة نُشرت مع المؤسسة العربية للإبداع، ولم يصدر منها سوى عشرين اثنين ثم توقفت، ولا أعتقد أن كثيرين سمعوا عنها!

أما آخر سلسلة قدّمها نبيل فاروق لروايات مصرية للجيب، فكانت سلسلة «الفريق صفر»، والتي لم يصدر منها سوى عشرين.



مشاكل الفرع!



في عامي 2004 و2005، أوقف نبيل فاروق نشر سلسله بعد خلاف وقع بينه وبين حمدي مصطفى، صاحب المؤسسة العربية الحديثة.

ربما ما كنا كقراء سنعرف أبعاد الخلاف -فقط سنرى آثاره الظاهرة، من توقف السلاسل لفترة- لولا أن نبيل فاروق كان لديه مقال أسبوعي ثابت في جريدة الدستور، وخصّصه في تلك الفترة لنشر تطورات الموقف أولاً بأول، الأمر الذي في الغالب زاد من حدّة الخلاف.

ومن خلال تلك المقالات -التي كان نبيل فاروق يكتبها على سبيل الفضفضة والشكوى- عرفنا أن الخلاف حول حقوق الملكية الفكرية للروايات، نبيل فاروق يرى أن ملكيتها الفكرية تعود إليه باعتباره مؤلفها، وبالتالي فهو الوحيد المعني بالتعاقد على أي أفلام أو مسلسلات مقتبسة عن سلسلة رجل المستحيل، بينما حمدي مصطفى يرى أن المؤسسة العربية الحديثة هي راعية السلاسل والسبب في انتشارها، ويجب أن يكون التعاقد معها!

حدث هذا عندما حاولت جهة إنتاجية أن تنتج عملاً كارتونياً عن رجل المستحيل، فتحدّث معها حمدي مصطفى باعتبار أن التعاقد معه، واعترض نبيل فاروق باعتبار أن هذا العمل لا علاقة له بالكتيبات الورقية التي تنشرها المؤسسة العربية الحديثة، بل بالشخصية نفسها -شخصية أدهم صبري- التي ابتكرها هو. ولما وجدت الجهة الإنتاجية الخلاف بهذا الشكل أصابها القلق ورحلت(149).

أصر نبيل فاروق بعدها على أن يُذكر بشكل واضح داخل الكتيبات أن جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، لكن المؤسسة استمرت في كتابة العبارة المعتادة في ترويسة كل كتيب، والتي تقول إن حقوق الطبع





وقبل هذا وقعت مشكلة أخرى دارت حول النشر الإلكتروني، فقد تعاقد مؤلفو المؤسسة العربية الحديثة مع موقع إلكتروني اسمه «روايتي» لنشر قصص ومقالات حصريّة في الموقع، يطلع عليها القراء بعد أن يشتركوا اشتراكاً مدفوعاً. وكان حمدي مصطفى يرى أن مؤلفي المؤسسة من المفترض أن ينشروا إلكترونياً مع المؤسسة لا خارجها.

وفي معرض القاهرة الدولي للكتاب، في يناير 2005، فوجئنا بصدر العدد الجديد من رجل المستحيل، رقم 154، «الحرب»، برعاية موقع «بص وطل» الإلكتروني، حاملاً لأول مرة شعاراً مختلفاً عن شعار المؤسسة العربية الحديثة، وفي داخل العدد عبارة تقول إن هذه طبعة محدودة بمناسبة معرض الكتاب، وأن حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

تدخّل أحمد خالد توفيق في الخلاف، فنشر بياناً منفصلاً -بلا مناسبة- في منتدى روايات التفاعلي على الإنترنت، أعلن فيه فجأةً أنه يحصل على مستحقّاته المادية من المؤسسة العربية الحديثة كاملة، وأنه مدين لها بكل ما وصل إليه، ولولاها لما استطاع توزيع كتبه ولا الوصول إلى القراء، وسيظل يحمل جميلها طوال حياته. لم يكن البيان يحمل معنى سوى أنه يتضامن مع المؤسسة العربية الحديثة ضد نبيل فاروق. ثم نشر نبيل فاروق مقالاً تحدّث فيه عن كاتب زميل ينتقده ويهاجمه في موقفه ضد المؤسسة، وأن هذا الكاتب لا يدرك أنه في دفاعه عن حقوق ملكيته الفكرية لسلاسله فهو إنما يدافع عن حقه -حق المؤلف- وحق أولاده كذلك.

كل هذا كان مؤلماً لنا كقراء، لأن أطراف الخلاف كانت عزيزة علينا بأكثر مما يمكنهم هم أنفسهم تصوّره.

حمدي مصطفى، المايسترو الذي يقف وراء مشروع «روايات مصرية للجيب»، ربما لم يكن يدرك أنه حاز شهرة ومحبة لدى القراء



تكاد تقارب تلك التي حازها كُتّاب السلاسل أنفسهم. ذلك أن نبيل فاروق كان دائم الحديث عنه في المساحة التي خصصها للكلام مع القراء -في سلسلتي كوكتيل 2000 وبانوراما- يتكلم عنه بلهجة كلها إكبار وتقدير وامتنان، أخبرنا أنه يعتبره أبوه الروحي، الرجل الذي تبنّاه ووقف بجواره، وساعده على ترك مهنة الطب والتفرغ للكتابة بأن منحه شقة ليعيش فيها مع أسرته عندما انتقل من طنطا إلى القاهرة، وفوق ذلك منحه شقة أخرى لتكون له بمنزلة مكتب يجلس فيه للكتابة، ووقف بجواره ماديًا ومعنويًا في كثيرٍ من مواقف حياته.

والحقيقة أن حمدي مصطفى لم يكن ناشرًا عاديًا؛ كانت لديه عقلية فذة ورؤية تستطلع المستقبل، ولم يكن يتوقف عن الابتكار وطرح الأفكار وتقبُّل كل جديد واختباره، فلما التقى كل هذا مع الدينامو الذي اسمه نبيل فاروق، ظهر لنا مشروع روايات مصرية للجيب بسلاسله العديدة. بل أنه، وفي أحيان كثيرة، كان هو من يقترح على نبيل فاروق السلسلة الجديدة التي يكتبها، فهو صاحب فكرة سلسلة «زهور»، وهو الذي اقترح فكرة سلسلة «بانوراما»، وهو الذي تحقَّس لتحويل العدد الأول من «فارس الأندلس» إلى سلسلة منفصلة، بعد أن كان نبيل فاروق قد أعدّه ليكون قصة العدد في أحد أعداد كوكتيل 2000.

كانت لدى حمدي مصطفى رؤية واضحة لمشروع السلاسل، اختار له اسم «روايات مصرية للجيب»، ليصبح الاسم مظلة تجمع تحتها الكثير من السلاسل المختلفة، وكل سلسلة لديها slogan أو شعار يتذكره القراء جيدًا، رجل المستحيل كان شعارها: «روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة»، بينما ملف المستقبل: «روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي»، وما وراء الطبيعة: «روايات تحبس الأنفاس من فرط الرعب والغموض والإثارة»، وزهور: «السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجًا من وجودها في المنزل»، وكل سلسلة لديها «لوجو» خاص بها، فرجل المستحيل يظهر في النصف العلوي الأيمن من أغلفتها صورة لرجل غير واضح المعالم، يرتدي

بذلة ويضع يديه في جيب سترته، وفوقه دائرة يتداخل فيها اللونين الأحمر والأبيض، وبجوار الدائرة مسدس، وفوق المسدس اسم السلسلة «رجل المستحيل». ملف المستقبل «اللوجو» الخاص بها عبارة عن مثلث تخرج منه خيوط كأشعة الشمس، بداخله عبارة «سلسلة روايات ملف المستقبل» وبجوارها عبارة «سري جدًا!!!»، أما ما وراء الطبيعة فـ«اللوجو» الخاص بها بسيط: بومة مخيفة! وبالطبع هناك شعار عام لكل سلاسل «روايات مصرية للجيب» يقول: «في كل رواية لذة دائمة»، بالإضافة لشعار المؤسسة العربية الحديثة الدائم: «نحن نخرج لك أحسن الكتب».

أما نبيل فاروق، فبالإضافة إلى كونه المؤلف الرئيسي في سلاسل روايات مصرية للجيب بالنسبة لكثير من القراء في ذلك الوقت، والرجل الذي قضينا مع قصصه الشيقة أجمل الأوقات؛ بالإضافة لذلك فقد ساهم في ظهور العديد من السلاسل الأخرى -كسلسلة فلاش وما وراء الطبيعة- وأشرف بنفسه على إنشاء سلاسل تهتم بالكوميكس وهو شكل جديد لم نكن معتادين عليه في سلاسل الجيب- فظهرت على يديه سلسلة أوسكار، التي كانت تنشر قصصًا مُصَوَّرة. العدد الأول من أوسكار رسمه فواز ومعلوف، وشارك نبيل فاروق بكتابة مقدمة السلسلة وسيناريو إحدى القصص، بينما بقية العدد كتب السيناريو له مؤنس زهيري ومعلوف وفواز، ثم توقفت السلسلة كالعادة لفترة طويلة، قبل أن تعود تحت إشراف رؤوف وصفي -مع بعض المشاركات لمعلوف حتى العدد الخامس- الذي ترجم فيها قصص كوميكس أجنبية تنتمي إلى الخيال العلمي. أشرف نبيل فاروق كذلك على إصدار سلسلة سوبر أوسكار، والتي نشرت ألبومات كاملة من الكوميكس الأوروبي الذي تنشره مجلة تان تان البلجيكية، ثم -كما ذكرت من قبل- نشر سلسلة كوميكس كوميدية بعنوان العميل ثلاثة أصفار، بالتعاون مع الرسام شريف الفار.

الخلافاً بين نبيل فاروق وحلمي مصطفى من جهة، وبين أحمد خالد توفيق من جهة أخرى، كان صدمة بالغتنا لنا! كنا قد تربينا

كما ذكرت من قبل- على كلمات نبيل فاروق في باب عزيزي القارئ وهو يكيل المدح لحمدي مصطفى ويصفه بأبيه الروحي، وأحمد خالد توفيق وهو يتبادل المديح والمجاملات مع نبيل فاروق أكثر من مرة، إلى درجة أن الثاني منح الأول موافقة مفتوحة على كتابة عدد من ساخرين في سلسلته «فانتازيا» عن سلسلتي رجل المستحيل وملف المستقبل(150).

كنا أشبه بأطفال يرون آباءهم وأعمامهم وقد دبّ الخلاف بينهم. كنت في بداية العشرينيات وقتها، ومع ذلك شعرت بأن شيئاً انكسر بداخلي، هناك صورة مثالية حملتها معي منذ الطفولة ثم انكسرت فجأة!

لكن، وللغرابة الشديدة، انحلّ الخلاف فجأة، وانتصرت المحبة!

فوجدنا نبيل فاروق يكتب في أحد مقالاته بلهجة ودودة أنه رغم كل الخلافات، فاليوم هو عيد ميلاد الأستاذ حمدي مصطفى، وهو يودّ أن يهنئه ويقول له كل سنة وأنت طيب! وفي مقال لاحق فاجأنا بأنه وحمدي مصطفى قد تصالحا! فقد اجتمع هو ومحاميه مع حمدي مصطفى ومحاميه، وبدلاً من البدء في الحديث حول الخلافات، فوجئ المحاميان بالرجلين يتحدثان مع بعضهما بود ومحبة، ويتباحثان فيما سيفعلانه معاً في المستقبل من مشاريع! وكأن كل ما احتاجه الأمر أن يلتقيا وجهاً لوجه لينتهي الخلاف بهذه البساطة، وتعود رجل المستحيل وملف المستقبل وكوكتيل 2000 للصدور، بعد فترة توقف كانت مؤلمة للجميع، وكُتبت في الترويسة الداخلية للأعداد عبارة تقول: «جميع الحقوق محفوظة»، دون تحديد محفوظة لمن، للناشر أم للمؤلف.

والآن، ومن واقع خبرتي في عالم النشر، أدرك أن عبارة «حقوق الطبع محفوظة للناشر» ليست مسيئة أو تنتقص من حق الكاتب. الكاتب يمتلك حقاً أصيلاً في إنتاجه الفكري لا يمكن أن ينتزعه منه أحد، لكنه عندما يتعاقد مع دار نشر، يقوم بإعارة هذا الحق لتلك الدار



طوال فترة العقد المبرم بينهما. ولا أظن أن عبارة «حقوق النشر محفوظة للناشر» تخرج عن هذا المعنى، لكنني أعتقد في نفس الوقت أن نبيل فاروق كان يحاول إرساء مبدأ معين.

وفي عام 2008، حصل نبيل فاروق على جائزة الدولة التشجيعية في أدب الخيال العلمي، عن العدد 15 من سلسلة الأعداد الخاصة، والذي جاء من سلسلة ملف المستقبل، وحمل عنوان «س-18». هذه الجائزة كانت تتويجًا لمسيرة نبيل فاروق وتعويضًا عن الكثير مما عاناه. كنا نقرأ فضفضته وشكواه على صفحات باب عزيزي القارئ في كوكتيل 2000 من أن اتحاد الكُتّاب يرفض منحه العضوية لأنهم لا يعترفون بما يكتب (151)، وكان هذا يؤلمه كثيرًا، وحدث ذات مرة في أثناء زيارته لمكتبة مصر العامة -مكتبة مبارك العامة وقتها- أن فوجئ بأعماله موضوعة في قسم الأطفال، فسأه ذلك ووضح لهم أنه يكتب للشباب وليس الأطفال. جاءت الجائزة بعد كل هذا لتكون بمنزلة اعتراف بما يكتبه.

وفي عام 2009، فوجئ القراء بتوقف سلسلتي رجل المستحيل وملف المستقبل، السلسلتان الأهم والأشهر في الوطن العربي، بصدور العدد 160 من كليهما.

وفي هذه المرة توقفت السلسلتان فعلاً وليس كالمرات السابقة، ففي العدد الأخير من رجل المستحيل، «الوداع»، وفي التعريف بأدهم، والذي يأتي عادة في الصفحة الرابعة، بدأ التعريف هذه المرة بالتالي:

«رجل المستحيل

الوداع

الآن جاءت لحظة الوداع..

وحانت النهاية..



نهاية سلسلة استغرق صدورها ربع قرن من الزمان..

سلسلة رجل المستحيل».



ثم أسفل هذا الوداع، جاء التعريف المعتاد لأدهم: «أدهم صبري ضابط مخابرات مصري يرمز له بالرمز (ن- 1) إلخ..»

أما العدد الأخير من ملف المستقبل، «نهاية العالم»، فلم يحو عبارات وداعية كالتي حملها العدد الأخير من رجل المستحيل، ولكن في غلاف العدد الداخلي، وتحت عنوان العدد «نهاية العالم»، كُتبت بخط كبير كلمة واحدة: «الأخير».

وبعد عدة سنوات توقفت كوكتيل 2000 كذلك، بصور العدد 51 منها، لتتوقف جميع سلاسل نبيل فاروق في مشروع روايات مصرية للجيب، ما عدا سلسلة الأعداد الخاصة، والتي ظل ينشر فيها كل عام في معرض القاهرة الدولي للكتاب رواية أو أكثر، بعضها ينتمي إلى رجل المستحيل أو ملف المستقبل، أو روايات منفصلة، كتلك التي كان ينشرها في كوكتيل 2000، إلى أن توفاه الله أواخر عام 2020، لنذكر كقراء أن سلسلته المتبقية توقفت، وأن سلسله الأخرى، كرجل المستحيل وملك المستقبل، لن تعود مرة أخرى، وأظن أن كثيرين كان لديهم أمل في أن تعود يومًا ما!



أسلوب الدمار!



الميزة الأهم التي نلاحظها في روايات نبيل فاروق هي التشويق، الرجل يجيد إنهاء فصوله ورواياته بمواقف صعبة تخوضها الشخصيات، وتجعل القارئ يتلهف لمعرفة ما سيحدث. هذا الأسلوب يسمونه «كليف هانجر»، حيث نتوقف في منتصف موقف صعب، وننتقل إلى موقف آخر.

لكن ولأن نبيل فاروق كتب كثيرًا جدًا، فعند مرحلة معينة أصبح بإمكان القراء تخمين ما سيفعله لإنقاذ بطله. فمثلًا هناك خدعة شهيرة كان يستخدمها في البداية: يوجه أحد الأشرار مسدسه نحو أدهم صبري ويهم بضغط الزناد، وينتهي الفصل -أو العدد- بعبارة تقول إنه انطلقت رصاصة وأصابت هدفها! فنظن نحن القراء أن أدهم أُصيب أو قُتل، ثم نكتشف في المشهد أو العدد التالي أن شخصًا ما تدخّل في اللحظة الأخيرة وأطلق الرصاص على من يهدد أدهم، أي إن الرصاصة الصائبة انطلقت من مسدس آخر وأصابت العدو!

هذه الحركة خدعتنا كقراء في أول مرة، وفي ثاني مرة عندما وقعت بعد عدة أعداد، وربما في ثالث مرة، لكن في كل مرة وقعت فيها بعد ذلك كنا ندرك ما سيحدث: الرصاصة الصائبة هي رصاصة صديقة!

وعندما تظهر مجموعة من الرجال في طريق أدهم نعرف ما سيحدث: سيحطم فك الأول ويهشم أنف الثاني ويغوص بقبضته في معدة الثالث. أصبحت الأحداث بالنسبة إلى كثيرين أقرب ما تكون إلى كليشيهات من الممكن توقُّعها. بالطبع ليس كلها، لكن نسبة الأحداث التي صار بإمكان القراء توقُّعها صارت مزعجة.

وفي الحقيقة، فأفكار الخيال العلمي التي قدّمها نبيل فاروق عبر سلسلة ملف المستقبل، وقصة العدد في كوكتيل 2000؛ كانت



أفكارًا طازجة وممتعة، والغريب أن السينما العالمية في أفلام حديثة تناولت طرفًا من تلك الأفكار، فالألعاب الزمنية التي وقعت في فيلم Interstellar شاهدناها في العدد 59 من ملف المستقبل، «جحيم أرغوران»، عندما سافر نور وسلوى بسرعة الضوء إلى كوكب أرغوران ذهابًا وعودة، وقضيا هناك عدة أيام، فلما عادا وجدوا أن سنتين قد انقضتا على الأرض. وضياء الأب في الفيلم بين الأزمان يشبه ما حدث لمحمود عندما ضاع في نهر الزمن، وظل يتواصل مع أصدقائه من هناك عبر الأعلام. وفي مسلسل يوسف الشريف «النهاية»، الذي عُرض في رمضان 2020، كان انفجار القنبلة الكهرومغناطيسية التي قضت على جميع مظاهر الحضارة في الحلقة الأخيرة، شبيهًا بانفجار قنبلة جاما في العدد 80، «النصر»، والتي قضت ليس على الحضارة فقط، بل كذلك على وعي البشر وأعادتهم إلى الهمجية.

ومع ذلك، لم تكن كل الأفكار التي طرحتها السلسلة تندرج تحت بند الخيال العلمي، فهناك أفكار فانتازية تم طرحها ومحاولة وضعها في إطار علمي، مثلما حدث في العدد 50، «الأسطورة»، والذي دارت أحداثه في كوكب جمع شخصيات أغلب الأساطير الإغريقية والمصرية، فمثلًا هناك مخلوقات على شكل أبي الهول: رأس إنسان وجسد أسد، وأشياء من هذا القبيل، وكان العدد يحاول تفسير وجود تلك الشخصيات في الفن المصري والإغريقي: لأنها موجودة فعلاً عندما زار سكان ذلك الكوكب الأرض في فترة من الفترات!

وأيضًا في رباعية ابن الشيطان (152)، عندما خاض نور وفريقه صراعًا مثيرًا ضد نصف شيطان، أبوه إبليس وأمه بشرية، فهو نصف إنسان نصف شيطان!

السلسلة كذلك سعت لتفسير الكثير من الظواهر الغامضة، مثلما حدث في العدد 42، «الأرض الثانية»، الذي حاول تفسير ظاهرة مثلث برمودا، عندما اختفى فريق نور في المثلث ووجدوا أنفسهم ينتقلون إلى عالم مواز انتصرت فيه ألمانيا في الحرب العالمية الثانية وصارت

تتحكم في العالم، ويلتقي نور بشبيهه في العالم الآخر، ويعرف أنه تزوج بمشييرة محفوظ لا سلوى! أما في العدد 28، «النهر المقدس»، فنكتشف أن الأطباق الطائرة التي يراها البعض من آن لآخر ليست سوى المركبات المتقدمة التي يستخدمها الفراعنة الذين يعيشون تحت الأرض!

بل إننا في العدد 48، «سجن القمر»، نكتشف أن سكان جوف القمر هم مخلوقات مجنحة على شكل الملائكة، وأن القدماء كانوا يتخيلون الملائكة ويرسمونها مستلهمين شكل تلك المخلوقات، بعد أن زاروا الأرض قديمًا. أما الشياطين بأشكالها المعروفة في الصور، التي تتخذ شكلًا أقرب للوطاويط، فالسبب في ذلك نعرفه في العدد 70، «الستار الأسود»، عندما نكتشف أن تحت الأرض توجد مخلوقات أشبه بالوطاويط تعيش هناك، ومنها استلهم القدماء فكرة أن الشياطين تعيش تحت الأرض وأشكالها هكذا.

إلى درجة أنني، بعد قراءتي لتلك الأعداد، ظننت أن هدف نبيل فاروق من السلسلة هو تقديم تفسير علمي مقترح لكل الظواهر الغامضة في العالم!

أما أدهم صبري فقد صار شخصية أيقونية في ذهن كثير من القراء العرب، لا أحد من الأجيال الجديدة سيقول لصديقه: أتظن نفسك جيمس بوند؟ في الغالب سيقول: أتظن نفسك أدهم صبري؟

في الفيلم الكوميدي «لا تراجع ولا استسلام» عندما يعرف زعيم العصاة -يقوم بدوره عزت أبو عوف- أن ساعده الأيمن -أحمد مكي، الذي يقوم بدور شخص اسمه أدهم- استطاع التغلب وحده على عصاة حاولت الإيقاع به، يقول له ماديًا: «أنت أدهم صبري!».

وهذا يعني أن نبيل فاروق نجح في تحقيق حلمه الذي بدأ كتابة السلسلة مدفوعًا به، لكنه مع ذلك وقع أسير عقدة أدهم صبري، فكثير من شخصياته الأخرى بدت وكأنها ليست سوى إعادة تجسيد لشخصية رجل المستحيل ولكن بأشكال مختلفة، فالبطل في سلسلة

فارس الأندلس هو فارس عربي يقاتل القشتاليين قبيل سقوط غرناطة، ودُرّب منذ صغره على مهارات الفروسية المختلفة: القتال بالسيوف والرماح والرمي بالسهام وامتطاء الجياد، إلخ، وهو في كل هذا بلغ الذروة، إلى درجة تُذهل أصدقاءه قبل أعدائه. والده لقي مصرعه في صغره على يد القشتاليين، فقام صديق والده بتربيته وتدريبه. هذه الملامح العامة لشخصية «فارس» وتاريخه تنطبق تقريبًا على شخصية وتاريخ أدهم صبري! ونفس الشيء يتكرر -لكن بتفاصيل مختلفة- مع شخصيات أخرى، كشخصية العقرب نديم فوزي وشخصية فاي في سلسلة كوكتيل 2000، ونور الدين في ملف المستقبل، وسيف الدين في سلسلة سيف العدالة، كلهم نسخ أخرى من أدهم صبري، كلهم مقاتلون أفذاذ لا يمكن هزيمتهم في قتال يدوي، لكنهم يفرقون عن أدهم في التفاصيل التي يفرضها سياق كل سلسلة وطبيعتها.

وشخصية البطل عند نبيل فاروق هو بطل السير الشعبية التقليدي: شخص مثالي إلى أبعد حد، يجيد كل المهارات الممكنة، وهو الأفضل في كل شيء، يمكنه فعل أي شيء، ولا يخشى أحدًا إلا الله، ويتحلى بكل الأخلاق والقيم العليا، وسيم يصعب على النساء -سواء عدواته أو صديقاته- ألا يقعن في حبه.. هو باختصار شخص وصل إلى درجة الكمال البشري في مجاله، إن كان رجل مخابرات فهو أفضل رجل مخابرات في العالم، إن كان فارسًا فهو أفضل فارس في التاريخ، وهكذا. وهذه الصورة التي رسمها نبيل فاروق على مدى سلسله التي ظل يكتبها لما يزيد على ربع قرن، كان لها أثر بالغ فينا، فكثيرٌ منا تعلّق بهذه الصورة وحلم بالوصول إليها في طفولته ومراهقته، وكان الوصول إليها أمرًا شبه مستحيل!

شخصيًا لديّ عقدة أدهم صبري، أجد نفسي دون أن أشعر أبحث عن الكمال فيما أقوم به، وأصاب بالإحباط والشعور بالذنب إن لم أكن بالشكل المثالي الذي أطمح إليه، وأظل أسأل نفسي: لماذا لست رجل المستحيل كصديق؟ لماذا لست رجل المستحيل كزوج؟ لماذا لست رجل



المستحيل ككاتب؟ لماذا لست رجل المستحيل كإنسان؟!

أيضاً من الأشياء التي زرعها فينا نبيل فاروق عبر رواياته الصورة شديدة المثالية للعرب والأجهزة الأمنية، ففي سلسلة فارس الأندلس مثلاً، ورغم أن العرب في الأندلس كانوا يعيشون أيامهم الأخيرة، ويعانون الضعف والخيانة، فقد أظهرهم بصورة مثالية، جعلتني أتساءل وأنا أقرأ السلسلة في طفولتي: لماذا سقطت الأندلس إذن؟ أما في سلاسل رجل المستحيل وملف المستقبل وع \times 2 وغيرها، فرجال المخابرات والشرطة والمسؤولون الحكوميون يظهرون في غاية المثالية والنقاء. هذا الأمر حمل جانباً إيجابياً وآخر سلبياً، فمن ناحية نقت روايات نبيل فاروق شعور الانتماء والحس الوطني لدى الشباب -كما ذكرت من قبل- لكنه على الجانب الآخر بالغ في رسم تلك الصورة الوردية لنا، حتى بدا وكأننا نتحدث عن ملائكة لا يخطئون، لذلك عندما كبرنا كانت صدمتنا بالغة عندما وجدنا أن الصورة ليست بهذا النقاء الذي كنا نظنه!

والشخصيات في روايات نبيل فاروق في الغالب تكون أحادية الأبعاد، فالطيب سيكون طيباً بشكل مطلق؛ يعتنق مبادئ الخير والحق والجمال، ومثاليّاً لأبعد الحدود، والشرير شرير بشكل مطلق؛ يمكنه أن يرتكب أي نقيصة مهما كانت، ولا حدود لشره ودناءته. إذا وجدت شخصية في بداية إحدى الروايات تبكي وتشعر بالخوف، فاعلم أنها ستظل تلعب هذا الدور إلى النهاية، الأمر أشبه بالأقزام السبعة في قصة سنو وايت: أحدهم غاضب، فهو غاضب طوال الوقت، وأحدهم كسول، فهو كسول طوال الوقت، وهكذا.

الاستثناء الوحيد في هذا هو الشخصيات الرئيسية، والذين بُنيت شخصياتهم على مدار عشرات الأعداد.

والشخصيات عادةً ما تكون جادة، وإذا سخرت أو تهكمت فهي تسخر وتتهكم بجدية، وبثقل ظل واضح، من ذلك مثلاً نكتة أدهم صبري الشهيرة عندما يضرب أحد الأشرار فيصرخ الشرير بغضب: «لا أحد





يفعل بي هذا!»، فيرد أدهم ساخراً: «أنا اسمي لا أحدا!».

أو سخرية أدهم من صديقه قدري الذي كان بديناً، عندما يصفه بالفيل الصغير، أو أن خطواته تُحدث زلزالاً، أو شحومه وصلت إلى أذنيه فلم يعد يسمع جيداً.

أما في ملف المستقبل، فنادرًا ما كانت إحدى الشخصيات تفرح!

في أسلوب نبيل فاروق وصف لغة الجسد مهم جدًا، حتى لو لم يكن هناك داعٍ فني له، فمع كل قول أو حركة يجب أن نعرف شكل حاجبِي البطل أو وضع شفتيه، أو مدى توتر جسده، خصوصًا مع شروعه في الكلام. ويجب أن يكون ذلك من خلال مجموعة أوصاف معينة وثابتة لا يمكن الخروج عنها، فلو كان البطل جالسًا، وسياق الكلام عاديًا، يجب عليه أن يسترخي قبل أن يقول أي شيء: «استرخى في مقعده وقال...».

«قال وهو يسترخي في مقعده...».

ولو كان هناك شخصان يتحدثان، فلا غضاظة في أن يتخذ كلاهما نفس الوضع الجسدي على غير اتفاق:

«قال له وهو يسترخي في مقعده...»

رد عليه بهدوء وهو يسترخي في مكانه...»

أما لو كانت الشخصية منفعلة، فيجب أن تعقد حاجبيها أو تزم شفتيها قبل أن تنطق بأي شيء:

«عقد حاجبيه وقال في غضب» - «قال عاقداً حاجبيه في غضب»-«قال زامًا شفتيه».

ولو كانت الشخصية أنثى، فيجب أن «تزم شفتيها الجميلتين»!

هناك إفراط في استخدام أسماء الإشارة مع كل شيء، خصوصًا في القطع الوصفية وبداية المشاهد، أي شيء مذكر يجب الإشارة إليه بـ«هذا» أو «ذلك»، وأي شيء مؤنث يجب الإشارة إليه بـ«هذه» أو



«تلك»:



«اتجه ذلك الرجل إلى تلك السيارة، وجلس فوق ذلك المقعد، وانطلق بها في ذلك الطريق، وانحرف بها في هذا الشارع، وهو يعقد حاجبيه في غضب...»

ولو كان في المشهد أكثر من شخصية، فهناك احتمال -لا بأس به- أن يُشار إليهم بشكل مجرد، وباستخدام أوصافهم الجسدية، بشكل قد يوحي شيئاً ما بالتنمر:

«قال النحيل العصبي لزميله القصير الهادئ» - «أخرج الأصابع مسدسه وصوّبه تجاه البدين».

أيضاً هناك إفراط في استخدام الحد الأقصى لوصف أي شيء، بشكل يقترب من الصورة الكاريكاتورية، فلو كان المشهد يصف رجلاً غاضباً، ففي الغالب سيكون الوصف: «هتف بغضب الدنيا كله» - «صرخت بلوعة/ذعر/خوف/ألم الدنيا كلها».

أو: «غاص بقبضته في معدة خصمه حتى جعل بطنه يلتصق بعموده الفقري».

أو: «انعقد حاجباه حتى كادا يمتزجان».

من الأمور المهمة كذلك، استخدام ما أسميه بالسرد العمودي، بمعنى أن الجمل لا تُكتب بعضها بجوار بعض كما نفعل نحن، بل تُكتب كل جملة وكأنها فقرة في حد ذاتها وعلى سطر جديد، ودون سبب واضح لذلك:

«وأخذ يفكر بعمق، حتى إنه لم ينتبه لما يحدث حوله.

وانفجرت في رأسه الذكريات...

تذكر طفولته..

وشبابه..





وكهولته..

تذكّر أصدقاءه..

ورفاقه..

وأسرته..

وأحلامه..»

رغم أن بالإمكان كتابتها هكذا: وأخذ يفكر بعمق، حتى إنه لم ينتبه لما يحدث حوله، وانفجرت في رأسه الذكريات؛ تذكّر طفولته وشبابه وكهولته، تذكّر أصدقاءه ورفاقه وأسرته وأحلامه.

وفي الحوارات يجب أن تُقاطع الشخصيات بعضها بعضًا دائمًا، في الغالب تقول إحدى الشخصيات شيئًا ما وتصل إلى حرف عطف -في الغالب واو العطف- فتنتهز الشخصية الأخرى الفرصة وتقاطعها بسرعة:

«قال له وهو يعقد حاجبيه في غضب: أنا لم أفعل ذلك و...»

قاطعته قبل أن يكمل جملته وهو يعقد حاجبيه في غضب: بل أنت فعلت كذا وكذا...»

وربما تأتي المقاطعة من مصدر خارجي، كأن تصل الشخصية في كلامها عند واو العطف، ثم ترى شيئًا يلفت انتباهها فتتوقف عن الكلام، أو تبدأ في الشروع في شيء ما، المهم أن يُبتر الحوار عند واو العطف:

«وقال لنفسه بشرود: يبدو أنني سأضطر إلى الذهاب اليوم، و...»

توقف عن إكمال جملته وقد لفت نظره وجود كائن فضائي يتجول في الشارع...».

نهايات الفصول -أو العمل نفسه- في أغلب الأحيان يكون لها طابع ثابت، من المفترض أن يحمل قدرًا من الغرائبية أو الإدهاش الذي





يليق بخاتمة فصل أو عمل، وذلك من خلال تكرار نهايات بعض الجمل
في بدايات الجمل اللاحقة:

«وكان ذلك يعني أنها النهاية..»

نهاية العالم كما نعرفه..»

كما نعرفه تمامًا.»

ولا بأس من استخدام بعض الكلمات التأكيدية لزيادة التأثير، مثل
«تمامًا»، «للغاية»، «جدًّا»، «إلى أقصى حد»:

«وبذلك انتهت جولة وبدأت أخرى..»

جولة خطيرة للغاية..»

خطيرة جدًّا..»

وإلى أقصى حد.»

أو يتدخل الشيطان لإنهاء الفصل أو الجزء، وقد تفتح أبواب
الجحيم:

«وكان ذلك يعني الفناء..»

كل الفناء..»

وأطلق الشيطان ضحكة ظافرة، معلنًا فوزه بتلك الجولة..»

وانفتحت أبواب الجحيم.»

أيضًا من الأشياء التي سنلاحظها في أسلوب نبيل فاروق أنه
لا يستخدم المنولوج الداخلي أبدًا، فالشخصيات لا تفكر أو تتحدث
داخل ذهنها، نحن لا نجد فقرة مثلًا تقول: وفكر أدهم في أن عليه
أن يفعل كذا وكذا، لا، ما يحدث أن الشخصية تتحدث بأفكارها إلى
نفسها بصوت مرتفع، فمثلًا في نهاية العدد 71 من رجل المستحيل،
«ضد القانون»، نجد قدرتي يتحدث إلى نفسه بصوت مرتفع في هذا
المشهد، بدلًا من أن نستمع إلى أفكاره:



«ثم اتجه في خفة تتعارض مع بدائته المفرطة نحو الاستراحة، ودار حولها في حذر، حتى رأى الضوء ينبعث من المخزن الخلفي لها، فألصق أذنه ببابه، وسمع صوت أحد الرجال الأربعة يقول في خشونة: قيدوهما إلى هذين العمودين، كما أمر الإمبراطور، حتى يأتي بنفسه ويصدر أوامره بشأنهما.

غمغم قدري في ارتياح: حمدًا لله.. إنهما ما زالا على قيد الحياة. ثم اعتدل مستطرًا في صوتٍ خافت: وقواعد الصداقة تقتضي أن أحاول إبقاءهما على هذا الوضع.

تنهد في عمق، وعاد يغمغم في توتر: ماذا كنت ستفعل يا صديقي أدهم لو كنت مكاني؟ أراهن أنك كنت ستقتحم المكان بأكبر ضجة ممكنة، وتحطم وجوه هؤلاء الأوغاد الأربعة، قبل أن يدرك أحدهم ما حدث.

وتحسّس كرشه الضخمة، قبل أن يستطرد في حنق: ولو أنني اتبعت نصيحتك فيما يختص بضرورة إنقاص وزني، لكان هناك أمل في أن أحذو حذوك.

ثم انعقد حاجباه في صرامة وهو يردف في حزم: ولكنني لن أتخلى عنك يا صديقي.. لن أتخلى عنك أو عن منى.

وبحماسٍ شديد اندفع نحو باب المخزن وهو يصرخ: إنني قادم يا أدهم.. قادم يا منى.

أما عناوين الروايات فكانت في أحيان كثيرة أشبه ما تكون بعناوين الأفلام التجارية في نوادي الفيديو قديمًا؛ كثيرًا ما يحمل العنوان كلمة: موت - جحيم - دمار - هلاك - رعب - خوف - فزع - أهوال - شر - شيطان - خطر - قتل، كل كلمة من تلك الكلمات سنجدها تتكرر في حدود خمس مرات في عناوين بعض السلاسل، فمثلًا لو سنتتبع تكرار كلمة «جحيم» في عناوين روايات رجل المستحيل سنجد أنها جاءت في الأعداد التالية: العدد 19 «أبواب الجحيم»، 61 «ملائكة الجحيم»، 67



«الجحيم المزدوج»، 75 «أسوار الجحيم»، 84 «جزيرة الجحيم»، 114 «ممر الجحيم». كلمة «شر» سنجدها في الأعداد التالية: العدد 12 «حلفاء الشر»، 70 «أباطرة الشر»، 85 «لمسة الشر»، 109 «قبضة الشر»، وهكذا.

ومن أكثر الأشياء تميّزًا في سلاسل نبيل فاروق.. الهوامش.

صفحات الكتيبات تمتلئ بهوامش، إما تحيل القارئ إلى الأعداد السابقة التي تحوي تفاصيل الأحداث التي يرد ذكرها عرضًا، وإما تشرح للقارئ صغیر السن معلومات عامة قد يحتاج إليها. أثق بأننا لو تتبّعنا هوامش نبيل فاروق التي تشرح تلك المعلومات، ستتكون لدينا موسوعة عامة كاملة. من خلال تلك الهوامش تعرفت على الكثير من الأمور، مثلًا في العدد 100 من رجل المستحيل، «الضربة القاصمة»، عرفت دوستويفسكي وتولستوي للمرة الأولى. في أحد المشاهد كانت إحدى الشخصيات تقرأ رواية ضخمة داخل طائرة هليكوبتر، فسألها الطيار عن الرواية فأجابته إنها الأخوة كارامازوف لدوستويفسكي، فسأل الطيار إن كان هو من كتب رواية الحرب والسلام، فأجابته الشخصية أن من كتب الحرب والسلام هو تولستوي. في الهامش وضع لنا نبيل فاروق شرحًا مقتضبًا لكلتا الشخصيتين، فنجد الآتي:

(*) فيودور ميخائيلوفتش دوستويفسكي: (1821 - 1881): روائي روسي، وأحد عمالقة الأدب الحديث، نال أول نجاح من روايته «المساكين» عام 1846، وألقي القبض عليه عام 1849 لنشاطه السياسي، وصدر ضده حكم بالإعدام لم يلبث أن حُفّف إلى النفي إلى سيبيريا، التي قضى فيها فترة قاسية للغاية، وتتميز رواياته بالاستبصار النفسي العميق، وعطفه على البشرية، حتى أكثرها شرورًا، ومن أشهر مؤلفاته: «الجريمة والعقاب» 1866، و«الإخوة كارامازوف» 1879 - 1880.

وفي هامش يليه كتب التالي عن تولستوي:





(**) ليو تولستوي (1828 - 1910): كاتب وفيلسوف ديني روسي، دَعَمَت أعماله الأولى مكانته في الأوساط الأدبية، استقر بعد زواجه في قرية «باسنايا بوليانا» حيث كتب روايته: «القوزاق» 1863، و«الحرب والسلام» 1865 - 1869، و«آنا كارنيينا» 1875 - 1877.

وفي «ملائكة الجحيم»، العدد 61، واجه أدهم صبري أسدًا يُدعى نابليون، فكتب نبيل فاروق في الهامش بضعة سطور توضح من هو نابليون بونابرت الذي سُمي الأسد تيمناً به، وهكذا على مدى صفحات كل عدد، إذا ورد ذكر عنصر كيميائي، أو حدث تاريخي، أو شخصية مهمة، أو عمل فني، أو أداة تكنولوجية، إلخ؛ يشرحها نبيل فاروق سريعاً في الهامش، ليتسنى للقارئ الإلمام بالسياق الذي تُذكر فيه. من خلال مئات من تلك الهوامش استطعت وأنا في سن العاشرة أن أمتلك الكثير جداً من المعلومات العامة؛ عرفت عن هتلر والحرب العالمية الثانية، عرفت ما هو الأدرينالين، وما هي الموناليزا، وما العصور الوسطى، إلخ. لم يقدم لنا نبيل فاروق معلومات تحليلية أو آراء نقدية، ولكنه قدّم لنا معلومات عامة أولية أعتقد أن طفلاً في سني كان بحاجة إليها ليخطو خطواته الأولى. بعدها كنت أتوسع في قراءاتي بسبب ذلك، فإذا وجدت في المكتبة كتاباً يتكلم عن ستالين، أتذكر أنه الزعيم السوفيتي الذي قرأت عنه في هامش وضعه نبيل فاروق في العدد الذي واجه فيه أدهم صبري المخابرات السوفيتية «الكي جي بي»، في المغامرة التي قام بها في روسيا، فأسعى لقراءة الكتاب لأستزيد أكثر، وهكذا.



الكاتب المستحيل



فترة التسعينيات كانت العصر الذهبي لروايات الجيب، فبعد النجاح الهائل الذي حققه مشروع روايات مصرية للجيب، ونبيل فاروق على رأسه، صار من المعتاد أن نذهب إلى بائع الجرائد فنجد لديه كتيبات جديدة لمؤلفين لا نعرفهم، من إصدار دور نشر لم نسمع عنها من قبل، وعناوينها ورسوم أغلفتها تدل على أنها تحوي مغامرة بوليسية أو جاسوسية.

والغريب أن روايات مصرية للجيب لم تلق نجاحًا كبيرًا في البداية، فحتى العدد السادس من رجل المستحيل وملف المستقبل كان الإقبال على الروايات ضعيفًا، لكنه بعد ذلك زاد وتضاعف (153). ومن الأمور التي ساهمت في نجاح روايات مصرية للجيب بهذا الشكل الأسطوري الذي حققته بدءًا من النصف الثاني من الثمانينيات -بالإضافة إلى رسومات الأغلفة الزاهية وتنوع السلاسل والأفكار- سعرها المنخفض، فعندما ظهرت كان سعر العدد الواحد منها قرابة 35 قرشًا، وفي أواخر الثمانينيات أصبح خمسة وسبعين قرشًا، وفي أوائل التسعينيات ارتفع ليصبح جنيهاً، وعندما تضاعف حجم أعداد سلسلتي رجل المستحيل وملف المستقبل في النصف الثاني من التسعينيات أصبح سعر العدد جنيهاً، وفي الألفية الجديدة صار ثلاثة جنيهات، وقبل عام 2016 -أي قبل تعويم الجنيه- كان سعر العدد خمسة جنيهات، وبعد ذلك أصبح عشرة ثم خمسة عشر جنيهاً، وفي الأعداد الأخيرة من كوكتيل 2000 وسلسلة الأعداد الخاصة وصل سعر بعض الأعداد إلى خمسة وعشرين جنيهاً!

وربما لم يحقق أحد في تلك الفترة نجاحًا كنبيل فاروق سوى أحمد خالد توفيق، الذي كان يكتب في منطقة مختلفة عن الأول، وبأسلوب لا يمكن مقارنته به.



ولا أعتقد أن أحدًا في فترة التسعينيات استطاع أن ينافس نبيل فاروق في منطقتة سوى مجدي صابر، الذي نشر العديد من السلاسل مع أكثر من دار نشر مصرية ولبنانية، منها سلسلته الأشهر «الفرقة الانتحارية»، التي أصدر منها 27 عددًا، من إصدار دار ميدلايت المحدودة، وتدور حول فريق مخابراتي مُكوّن من ثلاثة أفراد: سالم، ضابط المخابرات صاحب القدرات غير المحدودة، وفاتن فتاة المخابرات الحسنة الشرسة، بالإضافة إلى هرقل، وهو عملاق يملك ذكاء محدودًا وقوى خارقة. ومن أشهر سلسله كذلك «القناص المحترف»، مع دار الأمين، التي صدر منها 11 عددًا، و«رجل المهام الصعبة»، التي نشر منها ما يقرب من 30 عددًا، مع دار الجيل، و«العميل 303»، عن دار البحار، وكلها تتمحور حول رجل مخابرات وسيم لديه قدرات قتالية غير محدودة، تمامًا كأدهم صبري. لكن مجدي صابر كان مبدعًا في اختيار أفكار سلسله، فقد أصدر مع دار ميدلايت المحدودة عددًا آخر من السلاسل ذات الطبيعة المختلفة، مثل «الكوبرا»، والتي تتناول مغامرات فريق بوليسي من الشرطة النسائية، وبلغ عدد أجزاءها 6 أعداد، و«جمعة وشركاه»، والتي تحكي عن مجموعة من الأطفال في الريف المصري، ينشئون فريقًا لحل الجرائم في إطار كوميدي، وصدر منها أيضًا 6 أعداد، و«ديسكفري»، وهي روايات خيال علمي منفصلة، تكوّنت من 9 أعداد، كما قدّم مع مكتبة غريب سلسلة «فرقة الأذكىاء»، التي بلغ عددها 33 كتيبًا، ونشر مع دار البحار سلسلة «المغامرون الأبطال»، وأصدر عبر دار الجيل سلسلة رومانسية بعنوان «روايات الجيل الرومانسية»، بالإضافة إلى العديد من قصص الأطفال.

وبشكل عام، كان مجدي صابر عندما يتعامل مع دار نشر، يُصدر معها ثلاث أو أربع سلاسل؛ سلسلة جاسوسية عن ضابط مخابرات خارق، أو فريق مخابراتي غير عادي، وسلسلة عن مجموعة أطفال أو مراهقين يحلون الجرائم، وسلسلة خيال علمي، وأحيانًا سلسلة رومانسية، وربما سلسلة حكايات للأطفال، هذا ما فعله مع دور ميدلايت والجيل والبحار والأمين (154)، قبل أن يتوقف تمامًا عن كتابة روايات



الجيب في أواخر التسعينيات ويتجه إلى كتابة السيناريو للعديد من المسلسلات الناجحة (155).

أيضاً من الظواهر التي لاحظتها في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات وجود كاتب سوري أو لبناني يُدعى محمد عبد الحميد الطرزي، لديه سلسلة اسمها المغامرون الخمسة، وعندما تتصفحها ستُفاجأ بأنهم هم أنفسهم المغامرون الخمسة الذين يكتب عنهم محمود سالم! بنفس أسمائهم ونفس صورهم المرسومة في الألبوم المعروفة التي تصدرها دار المعارف، لكنهم مختلفون في شخصياتهم وأسلوب حديثهم وطبيعة المغامرات التي يخوضونها. استغربتُ اقتباسه لسلسلة المغامرين الخمسة بهذا الشكل الفج، ثم اكتشفت بعدها أنه اقتبس أيضاً سلسلة الشياطين الـ13، لكنه هذه المرة غيّر في أسمائهم وجنسياتهم، فأصبح أحمد لبنانياً بدلاً من كونه مصرياً، وغيّر اسم السلسلة إلى «المغامرون الـ13» بدلاً من «الشياطين الـ13»! (156)

لكن الطرزي لم يكتفِ بهاتين السلسلتين، فقد أصدر سلاسل أخرى، مثل سلسلة العصابة الخفية، وسلسلة زامبو، والعديد من سلاسل المغامرين بأعدادهم المختلفة: الثلاثة والأربعة والخمسة، وأغلب تلك السلاسل من إصدار دار النفائس.

والحقيقة أن أغلب المؤلفين الذين أدلوا بدلوهم وكتبوا سلاسل الجيب في فترة التسعينيات -الفترة الذهبية لكتيبات الجيب- وعلى رأسهم مجدي صابر ومحمد عبد الحميد الطرزي، لم يستطيعوا منافسة نبيل فاروق سوى في تنوع إصداراتهم، لكنهم لم يستطيعوا مجاراته من حيث النجاح والانتشار وغازارة الإنتاج، فمجدي صابر -مثلاً- إذا جمعنا ما كتب فلن نجده يزيد على 150 كتيباً، بينما نبيل فاروق احتفل في عام 1997 بوصول عناوين أعماله إلى أربع مائة عنوان (157)! وفي عام 2003 أعلن أن عدد إصداراته في روايات مصرية للجيب وحدها وصل إلى خمسمائة عنوان (158)، ولا أعتقد



الجيب في أواخر التسعينيات ويتجه إلى كتابة السيناريو للعديد من المسلسلات الناجحة (155).



أيضاً من الظواهر التي لاحظتها في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات وجود كاتب سوري أو لبناني يُدعى محمد عبد الحميد الطرزي، لديه سلسلة اسمها المغامرون الخمسة، وعندما تتصفحها ستُفاجأ بأنهم هم أنفسهم المغامرون الخمسة الذين يكتب عنهم محمود سالم! بنفس أسمائهم ونفس صورهم المرسومة في الألغاز المعروفة التي تصدرها دار المعارف، لكنهم مختلفون في شخصياتهم وأسلوب حديثهم وطبيعة المغامرات التي يخوضونها. استغربتُ اقتباسه لسلسلة المغامرين الخمسة بهذا الشكل الفج، ثم اكتشفت بعدها أنه اقتبس أيضاً سلسلة الشياطين الـ13، لكنه هذه المرة غيّر في أسمائهم وجنسياتهم، فأصبح أحمد لبنانياً بدلاً من كونه مصرياً، وغيّر اسم السلسلة إلى «المغامرون الـ13» بدلاً من «الشياطين الـ13»! (156)

لكن الطرزي لم يكتفِ بهاتين السلسلتين، فقد أصدر سلاسل أخرى، مثل سلسلة العصبة الخفية، وسلسلة زامبو، والعديد من سلاسل المغامرين بأعدادهم المختلفة: الثلاثة والأربعة والخمسة، وأغلب تلك السلاسل من إصدار دار النفائس.

والحقيقة أن أغلب المؤلفين الذين أدلوا بدلوهم وكتبوا سلاسل الجيب في فترة التسعينيات -الفترة الذهبية لكتيبات الجيب- وعلى رأسهم مجدي صابر ومحمد عبد الحميد الطرزي، لم يستطيعوا منافسة نبيل فاروق سوى في تنوع إصداراتهم، لكنهم لم يستطيعوا مجاراته من حيث النجاح والانتشار وغازارة الإنتاج، فمجدي صابر -مثلاً- إذا جمعنا ما كتب فلن نجده يزيد على 150 كتيباً، بينما نبيل فاروق احتفل في عام 1997 بوصول عناوين أعماله إلى أربعمئة عنوان (157)! وفي عام 2003 أعلن أن عدد إصداراته في روايات مصرية للجيب وحدها وصل إلى خمسمئة عنوان (158)، ولا أعتقد



أن العدد زاد بعدها على هذا كثيرًا، ففي آخر خمسة عشر عامًا قبل وفاته، لم ينشر نبيل فاروق مع روايات مصرية للجيب أكثر من 50 عددًا، أغلبها في كوكتيل 2000 وسلسلة الأعداد الخاصة.

المهم أنني قرأت سلاسل الجيب الأخرى بحماس وانتظرتها بشغف، لكنني مع ذلك كنت أراها مجرد محاولة لتقليد عوالم نبيل فاروق، وكلما وقعت في يدي سلسلة جديدة بطلها رجل مخابرات يمكنه فعل كل شيء ولا يمكن هزيمته، أقول في نفسي: ها هي محاولة جديدة لخلق شخصية أسطورية كأدهم صبري، وأتابع السلسلة لأرى إن كان المؤلف سينجح في ذلك أم لا، وفي الغالب لم يكن ينجح، لأنه يقلد أدهم صبري ولا يحاول صنع شخصية أصيلة خاصة به. كنت متلهفًا لقراءة أي شيء بعد أن فتح نبيل فاروق شهيتي، لكنني كنت أقرأ تلك الأعمال كنوع من قضاء الوقت حتى يُصدر نبيل فاروق أعداده الجديدة، فكل تلك السلاسل كانت تبدو باهتة أمام رجل المستحيل وملف المستقبل.

وفي تلك الفترة من أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات بدأت محاولاتى الأولى في الكتابة، كنت أحضر دفترًا وأقطع ورقه قطعًا صغيرة متساوية، وألصقها معًا ليصير لديّ ما يشبه كتيب الجيب، ثم أبدأ في كتابة قصة على غرار المغامرين الخمسة أو رجل المستحيل. كتبت في البداية عدة قصص تبدأ بـ«لغز»: لغز السيارة البيضاء - لغز الرسالة الغامضة، ثم بدأت في عمل سلاسل كاملة بطلها خارق، فكتبت سلسلة «هالك»، التي تحدثت عنها سابقًا، وقلدت فيها بعض أعداد رجل المستحيل، مثل «العين الثالثة» و«القضبان الجلدية» و«لهيب الثلج»، والتي كنت متأثرًا بها وقتها. ثم كتبت سلسلة اسمها «الرجل الانتحاري»، بطلها ضابط مخابرات مصري اسمه أشرف منصور، يجيد مهارات قتالية عديدة، ووضعت له تاريخًا شبيهًا بتاريخ أدهم صبري، وكتبت من تلك السلسلة أحد عشر عددًا، قبل أن أتوقف. في بعض تلك الأعداد يواجه أشرف المافيا في ثلاثة أعداد متتالية، تمامًا كما فعل أدهم صبري في أعداد «الرصاصة الذهبية» و«شيطان



بل إنني أخذني الحماس ذات مرة، فأخذت أولف عناوين أعداد لسلسلة تشبه ملف المستقبل، وكتبت ما يقرب من ألف عنوان لأعداد لم أكتب منها شيئاً! كانت بداخلي طاقة بحاجة إلى تفريغها، فظلت أصنع سلاسل وأولف لها أعداداً، وأرسم لها أغلفة بدائية أضع اسمي عليها.

كتبْتُ كل هذه الأعداد والسلاسل في الفترة ما بين عاشر العاشر والثاني عشر، وبعض تلك الأعداد ما زلت أحتفظ بها حتى الآن، وعندما كبرت والتقيت بمؤلفين آخرين من نفس سني، عرفت أنهم أيضاً خاضوا تجربة مشابهة في هذه السن، أغلبهم بدأوا الكتابة بمحاولة تقليد كتابات نبيل فاروق من خلال كتابة سلسلة أو أكثر، وجميعنا في تلك الفترة كنا نكتب ما نكتبه من سلاسل بنفس أسلوب نبيل فاروق، بنفس لغته وتعابيرهِ وتقنياته ورسمه للشخصيات!

أجل، تأثير نبيل فاروق في أطفال وشباب الثمانينيات والتسعينيات كان بالغاً! آلاف القراء بدأوا القراءة وأحبوها بسبب رواياته المثيرة، كثيرون بدأوا الكتابة حباً في أعماله ورغبةً في كتابة مثلها، كثيرون كوّنوا حصيلة معلومات عامة ضخمة فقط من المعلومات التي ترد في رواياته.

وإذا كان محمود سالم هو الرائد الذي بدأ مشروع روايات الجيب في الوطن العربي، فنيل فاروق هو الذي أرسى هذا الفن وثبّته، هو بلا شك صاحب أكبر وأغزر مشروع في كتابة روايات الجيب العربية، والأكثر تنوعاً في الأفكار والخيال، وأثق بأنه لولا ظروفه الصحية لكان إنتاجه سيصير ضعف ما انتهى إليه.



السلاسل التي قدّمها نبيل فاروق



1. رجل المستحيل (160 عددًا).
2. ملف المستقبل (160 عددًا).
3. كوكتيل 2000 (51 عددًا).
4. ع2× (56 عددًا).
5. الأعداد الخاصة (33 عددًا).
6. حرب الجواسيس (11 عددًا - 6 أعداد خاصة).
7. زووم (11 عددًا).
8. فارس الأندلس (10 أعداد).
9. بانوراما (7 أعداد).
10. سيف العدالة (6 أعداد).
11. أرزاق «كتاب كوكتيل 2000» (4 أعداد).
12. المتخصصون (3 أعداد).
13. الفريق صفر (عددان).
14. مسرح الجريمة (عددان).
15. رجل المستقبل (عدد واحد).



سلاسل شارك نبيل فاروق في إصدارها



1. زهور (شارك بكتابة 30 عددًا).

2. روايات عالمية للجيب (شارك بإعداد وترجمة 6 أعداد).

3. أوسكار (شارك بالإشراف على عدد واحد، وكتابة سيناريو قصة كوميكس).

4. سوبر أوسكار (10 ألبومات كوميكس، شارك بالإشراف والإعداد والترجمة).

5. العميل السري ثلاثة أصفار (7 أعداد كوميكس، شارك بالفكرة والسيناريو).

6. مجانيين (10 أعداد، شارك بالإشراف وكتابة بعض المقالات).

7. آيس كريم (4 أعداد، شارك بالإشراف).



سلاسل كتبها نبيل فاروق ونُشرت مسلسلة داخل سلاسل أخرى



1. العقرب (7 مغامرات، نُشرت مسلسلة في سلسلة كوكتيل 2000).
2. فاي (4 مغامرات، نُشرت مسلسلة في سلسلة كوكتيل 2000).
3. الستار الأسود (مجموعة قصص قصيرة نُشرت في آخر أربعة أعداد من سلسلة كوكتيل 2000).
4. رجل العدالة (18 قصة نُشرت مسلسلة أو كاملة في مجلة باسم، وأعيد نشر 3 منها في سلسلة كوكتيل 2000، و4 في سلسلة الأعداد الخاصة).
5. ملف المخابرات العربية (قصتان نُشرتا في مجلة باسم، وأعيد نشرهما في سلسلة الأعداد الخاصة).
6. مغامرات باسم/باسل (34 قصة نُشرت مسلسلة أو كاملة في مجلة باسم، وأعيد نشر 3 منها في سلسلة الأعداد الخاصة).



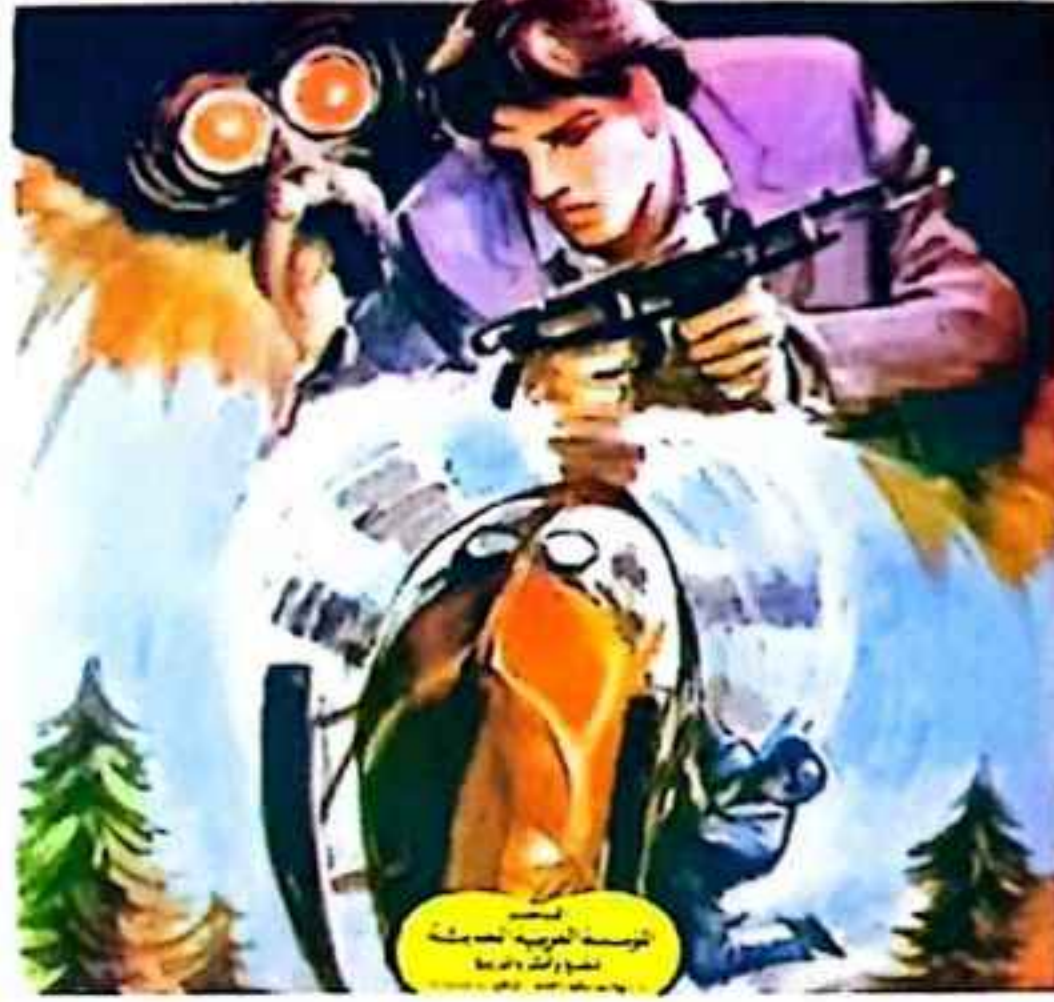
25

إدارة المطبوعات الخاصة
المكتب رقم (19)

روايات
مصرية
للجيب



رأس العقرب



أول عدد أقرأه من روايات مصرية للجيب، رأس العقرب، العدد 25 من
سلسلة المكتب رقم 19





النهر المقدس



أول عدد أقرأه من كتابات نبيل فاروق، النهر المقدس، العدد 28
من سلسلة ملف المستقبل

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية الخيال العلمي

تأليف



د. نيل فاروق

- النهر المقدس ●
- كيف يمكن أن تحظى طائرة فوق جبال (فنا)، دون أن تترك أثراً ؟
- ما سر هذه المظلة الشرمية ، التي تلتصق الجميع الاقتراب منها ؟
- أهبصح (نور) في كشف هذا المبرهن ؟ أم يهوض في أعماق النهر المقدس ؟
- المرأ الغامض المتيقن ، واشترك مع (نور) في حل اللغز .

٢٨

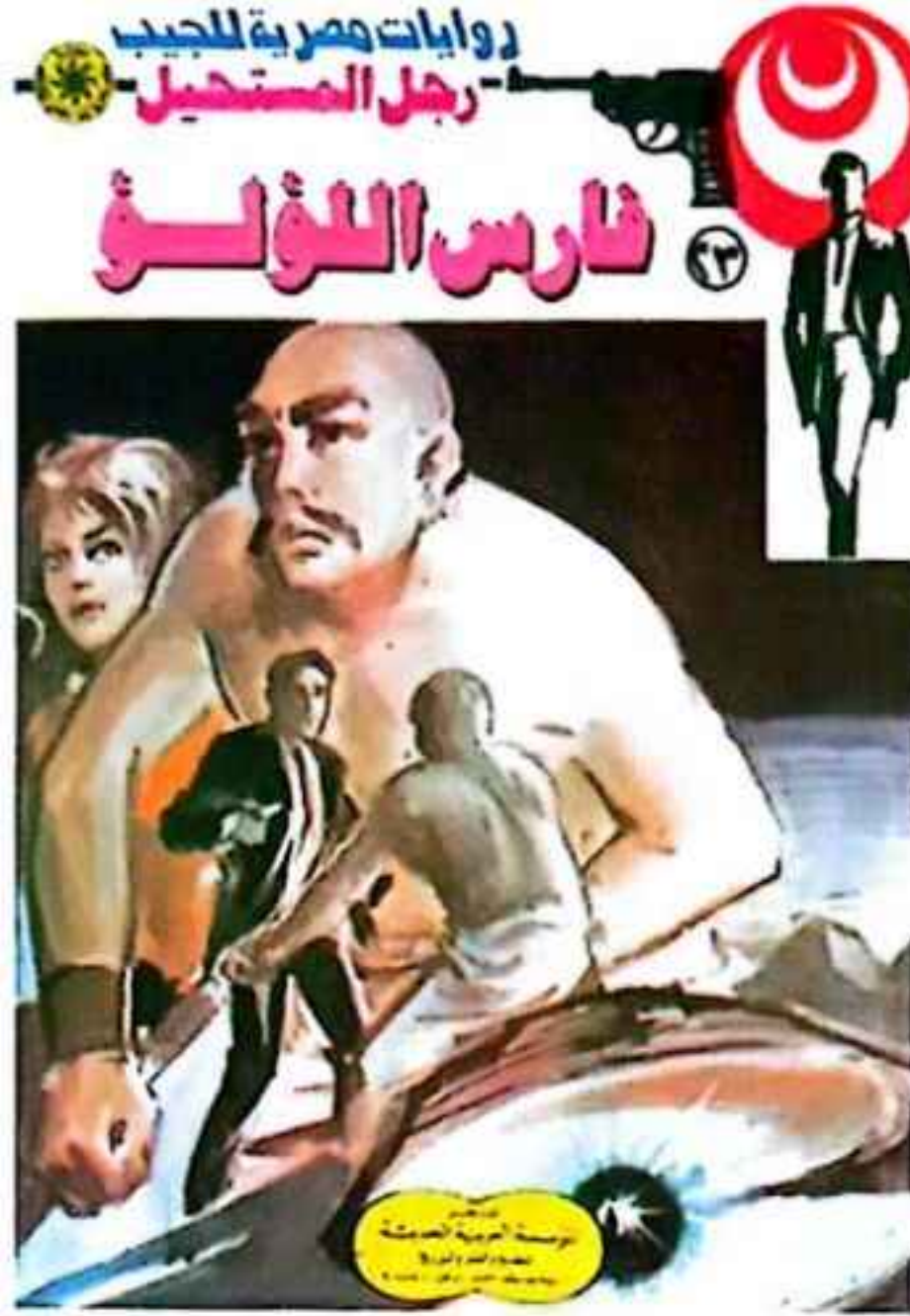


مؤسسة الهيئة المصرية
للطباعة والنشر
بمصر

العدد القادم : الإيقاع المقترب



الغلاف الخلفي لعدد النهر المقدس، وفيه تظهر النبذة الخلفية التي كان نبيل فاروق يضعها لأعداده، وفي الأسفل عبارة العدد القادم الموجودة في جميع سلاسل روايات مصرية للجيب



أول عدد أقرأه من سلسلة رجل المستحيل، فارس اللؤلؤ، العدد 23





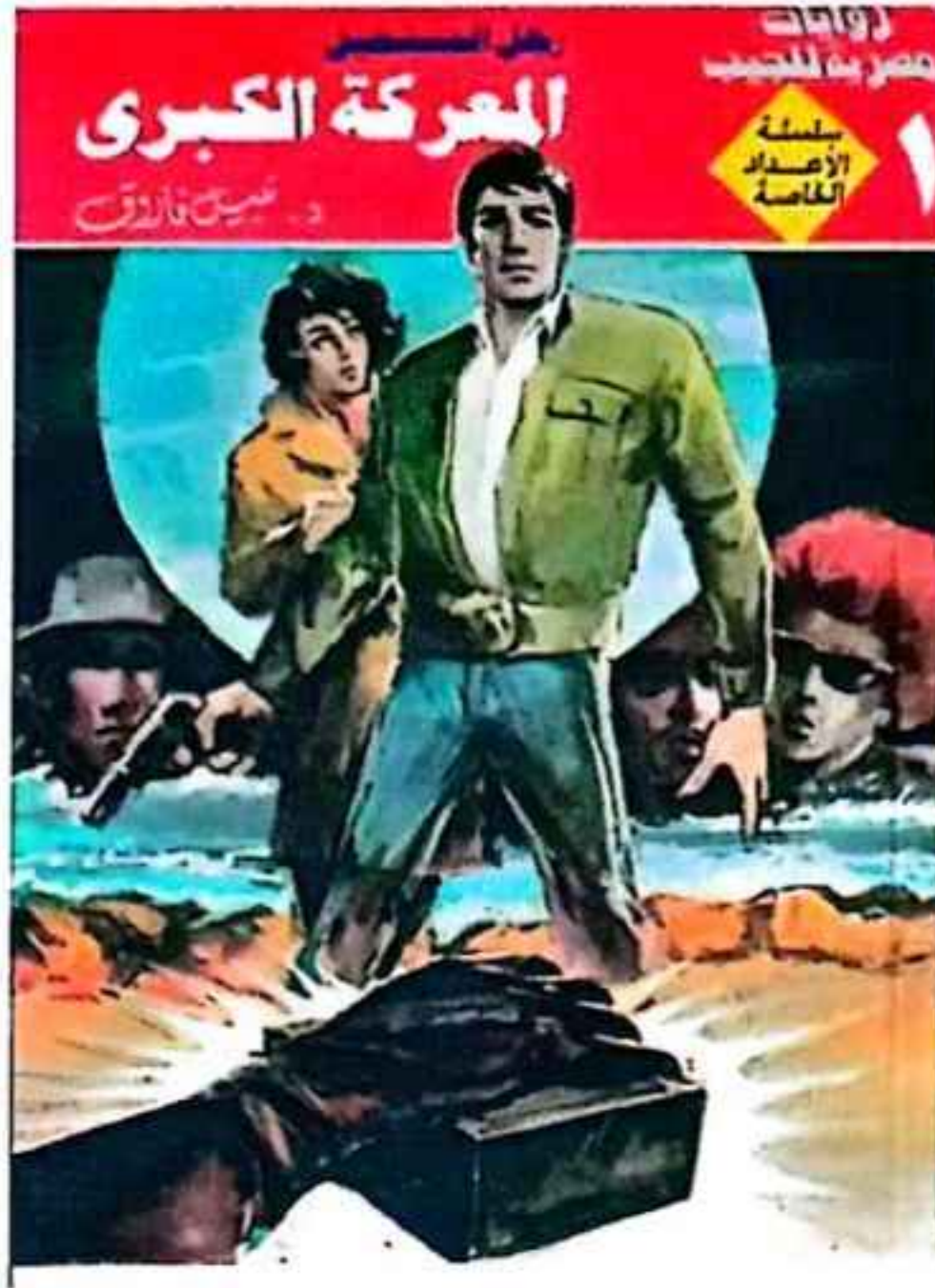
نور وفريقه أبطال سلسلة ملف المستقبل، كما تخيلهم الفنان
إسماعيل دياب



أدهم صبري بطل سلسلة رجل المستقبل، كما تخيله الفنان

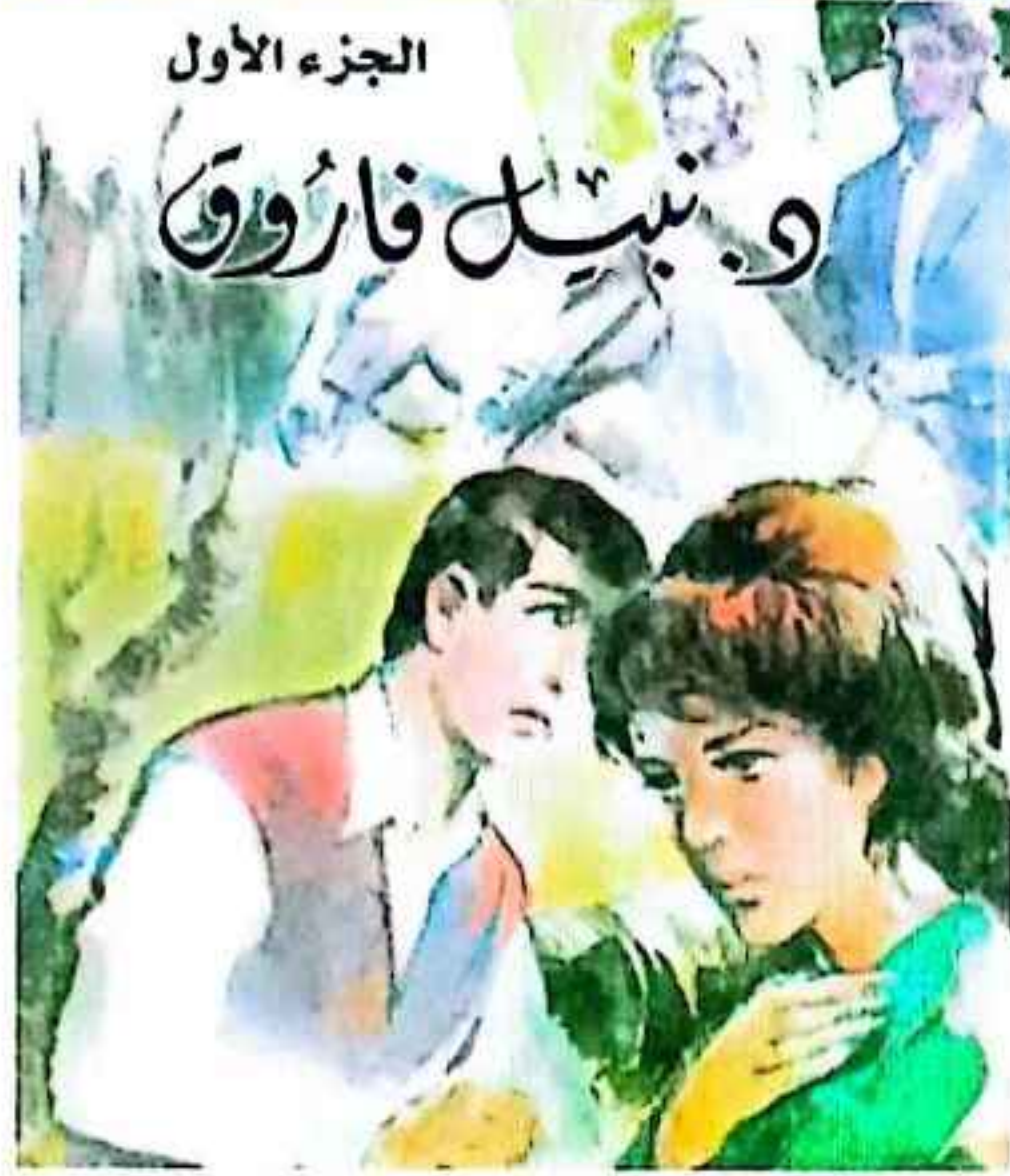


أوراق بطل، العدد 25 من سلسلة كوكتيل 2000



المعركة الكبرى، العدد الأول من سلسلة الأعداد الخاصة

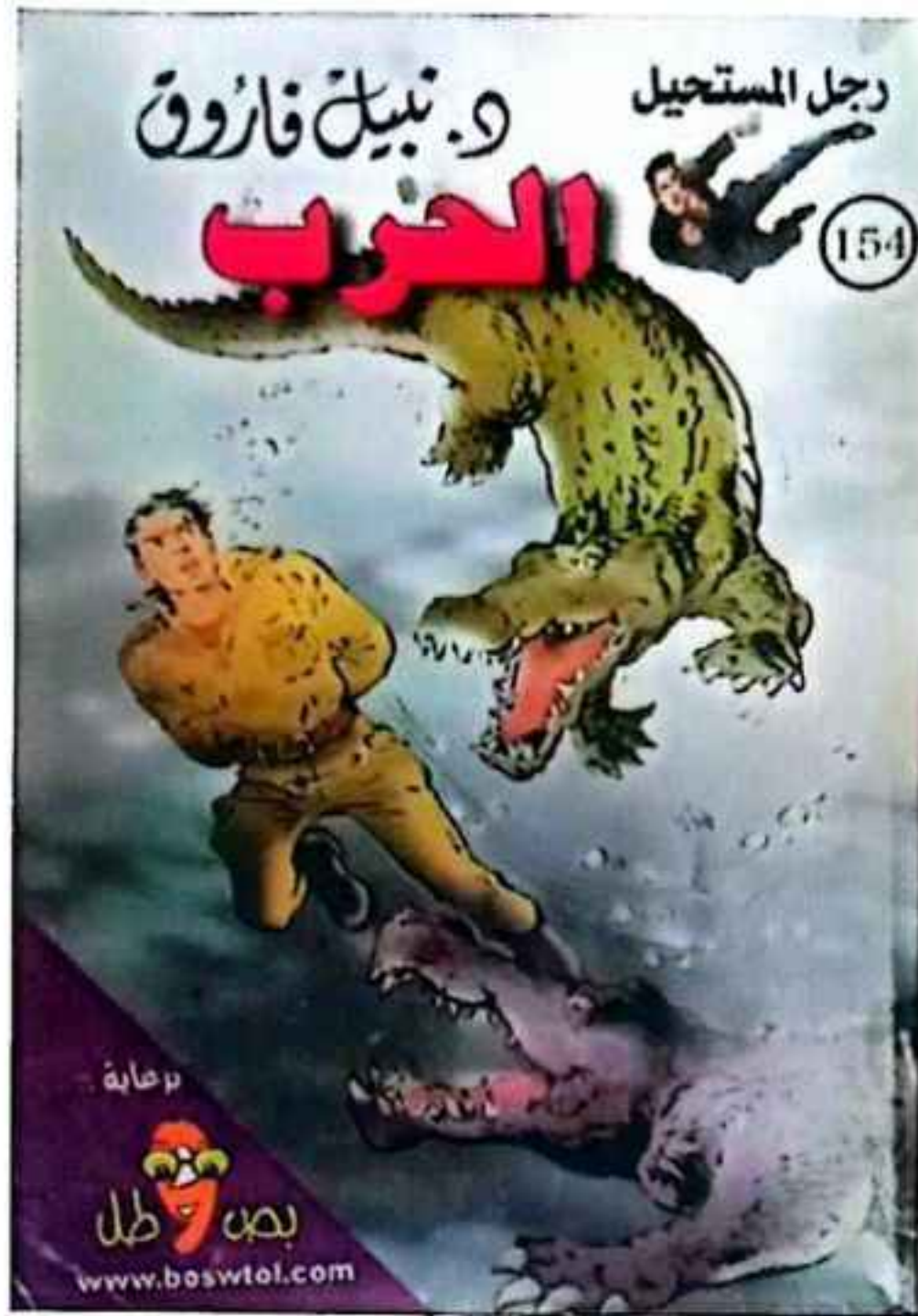




الجزء الأول من رواية أرزاق، الرواية الاجتماعية الوحيدة التي كتبها نيبيل فاروق



سلسلة زووم، أغلفتها وتصميم صفحاتها الداخلية مختلفة عن
الشكل التقليدي المعتاد لسلاسل روايات مصرية للجيب

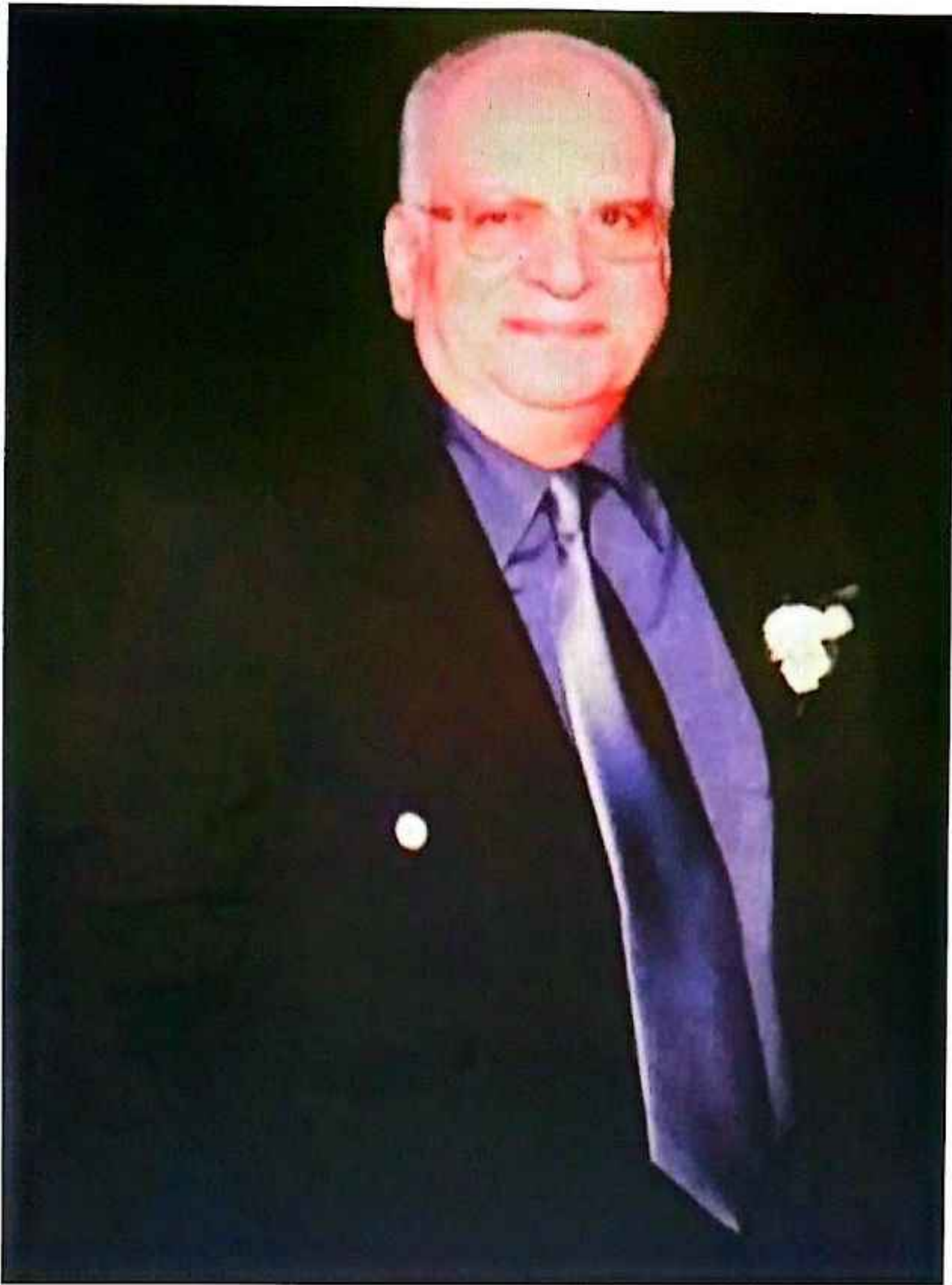


الحرب، العدد 154 من سلسلة رجل المستحيل، الصادر عن موقع
بص وطل، بعد خلافت نabil فاروق مع المؤسسة العربية الحديثة،
والغلاف من رسوم الفنان ميشيل معلوف





الترويسة الداخلية لعدد رجل المستحيل الصادر عن موقع «بص وطل»، وفيه تظهر عبارة: «كافة حقوق النشر الورقي والإلكتروني وغيرها محفوظة للمؤلف»، والتي كانت سبب الخلاف الأساسي بين نبيل فاروق والمؤسسة العربية الحديثة



حمدي مصطفى، صاحب المؤسسة العربية الحديثة، ومؤسس
مشروع روايات مصرية للجيب

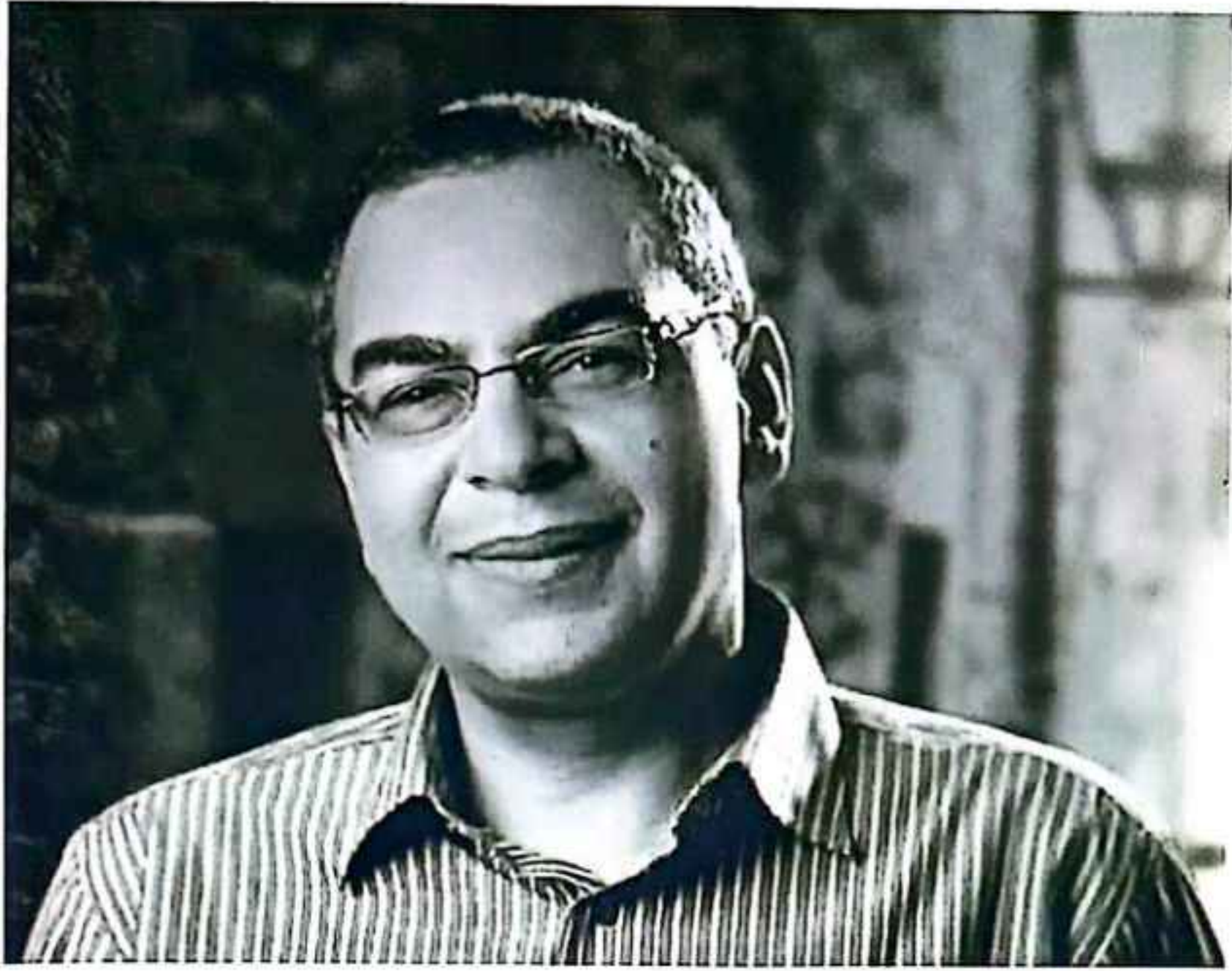


أعداد سلسلة الرجل الانتحاري، التي كتبتها في صغري، متأثرًا بنبييل فاروق، ومحاولاً تقليد سلسلة رجل المستحيل



أحمد خالد توفيق

(١٩٦٣ - ٢٠١٨)



٢٢٠ / ١٢٨ أحمد خالد توفيق (١٩٦٣ - ٢٠١٨)



أسطورة النبذة التي فتننتني!

في عام 1993 كنت قد جمعت الكثير من الأعداد التي تنقصني من سلسلتي رجل المستحيل وملف المستقبل، وصار تركيزي مُنصبًا على متابعة الأعداد الجديدة، التي لا أحصل عليها سوى في الصيف، عندما نعود في إجازة إلى مصر. وفي صيف عام 1993 اكتشفتُ مكتبة صغيرة تقع في الممر الداخلي لبناية ضخمة، أجد عندها الأعداد الجديدة دائمًا. كنت أدخل إلى الممر وقلبي يخفق وأنا أتخيل شكل الكتيبات الجديدة، فأجد ثلاثة أو أربعة شباب قد سبقوني وامتلات بهم المكتبة، يسألون البائع إن كانت الأعداد قد وصلت أم لا.

ذات مرة سألتُ صاحب المكتبة عن روايات أرسين لوبين، والتي لا أجدها بسهولة في أي مكان، فأخبرني أن بإمكانه أن يحضرها لي بشكل شخصي، ولكن بسعر أعلى. وافقتُ بالطبع، وكنت أذهب كل عدة أيام لأرى إن كان قد أحضر الروايات أم لا، وذات مرة لمحنتُ في طرف المكتبة مجموعة أعداد جديدة لا أعرفها.

كانت كل سلسلة لها تصميم غلاف معين ولوجو معين وألوان معينة في الفوننتات والغلاف، فمثلًا رجل المستحيل حتى العدد 100 استخدمت فوننتات من اللونين الأزرق أو الوردى، بينما ملف المستقبل استخدمت الفونت الأسود. وبعد العدد 100 صار الغلاف الخلفي لرجل المستحيل باللون الأخضر، والغلاف الخلفي لملف المستقبل باللون الأحمر.

لذلك من نظرة واحدة بإمكان القارئ أن يدرك إلى أي سلسلة ينتمي هذا العدد أو تلك الأعداد الموضوعه على الرف البعيد.

والأعداد التي رأيتها تلك المرة كانت باللون البنفسجي والوردى، فأدركت أنني أمام سلسلة جديدة لم أرها من قبل.

السلسلة الجديدة اسمها «ما وراء الطبيعة»، والاسم بدا لي طويلًا



وغريبًا وأقرب ما يكون لعنوان كتاب فلسفي منه لسلسلة مغامرات،
وتحت عنوان السلسلة «solgan»: «روايات تحبس الأنفاس من فرط
الغموض والرعب والإثارة».

العدد الذي وجدته حمل رقم 4، «أسطورة أكل البشر»، وغلافه
الخلفي مكتوب بطريقة تختلف عما اعتدُّ عليه في أغلفة سلاسل
نبيل فاروق. ففي تلك الأخيرة كانت النبذة الخلفية تُكتب على شكل
أربع نقاط يحمل كلُّ منها سؤالًا يوضح طبيعة المغامرة التي سيدور
العدد حولها:

- ترى ما سر تلك المنظمة الإجرامية التي يتزعمها رجل شرس يريد
السيطرة على العالم؟

- ما حجم الخطر الذي سيجد أدهم صبري نفسه فيه بعد سفره إلى
فرنسا ليواجه المنظمة الجديدة؟

- هل يستطيع أدهم القضاء على تلك المنظمة أم أن تلك ستكون
مهمته الأخيرة؟

ثم تأتي النقطة الرابعة بعبارة ثابتة في كل السلسلة: اقرأ
التفاصيل المثيرة لترى كيف يعمل رجل المستحيل. ثم بعد ذلك تغيرت
العبارة لتصبح: اقرأ التفاصيل المثيرة وقايل بعقلك وكيانك مع رجل
المستحيل.

أما في ملف المستقبل فكانت العبارة في البداية: اقرأ التفاصيل
المثيرة واشترك مع نور في حل اللغز. ثم لاحقًا صارت: اقرأ التفاصيل
المثيرة وقايل مع نور وفريقه من أجل الأرض. وهذا التغير في
العبارتين في ملف المستقبل يكشف لنا التطور الذي حدث في
طبيعة السلسلة.

لكن عدد ما وراء الطبيعة الذي وجدته انتهج نهجًا آخر في النبذة
الخلفية، كان يتحدث مباشرةً إلى القارئ ويشرح له بشكل مثير
وجذاب ما قد يجده داخل العدد:



«إن الحديث عن أكلة لحوم البشر مثير دافعا، بشرط ألا تكون أنت الضحية! والآن أغمض عينيك وتخيّل معي.. ماذا تفعل لو اتضح لك أن هناك أكل لحوم بشر في مدينتك.. بل في شارعك.. بل في دارك؟! تخيّل أن لك جازًا يأكل لحوم البشر، ويمارس طقوس الكانيبالزم بانتظام.. وهو الآن يدق بابك بعد منتصف الليل، طالبًا بعض التوابل! أرجوك.. لا تفتح الباب!».

هذه النبذة فتنتني، وقفت مبهوثًا أمامها، واشتريت العدد فورًا وستصبح هذه ميزة من أهم ميزات سلسلة ما وراء الطبيعة، كل عدد به نبذة خلفية مبتكرة ومكتوبة بهذا الشكل المثير الساخر، مثلًا في العدد 32، «أسطورة رفعت»، سنجد النبذة الخلفية التالية:

«هناك مسوخ ومسوخ.. مسوخ تزار في الغابات المظلمة.. ومسوخ تنتظر في أعماق المحيط.. ومسوخ تفتح أبواب المقابر ليلاً.. ومسوخ تفتح عيونها في ظلام معمل ما.. لكن أشنع مسخ يمكن للمرء أن يلقاه.. هو نفسه!».

وأنا أتمنى أن تجمع المؤسسة العربية الحديثة النبذ الخلفية لسلسلة ما وراء الطبيعة بالكامل، وتنشرها في كتيب أو ما شابه، لأنها تستحق. ليست نبذات ما وراء الطبيعة فقط، بل نبذات سلسلتي فانتازيا وسفاري كذلك تستحق القراءة وحدها لما فيها من ابتكار وتميُّز. لا أنسى النبذة الخلفية للعدد 16 من سلسلة سفاري، والذي جاء عنوانه غريبًا: «؟؟؟»، ثلاث علامات استفهام فقط، أما نبذته الخلفية فكانت عبارة عن ثلاث علامات استفهام كبيرة متبوعة بأربع علامات تعجب، موضوعة في منتصف الغلاف الخلفي: «؟؟؟!!!».. فقط! أو النبذة الخلفية للعدد 5 من سفاري، «تجربة محرمة»، التي تقول: «من المفترض أن نقدم سطورًا سريعة عن هذه الرواية ها هنا.. لكن هذا سيفسد كل شيء.. دعنا نتمرد على هذا التقليد ونقرأ الرواية مباشرة دون تقديم!».

وعلى مدى 81 عددًا من سلسلة ما وراء الطبيعة، سأقرأ 81 نبذة

خلفية، لكن النبذة الخلفية لـ «أسطورة آكل البشر» -النبذة الأولى التي وقعت عيناى عليها- ما زالت تحتل مكاناً خاصاً لديّ.

وبالإضافة إلى النبذة الخلفية، كنت أحرص على قراءة العبارة الأخيرة في كل عدد، والتي توضح طبيعة ما سنلقاه في العدد القادم:

«يبدو أن الوقت قد حان كي أستقر.. قلت هذا لنفسى، ولم أكن للمرة المليون- أعرف أي ساذج أنا.. فقد كنت سأسافر إلى جزر الهند الغربية بعد شهرين، وكنت سألقى هناك كابوشا جديداً من نوع خاص.. ولكن.. هذه قصة أخرى!» (159).

دائماً آخر سطرين في كل رواية يتحدث فيهما رفعت إسماعيل عن أنه كان سيرتاح لكنه لم يكن يعرف أن النداهة تنتظره، أو كائناً رهيباً ينتظره، أو كابوشا شنيعاً ينتظره.. لكن هذه قصة أخرى! وكل هذا تمهيد للعدد القادم.

سيتكرر الأمر بعد ذلك في سلسلة سفاري، فدائماً نهاية كل عدد تتكلم عن أن الخطر لم ينته بعد، وما زالت هناك ذيول لم يُقَصَّ عليها، ثم تأتي العبارة الثابتة: «للأسف هذا لا يدخل ضمن نطاق عملنا في سفاري»، أو «لكن هذه الأمور لا تعيننا هنا في سفاري».

وفي أثناء عودتي بذلك العدد -«أسطورة آكل البشر»- في ذلك اليوم البعيد، انتبهت لصورة المؤلف على الغلاف الخلفى، كان يبدو شاباً في العشرينيات أو أوائل الثلاثينيات، يرمق الكاميرا بقلق وكأنه تورط في أمر ما، وهي الصورة التي ستتغير بعد العدد الخامس، وسيبدو في الصورة الجديدة -التي ستستمر معنا حتى العدد 32 - مرتدياً بذلة وبيتسم للكاميرا في وقار، وتحت الصورة اسمه: د. أحمد خالد توفيق.

أسطورة المؤلف الملول!

حتى ذلك الوقت - 1993 - كان القراء معتادين على شكل روايات نبيل فاروق، حيث البطل الوسيم الماهر المثالي، الذي يواجه الأخطار ويسخر منها، ويعيش حياته ويخوض مغامراته بجدية شديدة، دون الاهتمام بعامل الزمن، فنحن لا نعرف كم من الوقت مرّ بين مغامرة أدهم صبري الفلانية ومغامرته العلانية، أو كم مرّ بين مغامرة نور وفريقه الأولى وبين احتلال الأرض من قبل غزاة كوكب جلوربال، لا نعرف العمر الذي وصلت إليه الشخصيات أو مدى تأثير الزمن فيها إلا فيما ندر(160)، وصرنا نتعامل مع هذا بشكل طبيعي، إلى أن جاءت سلسلة ما وراء الطبيعة ونسفت كل هذا!

ففي مقدمة السلسلة يتحدث إلينا بطلها رفعت إسماعيل -وهذا أمر آخر لم نكن معتادين عليه، دائماً في روايات نبيل فاروق يحكي لنا الراوي العليم الأحداث باستخدام ضمير الغائب، ولم نلتق من قبل بشخصية تحكي لنا الأحداث باستخدام ضمير المتكلم- ويخبرنا بأنه عجوز يقترب من السبعين، وخاض في حياته العديد من التجارب ذات الطبيعة الخارقة، التقى وحوشاً ومسوحاً، وسيحكي لنا مغامراته، وسيروي لنا هذه المرة قصة وقعت له عام 1958، وينتهي العدد الأول بتوقيع: رفعت إسماعيل - القاهرة 1992، فنعرف أنه يُحدّثنا في الحاضر.

نحن أمام مغامرات نعرف متى تُحكى لنا، ومتى وقعت الحكايات بالضبط.

فوجدنا كذلك بأن السلسلة فيها جسّ ساخر لا يمكن إنكاره! وحتى ذلك الوقت كنا نظن -مع قراءة أعمال نبيل فاروق- أن البطل لا يجب أن يسخر أو يمزح إلا بجدية، وفي ظروف معينة للئيل من أعدائه. لكن رفعت إسماعيل كان لا يكف عن السخرية من كل شيء، حتى

نفسه. فكثيرًا ما يصف نفسه بأنه نحيل كقلم رصاص، أصلع كبطن ضفدعة، يدخن كقاطرة. والتشبيهات السابقة ستكون من أهم الأشياء التي سيلاحظها القراء منذ الأعداد الأولى في السلسلة: التشبيهات الغريبة الصادمة. أحمد خالد توفيق كان يبذل جهدًا في ابتكار تشبيهات ساخرة ليست تقليدية أو كليشيهية، قراء السلسلة يحفظون جيدًا تلك التشبيهات: سعيد كخنزير بري في بركة وحل - سعيد كطفل نسيه أبواه في دكان حلوى - منتعش كمصيبة - بانس كأهل طروادة بعد اقتحام اليونانيين لها - يدخن كبرلين يوم دخلها الحلفاء، إلخ.

وكان القراء يتبارون في اختراع تشبيهات على نفس المنوال!

وكما أن كل عدد يحوي نبذة خلفية مبتكرة خاصة به، فكذلك المقدمة؛ ليست هناك مقدمة ثابتة للسلسلة كما هو الحال في ملف المستقبل ورجل المستقبل، بل في كل عدد هناك مقدمة خاصة به، يتحدث فيها رفعت إسماعيل إلينا ويخبرنا بما ينوي أن يحكيه لنا هذه المرة، وأحيانًا يعدنا بحكايات قادمة، فمن خلال مقدمات الأعداد الأولى عرفنا أن رفعت إسماعيل سيلتقي بعدوه اللدود دكتور لوسيفر ذات يوم، وأنه سيخوض مغامرات مع فرانكنشتاين ومع المزييرة - وهي شكل من أشكال عروس البحر - ومع رجل الثلوج، إلخ. كانت هذه أشبه بوعود مستقبلية، بعضها نُفِّذ وبعضها الآخر لا. فالسلسلة انتهت دون أن نسمع حكاية المزييرة، وعندما جاء وقت حكاية رجل الثلوج في العدد 14، «أسطورة رجل الثلوج»، فوجئنا بأن من يخوض المغامرة هو «هن تشو كان» -الذي سنتحدث عنه لاحقًا- وليس رفعت إسماعيل، رغم أنه ذكر في مقدمة أحد الأعداد أن كل هذه القصص صارت ذكريات، وأنه لو فتح الباب الآن ووجد رجل الثلوج، فسيأخذه بالأحضان ويُدخله البيت ويدعوه لكوب شاي، في إشارة فهم القراء منها أن رفعت إسماعيل نفسه من قابل رجل الثلوج، لذلك ضايقهم أن يتضح لاحقًا أنه فقط سمع مغامرة عن رجل الثلوج، دون أن يلتقيه فعليًا.



شخصية رفعت إسماعيل نفسها صدمتنا في البداية، فهو ليس وسيماً ولا قوياً ولا مثاليّاً، بل شخصية عادية ميزتها الأكبر أنه يجد نفسه بشكل دائم في المكان الخطأ في الوقت الخطأ، الكوارث والأحداث الغامضة تحبه وتتبعه، لكن ما دون ذلك فهو مثلك ومثلي -وربما هذا أكبر ما ربط بيننا وبينه- حتى اسمه عادي وليس موسيقيّاً، ليس كريم شوقي أو أشرف حلمي، بل هو فقط رفعت إسماعيل.

اختيار بطل تقليدي ليكون الشخصية الرئيسية في سلسلة، هذا في حد ذاته لم يكن أمراً تقليديّاً! وكل شيء آخر في السلسلة كان غير تقليدي، حتى عندما اضطررنا إلى استكمال «أسطورة الكاهن الأخير»، العدد 11، في جزء ثانٍ، لم يحدث هذا في العدد التالي كما هو معتاد، بل تأخر ذلك حتى العدد 16، «أسطورة النافاراي»! لأول مرة نرى جزءاً ثانياً يقع بعد جزئه الأول بعدة أعداد! وفي الحقيقة هذا الأمر أثار سخط كثير من القراء، الذين لم يستطيعوا مواكبة أمر كهذا، وكانوا يحتاجون إلى قراءة تتمة المغامرة في العدد التالي لها مباشرة!

كان واضحاً للقراء أن المؤلف شخصية ملولة، ويخشى أن يكون القراء ملولين مثله، وهكذا أخذ يحاول التجديد في أعداد السلسلة طوال الوقت -خصوصاً في الأعداد الثلاثين الأولى- إلى درجة أنه خشي بعد عشرين عدداً أن يكون القراء قد ملوا من رفعت إسماعيل نفسه، فبدأ من العدد 21 وحتى 29 في نشر قصص لا علاقة لها برفعت إسماعيل، بل هي رسائل وصلت إليه يخبره أصحابها من خلالها بقصص خارقة للطبيعة وقعت لهم، وهكذا قرأنا واحدة من أفضل قصص السلسلة: ثلاثية إيجور (161)، التي يحكي لنا فيها إيجور الناجي من أهوال الحرب العالمية الثانية، كيف اكتشف لديه القدرة على قراءة الأفكار، وكيف ساعدته هذه المقدرة في حياته، واكتشاف أجهزة المخابرات لأمره ومحاولتهم تجنيده. وكذلك ثنائية الجاثوم (162)، التي اعتبرها شخصياً أكثر ما قرأته في السلسلة





إرعابًا، قبل أن تعود السلسلة إلى رفعت إسماعيل من جديد مع العدد 30، «أسطورة بعد منتصف الليل».

لكن بعد الثلاثين عددًا الأولى استقرت السلسلة إلى حدّ كبير، ولم تعد هناك محاولات حثيثة للتغيير كي لا يمل القراء وينصرفوا عنها.

ربما التغيير الوحيد وقع بدءًا من العدد 65، «أسطورة العلامات الدامية»، إذ أصبح عدد صفحات العدد الواحد يقترب من ثلاثمائة صفحة، بعد أن كان في حدود 120 - 150 صفحة، وبدلًا من خمسة أو ستة أعداد سنوية، لم يعد يصدر سوى عددين اثنين فقط، وفي السنين الأخيرة من السلسلة كان يصدر سنويًا عدد واحد فقط في معرض الكتاب.

وهكذا فإن أول 64 عددًا من السلسلة صدرت على مدار اثني عشر عامًا، بينما آخر 17 عددًا صدرت خلال تسع سنوات!



أسطورة السلسلة المختلفة

في العدد الأول لم يكن قد تم الاستقرار على عدد الصفحات المناسب بعد، لذلك فقد حمل العدد قصتين: أسطورة مصاص الدماء، وأسطورة الرجل الذئب، أشهر أسطورتين في عالم الرعب. وكان هذا أشبه بالمانفيسـتو الذي فهمه القراء، واستعدوا لقراءة أسطورة مُشوِّقة كل عدد. وفي العدد 2، «أسطورة النداهة»، أدرك القراء أننا لن نقتصر على الأساطير الغربية فقط، بل أساطيرنا نحن أولى بها.

في تلك المرحلة من السلسلة لعب رفعت إسماعيل دورًا أشبه بهادم الأساطير، على حد وصف أحمد خالد توفيق نفسه في ردوده على القراء في باب «رفعت إسماعيل مع القراء». في كل عدد كنا نواجه ظاهرة خارقة للطبيعة، تتمثل غالبًا في وحش مربع، ثم نكتشف مع نهاية العدد أن كل هذا لم يكن سوى خدعة. ربما الأساطير الحقيقية فقط في تلك المرحلة كانت تتعلق بوحوش أو كيانات قديمة، مثلما رأينا في العدد 3، «أسطورة وحش البحيرة»، أو في العدد 7، «أسطورة حارس الكهف»، أو حتى في العدد 9، «أسطورة لعنة الفرعون». ففي الأعداد الثلاثة هناك مخلوقات قديمة وليست خارقة للطبيعة- لا نعرف عنها شيئًا، وتقوم بمهمة محددة.

لكن ما لم ينتبه له القراء أن السلسلة معنيّة بالدرجة الأولى بالظواهر الخارقة للطبيعة، لا بالظواهر المخيفة فقط، لذلك كانت صدمتهم بالغة مع العدد 8، «أسطورة أرض أخرى»، الذي يحكي عن سالم الذي ينتقل بطريقة معينة عبر الأبعاد المختلفة، ويلتقي في بُعد آخر بصورته الأنثوية سلمى، ويتزوجان، ثم يخوضان في كل عدد مغامرة في أرض جديدة ظروفها مختلفة عن أرضنا. يحكي أحمد خالد توفيق في العدد الخاص «30»، أنه كتب هذا العدد كبداية لسلسلة جديدة تدور حول العوالم المتوازية، لكن حمدي مصطفى نصحه بأن يترىث قليلًا إلى أن تُثبِت سلسلة ما وراء الطبيعة نفسها، فاضطر

إلى نشره كعدد من أعداد السلسلة. الغريب في هذه الحكاية أن حمدي مصطفى فعل مع أحمد خالد توفيق عكس ما كان يفعله مع نبيل فاروق قبل هذا بسنوات، ففي حين كان يحاول إقناع الأخير بتحويل بعض أفكار قصصه إلى سلاسل منفصلة -كما حدث مع فارس الأندلس- حاول أن يثني أحمد خالد توفيق عن فعل ذلك، وهو ما يدل على أنه استفاد مما حدث مع نبيل فاروق.

في العدد 33، «أسطورة أرض المغول»، يذهب سالم وسلمى إلى أرض لم يولد فيها السلطان المملوكي قطز، ولم يهزم المغول، وبالتالي ساد المغول العالم، وأصبحوا يسيطرون على الأرض كلها. وفي العدد 58، «أسطورة أرض العظايا»، يزوران أرضاً انقرض فيها العرب، ومن بقي منهم أصبح أشبه بالحيوانات النادرة، وفي العدد 68، «أسطورة أرض الظلام»، ينتقلان إلى أرض غارقة في الظلام.

اعتاد القراء مغامرات سالم وسلمى فيما بعد، لكن المغامرة الأولى لم يستسيغوها بسبب غياب جرعة الرعب المعتادة فيها. في تلك المغامرة يزور سالم وسلمى أرضاً لم يكتشف أهلها حجر رشيد، وبالتالي لم تُفك عندهم أسرار الحضارة المصرية القديمة، ولم يعرف البشر شيئاً عن إنجازاتها. انتقد القراء هذا العدد بقسوة وبشكل مبالغ فيه، إلى درجة أن أحمد خالد توفيق سقّاهم مازحاً: «نادي أعداء أسطورة أرض أخرى».

لم يكن القراء مرنين مع السلسلة، فمن جهة أحبوا أعدادها بشكل جعلها السلسلة الأنجح بجوار سلسلتي «رجل المستحيل» و«ملف المستقبل»، لكن على الجانب الآخر كانوا يريدونها أن تسير في شكل معين، لذلك جاءت ردة فعلهم عنيفة تجاه «أسطورة أرض أخرى»، ونفس الشيء تكرر مع العدد 18، «أسطورة الغرباء». هذا العدد مكتوب بشكل رائع، وصل فيه أحمد خالد توفيق إلى ذروة التجريب الذي كان يقدمه من عدد إلى آخر، فهذه المرة تُحكى القصة لنا بالكامل من خلال مقتطفات من مذكرات أو قصصات من صحف

أو رسائل متبادلة، وعندما نقرأ كل هذا تتكون خطوط القصة في أذهاننا. القصة تدور حول الكائنات الفضائية، لكن لأن أحمد خالد توفيق لا يؤمن بوجود كائنات فضائية -وصرّح بذلك أكثر من مرة- ورغم أنه لاحقاً سيُظهر في أعماله فضائيين، مثلما حدث في العدد 47، «أسطورة المنزل رقم 5»، فإنه في «أسطورة الغرباء» قرر أن يداعب القراء، فجعل الأمر ينتهي بأن كل هذا لم يكن سوى حلم طويل حلمه رفعت إسماعيل!

لم يتقبل القراء المزحة، وجاءت ردة فعلهم عنيفة، إلى درجة أنه أطلق عليهم «نادي كارهي أسطورة الغرباء»! وكلما كانت تصله رسالة يخبره صاحبها بأنه لم يحب «أسطورة الغرباء» يقول له: «أهلاً بك في نادي كارهي أسطورة الغرباء»، أو يخبره صاحب الرسالة بأنه لم ترق له «أسطورة أرض أخرى»، يقول له: «أهلاً بك في نادي كارهي أسطورة أرض أخرى».

كان سالم وسلمى إحدى محاولات أحمد خالد توفيق للتنوع في الأعداد الأولى، كي لا يشعر القراء بالملل، إذ حاول خلق شخصية أخرى موازية لشخصية رفعت إسماعيل، تخوض مغامراتها المنفردة داخل السلسلة، وهو ما سيكرره في العدد 11، «أسطورة الكاهن الأخير»، والذي يدور حول كاهن تبتى ينتمي إلى طائفة خيالية اسمها النافاراي، مُدرَّب على أعلى مستوى ويجيد القتال ويمكنه التحكم في ذهنه وجسده. اسمه هن تشو كان، ولقبه الزهرة الزرقاء، وكان يعيش منذ بضع مئات من السنين، وبتقنية تبتية خارقة يسافر عبر الزمن ليحمي كتاب النافاراي المقدس، ويأتي إلى عصرنا ويقع في طريق صديقنا المنحوس رفعت إسماعيل. ومثله مثل سالم وسلمى، لم نقرأ له في السلسلة سوى ثلاث مغامرات فقط (163). خلق أحمد خالد توفيق فلسفة كاملة لطائفة النافاراي، فليدهم كتاب مقدس يحوي تعاليمهم وأسرارهم، اسمه كتاب الشوكارا، وهم يقاتلون من خلال فن الرانجانا، وهو فن التفادي، ويعتمد على أن يتفادي كاهن النافاراي هجمات خصمه إلى أن يصيبه الإعياء ويتركه،

لكن إذا اضطر إلى القتال دفاعًا عن نفسه فعندها يستخدم فن الساريانا، وجميع القراء يحفظون العبارات التي يقولها هن تشو كان قبل بدء الهجوم: تشا ساريانا، ثم: جوانغ ساريانا، وأخيرًا: كيوه ساريانا، أي: سابدأ بالساريانا، احذر الساريانا، إليك الساريانا. يعتمد القتال بالساريانا على توجيه ضربات سريعة إلى نقاط معينة في جسم الخصم، نقاط النارفا تؤدي إلى بلبلة الخصم وإثارة ارتبائه، أما نقاط الكارفا فتؤدي إلى فقدانه للوعي، ونقاط الشورا تؤدي إلى الشلل، بينما نقاط الكورا تؤدي إلى الموت. كل هذه التفاصيل من ابتكار أحمد خالد توفيق، فلا توجد في التبت طائفة اسمها النافاراي، ولا لديهم رانجا أو ساريانا.

كانت هناك محاولة لخلق شخصية ثالثة، في العدد 55، «أسطورة ### 099»، الذي يدور حول كائن فضائي يأتي إلى الأرض ويعيش فيها ويتفاعل مع الاختلافات الفكرية والثقافية التي يجدها لدى البشر، والحقيقة أن المغامرة كانت ممتعة بحق، لكن الشخصية لم تظهر مرة أخرى في السلسلة.

ومن ضمن محاولات التغيير تلك، وأكثرها شهرةً ونجاحًا لدى القراء، العدد الخاص الذي كان أحمد خالد توفيق يقدمه كل عشرة أعداد، ويحمل عنوان حلقة الرعب. عدد دسم صفحاته تزيد على صفحات الأعداد العادية، وفيه نقرأ مجموعة من القصص المرعبة القصيرة، وفي السلسلة سبع حلقات رعب.

في حلقة الرعب الأولى، التي حملت نفس العنوان «حلقة الرعب» -العدد رقم 10- يجتمع رفعت إسماعيل مع بعض الأصدقاء، وكل واحد منهم يحكي قصة مرعبة مرت به، بنفس أسلوب قصص الديكاميرون التي كتبها الكاتب الإيطالي بيكاتشيو منذ قرون. في حلقة الرعب الثانية، التي حملت عنوان «حكايات التاروت»، يلتقي رفعت إسماعيل لأول مرة مع عدوه اللدود دكتور لوسيفر، الذي سيظل يظهر في السلسلة من آنٍ لآخر، ويُذكرنا بسونيا جراهام في سلسلة رجل



المستحيل. ولوسيفر يظهر باعتباره متنبأ وقارئ أوراق تاروت فجري الجنسية، لكن يبدو واضحًا لنا أنه أكبر من ذلك، ويحمل الكثير من الأسرار. لديه صوت مميز وطريقة مميزة في الكلام، وقراء السلسلة يذكرون عباراته، مثل: بك أسعد ولك قلبي يطرب.

في «حكايات التاروت» تجتمع مجموعة من الأشخاص، منهم رفعت إسماعيل، والساحر اليهودي النصاب سام كولبي -وهو شخصية أخرى من شخصيات السلسلة الشهيرة- ويقرأ لهم لوسيفر أوراق التاروت، ويحكي كلُّ منهم حكاية مرعبة خاضها، ويتنبأ لهم لوسيفر بمصير مظلّم.

أما في الحلقة الثالثة، «أسطورة بعد منتصف الليل»، فنسمع الحكايات المرعبة من خلال برنامج إذاعي يشارك فيه رفعت إسماعيل، ويتصل المستمعون ليحكوا القصة المفزعة التي مروا بها. الحلقة الرابعة تتخذ تيمة الحكايات المرعبة التي تقع خلف الباب المغلق، والعدد يحمل نفس الاسم، «وراء الباب المغلق»، أما الحلقة الخامسة، «في جانب النجوم»، فننتقل فيها لأول مرة مع رفعت إسماعيل إلى جانب النجوم. وجانب النجوم هو مكان أشير إليه في السلسلة أكثر من مرة، فبعد الأعداد الأولى التي يلعب فيها رفعت دور هادم الأساطير، وتقول لنا ببساطة إن كل القصة الخارقة للطبيعة ليست حقيقية إلا فيما ندر، تبدأ السلسلة في مرحلة جديدة يخوض خلالها رفعت مواجهات حقيقية مع سحرة وأشباح وشياطين ومصاصي دماء ومخلوقات من عوالم أخرى، ويفسر ذلك بأن كل تلك المخلوقات المفزعة تعيش في بُعد آخر يُسمى جانب النجوم، وبعضهم يتسلل إلى الأرض من آنٍ لآخر من خلال فجوات بين العالمين تقع في أماكن معينة، وبسبب هذا نشأت كل الأساطير التي نعرفها.

وفي العدد 50 ينتقل رفعت بالمصادفة -ويتضح لاحقًا أنها لم تكن مصادفة- إلى جانب النجوم، الذي تحكمه وحوش شنيعة أشبه بإقطاعيي العصور الوسطى، مثل: «روكيان الأماسي.. آكل قلوب





الأطفال النابضة.. الوطواط الأزرق»، و«سجفريد الأميدي.. حارق الأراضي ومجفف الأنهار»، و«يولييان المغتصب.. هادم القصور وذابح الأسرى والأطفال»، و«نيفار الأشوري.. الذي تتشائم من اسمه أشباح الليل، وتنفث القبور»، وهكذا.

يجتمع هؤلاء السادة الأفاضل ليحاكموا مجموعة من البشر الذين عبروا إلى جانب النجوم بطريقة أو بأخرى، ومن ضمنهم رفعت إسماعيل، ويكون على كل واحد أن يحكي أسوأ شيء فعله، ولن يتم العفو سوى عن أكثرهم إثماً، فيتبارى هؤلاء البشر في حكي قصص شنيعة فعلوها، وللغرابة يظهر لوسيفر بين سادة جانب النجوم، الذين يرحبون به ويتعاملون معه بتبجيل، الأمر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه من أنه ليس شخصاً عادياً، بل إن بعض القراء كانوا يشكون أنه الشيطان ذاته.

وعندما يأتي الدور على رفعت ليحكي قصته، يخبرنا بأن أسوأ ما فعله أنه كان يأكل من مرطبان المربي دون علم زوجة خاله وهو صغير، فيقاطعه لوسيفر مستاءً، ويحكم بالقضاء على كل البشر الآخرين وترك رفعت، لأنه لا يوجد -في رأيه- أكثر شراً ممن يعتقد أنه لم يرتكب خطايا أكبر من سرقة الحلوى!

وفي حلقة الرعب السادسة، «المتحف الأسود»، يزور رفعت متحفاً يحوي أغراضاً خارقة للطبيعة، وكل غرض منها له قصة مرعبة، أما في الحلقة السابعة والأخيرة، «الحلقات المنسية»، فنعود إلى برنامج «بعد منتصف الليل» لنستمع إلى المزيد من القصص المرعبة التي يحكيها المتصلون.



أسطورة الرجل الذي عرفناه

لم نكن نعرف من هو أحمد خالد توفيق، لم تكن لدينا أي معلومات عنه لما يقرب من عشر سنوات، فحتى عندما بدأ يرد على رسائل القراء، جعل رفعت إسماعيل بنفسه من يرد عليهم في استمرار لعملية التخيل، من خلال باب «رفعت إسماعيل مع القراء»، والذي كنا نجده في الصفحات الأخيرة من بعض الأعداد، بدايةً من العدد 10، «حلقة الرعب». وعندما يضطر إلى التطرق إلى نفسه على لسان رفعت كان يشير إليها باعتباره «المؤلف»، يقول رفعت إسماعيل للقراء إنه لا يعرف ما سيفعله المؤلف، أو إن المؤلف هو من جعله يفعل كذا، وهكذا.

ونظرًا إلى أن الصحفيين لم يهتموا بكتاب روايات مصرية للجيب وتجاهلواهم طوال فترة التسعينيات -رغم أنها الفترة الذهبية لروايات الجيب- وكانهم غير موجودين، فلم نقرأ أي حوارات مع أحمد خالد توفيق نستشف منها شخصيته أو طبيعته، وربما المرة الأولى التي أعرف فيها شيئًا عنه كانت في عام 2002، عندما دعاه أعضاء منتدى روايات التفاعلي إلى لقاء إلكتروني عبر غرفة دردشة، وهناك أدلى ببعض المعلومات عن نفسه، منها أنه في الأربعين من عمره، وبدأ كتابة ما وراء الطبيعة وعمره ثلاثون عامًا.

ومع الوقت بدأت المعلومات تتزايد، خصوصًا أن أحمد خالد توفيق شخصية ودودة، لا تجد حرجًا في التواصل مع القراء. كثيرون أرسلوا إليه على بريده الخاص فردّ عليهم بأريحية ولطف، بل لم يكن يرفض لقاء القراء إذا سمحت ظروف سفره إلى القاهرة، أو إذا جاؤوه في طنطا حيث يقيم.

عرفنا أنه أستاذ طب يُدرّس في جامعة طب طنطا، وليست لديه عيادة، وقته يقضيه بين الكتابة والتدريس. كان قد أرسل إلى

المؤسسة العربية الحديثة أول قصة من ما وراء الطبيعة -أسطورة مصاص الدماء- وهنا توجد روايتان لما حدث: رواية يحكيها نبيل فاروق عن أن لجنة القراءة في المؤسسة رفضتها بعد أن رأوا أنها ليست مناسبة للنشر، لكن نبيل فاروق تدخّل وقراها، ثم أقنع حمدي مصطفى بأهمية نشرها(164)، ورواية أخرى يحكيها باختصار أحمد خالد توفيق نفسه، في عدد خاص بعنوان «30»، كتبه بمناسبة مرور ثلاثين عامًا على مشروع روايات مصرية للجيب، وفيه يقول إنه التقى بأحمد المقدم مدير التوزيع في المؤسسة، وهو الذي اكتشفه واقتنع به، وأخذه إلى حمدي مصطفى(165). وقد يمكننا الجمع بين الروايتين، بأن أحمد خالد توفيق قابل بالفعل حمدي مصطفى عن طريق أحمد المقدم، ثم قام نبيل فاروق لاحقًا بإقناع حمدي مصطفى بالنشر له.

المهم أن سلسلة ما وراء الطبيعة وُلدت في النهاية.

ومع الأيام بدا لنا أن أحمد خالد توفيق شخصية حساسة، ما زلت أذكر أول ظهور له في منتدى روايات، كان أحد الأصدقاء قد كتب مشاركة عن مدى التشابه بين أسطورة الجاثوم وإحدى قصص لافكرافت، وعندها فوجئنا بمشاركة من عضو لا نعرفه يقول إنه أحمد خالد، وردّ بحدة على ما اعتبره اتهامًا له بالسرقة. كان ذلك حدثًا تاريخيًا بالنسبة إلى أعضاء منتدى روايات -حدث هذا أواخر عام 2002 - فهذه هي المرة الأولى التي يشارك فيها أحمد خالد توفيق بشكل مباشر في المنتدى، واتضح لنا بعدها أنه يتابع الآراء التي تُكتب عن أعماله أولًا بأول، وصار يشارك في المنتدى من آنٍ لآخر، سواء من خلال كتابة تعليقات أو المشاركة في اللقاء الجماعي لأعضاء المنتدى في معرض الكتاب. وذات مرة اقترح على الأعضاء فكرة كتابة رواية جماعية، يبدأ هو بكتابة الفصل الأول منها، ثم يأتي مَنْ يكمل على ما كتبه بكتابة فصلٍ ثانٍ، ثم يأتي مَنْ يكتب فصلًا ثالثًا، إلخ. وهكذا وُلدت رواية «قصة تكملها أنت»، التي ظلت تُنشر لفترة ضمن أعمال



أحمد خالد توفيق. والحقيقة أن قيمة الرواية الأهم في فكرتها، وفي مشاركة أحمد خالد توفيق فيها، وإتاحته الفرصة للشباب ليشاركوا في عمل كهذا، لكن الرواية نفسها ضعيفة بسبب اختلاف أساليب المشاركين، الذين كان بعضهم لا يمارسون الكتابة من الأساس، فقط تحمسوا للمشاركة حبًا في أحمد خالد توفيق.

متابعة أحمد خالد توفيق لما يكتبه الأعضاء عن رواياته في منتدى روايات-في رأيي- لم تكن في صالحه ولا في صالح سلسلة ما وراء الطبيعة، لأنه بدأ يتأثر بالآراء التي يقرأها. قراء ما وراء الطبيعة عشقوا السلسلة، وبعضهم كانوا يقرأونها بعين مدققة، ويتبارون في اكتشاف أي أخطاء أو ثغرات فيها، من ذلك مثلًا ما ذكرته إحدى العضوات من أن رفعت إسماعيل وقع له حادث وتحطمت سيارته تمامًا في أحد الأعداد، ثم بعدها بعدد أو عددين وجدناه يقود سيارته وكأن شيئًا لم يكن. أو ما انتبه له قارئ آخر من أن هيلجا في سلسلة سفاري كانت تكره رائحة السجائر في أحد الأعداد، ثم ظهرت بعدها في أعداد أخرى وهي تدخن بشراهة. أتوقع أن مثل هذه الأشياء كانت تضايق أحمد خالد توفيق وإن لم يُظهر ذلك. وعلى الجانب الآخر كان بعض الأعضاء -عن عمد أو عن حسن نية- يستفزونه ليرد عليهم، من خلال توجيه انتقادات حادة والربط بين بعض الأعداد وبين أفلام شاهدوها أو روايات قرؤوها، منتظرين منه أن يدخل ليرد عليهم، كما فعل من قبل.

لكن الانتقاد الأشهر كان تأكيد كثير من القراء أن السلسلة لم تعد كما كانت من قبل. كنا قد وصلنا إلى أعداد الستينيات، وفي الغالب كثير من القراء كبروا وتغيرت نظرتهم لما يقرأونه، وكلما قرؤوا عددًا جديدًا من ما وراء الطبيعة يقولون إن العدد ليس في جودة الأعداد الأولى. وفي الحقيقة كنت أنا من ضمن هؤلاء القراء، وإن لم أصرح بذلك.

كل هذا أدى إلى انفجار أحمد خالد توفيق ذات يوم، وأخذ يتساءل:





هل لم يعد القراء يحبون السلسلة؟ هل أتوقف عن كتابتها؟
كان وقتها يكتب «أسطورة العلامات الدامية»، العدد 65، وبعد
أن كتب جزءًا كبيرًا منه على الكمبيوتر، في لحظة انفعال حذفه
تمامًا بحيث لا يمكن استرجاعه، وكان ينوي وقتها التوقف عن كتابة
السلسلة.

بعد هذا أعاد كتابة العدد، وبدأه -لأول مرة في تاريخ السلسلة-
بمقدمة مختلفة عن المقدمات التي يتحدث فيها رفعت إسماعيل
 للقراء، لأول مرة يتحدث أحمد خالد توفيق بنفسه، قبل أن يمنح
الميكروفون لرفعت إسماعيل:

«يعرف عدد من الأصدقاء أن هذا ليس كتيب «العلامات الدامية»
في صورته الأولى. لقد حُذف وأعيدت كتابته بالكامل، ولهذا قصة
يطول شرحها.. لا أعرف إن كان هذا هو القرار الأصوب.. ربما كان
الكتيب أفضل حالًا في صورته السابقة، لكن أوان اتخاذ قرارات كهذه
قد تأخر للغاية.. وهي تجربة ربما تستمر وربما تتوقف، لكنني شعرت
بالحاجة إلى دماء جديدة تُحقن في السلسلة.. وهذه الدماء ليست
سوى زيادة سرطانية في عدد الصفحات وربما الأفكار، مع تقليل عدد
الإصدارات السنوية. قال أجدادنا إن العدد في الليمون، وأنا لم أتباه
يومًا بأنني مُزارع ليمون نشط!».

كان هذا هو الحل الذي توصل إليه، كحل وسط بين رغبته في
إيقاف السلسلة ردًا على الانتقادات المُوجَّهة إليه، وبين رغبته في
عدم الكسر بخاطر العديد من القراء الذين توسلوا إليه ألا يفعل،
فكان الحل أن يقلل من مرات ظهور رفعت إسماعيل لأقل قدر ممكن،
سيظهر مرة أو مرتين في السنة، بدلًا من خمس أو ست مرات، لكن
في أعداد دسمة نوعًا، يقترب الواحد منها من 300 صفحة، وهو
ما حدث فعلاً خلال «أسطورة العلامات الدامية»، والعدد الذي يليه
«أسطورة الرجال الذين لم يعودوا كذلك»، العدد 66، لكن بعدها أصبح
حجم الأعداد في حدود 220 - 240 صفحة، وأحيانًا أقل.





وفكرة إنهاء السلسلة كانت تراود أحمد خالد توفيق منذ فترة طويلة، فالشخص الذي بدأ سلسلته وهو قلق من أن يمل القراء، وفي سبيل ذلك حاول أن يقدم تنوعًا كبيرًا في الأساليب والمضامين والشخصيات، هو نفس الشخص الذي فكر في أنه لا بد أن يأتي يوم وتتوقف فيه السلسلة. رفعت إسماعيل بدأ أولى قصصه وهو يقترب من السبعين، وتبعًا للتتابع الزمني الذي اختارت السلسلة أن يكون واضحًا في قصصها، فلا بد أن يأتي عليه يوم ويموت!

في البداية فكر أن العدد 50 سيكون مناسبًا لذلك، لكن العدد 50 جاء سريعًا خلال عشر سنوات، بينما السلسلة في قمة عنفوانها، وما زال هناك الكثير لحكيه، وبعدها شعر بالضيق من كثرة الانتقادات المُوجَّهة إلى السلسلة، بدأ يفكر في أن العدد 80 سيكون مناسبًا لهذا الأمر.



أسطورة شيخ الأساطير



بذل أحمد خالد توفيق كامل جهده في جعل شخصية رفعت إسماعيل تبدو حيةً لنا، وقد نجح في ذلك، لأنه وضع فيها جزءًا كبيرًا من روحه. نحن عشنا في أعماق رفعت وسمعناه يفكر ويمزح ويكتب، عرفنا مخاوفه وما يحبه ويكرهه. القراء عرفوا رفعت إسماعيل إلى درجة أن كثيرين منهم انطبَعوا فيما بعد بشخصيته، فصاروا يتكلمون مثله أو يكتبون -إذا كتبوا- مثله!

من الأسباب المهمة كذلك التي جعلت شخصية رفعت إسماعيل حية في أذهاننا، العالم الذي يعيش فيه، والمُكوّن من العديد من الشخصيات. في العدد الثاني، «أسطورة النداهة»، تعرّفنا على أسرة رفعت الريفية؛ والدته وأخيه وأخته وزوجة أخيه، وفي العدد الثالث، «أسطورة وحش البحيرة»، نتعرف على ماجي مايكلوب، الفتاة الوحيدة التي أحبها، وربما الفتاة الوحيدة التي أحبته، هي ابنة البروفيسور جيمس مايكلوب، الذي أشرف على رسالة الدكتوراه الخاصة به عندما كان يدرس في جامعة داندي في اسكتلندا، وإذا تعلق الأمر بماجي ينسى رفعت طبيعته الساخرة المتشائمة ويتحول إلى إنسان رقيق رومانسي، يصفها دائمًا بأنها رقيقة إلى درجة أنها إذا مشت على العشب لا ينثني. ولسبب ما فإن رفعت وماجي لا يتزوجان، وهو تقريبًا نفس السبب الذي جعل أدهم صبري ومنى توفيق لا يتزوجان: أن تتحول العلاقة إلى أسطورة. إذا تزوجا فسيزول السحر، وهو الأمر الذي تُصارع به ماجي رفعت أكثر من مرة: إذا تزوجنا فسنرى عن قرب أخطاءنا وسنكره بعضنا. سيحاول رفعت أن يتزوج، وسيخطب هويدا شقيقة هيام زوجة عادل صديق عمره، لكن الخطبة ستُفسخ بعد فترة، ويظل رفعت يهيم حبًّا بماجي.

الحوار الأشهر بينهما عندما تسأله: «إلى الأبد؟»، فيسألها: «ماذا؟»، فتوضح له: «ستظل تحبني إلى الأبد؟»، فينطلق يقول بحماس:





«وحتى تحترق النجوم، وحتى تفنى العوالم، وحتى...»، ثم يقاطعه شيء قبل أن يكمل.

والحقيقة أن علاقة رفعت بماجي أضفت على السلسلة بُعدًا آخر، فالتغيّر الذي يطرا على شخصية رفعت إذا تعلق الأمر بماجي راق لكثير من القارنات، وحلمن بمثله، لدرجة أنني قابلتُ فتيات كن يتحدثن عن رفعت بشجن ويرونه فتى أحلامهن! وهو الأمر نفسه الذي يتكرر في علاقة أدهم بمعنى في سلسلة رجل المستحيل؛ كثير من القارنات تعلقن بالطريقة التي يرى بها أدهم منى، فهو -كما يظهر في السلسلة- لا يستطيع أن يرى سواها، مهما قابل من فائتات وصاحبات نفوذ يملن إليه ويتمنينه ويغازلنه، لا يتأثر، لا يضعف، لا يأتيه حتى مجرد هاجس الميل إليهن، فقط هناك منى ولا أحد سواها.. فإلى ماذا تطمح القارئة أكثر من هذا؟

وفي العدد الرابع، «أسطورة آكل البشر»، نتعرف على عزت جار رفعت، الفنان الشاب الذي يعيش منعزلًا ولا علاقة له بأحد سوى رفعت، في البداية يقع بينهما سوء تفاهم، ثم بعدها تربط بينهما صداقة وطيدة، ويظهر عزت في أكثر من مغامرة. وفي نفس العدد نتعرف على عادل توفيق صديق طفولة رفعت، والذي يعمل ضابط شرطة في مديرية أمن الإسكندرية.

هناك كذلك هاري شيلدون، مهندس الكمبيوتر الشاب المندفع، الذي تعرّفنا عليه في العدد الخامس، «أسطورة الموتى الأحياء»، ثم أخذ يظهر مع زوجته ليندا وابنه جيمي في أعداد لاحقة، كـ«أسطورة الدمية»، العدد 37.

وهناك الأم مارشا، ساحرة الفودو العجوز، التي ترى رفعت فائتًا وتهيم به حبًا، وتتدخل من آن لآخر لإنقاذه، أو لإيقاعه في العديد من المشاكل.

أما العدو الأهم، فهو بالطبع دكتور فرانتز لوسيفر، الذي تحدثنا عنه سابقًا، والذي تربطه برفعت علاقة تستمر حتى الأعداد الأخيرة، ولا





ندري ماذا يريد منه بالضبط. أحياناً يورطه مع أشخاص لا يجب التورط معهم، وأحياناً أخرى ينقذه من مواقف صعبة، ويفسر له ذلك بأن الحياة ستصير مملة من دونه!

وبالطبع لا ننسى هن تشو كان وسالم وسلمى، الشخصيات التي تخوض مغامرات منفردة بعيداً عن رفعت، وإن كانت من خلاله، إذ يرسلون إليه رسائل أو يحكون له ما حدث لهم، وهو يحكيه لنا.

كل هؤلاء شخصيات مرسومة بشكل جيد، وتظهر من آن لآخر في الأعداد وتشارك رفعت في مغامراته. في أول ثلاثين عدداً كنا نقابل شخصيات جديدة كل عدد أو كل عدة أعداد. بعد ذلك، وبدءاً من أعداد الأربعينيات والخمسينيات توقف هذا الأمر، ولم تعد السلسلة كسابق عهدها.

والحقيقة أن السلسلة في تلك الفترة أصبحت أكثر قتامة، ورفعت صار أكثر اكتئاباً، لا أدري هل لأنه كبر وغادر الشباب روحه، أم إنه انعكاس لما كان يمر به أحمد خالد توفيق نفسه في تلك الفترة؟ يذكر القراء -مثلاً- ثنائية رونيل السوداء (166)، إيانور الفتاة الصغيرة التي ترعاها ماجي، والتي ستتلبسها روح ساحرة شريرة من العصور الوسطى تُدعى رونيل السوداء، فتكبر في وقت قياسي وتسيطر على رفعت وتزوجها، وتنجب منه ابنه الوحيد سمير (167)، ثم تختفي به. هذان العددان من أكثر أعداد السلسلة إرعاباً، وفي نفس الوقت من أكثرها قتامة وسوداوية!



أسطورة فتاة الخيال



بعد عامين من نشر الأعداد الأولى من ما وراء الطبيعة، وجدْتُ عند بائع الجرائد كتيبًا صغيرًا وردي اللون بعنوان «قصة لا تنتهي»، العدد الأول من «فانتازيا»، سلسلة أحمد خالد توفيق الجديدة، وكنا وقتها معتادين على سلاسل نبيل فاروق الكثيرة، ونظن أنه على كل كاتب أن يُقدِّم عدة سلاسل وإلا عُدَّ مقصرًا!

لكن السلسلة الجديدة لم تبدُ لي جذابة كما وراء الطبيعة. نحن هنا أمام شخصية أخرى مخالفة للمألوف؛ عبير عبد الرحمن التي توصف طوال الوقت في أعداد السلسلة بأنها فتاة عادية جدًا، فقيرة في الجمال والذكاء والوضع الاجتماعي، لكنها تمتلك ميزة واحدة: أنها تقرأ بنهم كل شيء يقع تحت يديها، تهرب من خلال القراءة من واقعها الصعب، وتملك خيالًا خصبًا. يقع عليها اختيار شريف، مهندس الكمبيوتر العبقرى، ليحرب عليها جهاز صانع الأحلام الذي اخترعه، والذي بإمكانه أن يُدخِل مَنْ يرتديه في أي حلم يريد. وهكذا تخوض عبير في كل عدد مغامرةً في عالم خيالي جديد، مرة نراها مع طرزان(168)، ومرة مع جيمس بوند(169)، ومرة مع سوبر مان(170)، ومرة مع باتمان(171)، ومرة مع بطوط(172)، أو المغامرون الخمسة(173)، إلخ.

أحمد خالد توفيق في هذه السلسلة كان كالطفل الصغير الذي يحاول أن يلعب، يحاول أن يعيش أحيانًا بالتأكيد راودت خياله ذات يوم، ألم تسأل نفسك من قبل ماذا يحدث لو اجتمع شرلوك هولمز مع هيركيول بوارو مع مس ماربل والمفتش ميجريه، وغيرهم من المحققين الخياليين العظماء؟ أحمد خالد توفيق فعلها في العدد 20، «مَنْ فعلها؟»، ألم تسأل نفسك ماذا حدث للمغامرين الخمسة بعد أن كبروا؟ فعلها في العدد 19، «خمسة منهم».



سلسلة فانتازيا كانت أشبه بألعاب البلاي ستيشن التي تجد نفسك فيها تنتحل شخصية تتحرك أمامك على الشاشة وتعيش في حضارة قديمة وتواجه مغامرات مختلفة. عبير تضع الجهاز على رأسها ثم تجد نفسها قد انتقلت إلى عالم فانتازيا، وهناك يستقبلها شخص أسمته «المرشد»، وهو يشبه المدرس الذي درّسها اللغة العربية، ويمسك قلمًا يضغطه ويتكك به طوال الوقت، ويصحبها عبر قطار فانتازيا لتمر على أراضٍ عديدة تمثل قطعًا من خيال الإنسانية، ويسألها عن طبيعة المغامرة التي تود خوضها هذه المرة، فتختار أن تعيش في الغرب الأمريكي، أو في عالم أفلام حروب النجم، أو تلتقي بدراكولا، إلخ.

استوحى أحمد خالد توفيق شخصية عبير من فتاة بسيطة تعمل في محل نادي فيديو(174) قريب من بيته، كانت -حسب وصفه- تبدو فقيرة من ناحية المال والجمال والتعليم، لكنها تقرأ بنهم وبلا توقف. ومن الأشياء الطريفة التي ذكرها أنه بعد صدور سلسلة فانتازيا بعدة سنوات، فوجئ بالفتاة تمسك بعدد من أعداد السلسلة وتقرؤه بشغف، دون أن تدرك أنها تقرأ عن نفسها(175)!

الأعداد التي كنت أفضلها بشكل شخصي هي تلك التي تعيش فيها عبير داخل عوالم كاتب كبير، مثلما حدث في العدد 10، «الاسم: شكسبير»، حيث خاضت مغامرة مع جميع أبطال مسرحيات شكسبير، أو العدد 30، «عبقري»، الذي دخلت فيه عالم فيودور دوستويفسكي. والأمر في فانتازيا لا يقتصر فقط على الأعمال الأدبية، بل كثيرًا ما تخوض عبير مغامرة في عالم تاريخي، كما في العدد 27، «آخر أيام الرايخ»، عندما عاشت مع هتلر في أيامه الأخيرة، أو العدد 28، «1919»، حين وجدت نفسها في ثورة 1919، وأحيانًا أخرى تخوض مغامرة مع شخصية تاريخية، كما في العدد 54، «عبقري آخر»، حيث التقت بالمتنبي، أو العددين 45 و46، «نشئي» و«الحالم الأخير»، حين رافقت تشي جيفارا وعاشت قصته، وهناك أعداد أخرى تتعرف فيها

على علم كامل وتلتقي بأهم أعلامه، مثل العدد 44، «شيء من حتى»، الذي دخلت فيه عالم النحو العربي والتقت بسيبويه، والعدد 55، «الصيادون»، عندما اجتمعت بأهم الأطباء الذين اكتشفوا علاجًا لكثير من الأمراض.

لكن أطرف ما وقع في السلسلة كان لقاء عبير بأبطال نبيل فاروق، حدث هذا في العدد 31، «اسمه أدهم»، عندما عاشت في عالم سلسلة رجل المستحيل، والعدد قدّم نقدًا ساخرًا لكل ما رآه أحمد خالد توفيق من مبالغات في السلسلة أو في أسلوب نبيل فاروق نفسه، ثم في العدد 40، «أرشيف الغد»، التقت بنور وفريقه في سلسلة ملف المستقبل، وفي هذا العدد بدا أن أحمد خالد توفيق أعجبه أفكار السلسلة، وإن لم يتوقف عن نقد المبالغات التي وجدها فيها.

في بداية «اسمه أدهم» كتب الشكر التالي:

«شكر خالص للدكتور نبيل فاروق، الذي سمح لي باستعارة أدهم صبري من أجل هذا الكتيب، كما أنه رفض بشدة أن يطالع القصة قبل طباعتها كما اقترحت أنا، لأنه يمقت ممارسة دور الرقيب. أعرف أنه سيتحملني بصبره المعهود، لأنه لولا أهمية أدهم صبري ونجاحه ما وُلد هذا العمل، وليت العجوز رفعت إسماعيل يبلغ درجة الأهمية التي تتيح له استحقاق كتيب مماثل!».

وفي «أرشيف الغد» يقول على لسان المرشد عن نبيل فاروق:

«مائة وخمسون عنوانًا من قصص الخيال العلمي.. دعك من عشرات القصص المتناثرة في سلسلة كوكتيل وسواها.. على مدى عشرين عامًا ظلت هذه القصص تحفر مكانها في عقول قارئ العربية في كل صوب، وصارت مصطلحات مثل الهولوجرام والأشعة الارتجاجية والاستنساخ الانتقائي مألوفة لكل شاب، بينما -على الأرجح- يجهل أبواه ومعلموه كل شيء عنها.. إنها قصص بالغة الأهمية، ومن جديد أكرر: لم يؤثر دوستوفسكي ذاته في كل هذا العدد من



العقول.. لقد قدّم نبيل فاروق للشباب ما يقرؤونه بعدما كان الحل الوحيد أمامهم هو قراءة «مغامرات شرشر» أو أدب المنفلوطي الصعب أو الانتحار وثبًا من الشرفة».

كان صدور هذين العددين حدثًا ضخمًا، أذكر أنني انتظرتهما -وغيري من القراء- بفارغ الصبر! تخيّل أن تقرأ نبيل فاروق الجاد بأسلوب أحمد خالد توفيق الساخر!

وعندما سُئل نبيل فاروق فيما بعد عن رأيه في العددين في باب «عزيزي القارئ» في كوكتيل 2000، أجاب ببساطة بأنه من الواضح أن أحمد خالد توفيق لم يقرأ السلسلتين جيدًا!

والواقع أنه بالفعل لم يقرأ السلسلتين، بل اطّلع على بعض الأعداد، واعتمد بشكل كبير على ملخصات كتبها له بعض الأصدقاء في منتدى روايات التفاعلي.

أما في العدد 35، «ما أمام الطبيعة»، تلتقي عبير برفعت إسماعيل نفسه، حيث يكشف أحمد خالد توفيق الكثير من التقنيات التي يلجأ إليها في كتابة ما وراء الطبيعة، ولا ينسى السخرية من نفسه!

في سلسلة فانتازيا قدّم أحمد خالد توفيق دورًا مُحببًا إليه: دور تعليمي وثقيفي وجد أن من واجبه أن يقدمه للشباب الذين يقرؤون له، فمن خلال فانتازيا تعرّفنا على الكثير من العوالم الأدبية وعوالم البوب فيكشن العربية والعالمية، كان كثيرًا ما يقول إنه مرحلة وسط بين قراءة مجلات الأطفال وقراءة أعمال كبار الكُتّاب كنجيب محفوظ ودوستويفسكي، درجة سلّم أو مِنطّة تأخذك من هنا إلى هناك، وكان يكمل هذا الدور من خلال سلسلة روايات عالمية للجيب، والتي استلمها بعد توقف نبيل فاروق عنها لعدة سنوات، بدءًا من العدد 7، والذي اختار أن يترجم فيه رواية جول فيرن الشهيرة، «رحلة إلى مركز الأرض». من خلال روايات عالمية للجيب عرّفنا على عوالم ستيفن كينج ولافكرافت ومارك توين وعشرات غيرهم. كان يترجم الروايات باختصار وتصرف ويعيد صياغتها بأسلوبه الخاص، فكان الأمر أقرب لما قدمته



سلسلة «روائع الأدب العالمي للناشئين»، التي قرأناها من إصدارات مكتبة الأسرة.



لم تكن فانتازيا من سلاسل المفضلة، وكنت أقرأها على فترات متباعدة، فقط لأن أحمد خالد توفيق هو من يكتبها. السلسلة فيها مشكلتان كبيرتان أفسدتا استمتاعي بها بشكل كبير: الأولى أن أحمد خالد توفيق مضى شوطًا بعيدًا في موضوع «البطل الضد» هذه المرة، فقدّم شخصية عيبر، التي كانت عديمة الجاذبية على الإطلاق! شخصية رفعت إسماعيل مثال للبطل الضد؛ البطل الذي يخلو من صفات البطولة المعتادة، لكنه جذاب بطريقته الخاصة؛ أسلوبه الساخر ونظراته للحياة وطريقة تصرفاته، أما عيبر فشخصية باهتة، ولم نكن نراها تقريبًا، حيث يبدأ العدد بفصل أو فصلين قصيرين يتعرضان للحياة البائسة التي تعيشها، قبل أن تنتقل إلى فانتازيا لتهرب من واقعها، وفي فانتازيا تتقمص شخصية جديدة مختلفة عن شخصيتها، وعادةً ما تكون تلك الشخصية باهتة كذلك، تلعب دورًا ثانويًا في الأحداث، وبالتالي فنحن تقريبًا لم نر عيبر عن قرب ولم نتعرف عليها، ولم تُنح لنا الفرصة لنحبها أو نتعاطف معها. في الحقيقة أحمد خالد توفيق لم يهتم بشكل كبير بالتركيز عليها، كان فقط يستخدمها كذريعة للدخول إلى عالم فانتازيا وحكي القصة التي يود حكيها.

المشكلة الثانية أننا في أثناء المغامرة التي نخوضها في فانتازيا لم نكن نندمج مع الأحداث بشكلٍ كافٍ. فانتازيا -بعكس ما وراء الطبيعة التي يحكيها رفعت إسماعيل بضمير المتكلم- الراوي فيها هو الراوي العليم، أي إن أسلوب السرد بضمير الغائب: كانت عيبر تفعل كذا وكذا، وليس: كنتُ أفعل كذا وكذا. ومن خلال هذا الأسلوب كان أحمد خالد توفيق كثيرًا ما يلجأ إلى كسر الإطار، بمعنى أنه بين آنٍ وآخر يُذكر القارئ بأن كل هذا خيال وأننا نلعب لعبة! يحدث أمر غير منطقي أو لا يمكن تبريره، فيقول لنا ما معناه أن كل هذا مجرد حلم تراه عيبر، نحن في فانتازيا فلا أهمية لتلك التفاصيل. تقنية كسر الإطار يمكن تطبيقها في المسرح، أو في روايات ما بعد





الحدائفة، لكن بالتأكيد لا يمكن استخدامها في روايات البوب فيكشن، لأن تلك الروايات قائمة على أن يندمج القارئ مع أحداثها المُشوَّقة ويصدِّقها ويتفاعل معها.

الخلاصة أنني كقارئ لم أستطع أن أندمج في سلسلة فانتازيا بسبب هذا الأسلوب.

انتهت السلسلة عند العدد 64، «كونتيكي»، بوفاة أحمد خالد توفيق، وفي الغلاف الخلفي ظهرت العبارة المعتادة: «الكتيب القادم: هكذا تكلم عفيفي»، وأعتقد أنه أراد في هذا العمل أن يتكلم عن الكاتب الساخر الذي يحبه كثيرًا، محمد عفيفي، لكن العدد لم يصدر، وغالبًا لم يكن قد بدأ في كتابته.

وكان قبل ذلك بشهور قد استوحى روايته الأخيرة «شأبيب» من العدد 63، «وعد جوناثان»، وكأنه أراد أن يختم حياته بالسلسلة التي عاش من خلالها حلم طفولته.



أسطورة طيب الأدغال

عندما بدأت أعداد سلسلة سفاري في الصدور كنت في الصف الأول الثانوي، نضجتُ نوعًا ما، ولم تعد أي سلسلة تحوز رضي بسهولة. قبل هذا كانت سلاسل المفضلة بالترتيب هي: رجل المستحيل، ما وراء الطبيعة، ملف المستقبل. لكن منذ صدور سفاري أصبح الترتيب كالتالي: سفاري، رجل المستحيل، ما وراء الطبيعة، ملف المستقبل!

سفاري صارت منذ أعدادها الأولى هي المفضلة لدي!

كتبها أحمد خالد توفيق وهو على وشك الحصول على الدكتوراه في طب المناطق الحارة عام 1997، واستغل معرفته تلك في السلسلة الوليدة. ولا أدري هل استفاد فيها من ردود الأفعال التي وصلت إليه بسبب مبالغته في اللعب على شخصية البطل الضد من خلال عبير عبد الرحمن في فانتازيا، أم إنه خشي من تكرار نفسه، أو قرر تجربة شيء جديد؛ المهم أن علاء عبد العظيم بطل سفاري لم يكن بطلاً ضداً هذه المرة!

طيب شاب، وسيم وعلى شيء من الجاذبية، مندفع وعصبي وسهل الاستثارة، مُحب للتعلم والتطور، ويحاول أن يجد لنفسه موطئ قدم. يسافر ليعمل في أفريقيا في وحدة سفاري الطبية في الكامبيرون. البيئة الأفريقية التي اختارها أحمد خالد توفيق لتكون مسرح أحداث السلسلة كانت غنية للغاية، فالسلسلة تبدو للوهلة الأولى أنها مغامرات طبية، لكنها متنوعة المواضيع، فتارةً يواجه علاء شركات الأدوية التي تحاول التلاعب بتجارب الاختبار، وتارةً يواجه تجارب علمية محرمة يقوم بها علماء مخبولون، وتارةً يواجه فيروسات أو أمراضاً تطلقها جهات مخبرية، أو يواجه سحر القبائل الأفريقية وأساطيرها، أو مرتزقة أو إرهابيين، وفي أحيان أخرى تصبح السلسلة

أقرب ما تكون لمسلسل «هاوس» الطبي، حيث هناك مرض غامض أو أعراض غامضة لدى مريض -أو مجموعة مرضى- ويحاول علاء ومَن معه اكتشاف حقيقتها.

نحن نعيش في مكان أقرب لبرج بابل، مليء بشخصيات تنتمي إلى بلدان مختلفة، مع كل ما يحمله ذلك من اختلاف وتنوع ثقافيين، فهناك الأمريكي آرثر شيلبي، والإيطالي سباتزاني، والفرنسي موريس بارتلييه، والإنجليزي ديفيد جيديون، والأفريقي بودرجا، والعربي بسام، والكندية برنادت، والإسرائيلي إبراهيم ليفي، وهذا الأخير بالذات كان مجالاً خصباً لعدة مغامرات!

الحقيقة أن شخصية علاء عبد العظيم بالذات كانت الشخصية الوحيدة التي تكلم من خلالها أحمد خالد توفيق على راحته عن ميوله القومية وكرهه لإسرائيل. فعلاء يتصرف بعدائية مع ليفي، ويعلن أمام الجميع كراهيته له، ولا يترك فرصة إلا ويظهر تأفقه واشمئزازه منه، إلى درجة أنني كثيراً ما تساءلت: لماذا يتركونه يعمل في سفاري؟ من المفروض أنهم في الغرب حساسون جداً تجاه أي مظهر من مظاهر مُعاداة السامية منذ الحرب العالمية الثانية، ووجود شخصية مثل علاء قد يتسبب في مشاكل قانونية للوحدة. أما ليفي فمن جهته كان يتعامل بخبث مع علاء، ويحاول النيل منه، من ذلك مثلاً استغلاله له في نقل وباء تسي تسي إلى مصر(176)، وهو الأمر الذي اكتشفه علاء وقرر بسببه الانتقام من ليفي شر انتقام(177).

علاء تربطه علاقة معينة مع كل شخصية في سفاري، فهو يحترم علم شيلبي البروفيسور الأمريكي، الذي يُعتبر موسوعة متحركة، ويحاول التعلم منه، ويحب بارتلييه الفرنسي الطيب، وعاش فترة وحيداً في سفاري إلى أن جاء بسام التونسي، ليُكوِّنا ثنائياً أمام ليفي. أما علاقته الأهم -كما يعرف كل القراء- فهي مع برنادت، الطبيبة الكندية اللطيفة، التي وقع في حبها من أول نظرة. علاقة

علاء ببرنادت كانت من أهم عوامل الجذب في الأعداد الأولى، فهي ترتاح له وتعتبره صديقًا مقربًا، وهو موجود دائمًا من أجلها، لكنه لا يدري إن كانت تبادله المشاعر أم تضعه فقط في خانة الصداقة، وكأن علاء يكرر تجربة رفعت إسماعيل في سلسلة ما وراء الطبيعة، فكلاهما وقع في حب فتاة أجنبية شقراء.

ظلت علاقة علاء وبرنادت بين مدّ وجزر، إلى أن طلب الزواج بها في العدد 18، «عام الأفاعي»، في ظل ظروف خاصة مرًّا بها معًا، ثم وافقت على عرضه في العدد 19، «الجمجمة»، وأخيرًا تزوجا في العدد 20، «المرض الأسود». لكن علاقتهما بعدها لم تكن كاملة، كثيرًا ما رأيناها يتعاركان أو يختلفان، خصوصًا وأن علاء لم يكن مثاليًا، ففي العدد 33، «زولو»، تتعلق مشاعره بفتاة من جنوب أفريقيا عندما انتدب في وحدة سفاري هناك، ورحل تاركًا برنادت وحدها في الكامبيرون. وفي الحقيقة فإن السلسلة انخفضت جاذبيتها في نظري منذ تزوج علاء ببرنادت، فاختفى جزء لا بأس به من سحر المغامرات.

في سفاري يستمر أحمد خالد توفيق في الدور الثقيفي الذي يلعبه في فانتازيا وروايات عالمية للجيب، لكنه هذه المرة يقدمه من خلال عرض معلومات جغرافية وتاريخية عن الأماكن التي تدور فيها الأحداث؛ تاريخ البلدان الأفريقية، تاريخ القبائل الأفريقية وعاداتها الثقافية، بالإضافة إلى الكثير من المعلومات الطبية عن الأمراض والجراثيم والفيروسات، ليست معلومات مقتضبة في الهامش كما اعتاد نبيل فاروق في سلسله، بل معلومات مسرودة في متن القصة كجزء أساسي منها، وإن تخللها الكثير من التعليقات الساخرة الذكية.

على سبيل المثال، في العدد العاشر، الذي حمل عنوان «العاشر!»، نجد التالي:

«ربما يجب أن أخبركم بشيء عن بوركينا فاسو نفسها...

هات الأطلس الذي منحته لك وزارة التربية والتعليم.. هل تذكر

أين وضعته؟ لا لم يعد تحت الفراش حيث تركته منذ أعوام، ولا هو فوق السندرة.. هل أعطته أمك لبائع الروبايكا أو تخلت منه في القمامة؟ لا أرجو هذا لأنه خسارة حقيقية.. لا تاريخ من دون جغرافيا.. هكذا يردد الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل دوماً، وهو درس تعلمه من ديغول ولم ينسه قط.. آه! هل وجدته؟ الأطلس لا ديغول.. عظيم!

افتح معي الصفحة التي تُظهر خارطة أفريقيا الشبيهة بجمجمة آدمية قتلها التصحر.. انظر إلى غرب القارة.. ها هي ذي بورкина فاسو التي اعتدنا أن نسميها فولتا العليا حتى عام 1984، حين جاء الكابتن توما سانكارا رئيس المجلس الثوري الوطني، ليبدل اسمها وعلمها.. صحيح أن الرجل أعدم في انقلاب عسكري تالٍ، لكن اسم البلاد ظل بورкина فاسو حتى إشعار آخر. ستري أن مالي تحدها شمالاً وغرباً.. بينما تحدها النيجر شرقاً.. وبنين وتوجو وساحل العاج جنوباً.. وستجد أن ثلاثة أنهار هي: فولتا الأحمر (نازينون) وفولتا الأبيض (ناكانبي) وفولتا الأسود (موهون) تجري في جنوب البلاد.. والبلاد مغطاة بالعشب والأشجار، وفيها عدد لا يُحصى من أفراس النهر والأفيال والتماسيح، ورغم هذا تعاني كثيراً من الجفاف.. وهي مشكلة بالنسبة إلى بلد يعيش فيه -عام 1995 - عشرة ملايين ونصف مليون نسمة. ثمة تفاصيل أكثر لكنني أفضل تركها إلى وقتها، لأنني لا أرى أن يلحق هذا الكتيب بمصير الأطلس.. كلنا نحب أن نعرف، لكننا قد نمقت عملية التعلم، خاصةً حين تجيء في غير موضعها.

دعونا إذن نستكمل قصتنا..

أو يمكننا أن نقرأ سريعاً تلك المحاضرة التي ألقاها جيديون على علاء حول تأثير الإشعاعات على الإنسان، في العدد 16، «؟؟؟»:

«يعتمد تأثير الإشعاعات المؤينة على جرعة الإشعاع ونوعه ومعدل التعرض له، وبالطبع يكون التعرض المزمّن أخف وطأة من التعرض

المباشر الحاد، لأن الخلايا تستطيع أن تجدد نفسها بشكل أو بآخر.. لكن - بالطبع - التعرض المزمن يفتح الباب لخلل ناجم عن تدمير أو تنشيط جينات معينة في الخلايا.. هذه الجينات قد تؤدي إلى الانقسام غير المنظم للخلية، وبعبارة أخرى إلى: السرطان.

التعرض الحاد للإشعاع بجرعات أكثر من 4000 راد يؤدي لتورم خلايا المخ والتشنجات والصدمة فالموت خلال 48 ساعة.. وهذا هو السيناريو الذي أجد أنه الأمثل لتفسير ما حدث بالنسبة لذلك المريض الكاميروني.. الجرعات من 1000 إلى 4000 راد تؤدي إلى فقد شديد للسوائل وشلل النخاع، وفي العادة يكون الموت خلال عشرة أيام.. الجرعات التي تقل عن 1000 راد وتزيد عن 100 راد تؤدي لتدمير النخاع فالموت خلال شهر. قد يسبب الإشعاع حروقًا خطيرة أو تدميرًا للأوعية الدموية مما يسبب الغنغرينا.. لكن هذه الحروق على كل حال ليست أكثر خطرًا من حروق الشاي الساخن، وتعالج بنفس الطريقة، طبعًا مع غسيل الموضع بالكثير من الماء والصابون..

التعرض المزمن للإشعاع - بجرعات أعلى من 100 راد - تظهر آثاره على الكلى والرئتين والنخاع العظمي وعدسة العين.. السرطان أيضًا يظهر بشكل واضح في حالات التعرض المزمن للإشعاع لنفس السبب الذي ذكرته لك: إهانة الجينات.. والجينات لا تنسى أية إساءة تحدث لها..

إن الإنشطار النووي لليورانيوم والبلوتونيوم يخلق نحو 300 نوع مختلف من النظائر المشعة.. بعضها يملك نصف حياة أطول من سواه.. وبعبارة أقرب للفهم: بعضها يعيش أكثر من سواه.. السترونيوم - 90 على سبيل المثال يعيش 28 سنة.. ولهذا هو مشكلة حقيقية بالنسبة لتلوث الطعام والنباتات.. وخطر السترونيوم - 90 هو أنه يتصرف مثل الكالسيوم بالضبط، لذا ترسبه الحيوانات في عظامها، والنباتات في جذورها.. وهذا - كما هو واضح - يؤدي إلى سرطان العظام والدم معًا.. هذه هي مشكلة ما يسمونه بالـ Fallout

وهو موضوع مهم بالنسبة لعلماء الانشطار النووي.. إنه أثر سقوط المواد المشعة على التربة واختلاطها بطعام البشر ومائهم.. إن الحكومة الأمريكية لم تصدق أن تجاربها في الصحراء مؤذية، وظلت تنكر هذا لفترات طويلة، حتى صدر أول حكم من المحكمة، يؤكد علاقة سقوط المواد المشعة بعدد من حالات السرطان ظهرت في ولاية دانية من موضع إحدى التجارب..

ثم جاءت حادثة مفاعل شيرنوبيل عام 1986 لتكون بمثابة عيد للطب الذري.. هذا يوم لا ينسى، وكل ما تنبأ العلماء به وأذروا البشرية ضده، قد تحقق.. إن الكابوس حقيقي إذن ولا داعي لدفن الرؤوس في الرمال».

وفي الحقيقة لم يُرق لي هذا، فأجزاء كثيرة من الأعداد بدت لي وكأنها تحولت إلى حصة جغرافيا أو تاريخ أو علوم، فمع التقدم في العمر صرت أنفر من محاولات التلقين المباشرة، والتطور في التكنولوجيا -خصوصًا الإنترنت- جعل الوصول إلى مثل تلك المعلومات سهلًا ميسورًا، لذلك لم أكن أجد للسرد المعلوماتي فائدة، بالعكس شعرت أنه يقطع عليّ تسلسل الحكيم، لكنني مع ذلك كنت أدرك الهدف من وراء ذلك وأحترمه، حتى لو لم يعد مناسبًا لي، فما زلت أذكر كيف تحمست في صغري للهوامش في روايات نبيل فاروق، وأسعد لأنها تزيد من معلوماتي وفهمي للأمور.

طافت بنا السلسلة في أكثر من بلد أفريقي، فسفاري منظمة دولية لديها فروع في عدة بلدان أفريقية، وكل فرع يحمل رقمًا؛ في البداية عمل علاء في سفاري 4 التي تقع في الكامبيرون، وهي سفاري الأصلية بالنسبة إلينا كقراء، وانثدب لفترة للعمل مع منظمة الصحة العالمية في بوركينا فاسو في العدد 10، «العاشر». وفي العدد 19، «الجمجمة»، انتقل مع برنادت إلى وحدة سفاري 1 في كينيا، وظلا هناك قبل أن يعودا إلى سفاري الأصلية في الكامبيرون في العدد 27، «HIV»، وفي العدد 33، «زولو»، انتقل علاء وحده



إلى سفاري في جنوب أفريقيا، ثم عاد من جديد إلى سفاري في الكامبيرون في العدد 40، «عن الطيور نحكي»، وأخيرًا في العدد 52، «أيام الكونغو»، انتقل إلى وحدة سفاري 7 في الكونغو، وفي كل مكان يذهب إليه يتغيّر مسرح الأحداث ونتعرف على شخصيات جديدة ونوعيات مختلفة من المغامرات، وهو ما خلق تنوعًا كبيرًا.

استمرت السلسلة في الصدور حتى العدد 53، «الموت الأصفر»، الذي صدر في معرض الكتاب في يناير 2018، قبل شهرين من وفاة أحمد خالد توفيق. وفي الغلاف الخلفي ظهرت العبارة المعتادة: «العدد القادم: في مملكة الغوريلا»، وهو العدد الذي لم يظهر قط، لأنه في الغالب لم يُكتب.

وإلى الآن لم أقرأ «الموت الأصفر»، أحتفظ به، لكن لديّ حاجز نفسي يمنعني من قراءته. فلو قرأته، ستنتهي صلتي بسلسلة سفاري، سأشعر بأن علاء عبد العظيم وبرنادت وبقية الشخصيات عالقون في ذلك العالم الخيالي الذي انتهى بوفاة صاحبه، ولن نعرف مصيرهم ولا ما جرى لهم!



أسطورة احتراق النجوم



بالإضافة إلى سلسله الثلاث الأساسية - ما وراء الطبيعة وفانتازيا وسفاري- أشرف أحمد خالد توفيق على سلسلة روايات عالمية للجيب، وترجم وأعدّ من خلالها أعمالاً منتقاة من الأدب العالمي، وفي الألفية الجديدة قدّم سلسلة مترجمة أخرى هي «رجفة الرعب»، والتي ترجم من خلالها عشر روايات للكاتب «م. د. سبنسر»، وهو كاتب رعب يكتب للأطفال. كما نشر مع دار ليلي سلسلة جديدة بعنوان «WWW»، تدور حول كيان أقرب ما يكون لفيروس الكمبيوتر، ونرى في أعداد السلسلة مغامراته الإلكترونية. صدر من السلسلة خمسة أعداد فقط، جُمعت لاحقاً في كتاب واحد بعنوان السلسلة.

بعد السنين الأولى من الألفية بدأت أعداد سلاسل روايات مصرية للجيب تقل بشكل ملحوظ وتصبح غير منتظمة، فمن جهة انشغل المؤلفون بالكتابة في عدة جرائد ومجلات إلكترونية وورقية، وأخذوا ينشرون روايات ومجموعات قصصية خارج إطار روايات مصرية للجيب، مع دور نشر مصرية وخليجية، ومن جهة ثانية بدأ حلم كتابة أعمال للسينما والتلفزيون يداعبهم ويشغلهم عن كتابة روايات الجيب.

وبغض النظر عن أي أسباب، ما وجدناه نحن كقراء أن سلاسل أحمد خالد توفيق انخفض إنتاجها بشكل كبير، ففي السنين الأخيرة قبل وفاته كان يُصدر عددًا واحدًا سنويًا من ما وراء الطبيعة، قبل أن تتوقف رسميًا مع العدد 80، «أسطورة الأساطير»، في 2014، أما فانتازيا وسفاري وروايات عالمية للجيب، فظلت حتى وفاته يصدر من كلٍّ منها عدد واحد فقط سنويًا.

كان أحمد خالد توفيق ينوي منذ فترة أن يُنهي ما وراء الطبيعة عند العدد 80، لكن يبدو أنه بعد العدد 77، «أسطورة الفتاة الزرقاء»، وجد أن ما يود نشره أكثر من ثلاثة أعداد أخيرة، فلجأ إلى حيلة



لطيفة: سينشر آخر ثلاثة أعداد مقسمة على جزأين بنفس الترقيم، بحيث يكون العدد 78 عبارة عن عددين: 78 الجزء الأول، و78 الجزء الثاني، ونفس الشيء بالنسبة إلى العدد 79 و80. لكن ما حدث أن مشكلة وقعت في الترقيم، فُنشر العدد 78 بترقيمين متتابعين بطريقة عادية، فجاءت «أسطورة حامل الضياء ج 1» و«أسطورة حامل الضياء ج 2» مرقمتين ب78 و79، بدلاً من أن تحملتا الترقيم: 78 ج 1، و78 ج 2، وهذا عكس ما أراده أحمد خالد توفيق، ففي الصفحة الأخيرة من «أسطورة حامل الضياء» الجزء الأول هناك فقرة تقول:

«في القصة القادمة نستكمل أسطورة حامل الضياء (الجزء الثاني)، لاحظ أن الكتيب سيحمل الرقم (78) ج 2»(178).

لكنه تدارك الأمر في العدد 80، ونشره كما أراد: «أسطورة الأساطير ج 1» و«أسطورة الأساطير ج 2»، والعددان حملتا الترقيم 1 - 80 و2 - 80. ولا أدري هل معنى هذا أن هناك عددًا آخر من ما وراء الطبيعة -العدد 79 - تنازل أحمد خالد توفيق عن نشره بسبب مشكلة الترقيم التي وقعت، أم ماذا!

المهم أن أعداد ما وراء الطبيعة هي 80 عددًا من حيث الترقيم، لكنها 81 من حيث عدد الكتيبات.

في «أسطورة حامل الضياء» يخوض رفعت إسماعيل مواجهته الأخيرة مع دكتور لوسيفر، ويعرف سبب اهتمام لوسيفر به طوال ذلك الوقت. أما في «أسطورة الأساطير» فنقرأ مجموعة من القصص الأخيرة التي تبدأ كل واحدة منها بحرف من حروف اسم «رفعت إسماعيل»، وتنتهي السلسلة بوفاة بطلنا الحبيب الذي عشنا معه لما يزيد على عشرين عامًا. انتهت السلسلة بالتالي:

«أتلو الشهاداتين.. وماجي تهمس في أذني:

- إلى الأبد؟

- ماذا؟

- هل ستزور أحلامي إلى الأبد؟



- وحتى تحترق النجوم.. وحتى تأتي لي هناك.. آنذاك عديني أن تكوني لي.. سوف نظل معًا إلى الأبد لا يفرقنا شيء.. هيا.. لا تضعفي.. عديني.. عدي...».

انتهت السلسلة بالعبارة الخالدة «وحتى تحترق النجوم»، وبأسفل كتبت السطور التالية:

«في الساعة الثالثة صباح يوم الثلاثاء 8 أغسطس، توقف قلب الدكتور رفعت إسماعيل عن الخفقان. لقد رحل الشيخ الذي اعتبره البعض نصائبًا واعتبره البعض مخبولًا واعتبره البعض خبيرًا في الماورائيات. وجدنا بعض المذكرات المتناثرة التي كتبها في أيامه الأخيرة، ويبدو أن بعض هذه قصص لم يحكها قط. سوف نحاول أن نقدم لك بعضها من حينٍ إلى آخر في أعداد خاصة».

وفاة رفعت إسماعيل كانت حدثًا مؤلمًا لغالبية القراء، تعاملوا مع الأمر وكأنهم فقدوا عزيزًا حقيقيًا في حياتهم، وأبتوه وأخذوا العزاء فيه على الفيسبوك، كانت هذه هي المرة الأولى التي نشهد فيها مؤلفًا يُنهي حياة بطله بشكل رسمي، وفي هذه الجزئية نجح أحمد خالد توفيق فيما لم ينجح فيه نبيل فاروق؛ لم يتردد ولم يترك الأمر مفتوحًا، ولم يُعد بطله بعد فترة ويوضح أنه لم يمُت كما اعتقدنا، رفعت إسماعيل مات ولن يعود.

ذكر أحمد خالد توفيق في العدد الخاص، «30»، والذي كتبه بمناسبة مرور ثلاثين عامًا على بدء مشروع روايات مصرية للجيب:

«كنت في البداية أرمح في مملكة ليس فيها سواي.. أحفر في منجم لا يوجد به عمال غيري. كان كل شيء غريبًا طريفًا.. تكتب عن بيت مسكون أو نبات شيطاني أو سهرة مخيفة مع أصدقاء أحدهم شبح، فيتحمس القراء.. كل هذه كانت أفكارًا طازجة وقتها، وكان القارئ مستعدًا للانبهار. مع الوقت قرأ القارئ وشاهد كل شيء





وصار أقل استعدادًا للاهتمام.. صرت أفتش في ركن مظلم من الكهف عن شيء لم يجده الآخرون، والأهم.. لم أجده أنا.. كانت المهمة تزداد صعوبة لكني ظلت قادرًا على إيجاد تيمة جديدة في كل مرة.

عرفت مع الوقت أن الاختيارات تضيق وأن رفعت لن يظل حيًا إلى الأبد.. كنت أتلقى نفس الخطابات التي أتلقاها منذ العدد الأول، والتي يقول بعضها إن الأعداد الأخيرة صارت «زي الزفت» ولم يعد مستواها كما كان، وقد اعتدت هذه الخطابات على كل حال من مدرسة «آخر عدد هو الأسوأ»، أو مدرسة «عمر اللي فات ما يرجع ثاني». بعد العدد السابع من ما وراء الطبيعة، أرسل إليّ أربعة شباب يقولون إنه لا جدوى مما أكتبه، وإن كتاباتي «الأخيرة» سيئة جدًا، ولم تعد كما كانت، وأنهوا الخطاب قائلين: «من تحسب نفسك لتصدر قصصًا مثل سيدك نبيل فاروق يا صعلوك؟!»، أقسم إن هذا حدث! وحدث بعد الكتيب السابع بينما السلسلة تتجه نحو ذروتها. تصوّر مدى الحقد والحماسة اللذين يجعلان أربعة شباب يجتمعون ليكتبوا هذا بخط واضح جميل ويوقّعوا عليه معًا، ويلصقوا طابغًا ويكتبوا العنوان ويرسلوا الخطاب!

اعتدتُ هذا من وقتٍ لآخر، وتعلمت أن على المرء أن يتحمل وقاحة البعض وإلا لما تحرك خطوة واحدة. لكني مؤخرًا بدأت أشعر بالغبن وضاق صدري أكثر تجاه هذا النوع من الخطابات، خاصةً مع الدقة والإتقان اللذين كتبت بهما آخر أعداد رغم ندرة الأفكار. وهكذا قررت أن يموت رفعت عند الكتيب الثمانين؛ لقد انتهى الغرض منه وأنهى دورة حياته مثل ذبابة مايو.. بعد أن يموت سيظل الناس يذكرونه طويلًا ويفتقدونه.. ربما هو أول بطل قصص يموت فعلاً. لا أذكر مثالًا آخر سوى هيركيول بوارو. تلقيت لوم آلاف القراء على موته، وبعضهم شتمني بصراحة، لكني كنت أقول: لو تركته لهاجمتموه بشراسة.. إذن الموضوع هو: لماذا لم تترك رفعت حيًا لنخبرك بعد كل كتيب كم صار مملًا؟!» (179).



فلنلاحظ لهجة المرارة التي كُتبت بها السطور السابقة! أجل، كان أحمد خالد توفيق شديد الحساسية تجاه النقد، أذكر أنني هاتفته ذات مرة بعد انتهائي من قراءة أحد أعداد ما وراء الطبيعة، والذي أعجبني حقًا، وقلت له مادحًا: «هذا العدد مكتوب بمزاج عالٍ»، فصمت لثانية ثم سألني بضيق: «يعني بقية الأعداد ليست مكتوبة بمزاج؟!». هذه الحساسية مفهومة، ولا أعتقد أن هناك كاتبًا إلا ولديه مثلها.

ويبدو أيضًا أن شريحة لا بأس بها من القراء كانوا يعتقدون المقارنات بينه وبين نبيل فاروق، ذلك أن شعبية نبيل فاروق ظلت مكتسحة لدى غالبية القراء حتى بدايات الألفية، ربما الآن شعبية أحمد خالد توفيق أكبر، لكن في فترة التسعينيات وبدايات الألفية لم يكن هناك وجه للمقارنة، سواء من حيث الشعبية أو المبيعات، ويبدو أن بعض القراء كانوا ينظرون إلى الأمر باعتبار أن أحمد خالد توفيق يحاول منافسة نبيل فاروق الذي نحبه!

نبيل فاروق نفسه كان يعاني من الانتقادات، ليس من القراء فقط، ولكن من المؤسسة العربية الحديثة نفسها، أذكر أنني قرأت له مقالًا في جريدة الدستور -في أثناء مشكلته الكبيرة مع المؤسسة وحمدي مصطفى- يذكر فيه بمرارة أنهم في الفترة الأخيرة كانوا يصارحونه بأن الإقبال على سلسله من قبل القراء لم يعد مثل السابق، وأن الأمور في تراجع!

في السنين التالية، بعد توقف ما وراء الطبيعة، نشر أحمد خالد توفيق عددًا خاصًا بعنوان «تلك المدينة»، يروي فيه أنه وجد مذكرات لرفعت إسماعيل تحكي مغامرة لم تُنشر بعد، وها هو ينشرها، وأنه لديه قصة أخرى أو قصتان، في إشارة إلى أنه قد ينشر بعض القصص التي وقعت لرفعت إسماعيل قبل وفاته، لكن وفاة أحمد خالد توفيق نفسه حالت دون أن نقرأ تلك القصص.

وسلسلة الأعداد الخاصة -التي نُشرت فيها قصة «تلك المدينة»- كانت تحوي أعدادًا إضافية من ما وراء الطبيعة وفانتازيا وسفاري،

لكنها ليست أعدادًا خاصة لأنها أكبر حجمًا - كما هو الحال مع سلسلة الأعداد الخاصة التي يكتبها نبيل فاروق - بل لأنها تُقدّم محتوى خاصًا ومبتكرًا. ففي العدد الأول منها، «في كهوف دراجوسان»، قدّم لنا أحمد خالد توفيق لأول مرة في العربية مفهوم القصة التفاعلية! قصة يُحدّد القارئ إلى أي مسار ستمضي. كان في بداية الألفية قد أنشأ موقعًا إلكترونيًا نشر فيه قصة بعنوان «قصة ربع مخيفة»، يستغل فيها تقنية الروابط الإلكترونية ليسأل القارئ مع كل حدث في القصة ما الذي يُفضّل أن يحدث، وكل رابط يضغط عليه القارئ يأخذه إلى مسار معين في القصة، ويجد روابط جديدة ليضغط عليها وهكذا. نحن لم نرّ مثالا على ذلك مؤخرًا سوى مع حلقة مسلسل Black Mirror التفاعلية التي نشرتها شبكة نتفلكس، وفيها يُتاح للمشاهد خياران: يعرض أحدهم على البطل عرضًا معينًا، ثم يخرج لنا كمشاهدين على الشاشة خيار بنعم سيوافق، وخيار آخر بلا لن يوافق. ونضغط بجهاز التحكم على أحد الخيارين، فنرى الأحداث تمضي من خلال الخيار الذي اخترناه. أحمد خالد توفيق قدّم نفس التجربة قبل نتفلكس بعشرين عامًا! نقرأ الأحداث، وعند نقطة مفصلية نجد سؤالًا: إن كنت تريد أن يفعل رفعت كذا، اذهب إلى صفحة كذا، أما إن كنت تريده أن يفعل كذا، فاذهب إلى صفحة كذا. وهكذا تمضي أحداث الرواية.

أما في العدد 2، «36»، فنحن أمام مجموعة من القصص التي بإمكاننا أن نختار فيها من سيرافق رفعت خلال المغامرة - هناك ثلاثة خيارات: عزت جاره، ماجي حبيبته، هن تشو كان صديقه - ونوعية الخطر الذي سيواجهه - هناك أربعة مخاطر: مصاصو دماء، تعويذة قديمة منسية، الموتى الذين ليسوا كذلك، عراف شرير - وكل اختيار يمكنك أن تختار معه نهايتين مختلفتين - نهاية سخيطة ونهاية مملة - وكل هذا يؤدي إلى 36 فصلًا، يمكنك قراءتها من خلال عدة جداول توضح لك الفصل الذي يجب أن تتجه إليه حسب اختيارك!

وفي الكتاب الثالث، «الأبجدية»، نحن أمام قصة يتورط فيها رفعت



ويصبح عليه أن يواجه خطرًا يبدأ بحرف من حروف الأبجدية الإنجليزية، أي إننا أمام 26 قصة، كل قصة تُمثل حرفًا من حروف الأبجدية: a b c، إلخ، يمكننا أن نقرأها بتسلسلها الطبيعي كمجموعة من القصص القصيرة، أو نختار الحرف الذي نريد، ونرى ما الخطر الذي سيواجهه رفعت.

بقية أعداد السلسلة أخذت طابع المسابقات في معظمها، فمثلًا في العدد الرابع، «خُفِّنُوا مَعِي»، تتوه عبير في عوالم الأدب وتجهل عنوان القصة التي تخوضها، ويكون علينا في كل فصل أن نستنتج العنوان، وهذا سيساعدنا بالنهاية في تكوين عنوان بريد إلكتروني، علينا أن نرسل إليه رسالة، ليعرف أحمد خالد توفيق أن صاحب الرسالة قد وصل إلى الحل.

تستمر المسابقات بنفس الطريقة في العدد السادس، «PCR»، والذي ينتمي إلى سلسلة سفاري، والعدد السابع، «أغاني المهدي»، الذي ينتمي إلى ما وراء الطبيعة، والعدد التاسع، «جاؤوا من الوادي»، والذي ينتمي إلى فانتازيا.

وهناك أعداد تحكي قصصًا عادية، مثل العدد الخامس، «قصتان»، الذي كان عبارة عن إعادة نشر لقصتين من ما وراء الطبيعة نُشرتا في موقع إلكتروني، والعدد الثامن، «تلك المدينة»، الذي تحدثنا عنه من قبل.



أسطورة أسلوبه



يمتاز أسلوب أحمد خالد توفيق بالنظرة الساخرة، من خلال أبطاله كان ينقل إلينا طوال الوقت نظرتة الساخرة للحياة. وهو متأثر في أسلوبه هذا بالكاتب الساخر العظيم محمد عفيفي، القراء الذين سيقرؤون لمحمد عفيفي سيشعرون بأنهم يقرؤون لأحمد خالد توفيق، لكنه متأثر به فقط من حيث الصياغة وطريقة التعبير، أما محتوى السخرية ومضمونها، فهي طريقة أحمد خالد توفيق الخاصة في رؤية الحياة.

يرتاح أحمد خالد توفيق كثيراً للحكي بضمير المتكلم، أن يجعل شخصياته تحكي الأحداث من وجهة نظرها، بل وتوجه كلامها إلى قارئ مُتخيل يتابع ما تحكيه. لكنه لم يترك تلك الشخصيات تتحدث بلسانها، فأغلب شخصياته تتكلم بطريقة هو في الكلام، لذلك سيشعر القارئ بأن أي شخصية من شخصياته تتكلم وكأنها رفعت إسماعيل، لأن رفعت إسماعيل نفسه يتكلم كما يتكلم أحمد خالد توفيق!

أما في التشويق والإدهاش ومحاولة كسر الإطار، فأعتقد أن أحمد خالد توفيق متأثر إلى حد كبير بستيفن كينج.

من السمات المهمة في أسلوب أحمد خالد توفيق كذلك التجريب في الأشكال التي يستخدمها، خصوصاً في أعماله الأولى في سلسلة ما وراء الطبيعة، فقد كان يحاول مع كل عمل تقديم شكل جديد للعرض، سواء في طريقة السرد أو تقسيم الفصول أو حتى العناوين؛ مرة يستخدم الرواية متعددة الأصوات والشخصيات، كما فعل في العدد 13، «أسطورة اللهب الأزرق»، حيث تحكي كل شخصية الجزء الخاص بها من القصة، ومرة يستخدم أسلوب الرسائل والقصاصات، كما فعل في العدد 18، «أسطورة الغرائب»، حيث نرى



الحكاية من خلال مجموعة من قصصات الجرائد والرسائل وصفحات المذكرات، ومرة يحكي القصة في شكل مسرحية، في العدد 23 من سفاري، «الانفجار»، وهكذا. في العدد 17 من ما وراء الطبيعة، «أسطورة حسناء المقبرة»، كان يُعنون كل فصل بكلمة، وإذا جمعنا الكلمات معًا ستتكون لدينا جملة تشرح لنا طبيعة الرواية: فتاة - اسمها براكسا - غريبة الأطوار - وحين تختفي - اشتاقها - لكنها عادت - وعاد الرعب - لكنها بريئة - لكنني أرتاب - وكنت على حق.

أما الجانب الثقيفي -الذي ذكرناه من قبل- فقد احتل مكانة أساسية لدى أحمد خالد توفيق، كان يضع في باله دائمًا أن أغلب قرائه من صغار السن، وأنه يحمل مهمة تثقيفهم ومنحهم معارف أولية، وهو نفس ما اتبعه نبيل فاروق من خلال هوامشه الشارحة، لكن الأمر مع أحمد خالد توفيق أخذ شكلًا أشمل، فقد كان يكتب عددًا كاملًا ليمنحنا معرفة في جانب معين، خصوصًا في فانتازيا وروايات عالمية للجيب.

في فانتازيا كانت عبير تخوض مغامرات في عوالم ممتعة، لكن تعريفنا بتلك العوالم ومنحنا معلومات عنها شغلًا حيزًا لا بأس به من العدد، فمثلًا في العدد 6، «خيول ورماح»، خاضت عبير معركة قادش بجوار رمسيس الثاني، فكانت فرصة لتتعرف قليلًا على التاريخ المصري القديم، وفي العددين 7 و8، «ألعاب إغريقية» و«مملكة الموتى»، عشنا معها في عالم الأساطير الإغريقية، والتقىنا بالأبطال والآلهة اليونانية القديمة، وفي العدد 10، «الاسم: شكسبير»، عرفنا مسرحيات شكسبير وأهم شخصياته، وفي العدد 30، «عبقري»، دخلنا إلى عالم دوستوفسكي وقابلنا أبطاله، وأخذنا فكرة سريعة عن الأدب الروسي في القرن التاسع عشر، وفي العدد 22، «قلعة السفاحين»، تعرّفنا على جماعة الحشاشين وعلاقة الصداقة بين الحسن الصباح والوزير نظام الملك والشاعر عمر الخيام، وفي العددين 25 و26، «من أجل طروادة» و«عودة المحارب»، عشنا أجواء ملحمة الإلياذة والأوديسة، وفي العدد 36، «حب في أغسطس»، بدا لنا الأمر في



البداية وكأننا نتابع قصة رومانسية بين شاب وفتاة يابانيين، ثم اكتشفنا أننا نعيش قصة سقوط القنبلتين الذريتين على مدينتي نجازاكي وهيروشيما في نهاية الحرب العالمية الثانية.

وفي سفاري كانت هناك معلومات طيبة وجغرافية كثيرة، أحياناً يُخصّص فصلاً كاملاً لشرح تاريخ مرض معين وطرق مكافحته، أو ظروف دولة أفريقية معينة وتاريخها وجغرافيتها، هناك كتيبات كاملة تدور حول التصدي لمرض ما، مثل العدد 10، «العاشر»، الذي تناول مرض عمى الأنهار، والعدد 20، «المرض الأسود»، الذي تعرّض لمرض الكالا آزار، والعدد 27، «HIV»، الذي يدور حول الإيدز، وهناك كتيبات أخرى كاملة تتكلم عن قبائل أفريقية، مثل العدد 21، «الماساي»، والعدد 28، «توركانا»، والعدد 33، «زولو»، وكلها أسماء قبائل أفريقية. بل إنه في العدد 30، «قصصات»، جعل علاء يخضع لتجربة عرفنا معه من خلالها المجازر التي قامت بها إسرائيل ضد العرب؛ دير ياسين وصابرا وشاتيلا وقانا وبحر البقر وغيرها.

أما في روايات عالمية للجيب، فقد عرّفنا على مجموعة من كبار الكُتّاب العالميين، مثل أوسكار وايلد في العددين 18 و44، «صورة دوربان جراي» و«حكايات أوسكار وايلد»، ومارك توين في الأعداد 34 و49 و81، «وصيلة الثلاثين مليون دولار» و«حكايات مارك توين» و«أمريكي في بلاط الملك»، وجوزيف كونراد في العددين 45 و69، «قلب الظلام» و«لورد جيم»، وهرمان ملفيل في العددين 52 و78، «موبي ديك» و«تايبي»، وجورج أورويل في العددين 50 و51، «1984» في جزأين.

كما ترجم لمجموعة من أهم كُتّاب البوب فيكشن الأجانب، مثل جول فيرن في العددين 7 و41، «رحلة إلى مركز الأرض» و«الجزيرة الغامضة»، وهربرت جورج ويلز في الأعداد 16 و17 و31 و73، «الغرفة الحمراء» و«وادي العناكب» و«جزيرة الدكتور مورو» و«الرجل الخفي»، وآرثر كونان دويل في الأعداد 19 و24 و28، «العالم المفقود» و«كلب



باسكر فيل» و«النطاق المسموم»، وستيفن كينج في الأعداد 8 و22 و43 و48، «الشيطانة» و«سباق الموت» و«دورة المذؤوب» و«شرطي المكتبة» (180)، وجون جريشام في الأعداد 20 و35 و61، «صانع الأمطار» و«العميل» و«محامي الشوارع».

وفي كل رواية يترجمها، يكتب في بدايتها مقدمة يضع لنا فيها ملخصًا لحياة الكاتب وأهم أعماله والمراحل التي مرَّ بها، وتحليلًا نقديًا سريعًا لما كتبه، وكثير من هؤلاء الكُتَّاب كنا نتعرف عليهم للمرة الأولى من خلاله، كما حدث مع إدجار آلان بو، عندما قدّمه لنا في عدد كامل في ما وراء الطبيعة، هو العدد 19، «أسطورة بو».

لكن أحيانًا، وفي أثناء تقديمه لعالم جديد يحاول تعريفنا عليه، كان يقع في شيء من الخلط والاستسهال، خصوصًا إذا تعلق الأمر بمعلومات بعيدة عن مجال تخصصه وثقافته. فمثلًا، لم يكن أحمد خالد توفيق يحب الفلسفة، وذكر ذلك أكثر من مرة، ثم قرر في العدد 37 من فانتازيا، «فلاسفة في حسائي»، أن يجعل عبير تخوض عالم الفلسفة وتلتقي بأهم الفلاسفة من وجهة نظره. أعتقد أنه ليتمكن من كتابة هذا العدد قرأ بشكل متعجل في الفلسفة وجمع بعض المعلومات، والنتيجة أن العدد احتوى على العديد من الأخطاء البديهية، فعبير عندما تلتقي بأفلاطون تجده يشرح الفلسفة لتلاميذه وهو يتمشى معهم، ويذكر الراوي لنا أنه لذلك سُميت مدرسته -ومدرسة أرسطو من بعده- بالرواقية، لأنهم كانوا يتمشون مع تلاميذهم في الأروقة! وبالطبع هذا خاطئ، أرسطو هو الذي كان يتمشى مع تلاميذه أثناء الشرح، لذلك سُميت مدرسته بـ«المشائية»، أما الرواقية فهي مدرسة فلسفية أخرى. ثم يبدأ أفلاطون في شرح تصوّره للعالم، فيقول لتلاميذه أن العالم غير موجود، بل هو انعكاس لعالم المُثُل، وعندما يتعثّر، ويصطدم رأسه بصخرة وينزف دمًا يقول إن هذا الدم غير موجود! هنا يخلط أحمد خالد توفيق بين أفلاطون وجورج بيركلي، فالأول يتكلم عن أن عالمنا هو صورة مشوّهة لعالم آخر مثالي، ولم يقل أبدًا أن العالم غير موجود،



بعكس جورج بيركلي الذي يرى أن العالم هو تصوّر ذهني موجود فقط في عقولنا.

ناهيك عن أنه لم يتعرض لمحطات وشخصيات مهمة في تاريخ الفلسفة، مثل ديكارت وكانط وهيغل، الذين مرّ عليهم مرور الكرام، لأنه في الغالب اختار أن يُفرد فصولًا للفلاسفة الذين وجد في أفكارهم -من وجهة نظره- أشياء طريفة. وهذه سمة أخرى من سمات كتابة أحمد خالد توفيق، ظهرت بشكل كبير في فانتازيا بالذات، فكثيرًا ما يعرض لنا الشخصيات التاريخية والأدبية بشكل كاريكاتوري، يأخذ صفة واحدة مشهورة عنهم، ويعرضهم من خلالها، وهكذا يصبح نيتشه في «فلاسفة في حسائي» أشبه بطفل أحرق كئيب وقاسٍ، وشوبنهاور متشائمًا ويشبه وحش فرانكنشتاين.

تعرّض أحمد خالد توفيق لاتهامات كثيرة بسرقة أعماله من روايات وأفلام أجنبية، وهذا أمر بالتأكيد كان يؤلمه ويستفزه كثيرًا.

نحن تغيب عنا أحيانًا الفروقات الدقيقة بين السرقة والانتحال والاقْتباس والتقليد والتأثر والإلهام.

أي تشابه بين عمليْن نحمّله مباشرةً على محمل السرقة، بهذا المنطق سيكون آرثر كونان دويل قد سرق فكرة شرلوك هولمز من شخصية أوجست دوبون التي كتبها إدجار آلان بو، وأجاثا كريستي سرقت بدورها شخصية بوارو من شخصية شرلوك هولمز. لكن الأمور لا تجري هكذا. قد نقول إن الكاتب الفلاني قلّد الكاتب العلاني أو تأثر به، لكن السرقة هي أن تأخذ التتابع الذي نُفذت فكرة معينة به، فإذا كتبت أنا رواية عن شخص طيب يتحول ليصبح شخصية شريرة، فأنا عندها متأثر برواية روبرت لويس ستيفنسون «دكتور جيكل ومستر هايد»، لكني لم أسرقها، إلا إذا أخذت تفاصيلها وتتابع الأحداث فيها. وإلا ستكون أيضًا رواية وفيلم «نادي القتال» مسروقين من «دكتور جيكل ومستر هايد»، وفيلم «واحد من الناس» مسروقًا من «كونت مونت كريستو»، وهكذا.



وفي مجال الرعب، فالتيمات المشتركة كثيرة، أي شخص سيتناول فكرة الاستحواذ الشيطاني سنجد تشابهاً بين عمله وبين رواية وفيلم - Exorcist أو فيلم Conjuring.

وبعيداً عن هذا، كان أحمد خالد توفيق يتعلق بقصص أو أعمال معينة -في الغالب يشير إليها ويُحدِّثنا عنها كثيرًا من خلال رواياته- ثم يحاول تقليدها أو كتابتها بطريقة الخاصة. فمثلًا قصة «أمنية واحدة» الموجودة في العدد 40 من ما وراء الطبيعة، «وراء الباب المغلق»، تدور حول سيدة زوجها مُتوفى، وتُحضر لها صديقاتها جمجمة يقال إن لها خواصًا سحرية، ويطلبن منها أن تتمنى أمنية وستتحقق، فتتمنى عودة زوجها، ثم تُصاب بالذعر عندما تسمع طرقًا على باب الشقة، فتتمنى رحيله، ثم يتضح أن صديقاتها عملن مقلباتها بالاشتراك مع البواب. القصة شبيهة بقصة «مخلب القرد»، التي حدِّثنا عنها أحمد خالد توفيق أكثر من مرة: الرجل الذي يشتري مخلب قرد يقال إنه يحقق ثلاث أمنيات، وكلما تمنى أمنية تحققت له لكن مع كارثة؛ يتمنى أن يحصل على مبلغ من المال، فيلقى ابنه مصرعه في المصنع الذي يعمل فيه، ويحصل على تعويض بنفس قيمة المبلغ الذي تمناه، فيتتمنى أن يعود ابنه من الموت، ولما يُفاجأ مع زوجته بابنه يطرق الباب وهو ملفوف في كفنه، يُصابان بالذعر، ويتمنى الزوج أن يرحل الابن.

أما قصة «ابن أبراكساس»، والموجودة في العدد 60، «المتحف الأسود»، فهي شبيهة برواية وفيلم «طفل روزماري»، الذي حدِّثنا أحمد خالد توفيق عنه أيضًا، الزوجة الشابة التي تحبل ثم تكتشف أن هناك جماعة تعبد الشيطان تريد أن تستغلها لتأتي إلى العالم بابن هذا الشيطان.

ولأوضح ما أقصده، سأقول إن أحمد خالد توفيق كان أحيانًا يأخذ إلهامه من خلال بعض الأعمال، ويبنى من هذا الإلهام عملاً خاصًا به بأسلوبه وفكره ووجهة نظره. وكمثال على ذلك، أذكر هنا «أسطورة



العشيرة»، العدد 49 من ما وراء الطبيعة، حيث يجد رفعت إسماعيل نفسه متورطًا مع سكان تحت الأرض في مترو لندن، الذين يعيشون في الأنفاق المهجورة ويأكلون البشر.

في كتاب «السينما الخيالية» لبيتر نيكولز، الذي يؤرخ من خلاله لأعمال الرعب والفانتازيا والخيال العلمي التي عُرضت في السينما منذ بدايتها وحتى عام 1983 -وقت صدور الكتاب- سنجد الوصف التالي:

«خط الموت 1972، الذي عُرض في أمريكا باسم لحم نيّئ، فيلم من إخراج المغمور جاري شيرمان. لم يُثر خط الموت أي اهتمام باعتباره فيلمًا آخر من الأفلام صغيرة الميزانية التي تُقلد الأفلام الكبيرة، إلا أنه حقق لنفسه جماعة أتباع مخلصين له، رغم قلة عددهم نسبيًا. في أواخر القرن التاسع عشر تُدفن مجموعة من عمال البناء نتيجة لانهايار في أثناء عملهم في شق أنفاق مترو لندن. الآن في لندن المعاصرة يُقتل عدد من ركاب آخر الليل في محطة راسيل سكوير بالقرب من المتحف البريطاني. نكتشف أن الناجين من أولئك العمال المدفونين، يعيشون حياة أهل الكهوف من أكلة لحوم البشر. إلى هنا يبدو كل شيء مبتذلًا عاديًا، لولا ذلك المشهد الذي ينوح فيه الناجي الأخير المجذوم على أسرته التي ماتت (كل العمال عداه أصيبوا بالجذام وماتوا). إن هذا المشهد نقلة مفاجئة تقلب رأسًا على عقب كل ما سبق وكوّنناه من وجهة نظر، وقد فعل هذا من خلال هذه العاطفة الحارة المؤثرة. إنها جعلتنا نشعر كما شعر إنسان كرو ماجنون الذي أدرك فجأةً أن إنسان النياندرتال قد لا يكون شديد السوء رغم كل شيء» (181).

أتوقع أن أحمد خالد توفيق -كونه مهتمًا بالسينما- اطلع على الكتاب، وقرأ وصف الفيلم، لا أظن أنه شاهده، هو فقط أعجبه فكرة وجود أكلة لحوم بشر في أنفاق مترو لندن، فأدخل رفعت إسماعيل في مغامرة معهم وضع تصوّرها وأحداثها وتفاصيلها ومضمونها، مستلهمًا الوصف السريع والمقتضب الذي قرأه في





وبعكس سلاسل نبيل فاروق، لم يكن للأجزاء المتعددة مكان كبير في سلاسل أحمد خالد توفيق، وإن كانت تظهر من آن لآخر، ربما أكثرها في ما وراء الطبيعة، فقد قرأنا في السلسلة مغامرات على أكثر من جزء عشر مرات؛ أولها في العدد 11 «أسطورة الكاهن الأخير» وتكملته في العدد 16 «أسطورة النافاراي» -وهذا في حد ذاته كان تمرّدًا على أسلوب الأجزاء المتعددة، كما ذكرت من قبل- ثم في الأعداد 24 و25 و26: «أسطورة إيجور» و«أسطورة الجنرال العائد» و«أسطورة المواجهة» -وهي المرة الوحيدة التي قرأنا فيها ثلاثة أجزاء متتالية في سلاسل أحمد خالد توفيق كلها- وفي العددين 28 و29: «أسطورة آخر الليل» و«أسطورة الجاثوم»، والعددين 34 و35: «أسطورة الشاحبين» و«أسطورة دماء دراكيولا»، والعددين 38 و39: «أسطورة النصف الآخر» و«أسطورة التوأمين»، والعددين 53 و54: «أسطورة النبوءة» و«أسطورة العراف»، والعددين 57 و59: «أسطورة المقبرة» و«أسطورة رونيل السوداء»، والعددين 63 و64: «أسطورة المحركين» و«أسطورتهم»، وطبعًا في الأعداد الأخيرة؛ في العددين 58 و59: «أسطورة حامل الضياء 1» و«أسطورة حامل الضياء 2»، والعددين 80 - 1 و80 - 2: «أسطورة الأساطير 1» و«أسطورة الأساطير 2».

أما في فانتازيا فقد جاءت الأجزاء المتعددة خمس مرات فقط؛ في العددين 7 و8: «ألعاب إغريقية» و«مملكة الموتى»، ثم في العددين 13 و14: «رجل من كريبتون» و«من بعد سوبرمان»، وفي العددين 26 و27: «من أجل طروادة» و«عودة المحارب»، وفي العددين 45 و46: «تشي» و«الحالم الأخير»، وأخيرًا في العددين 56 و57: «ليالٍ عربية» و«قصة كل يوم».

وفي سفاري جاءت الأجزاء المتعددة أربع مرات فقط؛ في العددين 7 و8: «الآن تراه» و«الكابوس»، ثم في العددين 11 و12: «يوم ثارت





الوحوش» و«أرض الجنون»، وفي العددين 25 و26: «كليمنجارو» و«الظاهرة»، وفي العددين 37 و38: «رجل الرمال» و«الأخير».

الحبكات في أغلب القصص قوية ومُشوِّقة، ومع ذلك، ورغم البدايات المحكمة لكثيرٍ من الأعداد، كانت النهايات في بعض الأحيان تأتي سريعة وفيها استعجال.

لأوضح ذلك سأضطر أن أحكي أحداث العدد التاسع من سلسلة سفاري، «الفصيلة»، بالكامل. في البداية يلاحظ علاء زيادة مريبة في عدد المرضى الأوربيين الذين يظهرون في سفاري في أحد الأيام. أمريكيون وبريطانيون وأستراليون، وكلهم ضخام الجثة ظاهر والقوة، ويشتركون في أن الأعراض التي يدعونها تبدو مصطنعة وكأنهم يمارضون؛ صداع أو آلام في البطن وما شابه، وكلهم يحملون معهم حقائب ضخمة ويرفضون تركها. سفاري وحدة طبية كبيرة، وتستقبل جميع الحالات التي تأتيها، وليس الأفارقة الفقراء فقط، لذلك يتم إدخال كل هؤلاء المرضى، حتى مع شك أكثر من طبيب في أنهم يمارضون. في اليوم التالي يكتشف علاء أن عدد من دخل من هؤلاء الأوربيين ثلاثون رجلاً، وعندما يذهب بشكوكه إلى المدير بارتلييه، يبدأ هؤلاء المرتزقة في العمل، فيُخرجون من حقائبهم المدافع والمسدسات والقنابل التي فيها، ويسيطرون على سفاري. قائد تلك المجموعة يُعرِّف نفسه باسم الميجور بلاكلي، ويشرح لعلاء والمدير أنهم يسمون مجموعتهم «الفصيلة»، فرقة من المرتزقة التي تباع جهودها لمن يدفع أكثر، ولما لم يعد لديهم عمل قرروا القيام بعملية أخيرة، يحتلون منشأة دولية ويطالبون بفدية عشرة ملايين دولار وطائرة تأخذهم إلى أمريكا الجنوبية، ليتقاعدوا هناك ويستمتعوا بالأموال.

يستمر العمل في سفاري تحت سيطرة رجال الفصيلة، الذين ينتشرون في كل الأماكن الحيوية حاملين أسلحتهم، ويطلب بلاكلي من علاء أن يُغيّر له ضمادات ساقه، التي تمزقت بسبب لغم أرضي،



ونعرف أن هناك محاولة تقوم بها فرقة صاعقة بريطانية لاقتحام الوحدة وتحريرها، لكن بلاكلي ورجاله يُحبطونها، ويزول أي أمل لدى العاملين في سفاري في النجاة، خصوصًا أن بلاكلي يأمر بجمعهم في قاعة المحاضرات، ويأمر رجاله بقتل رهينة منهم كل ساعة إلى أن تُنفذ السلطات المرابطة خارج الوحدة طلباته.

يأتي استدعاء لعلاء وهو جالس مع زملائه ينتظرون مصيرهم، فيعتقد أنهم اختاروه ليكون ضحيتهم الجديدة، لكنه ما يلبث أن يكتشف أن بلاكلي -الذي اتخذ مكتب المدير مقرًا لقيادته- طلبه ليُغيّر له ضمادات جرحه من جديد. يذهب علاء إلى قسم الجراحة ليُحضّر الأدوات التي سيحتاجها، وفي أثناء مروره على مكتب سكرتيرة المدير يلمح جهاز تسجيل صوتي، فتأتيه فكرة.

يعود ومعه الشاش والمضاد الحيوي، ويصارع بلاكلي بأن ساقه في أسوأ حال ممكن ولم يعد تغيير الضمادات مُجددًا، لا بد من البتر، فينفعل عليه بلاكلي ويقول له: «افعل كما قلت لك! هذا أمر.. فننقذه!». يسأله علاء فجأة: «هل تعرف من أين جئت بهذه الأدوات؟»، فيجيبه بلاكلي بدهشة: «يا له من سؤال! من قسم الجراحة طبعا! ماذا تحاول إثباته؟!»، فلا يرد علاء، بل يسأله إن كانوا فعلاً ينوون قتلهم جميعًا إذا لم يستجب أحد لمطالبهم، فيجيبه بلاكلي في تأكيد: «الجميع.. الجميع بلا استثناء!»، هنا ينتهي علاء من تغيير الضمادات، فيمد له بلاكلي ذراعه ليحقنها بالمضاد الحيوي وهو يخبره أنه يثق به، وما إن يحقنه علاء حتى يتصلب وجهه ويموت، فيفزع المدير بارتلييه، ويخبره علاء أنه حقن بلاكلي بثلاث أمبولات وريدية من الأدرينالين ليقضي عليه. ثم يبدأ علاء في تنفيذ خطته؛ يأخذ جهاز الـووكي توكي الذي كان بلاكلي يستخدمه في التواصل مع رجاله، ويستخدم جهاز التسجيل -الذي سجّل به كل كلمة نطق بها بلاكلي- ويبدأ في إرسال أوامر بعينها إلى رجال الفصيلة: قسم الجراحة.. الجميع.. الجميع بلا استثناء.. افعل كما قلت لك! هذا أمر فننقذه.

ويعتمد علاء على أن «الرسائل الصوتية في جهاز الـ«ووكي توكي» تكون دائماً متقطعة ومشوشة بهذا الأسلوب».

تسلّل علاء والمدير بعدها باتجاه قسم الجراحة، وهناك وجدوا مجموعة كبيرة من رجال الفصيلة متجمعين وهم يعتقدون أن زعيمهم أمرهم بذلك، ونعرف أن علاء في أثناء وجوده في قسم الجراحة كوّم خمس أسطوانات أكسجين على الأرض، وهشمّ عددًا من زجاجات الأثير-الغاز الذي يُستخدم في التخدير، لكنه يمكن أن ينفجر كذلك- وصوّب مسدس بلاكلي على جزء من أسطوانة أكسجين فانفجرت وفجّرت معها غاز الأثير، وتحوّل قسم الجراحة إلى جحيم أودى بعدد لا بأس به من رجال الفصيلة، وأدى إلى وقوع فوضى بين من تبقى منهم، فتكفّل الجيش الكاميروني-الذي اقتحم الوحدة- بهم، وانتهى كابوس الفصيلة.

هنا لديّ عدة تعليقات على ما جرى في هذا العدد، خصوصًا تتابع النهاية:

1. كيف لم يفكر أحد في تفتيش الحقائق الضخمة التي جاء بها هؤلاء الأوروبيون؟ تلك الحقائق التي اتضح لاحقًا أنها تحوي مسدسات ومدافع رشاشة وقنابل يدوية، هل من الطبيعي أن يدخل الناس إلى سفاري وهم يحملون حقائق مريبة ولا يحاول أحد حتى تحسّسها من الخارج؟!

2. تتابع الحل الذي جاء في النهاية: علاء يُلغمّ قسم الجراحة - يسجل بعض العبارات لبلاكلي - يقتله وينقل العبارات إلى رجاله - يأتي الرجال فيفجّر علاء قسم الجراحة في وجوههم؛ هذا الحل يبدو لي الآن مصطنعًا، فبلاكلي نطق بالضبط بالعبارات التي يحتاجها علاء، وعلاء استطاع أن ينقل أوامره عبر الووكي توكي بلا خطأ، كل شيء سار بسهولة ويسر وبمواءمة كاملة، بلا صعوبات أو عراقيل أو موانع، كل شيء كان مُهيئًا ليقع كما تخيله علاء بالضبط.

3. كيف اقتنع رجال الفصيلة بأوامر بلاكلي دون أن يحاولوا التأكد

منه؟! ألم يبذ لهم غريبًا وهم يسيطرون على وحدة ضخمة، والجيش الكاميروني يحاصرها في الخارج، ومطلوب منهم قتل رهينة على رأس كل ساعة، ووسط كل هذا تأتيهم رسالة مشوشة من قائدهم يطلب فيها منهم أن يتركوا أماكنهم ويتجمعوا في مكان آخر؟ علاء اعتمد على أن أجهزة الـووكي توكي رسائلها مشوشة ومتقطعة، فلن ينتبه أحد إلى أن أوامر بلاكلي مسجلة، لكن أليس هذا السبب في حد ذاته ادعى لأن يأتي بعض رجال الفصيلة إلى مكتب المدير ليتأكد من بلاكلي نفسه؟

4. كيف استطاع علاء التصويب بهذه الدقة على أسطوانة الأكسجين، وهو في الأساس لا يجيد التصويب، كما صرّح بذلك في أكثر من عدد سابق؟

العدد عبارة عن 128 صفحة من القطع الصغير، وتتأبع النهاية هذا بدأ في الصفحة 115 وانتهى في الصفحة 124، أي أن الحل جاء في أقل من عشر صفحات. وبالطبع لم أنتبه لكل هذه الملاحظات عندما قرأت العدد لأول مرة، كل هذه الأفكار جاءتني عندما أعدت قراءته الآن، بينما في المرة الأولى كنت مبهورًا بما قام به علاء.

أما في العدد 14، «إنهم يعودون أحيانًا»، تدور المشكلة حول أشخاص يتجولون في سفاري والقرية المجاورة، رغم أنه من المفترض أنهم قد ماتوا، ويتضح لاحقًا أن أحد الأطباء كان يُعرضهم للتجميد قبل أن يموتوا فعلًا، ويحتفظ بهم في مختبر أعده لذلك، لكن من آن لآخر كان تجميد أحدهم يذوب نتيجة خطأ ما، فيستيقظ ويغادر المختبر ويتجول واهنًا في سفاري أو في قريته القريبة.. النقطة هنا أن الطبيب الذي قام بتلك التجربة -والذي أدرك في مرحلة ما أن عيناته تستيقظ وتغادر المعمل- كان بإمكانه -ببساطة- أن يغلق باب المختبر جيدًا، فلا يستطيع هؤلاء العائدون أن يخرجوا منه، ويظلوا هناك إلى أن يعود للمختبر فيجدهم ويجمدهم من جديد، لكنه لم يفعل!

وفي العدد 15، «الرجل الذي لم يكن»، يُوقع علاء بإبراهام ليفي

في فخ ليستجوبه ويعرف منه معلومة مهمة، فيحبسه في مكان فيه أقفاص بداخلها كلاب مسعورة، بعد أن فتح قفص أحد الكلاب، وادّعى أنه ربط الكلب نفسه بحبل طرفه في يده، ويهدّد ليفي بأنه سيترك الحبل لينقض الكلب عليه إذا لم يُجبه على أسئلته. ليفي كان يمسك في يده بمسدس يحوي طلقات مخدرة، كان سيستخدمه في تخدير بعض تلك الكلاب ليجري عليها تجاربه، ففكر أن يستخدم المسدس ضد علاء:

«كان المسدس في يده، ويبد مترددة رفعه نحوي وهو يضغط على شفتيه، فصحت:

لا.. لا.. أنصك ألا تفعل.. سأنام أنا نصف ساعة بينما تمرح أنت مع الكلب وحدكما.

كان نباح الكلب يتعالى، مما جعل الأمر أقرب إلى الكابوس.. وأدرك كذلك -إنه ذكي بلا شك- أن الاستغاثة لا جدوى منها على الإطلاق.. لن يسمعه أحد وسط هذه الغابة الصاخبة».

واستجاب ليفي لعلاء وأخبره بكل ما يريد أن يعرفه.. النقطة التي توقفت أمامها هنا: إذا كان مسدس طلقات التخدير في يد ليفي، ولا يمكنه إطلاقه على علاء كي لا يسقط هذا الأخير ويرتخي الحبل في يده، فينطلق الكلب المسعور لينهش ليفي.. لماذا لم يفكر في إطلاق الطلقة المخدرة على الكلب نفسه فتنتهي المشكلة؟!

أشياء مثل هذه كانت تظهر من آن لآخر، فينتبه لها المرء ويندهش ويتساءل، أو لا يفطن إليها ويستمر في استمتاعه بالأحداث المشوقة.

ما قدّمه أحمد خالد توفيق كان درجة أعلى مما قدّمه نبيل فاروق، فمعه تعرّفنا على أشكال أدبية أكثر تطورًا، نبيل فاروق استخدم دائمًا الراوي العليم -ما عدا في المذكرات وبعض القصص القصيرة- بينما في كتابات أحمد خالد توفيق الراوي المستخدم هو الراوي



المتكلم - ما عدا في فانتازيا وبعض أعداد سفاري- الذي كنا نتعرف عليه للمرة الأولى.

تعرفنا معه على أسلوب المجموعة القصصية القائمة على وجود مجموعة أشخاص في مكان واحد، وكل واحد منهم يحكي قصته، وذلك في حلقات الرعب التي تأتي كل عشرة أعداد في ما وراء الطبيعة.

عرفنا كذلك الكتابة الساخرة لأول مرة، وعرفنا ماهية البطل الضد، anti hero، متمثلاً في رفعت إسماعيل.

حتى في اختياره للعناوين، تعرفنا معه على أفلام عالمية مشهورة، ذلك أنه كان يحب اقتباس عناوين تلك الأفلام لتصبح عناوين كتبه، فعلى سبيل المثال الأعداد 6، 7، 14 من سلسلة سفاري، والتي حملت عناوين: «أشياء تحدث ليلاً»، «الآن تراه»، «إنهم يعودون أحياناً»، والأعداد 1، 5، 24 من سلسلة فانتازيا، والتي حملت عناوين: «قصة لا تنتهي»، «ذات مرة في الغرب»، «فليدخل التنين»؛ كلها عناوين أفلام هوليوودية مشهورة.

ما الفرق بين نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق؟

كثيراً ما شغلني هذا السؤال. فبعيداً عن الإجابة الظاهرة المباشرة التي تقول إن أحمد خالد توفيق كتب لشريحة عمرية أكبر من تلك التي توجه إليها نبيل فاروق، وإن الأول كتاباته ساخرة تدور في عوالم الرعب والمغامرات الطبية، بينما الثاني كتاباته جادة وطنية تدور في عوالم الجاسوسية والخيال العلمي؛ بعيداً عن هذه الإجابات، أعتقد أن هناك نقطة جوهرية في طبيعة كتابة كل منهما فرقت كثيراً في نوعية قرائهما. نبيل فاروق كتاباته شديدة المثالية، فلما وصل أبنائه إلى سن المراهقة كان طبيعياً أن يتمردوا على مثالية أبيهم، وهذا عكس ما حدث مع أحمد خالد توفيق الذي كانت كتاباته الساخرة مناسبة لطبيعة الشباب في هذه السن، وهكذا ظل قراء أحمد خالد توفيق مخلصين له، واستمروا يبشرون به وبكتاباته





ويدافعون عنه ضد الانتقادات التي وُجّهت إليه في حياته وبعد وفاته، أما نبيل فاروق فقد كانت كتاباته مُشوِّقة إلى درجة أن الذين لا يقرؤون قرؤوا له، تمامًا مثل أجاثا كريستي التي قرأها حتى أولئك الذين لا يهتمون بالقراءة، فلما كبر هؤلاء لم يعودوا إليه، اعتبروه مرحلة وانتهت في حياتهم. بعبارة أخرى: أحمد خالد توفيق لديه تلاميذ كثير، بينما نبيل فاروق لديه تلاميذ أقل.

وهناك نقطة بعيدة عن الكتابة لكن لا يمكن إهمالها، فبعد ثورة يناير كتب نبيل فاروق مقالات مُهم منها أنه لا يأخذ جانب الثورة بشكل كامل، وهو في الحقيقة موقف متوافق إلى حدّ كبير مع كتاباته التي يظهر فيها رجل الأمن في صورة مثالية، وهذا أدى إلى الهجوم عليه من كثير ممن كانوا يعتبرون أنفسهم قراءه.

وبعيدًا عن كل هذا، وعودة إلى السلاسل؛ كنا نشهد أحيانًا مع نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق ظواهر نعتبرها كونية! في بدايات الألفية فوجئنا بكتيب ضخم -تقترب صفحاته من 400 صفحة- ضمن إصدارات روايات مصرية للجيب، لا يتبع أي سلسلة، يحمل عنوان «كتاب الصيف»، وتحتة عبارة: بقلم مؤلفي روايات مصرية للجيب. شارك في كتابة هذا العدد كلٌّ من نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق وخالد الصفتي ومحمد سليمان عبد المالك وممدوح الفرماوي(182)، كتب كلٌّ منهم قصة أو أكثر. ما كتبه أحمد خالد توفيق في هذا العدد كان قصة مختلفة بعنوان «ثلاثة»، جمع فيها لأول مرة بين أبطاله الثلاثة: رفعت إسماعيل وعبير عبد الرحمن وعلاء عبد العظيم. تزور عبير وحدة سفاري، وتُفاجأ بأن رفعت إسماعيل يزور الوحدة في الوقت نفسه، ويحدث أمر غامض، وتتعامل معه كل شخصية بالطريقة المتلائمة مع طبيعتها: عبير تُفسّر الأمر بشكل خيالي فانتازي، بينما علاء يضع له تفسيرًا علميًا، أما رفعت فيرى الأمر في صورة خوارقية. كانت هذه القصة مميزة للغاية بالنسبة إليّ، فقد شهدت لأول مرة ظاهرة cross over، التي سأعرفها فيما بعد، عندما تتداخل عوالم أكثر من شخصية. شركات الكوميكس تقوم بهذا الأمر كثيرًا، عندما يظهر





إصدار خاص يجمع بين أبطال شركة دي سي -سوبرمان وبات مان وفلاش، إلخ- وأبطال شركة مارفل -سبايدر مان وإيرون مان وكابتن أميركا، إلخ- وفي تلك المرة شهدت اجتماع شخصيات أحبها في نفس القصة، فكان الأمر أشبه بهدية لم أتوقعها.

نبيل فاروق قام لاحقًا بأمرٍ مشابه على موقع «بص وطل» الإلكتروني، عندما نشر قصة بعنوان «ملف المستحيل»، يجتمع فيها أدهم صبري بنور من ملف المستقبل.

وإذا كان محمود سالم قد وضع حجر الأساس في روايات الجيب، وجاء من بعده نبيل فاروق فأرسى هذا النوع وثبته، فأحمد خالد توفيق هو الذي وصل به إلى مرحلة النضج.



أسطورة روايات مصرية للجيب

ارتبطنا كقراء، بشكل كبير، بأغلفة السلاسل التي كان يرسمها إسماعيل دياب، نحن لا نعرف أشكال رفعت إسماعيل وعلاء عبد العظيم وأدهم صبري ونور وفريقه إلا من خلال ريشة هذا الفنان العظيم، هناك أعداد كان يرسمها بشكل رائع، وأعداد أخرى بشكل أقل. مثلًا غلاف العدد 44 من رجل المستحيل، «العين الثالثة»، يبدو فيه أدهم صبري وسيماً واثقاً بنفسه، وهو يقفز ويستل مسدسه، وكذلك غلاف العدد 56، «الفهد الأبيض»، بينما غلاف العدد 72، «شريعة الغاب»، يبدو فيه وكأنه أحول العينين! أحمد خالد توفيق يقول إن هذه طريقة إسماعيل دياب في نقد الأعداد، فما يعجبه يتفنن في رسم غلافه، وما لا يروق له يرسمه بلا حماس.

السلسلة الوحيدة التي كانت معظم أغلفتها رائعة ومرسومة بعناية هي المكتب رقم 19، رغم أنها لم تُرَق لكثيرين، وتوقفت بعد فترة، إلا أن إسماعيل دياب فيما يبدو أحبها لسبب ما، وبطل السلسلة، ممدوح عبد الوهاب، كان يظهر على أغلفة السلسلة وسيماً بحق!

وعندما توفي إسماعيل دياب عام 2005 -في الوقت الذي تواكب مع مشاكل نبيل فاروق مع المؤسسة العربية الحديثة- واختفت أغلفته وظهرت أغلفة جديدة لرسامين شباب اجتهدوا قدر الإمكان في ملء الفراغ الذي تركه؛ وعندما توفي صبحي عبود في نفس التوقيت، وهو المسؤول عن تصميم الصفحات الداخلية للأعداد، بالشكل الذي اعتدنا عليه طوال عشرين عامًا؛ عندما حدث هذا شعرنا كقراء بشيءٍ من الغربة، وربما كان هذا أحد العوامل التي ساهمت في تراجع سلاسل روايات مصرية للجيب، لأن حتى المؤلفين -في اعتقادي- انقبضت قلوبهم وشعروا بأن الأمور اختلفت.



روايات مصرية للجيب لم تكن حكرًا على نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق وحدهما، وإن كانا أهم نجمين فيها. في البداية ظهر شريف شوقي بسلسلته «المكتب رقم 19» (183)، ثم جاء نبيل فاروق بسلاسله العديدة، وعلى رأسها رجل المستحيل وملف المستقبل وكوكتيل 2000، واستمررا وحدهما -نبيل فاروق وشريف شوقي- حتى أواخر الثمانينيات، قبل أن ينضم إليهما رؤوف وصفي بسلسلته «نوبا»، وخالد الصفتي بـ«فلاش» وبعدها «سماش» (184)، وأخيرًا في بداية التسعينيات جاء أحمد خالد توفيق، بما وراء الطبيعة وفانتازيا وسفاري. هؤلاء هم كُتّاب «روايات مصرية للجيب» الذين يعرفهم جيلي.

أيضًا هناك عبد الحميد عبد المقصود، والذي ربما لا يعرفه كثيرٌ من القراء لأنه لم يكن يكتب روايات الجيب، بل سلاسل دينية وحكايات للأطفال، مثل قصص الأنبياء، والفتوحات الإسلامية، وحكايات كليلة ودمنة، وحكايات ألف ليلة، وغيرها. ساهم في روايات مصرية للجيب بسلسلتي كوميكس هما «بلية العجيب» -من رسوم فواز- و«نيمو الجريء».

وفي أواخر التسعينيات ظهر محمد سليمان عبد المالك وتامر إبراهيم، اللذان بدأ من خلال سلسلة «سلة الروايات»، والتي كانت تهدف إلى تقديم الأقلام الجديدة. فكرة سلة الروايات -وهي من بنات أفكار حمدي مصطفى- اعتمدت على أن كل عدد منها يكون هو العدد الأول في سلسلة جديدة لكاتب شاب، والقراء هم من يُحدّدون ما السلسلة التي راق لهم عددها الأول أكثر، لتنفصل في سلسلة مستقلة لاحقًا. استمر ذلك لأول ستة أعداد، والذي حمل كل منها توقيع كاتب مختلف، ما عدا العددين الثاني والرابع، اللذين كتبهما نفس المؤلف: محمد سليمان عبد المالك. ثم بدءًا من العدد السابع، ظلت السلسلة تُقدّم فقط كتابات محمد سليمان عبد المالك في سلسلته «لوتس» و«مغامرات س»، حتى العدد 20، ثم نشر روايتين





منفصلتين لا تتبع سلسلتيه في العددين 21 و22، ومنذ العدد 23 وحتى 27، بالإضافة إلى 29، بدأ تامر إبراهيم نشر أعداد سلسلته «أوراق مجهول».

مشاعري تجاه «سلة الروايات» متناقضة، فقد بدأ نشرها مع عودتي من السعودية لألتحق بالجامعة في مصر في عام 1998، وفي ذلك الوقت كان لدي طموح أن أنجح في نشر سلسلة في مشروع روايات مصرية للجيب، وأصبح مثل نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق، لذلك بدأت في كتابة سلسلتي الأولى، وأسميتها «العالم الجديد»، والتي تدور أحداثها بعد الحرب الكبرى التي تخيلت أنها قضت على الحضارة. مازلت أذكر اليوم الذي طبعتها فيه وجلدتها، ثم حملتها إلى مقر المؤسسة العربية الحديثة في المنطقة الصناعية في العباسية، في أحد الأيام الشتوية. سرت في الشارع بخطوات منتشية بما أنا مقدم عليه، وأنفاس مبهورة لا أدري من البرد أم من الترقب، فبعد قليل سأصل إلى المكان الذي تخرج منه كل الروعة التي فتنتني طوال السنين الماضية. توقفت أمام مبنى المؤسسة مترددًا، قد أجد في الداخل نبيل فاروق أو أحمد خالد توفيق، هل لو سلمت عليهما سيعرفان أنني قارئ قضيت عشرات الساعات أطالع كلماتهما وأحلم بها؟ هل سيدركان أنني أيضًا قد أكون كاتبًا لا بأس بي؟ أم إنهما سيتعاملان معي بتعالٍ وبلا مبالاة؟

دخلت إلى مبنى المؤسسة والتقيت موظفًا عرفت أن اسمه الأستاذ بدر، وبكلمات مرتعشة شرحت له لماذا أتيت. عاملني الرجل بلطف وتناول مني روايتي، وخط فوقها بضع كلمات، ثم وضعها فوق كومة خلفه من الأعمال المطبوعة، التي أدركت أنها لمؤلفين شباب آخرين. أخبرني أنهم سيطلعون على عملي ويردّون عليّ خلال أسبوعين، فخرجت من المؤسسة وأنا لا أستطيع تمالك نفسي: بعد أسبوعين قد أكون على موعد مع المجد!

مرّ الأسبوعان ولم يتصل بي أحد، فانتظرت أسبوعين آخرين ثم





اتصلت برقم المؤسسة، ليرد عليّ الأستاذ بدر نفسه، ويطمئنني أن لجنة القراءة مشغولة خلال هذه الفترة، لكنهم سيقراون عملي خلال شهر. ولما وجدت أنني سأنتظر شهرًا آخر، قررت أن أكتب العدد الثاني من سلسلة «العالم الآخر» وأذهب به إليهم، لأثبت لهم جديتي.

ظلت طوال ثلاث سنوات أنتظر الرد، لكنه لم يأت. وخلال تلك الفترة لم أتوقف عن الكتابة، كتبت العدد الثالث من «العالم الجديد»، ثم جاءتني فكرة سلسلة أخرى أسميتها «الآخر»، كتبت منها ثلاثة أعداد، ثم سلسلة ثالثة اسمها «ماعت»، كتبت منها عددًا واحدًا. وهكذا ظلت كل عدة أشهر أنتهي من عدد جديد، أو سلسلة جديدة، وأذهب به إلى مقر المؤسسة. وكلما صدر عدد جديد من «سلة الروايات» يرتجف قلبي، لعل وعسى أن أجده يحمل اسمي، وهو الأمر الذي لم يحدث.

لكن بسبب «سلة الروايات» حصلت على ما هو أهم من النشر، فقد تعرفت على زوجتي!

كنت قد اشتركت في عام 2002 في منتدى روايات التفاعلي، وهو منتدى يجمع قراء روايات مصرية للجيب، ونوّه عنه أحمد خالد توفيق في أحد أعداد ما وراء الطبيعة، وهناك -ولأول مرة- التقيت بعشرات الأصدقاء الذين يشاركونني شغفي بسلاسل نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق. لم أعد غريبًا، صار بإمكانني الحديث بحرية عما أحبه، وسأجد من يفهم ما أتكلم عنه!

منتدى روايات شكّل ظاهرة أدبية مهمة، لأن وجوده أثر -بشكل ما- في سلاسل روايات مصرية للجيب، على الأقل في سلاسل أحمد خالد توفيق -كما ذكرت من قبل- لأنه صار قناة بين المؤلفين والقراء، وكثير من أعضائه صاروا كُتّابًا معروفين فيما بعد.

ذات مرة، كتبت في المنتدى مشاركة ذكرت فيها أنني أحاول النشر في سلسلة «سلة الروايات» ولم يأتني الرد حتى الآن، لأجد بعدها





إحدى العضوات تراسلني لتخبرني أنها هي أيضًا أرسلت لهم رواية ولم يصلها الرد بعد من الأستاذ بدر. الأستاذ بدر؟! حكيت لها قصتي مع ذلك الرجل اللطيف، الذي يلتقيني في كل مرة أذهب فيها إلى مقر المؤسسة ويخبرني بابتسامة ودود أن أعمالي سيتم الاطلاع عليها قريبًا. قلت لها إنه أخبرني في المرة الأخيرة أن الأستاذ حمدي مصطفى «مبسوط» مني، وأخذ بعض رواياتي معه ليقرأها في المصيف في الساحل الشمالي!

توطدت الصداقة بيني وبين تلك الكاتبة الشابة، شعرنا أننا رفاق كفاح في نفس المعركة، وبعد ذلك بثلاث سنوات ستصبح مروة زوجتي!

استقل «محمد سليمان عبد المالك» عن «سلة الروايات»، وصار ينشر أربع سلاسل: «لوتس» و«مغامرات س» و«المكتب رقم 17» (185) و«ترانزيت»، وحصل تامر إبراهيم على سلسلتين: «عالم آخر»، و«ميجا» التي شاركه فيها آخرون.

وفي عام 2015، عندما نشرت روايتي الثانية «عشق» -وكانت روايتي الأولى «ترنيمه سلام» قد حققت صدى واسعًا- فوجئت برسالة تصلني على الفيسبوك من محمد سليمان عبد المالك، أخبرني فيها أنه قرأ روايتي الأولى وأعجبته، لكنه لم يرغب في مراسلتي قبل أن يطلع على عملي الثاني، والآن صار متأكدًا من أن لدي مشروعًا واضحًا، وهنأني عليه. كانت تلك من أجمل التهاني التي وصلتني، وشعرت بامتنان شديد للطفه ورقيه، واستحييت أن أصرحه بأنني قضيت عدة سنوات أشعر بالحقده عليه لاحتكاره «سلة الروايات»!

وفي الألفية الجديدة جاء محمد رضا عبد الله بسلسلتي «حالات خاصة» و«الصرخة»، اللتين توقفتا منذ عدة سنوات، وسالي عادل بسلسلة «الحب والرعب»، وحسن الحلبي بسلسلتي «تاكسي» و«كوابيس»، وأحمد فكري بسلسلة «ميتافيزيقيا»، وسيد زهران بسلسلتي «الطارق» و«العصور». هذا هو الجيل الحالي الذي ما زال



مستمراً في روايات مصرية للجيب، بعد توقف محمد سليمان عبد
المالك وتامر إبراهيم واتجاههما إلى كتابة السيناريو.



وفي سنة 2011، توفي حمدي مصطفى، صاحب المؤسسة العربية
الحديثة، ومؤسس مشروع روايات مصرية للجيب، المشروع الذي
عاش جيلي مع كتيباته أجمل أوقاتهم على مدار ثلاثين عامًا. وبعد
وفاته بعدة سنوات توفي أحمد خالد توفيق عام 2016، ثم توفي
نبيل فاروق عام 2020، لينتهي هذا الجيل من العظماء، ويتركوا جيلاً
جديداً من الشباب، نتمنى لهم التوفيق في إكمال المسيرة.



١١ أسطوره



بعكس أغلب المؤلفين الآخرين، أحمد خالد توفيق بالذات ربطت أواصر الصداقة بينه وبين كثير من قرائه، وربما كنتُ أنا أقلهم.

لم ألتقي من قبل بنبيل فاروق، رأيته فقط من بعيد لمرة واحدة في معرض الكتاب في 2005، واستحييت أن أقترّب منه. كان دائماً ما يكتب في عزيزي القارئ في كوكتيل 2000 أنه يزرع تحت جبال من الخطابات المرسلّة إليه ولا يجد وقتاً للرد عليها كلها، لذلك كان انطباعي عنه أنه مشغول وهناك آلاف القراء يطاردونه، ولم أريد أن أصبح واحداً جديداً من قرائه الذين يُشكّلون عبئاً عليه.

أما أحمد خالد توفيق فلم يضع عنواناً بريدياً ليرسل إليه القراء رسائلهم عليه، بل وضع بريداً إلكترونياً على موقع hotmail.com الذي كان منتشرًا وقتها، والجميع لديهم بريد إلكتروني عليه، بما فيهم أنا.

وفي ربيع 2003 كنت شاباً تخرّج في الجامعة لتوّه، لديه محاولات في الكتابة ينشرها في المنتديات الأدبية، ولديه الكثير من الإحباطات والتطلعات. في بداية أبريل 2003 دخلت القوات الأمريكية العراق وسقطت بغداد، أُصبت بالاكْتئاب بعدها لفترة لا بأس بها، لم أكن أتخيل أن أشهد شيئاً مثل هذا، وفي نفس الفترة قرأت ترجمة مبسطة لرواية 1984 أصدرها أحمد خالد توفيق في سلسلة روايات عالمية للجيب (186). لسبب ما قررتُ أن أرسل إليه رسالة على بريده الإلكتروني الذي ينشره دومًا في نهاية كتيباته، وأنا متيقن أنه لن يرد، أردت فقط الفضفضة كي لا أنفجر، أن أتحدث مع نفسي في رسالة مُوجّهة إلى شخص أحبه وأحترمه، وأنا أعرف أن أحدًا لن يطلع عليها غيري. ثم فوجئت به يجيب بعد أيام على رسالتي!

سأعرف فيما بعد أن أحمد خالد توفيق ذو ميول ناصرية قومية،





وربما تأثر بالهموم التي حملتها كلماتي، فواساني وحاول أن يخفف من وقع الأحداث عليّ، ثم ترك لي رقم هاتفه الأرضي، وطلب مني أن أهدّته في أي وقت بعد الحادية عشرة مساءً!

هكذا بكل بساطة!

طبعًا طرت من الفرحة، لم أصدّق نفسي، وفيما بعد سأعرف أنه لا يجد غضاظة في منح رقمه لقرائه والحديث معهم إن وجد وقتًا للرد، وفي تلك الفترة لم يكن الهاتف المحمول منتشرًا، وكانت تكلفة المكالمات مرتفعة، ففضّل أن يعطيهم رقم هاتفه المنزلي!

أسرعتُ في اليوم التالي واشتريت كارت ميناتل - كانت كبائن ميناتل منتشرة في الشوارع وقتها، قبل انقراضها مع انتشار المحمول - واتصلت به في الساعة الحادية عشرة بالضبط، وبعد بضع رنات جاءني صوته متسائلًا. ذكّرته بنفسي وتحدثت معه لما يقرب من ثلث ساعة، ما أذكره الآن من المكالمات أننا كنا نتهمك على آرييل شارون، الذي تناوله أحمد خالد توفيق في أحد أعداد سلسلته سفاري (187).

بعدها صرت أتصل به كل بضعة أسابيع، بعد أن أشدذ ذهني لأجد موضوعًا للكلام، وكنت أفاجأ به يتكلم معي بأريحية عما ينوي أن يفعله في الأعداد القادمة من سلسله، أو ظروف كتابته لبعض الأعداد، وكنت أباهي أصدقائي وقتها بأني أعرف ما سيحدث في العدد الذي لم يصدر بعد، أو أنني أعرف ما الخطة التي وضعها لإنهاء سلسلة ما وراء الطبيعة، وهكذا.

أخبرني مثلًا بأنه جهّز منذ فترة ما أسماء بـ«أسطورة النهاية»، والذي سيُنهي به السلسلة بوفاة رفعت إسماعيل. كان ينوي في هذا العدد أن يحكي كل القصص التي وعد رفعت بأن يحكيها للقراء ولم يتسع الوقت لذلك، ثم ينهي العدد بقصة «زنزانة خريولسن»!

و«زنزانة خريولسن» قصة حاول رفعت حكيها في أكثر من عدد، وكلما بدأ في حكيها يحدث شيء ويقاطعه عند جزء مُشوّق جدًّا،





فيعد بأن يحكيها في مرة قادمة. القصة كانت دعابة مع القراء، على طريقة القصص التي لا يمكن إكمالها أبداً لظروف قهرية. قال لي يوماً إنه ينوي أن يجعل رفعت يبدأ في حكي القصة، ثم يموت قبل أن يستطيع إكمالها، وتكون هذه دعابته الأخيرة للقراء.

كنت وقتها مشتركاً في منتدى أدبي اسمه «خيال»، مع مجموعة من الأصدقاء، وكان دكتور أحمد يتابع مواضيعنا ويعرفنا جميعاً، وفكرنا أن ندعوه ليلتقينا، وكالعادة وافق. كل من يعرفه سيحكي حكايات عن أنه يُلبي الدعوات ولا يُحرج أحداً. كثيرٌ من قرائه دعوه إلى حفل زفافهم، ففاجأهم بحضوره!

أذكر أنه كتب ذات مرة أن أسرة من أسر إحدى الكليات دعاه القائمون عليها ليحضر معهم احتفالية ما، وهو لبّي الدعوة، ولما وصل فوجئوا بوجوده، لأنهم لم يصدقوا أنه سيأتي بالفعل، ولم يتجهزوا لاستقباله ولم يعرفوا ماذا يفعلون به!

على الجانب الآخر، حاولت مجموعتنا في نفس الفترة أن تدعو روائياً شهيراً من جيل الستينيات للتلقي به، لكنه رفض عندما عرف أنه لن تكون هناك تغطية صحفية!

المهم أننا التقينا دكتور أحمد في محطة قطار رمسيس، يومها كان في مشوار إلى المؤسسة العربية الحديثة، وفي طريق عودته إلى طنطا جلس معنا ما يقرب من ساعتين حتى حان موعد القطار، ونحن لا نصدّق أننا نجالسه فعلاً، وأنه يتحدث معنا بهذه البساطة ويمازحنا ويعرف أسماءنا. وعندما وصل القطار ودّعناه وظللنا على رصيف المحطة نُلوّح له ونلتقط لأنفسنا الصور أمام النافذة التي يجلس خلفها، شعرت أنه أحس بالحرص وظهر عليه التوتر، خصوصاً أن ركاب العربة لاحظوا ما يحدث وبدأوا يرمقونه بدهشة، ولسان حالهم يتساءل عن هذا الرجل الذي يلقي تلك الحفاوة من هؤلاء الشباب.

وعندما عدت إلى البيت أرسلتُ إليه رسالة اعتذار عما حدث، فردّ عليّ بأنه حسّاس للغاية ولا يحب لفت الأنظار.





وحدث بعد شهر أن صديقة من السودان جاءت لتزور مصر مع أسرتها، وفكرت أن أجهز لها مفاجأة بترتيب لقاء يجمعها مع دكتور أحمد خالد توفيق، فاتصلت به وعرضت عليه الأمر، وأنا أتوقع أنه سيعتذر بمشغوليته، لكنه طلب مني الانتظار قليلاً حتى يبحث في أجندته عن يوم مناسب، ثم قال لي ببساطة: الأسبوع القادم يوم كذا!

لكن صديقتنا هذه اضطرت إلى السفر مبكراً، فاتصلت به من جديد لأعتذر له، وشعرت في صوته بنبرة ارتياح لأن عبء هذا الالتزام رُفع عن كاهله.

كان يشعر بالواجب والالتزام تجاه قرائه، ومستعداً للتضحية بوقته وراحته من أجلهم إذا استدعى الأمر.

أذكر أننا -أصدقائي وأنا- قررنا إنشاء دار نشر في تلك الفترة، وطبعنا مجلة صغيرة أسميناها «خيال»، ووضعا فيها مقالاتنا وقصصنا، واتصلنا بدكتور أحمد نريد أن نلتقيه ونهديه نسخة منها. طلب منا أن نأتي إليه في طنطا، ففعلنا أنا وصديقان آخران. التقى بنا في كافيه، وأعطيناها المجلة، وتحدثنا طويلاً، وبعدها أخذنا في سيارته وقال لنا ببساطة: «هفسحكم في طنطا!»

لَفَّ بنا في شوارع طنطا وهو يشير: هذا هو مسجد السيد البدوي، هذا هو كذا، هذا هو كذا. ثم أوصلنا بعدها إلى موقف الميكروباصات لنعود إلى القاهرة.

في هذا اليوم حدث موقف لفت انتباهي، بينما الجارسونة تُحضر لنا طلباتنا في الكافيه، وتضع فنجان قهوته أمامه، إذا بها تتعثر ويسقط منها الفنجان وينكسر على الأرض، ففوجئنا بدكتور أحمد يهتف معتذراً: «معلش معلش، أنا السبب، أنا دائماً نحس!»، وكأنه يشعر بالذنب من أن تحمل الفتاة أي ذكرى سيئة بسبب فنجان قهوته!

كتب دكتور أحمد بعدها عن مجلتنا وذكر أسماءنا في العدد 65



من ما وراء الطبيعة، «أسطورة العلامات الدامية»، وقبلها نوّه عن منتدانا في العدد 59، «أسطورة رونيل السوداء»، وبسبب هذا عرف المئات طريق منتدانا واشتركوا فيه، وكثيرٌ منهم صاروا أصدقاء عمرنا. في الحقيقة لقب العراب لم يُطلق على أحمد خالد توفيق من فراغ، كثيرون من أبناء جيلي صار هو بطاقة التعارف الأولى بينهم وبين الجمهور، كان يهنئهم في صفحة بريد القراء في ما وراء الطبيعة فيعرفهم الملايين. بل أكثر من ذلك، كان يكتب لهم النبذة الخلفية في كتبهم الأولى أو يخطُّ لهم مقدماتها. أذكر مرة أنه قال لي -ولا أذكر السياق- إنه نشر مع الناشر الفلاني -وكان ناشراً شاباً وقتها- لأنه وجد أن هذا واجبه ليدعمه في تجربته الأولى، وهو نفس الشيء الذي فعله مع مؤلف شاب آخر كتب معه عملاً مشتركاً!

لكن موقفي الأكبر مع أحمد خالد توفيق لم يأت بعد.

في بدايات 2005، حملنا المجلة الصغيرة التي نشرناها وذهبنا إلى ندوة علاء الأسواني الأسبوعية وعرضناها على الحضور. بعضهم قال كلاماً طيباً، وبعضهم قال كلاماً سليماً، لكنهم هاجموني بضراوة على مقال كتبتّه، وكانت هذه هي المرة الأولى التي أتعرض فيها لمثل هذا الموقف. تدهورت حالتي النفسية وقررت أن أعاقب العالم بأن أتوقف عن الكتابة!

اتصلتُ بدكتور أحمد وحكيت له كل شيء، فهوّن عليّ وانداهش من موقفي، كيف آخذ كلام هؤلاء الناس على محمل الجدية؟ هؤلاء ليسوا فنانيين؛ الفنان الحقيقي لا يجرح أحداً ولا يكسر مجاديف أحد في بداياته. سألته: «لماذا تنصحي بالألا أتوقف عن الكتابة؟ ألسنت أنت نفسك تود التوقف عن كتابة ما وراء الطبيعة وإنهاء السلسلة؟»، أجابني بدهشة: «ما وراء الطبيعة فقط! لكن بقية سلاسل ستظل مستمرة، أنا لن أتوقف عن الكتابة، هناك فرق بين أن تتوقف عن كتابة مشروع معين وبين أن تتوقف عن الكتابة ككل».

في هذا اليوم تعلمت درساً عظيماً، وعرفت أن هناك أشخاصاً قد



تكون موهبتهم الوحيدة هي محاولة تحطيم مواهب الآخرين، وأن الكتابة ليست خيارًا كي يتوقف المرء عنها وقتما يحب أو يستمر وقتما يشاء.

في تلك الفترة أخبرني صديقي محمد خميس بأن دكتور أحمد سيحضر ندوة علاء الأسواني الأسبوعية، وأنه سيأتي معي في سيارته -سيارة خميس- سيمر عليه خميس في طنطا، قادمًا من الإسكندرية، فيأتيان معًا ويعودان معًا، فاتفقت معي أنني سأعود معهما، لم يكن بإمكانني تفويت فرصة كهذه.

وهكذا ظللنا معه ما يقرب من ساعة ونصف في الطريق إلى طنطا، أذكر أن خميس شغل شريطًا يحوي مقطوعة كارمينا بورانا، وكان دكتور أحمد قد تحدّث عنها أكثر من مرة، وكتب عنها «أسطورة أغنية الموت»، العدد 74 من ما وراء الطبيعة، ففوجئت بدكتور أحمد يهتف فرحًا ويهز يديه كطفل وجد ضالته، وأخذ يستمع إلى الموسيقى سعيدًا، ثم حكى لنا أنها كانت لديه على شريط كاسيت، لكن صديقًا له استعاره ثم قصّ الجزء من الشريط الذي يحوي الأغنية ليُرْكَبه على شريط لديه، وأعاد إليه الشريط دون الأغنية! سألتُه بدهشة: «كيف عرف الرجل مكان الأغنية بالضبط على شريط الكاسيت، كي يستطيع قصه؟»، صمت ولم يرد، وظننته لم يسمع السؤال، فاستحييت أن أعيده، لكنه بعد دقيقة تكلم، فعرفت أنه كان يفكر في الجواب. قال لي: «لا بد أنه عند بداية الأغنية أوقف الشريط، ثم أحدث ثقبًا صغيرًا بدبوس في ذلك الجزء من الشريط، وكذلك فعل مع نهاية الأغنية، ثم قصّ الشريط عند العلامتين!».

التقيته بعدها ببضع سنوات في ندوة أخرى لعلاء الأسواني، وكان سيعود أيضًا مع خميس، فركبت معهما حتى أطراف القاهرة ثم تركتهما. في ذلك اليوم لمحنا بين الحضور فتاة أجنبية نحيلة جدًا وشقراء، ملامحها رقيقة وشاحبة لكنها تخلو من الجمال. وفي أثناء عودتنا سألتنا دكتور أحمد بحماس إن كنا قد لاحظنا تلك الفتاة؟





وأخبرنا بسعادة أنها تشبه ماجي كما يتخيلها!

آخر اتصال أجريته معه كان في 2008، على هاتفه المحمول هذه المرة، ذكّرتُه بنفسِي وكنت أود استشارته في شيء. إحدى دور النشر عرضت عليّ في ذلك الوقت أن تنشر لي كتابًا -وهي تجربة لم تكتمل- ولم أكن أعرف مقدار المبلغ الذي يجب عليّ أن أطلبه منهم، فسألته كي لا يخدعوني. أخبرني بأنه حصل في العدد الأول من ما وراء الطبيعة على 500 جنيه عام 1993، واستفاض كعادته في الحكي، فقال لي ضاحكًا إن هذا المبلغ غطى تكاليف ولادة ابنه محمد ومصاريف السبوع! ولما أخبرته أنني تزوجت سألني لائقًا لماذا لم أدعُه، وأنه كان سيحضر لو فعلتُ!

بعد ذلك بعدة سنوات حكى لي محمد خميس أن دكتور أحمد اتصل به بعد عرض حلقة الكبير قوي -التي ظهر خميس في أحد مشاهدتها- وقال له ضاحكًا: «أنا ومحمد ابني سُفنا الحلقة وقلتله إني أعرفك بس هو مش مصدّقني، حُد كَلّمه وقوله إني أعرفك علشان يصدّق!».

لم ألتقي به بعدها سوى مرة واحدة، في تكريم نظمته مكتبات «أ» له عام 2016، عندما دُعيت باعتباري من الكُتّاب الشباب الذين تأثروا بأحمد خالد توفيق، كي ألقى كلمة عنه في حضوره، ولظروف خاصة بمعظم الكُتّاب الذين دُعوا، لم يحضر سواي! عندما جاء فوجئت بأنه ما زال يذكرني، رغم أننا لم نتحدث منذ ثماني سنوات، بل وسألني عن أخبار أصدقائي الذين ما زال يذكرهم. وعندما جلستُ بجواره على المنصة، تحدثتُ عن قراءتي له وتأثّري به لما يقرب من عشر دقائق، في تلك اللحظات شعرتُ بأنني اكتملتُ واستويتُ، الطفل الصغير الذي قضى شطرًا من عمره يقرأ روايات الجيب ويبحث عنها ويحلم بها، ها هو الآن يجلس بجوار أحد أهم كُتّاب تلك الروايات في عصرنا، ويخبره مباشرة عن كم تأثّر به وكم غيرت رواياته حياته.

في تلك اللحظة شعرتُ بأنني في لحظة ذروة في رواية طويلة



بدأت في أواخر الثمانينيات، حتى تتجمع الخيوط كلها في ذلك اليوم
من عام 2016.



بعد ذلك بعامين حضرتُ عزاءه، وقابلت أشخاصًا لا أقابلهم ولا
يجتمعون عادةً سوى في معرض الكتاب فقط، كل الأحياء كانوا هناك
على شرفه وفي وداعه. ورأيت لأول مرة محمد ابنه، الذي حكى لي
عن ظروف ولادته، وتمنيكُ لو أمتلك الشجاعة لأقترب منه وأخبره
بأنني أحد تلاميذ والده، وأن عليه أن يفخر بالأثر الذي أحدثه، أقول
له إنك تعتقد أنه ذهب، لكن هذا غير صحيح، والدك موجود وسيظل
موجودًا في قلوبنا، سنظل نقرأ له ونتحدث عنه ونحبه، الفراق فقط
صعب، لكن ما دون ذلك فكل شيء كما هو، وأفضل. لكني لم أمتلك
الشجاعة، لأنني لو فعلتُ ففي الغالب كنت سأجهش في البكاء، وأنا
لا أحب البكاء أمام الناس.



السلاسل التي قدّمها أحمد خالد توفيق



1. ما وراء الطبيعة (81 عددًا - ألبومان كوميكس: أسطورة ميسيا، أسطورة المرأة الأفعى).

2. فانتازيا (64 عددًا).

3. سفاري (53 عددًا).

4. الأعداد الخاصة (9 أعداد).

5. WWW (5 أعداد).

السلاسل التي ترجمها

أو شارك فيها أحمد خالد توفيق

1. روايات عالمية للجيب (ترجم 76 عددًا).

2. رجفة الرعب (ترجم 10 أعداد).





أسطورة أكل البشر، أول عدد أقرأه من سلسلة ما وراء الطبيعة،
ومن كتابات أحمد خالد توفيق عمومًا





د. أحمد خالد توفيق

أسطورة أكل البشر

إن الحديث عن أكلة لحوم البشر منو دائما، بشرط ألا تكون أنت الضحية! .. والأنا أخص عبيك وتغيب معي ماذا تفعل لو اتضح لك أن هناك آكل لحوم بشر في مدينتك بل في شارعك بل في دارك! تخيل أن لك حازرا يأكل لحوم البشر، ويمارس طقوس (الكاسالوم) بالنظام وهو الآن يديق بابك بعد منتصف الليل، طالما بعض التوائيل: أرحوك لا تفتح الباب "

العدد القادم : أسطورة الموت الأحياء

المؤلف
المؤسسة العربية للدراسات
البحوث والنشر والتأليف
١٤٢٤

العدد القادم

وما، دة بالدولار
الأمريكي في سائر
الدول العربية
والعالم

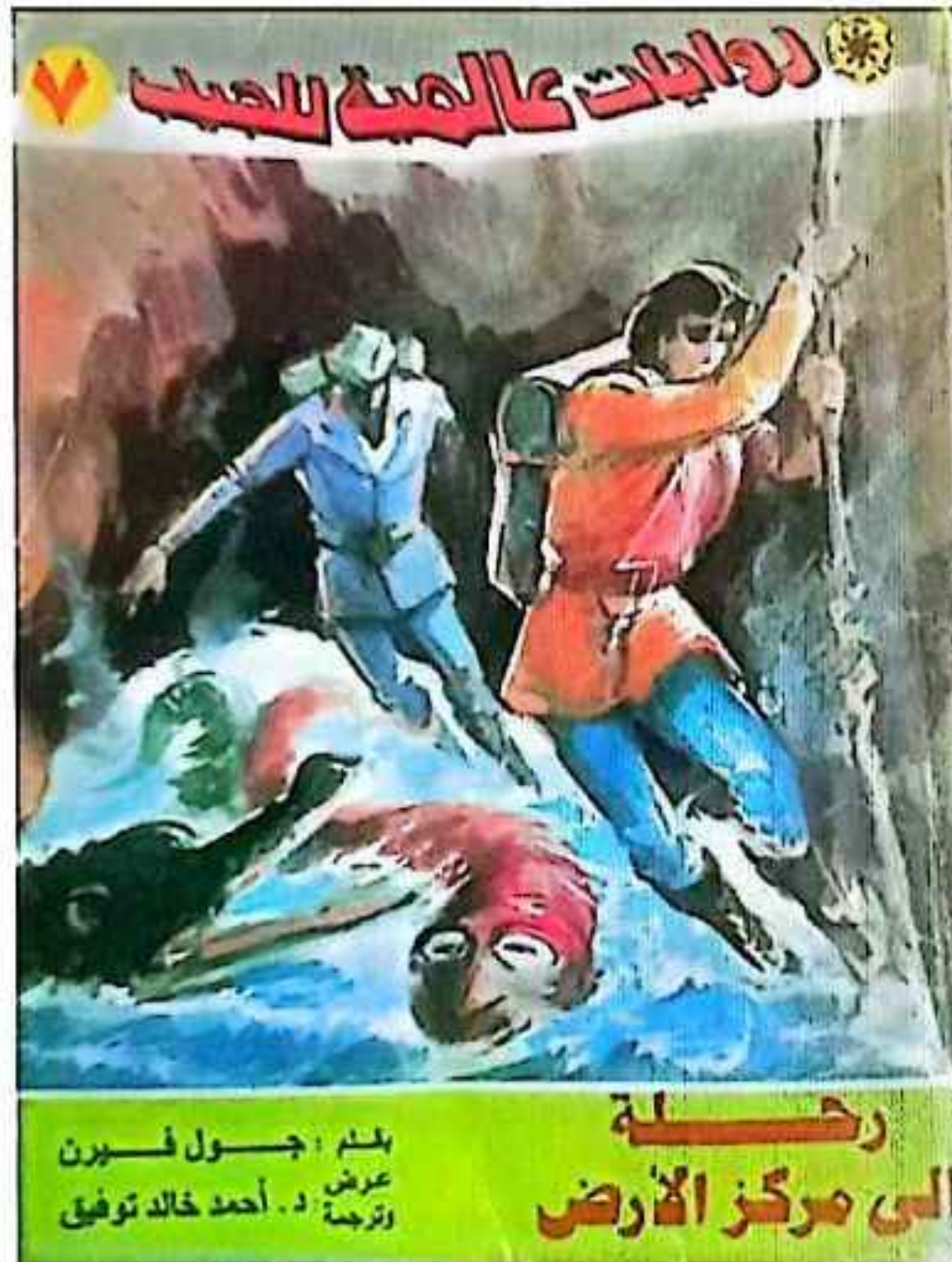
الغلاف الخلفي لأسطورة أكل البشر



قصة لا تنتهي، العدد الأول من سلسلة فانتازيا

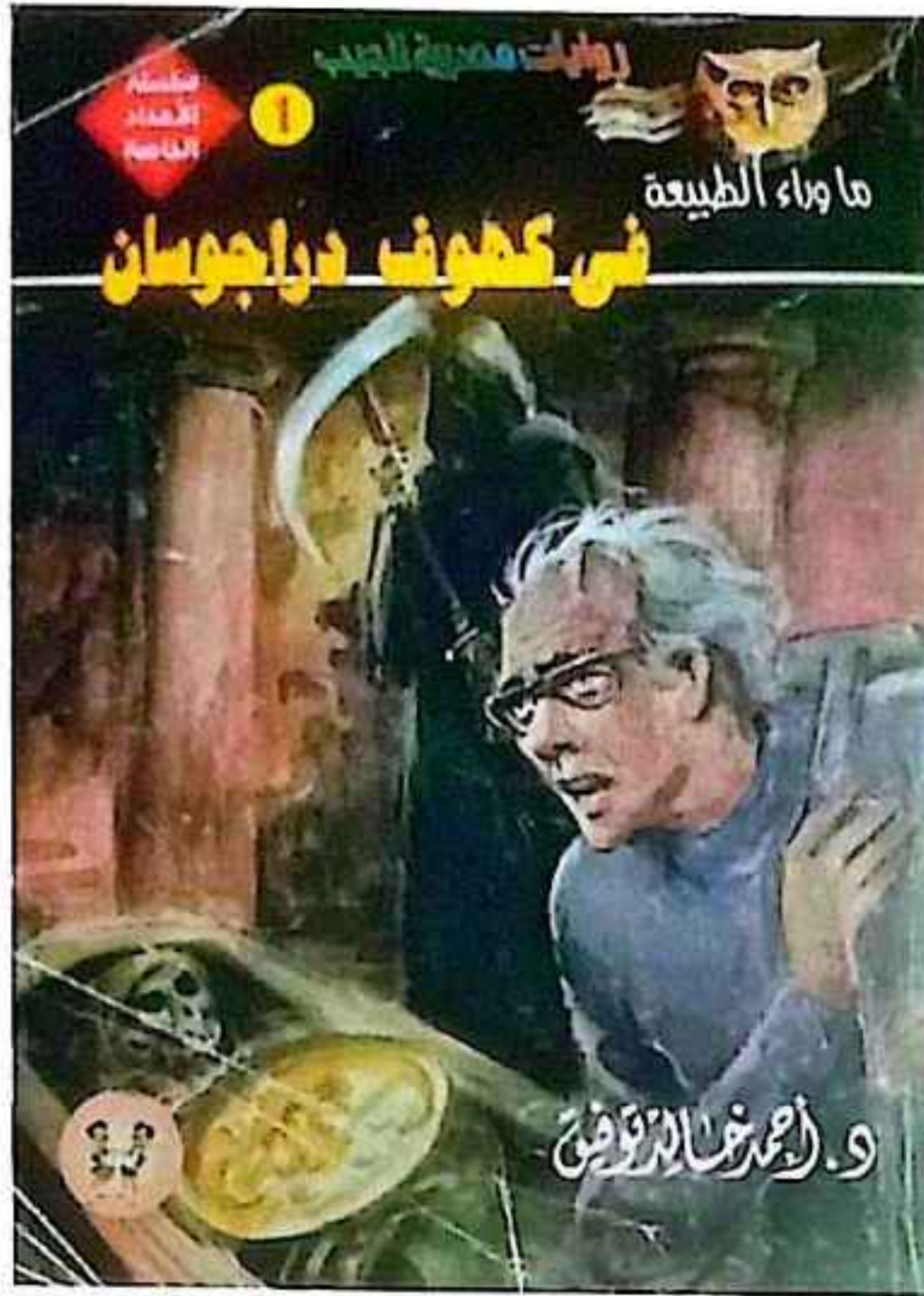


أول عدد أقرأه من سلسلة سفاري، رقصة الموت، العدد الرابع





رحلة إلى مركز الأرض، العدد السابع من سلسلة روايات عالمية
للجيب



في كهوف دراجوسان، العدد الأول من سلسلة الأعداد الخاصة





العدد الأول من سلسلة WWW





إسماعيل دياب، رسام المؤسسة العربية الحديثة، والذي ارتبطت
رسوماته

بأغلفة وشخصيات سلاسل روايات مصرية للجيب



٣ روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة

المؤلف - مؤلفى وليس مؤلف المسرحية - كان هناك
وهو ليس نادماً على السفر والوقت على الإطلاق .

- أصدر شباب منتدى (عالم الخيال) مجلتهم الأولى
(خيال) ، والغلاف لفنان موهوب هو (أشرف حمدى) .
غلاف جذاب فعلاً لا يفتعل الكآبة الفكرية إياها . فى المجلة
عدة أقلام لمن كانوا قراءنا وأرجو أن يظلوا كذلك .. (أحمد
محمد عبد المجيد) .. (أحمد الوكيل) .. المشاغب (وسام
ناصر) .. (عبد الرحمن عطية) .. (نيرفاتا عثمان) ..
(محمد خميس) .. د . (ميشيل حنا) ضيفاً بقصة متميزة ..
اسم (وسام) يوحى بكارثة وبأن اقتناء المجلة عمل يعاقب
عليه القانون ، لكن من الغريب أنها مجلة أدبية هادئة
رصينة والمذكور لم يقم إلا بترجمة قصص قصيرة جميلة
لـ (تشيكوف) - عن الإنجليزية طبعاً - وقصة (مخلب القرد)
التي يتمنى الكثيرون أن يقرءوها مترجمة . لم أر عيناً فى
المجلة إلا قصرها الشديد . غالباً يعود هذا للنقص
الإمكانيات المادية .

أحمد خالد توفيق يُنوّه فى «أسطورة رونيل السوداء»
عن مجلة خيال التي أصدرتها مع أصدقائي



أنا أجلس بجوار أحمد خالد توفيق أثناء تكريم مكتبات «أ» له عام

2016



خاتمة



والآن، وبعد مُضي أكثر من ثلاثين عامًا على بدء قراءتي لروايات الجيب، أجدني غير قادر على قراءة الكثير منها بسبب السن. لم يعد باستطاعتي قراءة ألغاز المغامرين الخمسة، ولا أعداد رجل المستحيل - ما عدا الأعداد التي ترتبط بطفولتي، واستعيد بقراءتها لحظات قراءتي الأولى لها- لكنني مع ذلك باستطاعتي حتى الآن قراءة روايات أجاثا كريستي وأرسين لوبين وشرلوك هولمز وأعداد ما وراء الطبيعة وسفاري، والاستمتاع بها.

ربما استفضتُ في الكلام عن مشروع «روايات مصرية للجيب»، ونجفیه: نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق، لأنني عاصرت هذا المشروع، بعكس بقية كُتّاب البوب فيكشن الذين كانوا قد ماتوا قبل ولادتي، أو حضرت الفصل الأخير من مشاريعهم، كما هو الحال مع مشروع «قصص بوليسية للأولاد».

والغريب أنني الآن -أنا الذي عانيت كثيرًا لأجد ألغاز المغامرين الخمسة- صرت أجد كل الألغاز متوفرة بشكل إلكتروني في الكثير من المواقع والمنتديات الإلكترونية، وحصلت على الكثير منها بعد أن أعادت دار المعارف طبع ألغازها في السنين الأخيرة. وفي معرض القاهرة الدولي للكتاب أجد في جناح المؤسسة العربية الحديثة كل سلاسل نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق بكل أعدادها، ويمكنني أن أطلب من مكتبة جرير أي رواية أحتاجها من روايات أجاثا كريستي، أو أطلب من دار الأجيال أي عمل من أعمال شرلوك هولمز، وكل روايات أرسين لوبين التي توقفت طباعتها منذ عقود -سواء رواياته الأصلية أو روايات القديس المنسوبة إليه- موجودة في نسخ إلكترونية منتشرة في المواقع والمنتديات الإلكترونية. بل إنني بدأت مشروعًا لترجمة بعض روايات أرسين لوبين الأصلية في دار الرواق، انتهى بترجمة ثماني روايات منها حتى الآن، وانتبعت العديد من دور النشر لأعمال موريس لوبلان وبدأت تترجم رواياته.





القراء الآن محظوظون لأن باستطاعتهم الوصول إلى أي لغز أو رواية أو عدد ينقصهم، حتى لو كان لغزًا أو عددًا نادرًا، لم يعد يُطبع ولم يعد متوفرًا في الأسواق، لن يعانون مثلما عانى جيلي في البحث والتنقيب والانتظار.

لكني شخصيًا أشتاق لكل لحظة لهفة وشوق مررت بها في بحثي عن تلك الكتيبات، أشتاق للحظات الانتصارات الصغيرة عندما أجد كتيبًا ينقصني، أعرف أنني سأقضي معه وقتًا فائق المتعة. لم يكن الموضوع بالنسبة لي مجرد قراءة كتيبات أحبها، بل مغامرة كبرى عشتها وارتببت بها، واستمتعت بكل لحظة شغف وأنا أبحث وأنقب وأحلم وأنتظر، قبل أن أقرأ.

شكرًا لكل كاتب اختار أن يكتب أعمالًا يوجهها إلى فئة عمرية لا يهتم كثيرون بالكتابة لها، شكرًا لكل دار نشر ومؤسسة اختارت أن تنشر تلك الأعمال، لتُثري بها الأجيال الشابة، وتساعدهم على قضاء وقتهم في القراءة، وتُحببهم فيها.

هناك ملايين القراء وآلاف الكُتّاب، من أرجاء الوطن العربي كافة، ومن كل الأجيال، كانوا ثمرة ما زرعتموه منذ عشرات السنين.

لولا وجودكم.. ما كنت لأصبح ما أنا عليه اليوم!



المصادر



1. محمود سالم، رجاء عبد الله، هدى الشرقاوي، عبد الرحمن حمدي، عصمت والي، حسن سليمان، عفاف عبد الباري، مجدي صابر، مصطفى أحمد مصطفى، خالد الصفتي، مصطفى همام، حمدي عباس، هشام الصياد: قصص بوليسية للأولاد (181 كتيبًا)، دار المعارف
2. محمود سالم: «المغامرون الخمسة - ألغاز جديدة» (5 كتيبات)، دار الشروق
3. محمود سالم: مجموعة الشياطين الـ13 للشباب (388 كتيبًا)، دار الهلال
4. محمود سالم: مجموعة الشياطين الـ13 للشباب (16 كتيبًا)، دار القدس
5. أجاثا كريستي: الأعمال الكاملة، طبعة دار الأجيال
6. أجاثا كريستي: الأعمال الكاملة، طبعة مكتبة جرير
7. أجاثا كريستي: الأعمال غير الكاملة، طبعة المكتبة الثقافية
8. أجاثا كريستي: الأعمال غير الكاملة، طبعة روايات الجيب
9. أجاثا كريستي: «تعالَ قل لي كيف تعيش - مذكراتها في سورية والعراق»، ترجمة أكرم الحمصي، دار المدى
10. موريس لوبلان: «مجموعة أرسين لوبين» (12 كتيبًا)، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان
11. موريس لوبلان: سلسلة «مغامرات أرسين لوبين» (64 كتيبًا)، تقديم برنارد الأسطه، دار ميوزك
12. موريس لوبلان: سلسلة «مغامرات أرسين لوبين»، روايات الجيب
13. موريس لوبلان: «المسلة الجوفاء»، ترجمة بسام حجر، دار صوت الناس





14. موريس لوبلان: «سعادة الكريستال»، ترجمة إبراهيم جزيني، دار صوت الناس

15. ليزلي تشارتريس: سلسلة «القديس»، ترجمة صادق راشد، روايات الجيب

16. ليزلي تشارتريس: سلسلة «القديس»، ترجمة صادق راشد، دار الكتاب الجديد

17. آرثر كونان دويل: مغامرات شرلوك هولمز (12 كتيبا)، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال

18. آرثر كونان دويل: ذكريات شرلوك هولمز (12 كتيبا)، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال

19. آرثر كونان دويل: عودة شرلوك هولمز، الظهور الأخير، قضايا شرلوك هولمز، مترجمون مختلفون، مؤسسة هنداوي

20. آرثر كونان دويل: «مذكرات شرلوك هولمز»، ترجمة أمين سلامة، روايات الهلال

21. آرثر كونان دويل: «مغامرات شرلوك هولمز»، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر

22. آرثر كونان دويل: مغامرات شرلوك هولمز (5 كتيبات)، سلسلة «السنابل»، مكتبة لبنان

23. آرثر كونان دويل: «دراسة في القرمزي»، ترجمة ميسره الدندراوي، دار الرواق

24. آرثر كونان دويل: «قتيل شارع بركستون»، روايات الجيب

25. آرثر كونان دويل: «الخيوط الدموي»، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر

26. آرثر كونان دويل: «علامة الأربعة»، ترجمة سارة ياقوت، مؤسسة



27. آرثر كونان دويل: «عصابة الأربعة»، ترجمة سمية فلو عبود، دار صوت الناس

28. آرثر كونان دويل: «الكنز المفقود»، روايات الهلال

29. آرثر كونان دويل: «الكلب الجهنمي»، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر

30. آرثر كونان دويل: «لعنة باسكرفيل»، دار الرتب الجامعية

31. آرثر كونان دويل: «وادي الأهوال»، ترجمة محمود مسعود، روايات الجيب

32. آرثر كونان دويل: «وادي الرعب»، ترجمة رمزية الشياطي، دار الرتب الجامعية

33. آرثر كونان دويل: «وادي الرعب»، ترجمة سمية فلو عبود، دار صوت الناس

34. آرثر كونان دويل: «وادي الرعب»، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر

35. نبيل فاروق: رجل المستحيل (160 عددًا)، المؤسسة العربية الحديثة

36. نبيل فاروق: ملف المستقبل (160 عددًا)، المؤسسة العربية الحديثة

37. نبيل فاروق: كوكتيل 2000 (51 عددًا)، المؤسسة العربية الحديثة

38. نبيل فاروق: ع2× (56 عددًا)، المؤسسة العربية الحديثة

39. نبيل فاروق، شريف شوقي، وآخرون: زهور (129 عددًا)، المؤسسة العربية الحديثة

40. نبيل فاروق: الأعداد الخاصة (33 عددًا)، المؤسسة العربية الحديثة



41. نبيل فاروق: حرب الجواسيس (11 عددًا - 6 أعداد خاصة).
المؤسسة العربية الحديثة
42. نبيل فاروق: زووم (11 عددًا). المؤسسة العربية الحديثة
43. نبيل فاروق: فارس الأندلس (10 أعداد). المؤسسة العربية الحديثة
44. نبيل فاروق: بانوراما (7 أعداد). المؤسسة العربية الحديثة
45. نبيل فاروق: سيف العدالة (6 أعداد). المؤسسة العربية الحديثة
46. نبيل فاروق: أرزاق «كتاب كوكتيل 2000» (4 أعداد). المؤسسة
العربية الحديثة
47. نبيل فاروق: الفريق صفر (عددان). المؤسسة العربية الحديثة
48. نبيل فاروق: المتخصصون (3 أعداد). دار ليلي
49. نبيل فاروق: مسرح الجريمة (عددان). المؤسسة العربية للإبداع
50. نبيل فاروق: رجل المستقبل (عدد واحد). مجلة باسم
51. نبيل فاروق، مؤنس زهيري، ميشيل معلوف، فواز هنتش، رؤوف
وصفي: أوسكار (8 أعداد). المؤسسة العربية الحديثة
52. نبيل فاروق، سيف حمدي مصطفى: سوبر أوسكار (10 ألبومات).
المؤسسة العربية الحديثة
53. نبيل فاروق: العميل السري ثلاثة أصفار (7 أعداد). رسوم شريف
الفار، المؤسسة العربية الحديثة
54. نبيل فاروق وآخرون: مجانيين (10 أعداد). دار المبدعون للنشر
والإعلان
55. نبيل فاروق وآخرون: آيس كريم (4 أعداد). دار المبدعون للنشر
والإعلان
56. نبيل فاروق: «رجل المستحيل وأنا»، دار ليلي ودايموند بوك





57. نبيل فاروق: «رجل المستحيل - أوراق لم تُنشر»، المؤسسة العربية للإبداع
58. أحمد خالد توفيق: ما وراء الطبيعة (81 عددًا)، المؤسسة العربية الحديثة
59. أحمد خالد توفيق: سفاري (53 عددًا)، المؤسسة العربية الحديثة
60. أحمد خالد توفيق: فانتازيا (64 عددًا)، المؤسسة العربية الحديثة
61. أحمد خالد توفيق، نبيل فاروق: روايات عالمية للحب (82 عددًا)، المؤسسة العربية الحديثة
62. أحمد خالد توفيق: الأعداد الخاصة (9 أعداد)، المؤسسة العربية الحديثة
63. أحمد خالد توفيق: رجفة الرعب (10 أعداد)، المؤسسة العربية الحديثة
64. أحمد خالد توفيق: WWW (5 أعداد)، دار ليلي ودايموند بوك
65. أحمد خالد توفيق: «30»، عدد خاص، المؤسسة العربية الحديثة
66. شريف شوقي: المكتب رقم 19 (91 عددًا)، المؤسسة العربية الحديثة
67. محمد سليمان عبد المالك، تامر إبراهيم، وآخرون: سلة الروايات (46 عددًا، حتى 2025)، المؤسسة العربية الحديثة
68. محمد سليمان عبد المالك: مغامرات س (9 أعداد)، المؤسسة العربية الحديثة
69. محمد سليمان عبد المالك: لوتس (8 أعداد)، المؤسسة العربية الحديثة
70. محمد سليمان عبد المالك: المكتب رقم 17 (22 عددًا)، المؤسسة العربية الحديثة





71. محمد سليمان عبد المالك: ترانزيت (عدد واحد)، المؤسسة العربية الحديثة
72. تامر إبراهيم: عالم آخر (عددان)، المؤسسة العربية الحديثة
73. تامر إبراهيم وآخرون: ميجا (3 أعداد)، المؤسسة العربية الحديثة
74. نبيل فاروق، أحمد خالد توفيق، خالد الصفتي، محمد سليمان عبد المالك، معدوح الفرماوي: عدد الصيف - أشباح ولكن، عدد خاص، المؤسسة العربية الحديثة
75. رجاء عبد الله، مجدي صابر، عفاف عبد الباري: مغامرات الجيل البوليسية (64 عددًا)، دار الجيل
76. مجدي صابر: الفرقة الانتحارية (27 عددًا)، ميدلايت المحدودة
77. مجدي صابر: الكوبرا (6 أعداد)، ميدلايت المحدودة
78. مجدي صابر: ديسكفري (9 أعداد)، ميدلايت المحدودة
79. مجدي صابر: جمعة وشركاه (6 أعداد)، ميدلايت المحدودة
80. مجدي صابر: القनाव المحترف (11 عددًا)، دار الأمين
81. مجدي صابر: رجل المهام الصعبة (28 عددًا)، دار الجيل
82. مجدي صابر: العميل 303 (6 أعداد)، دار البحار
83. مجدي صابر: المغامرون الأبطال (8 أعداد)، دار البحار
84. مجدي صابر: فرقة الأذكيا (33 عددًا)، مكتبة غريب
85. محمد عبد الحميد الطرزي، المغامرون الخمسة (?)، دار النفائس ودور أخرى
86. محمد عبد الحميد الطرزي، المغامرون الـ13 (?)، دار النفائس ودور أخرى
87. بيتر نيكولز: «السينما الخيالية»، ترجمة مدحت محفوظ، القاهرة





- 1993، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني
88. جمال الغيطاني: «نجيب محفوظ يتذكر»، الهيئة العامة للكتاب
89. مقالات د.نبيل فاروق في أعداد جريدة الدستور - الإصدار الثاني،
سنة 2004 و2005
90. مقال لمحمود سالم بعنوان «عن تان تان.. وناديا نشأت»، نُشر في
عدد الأهرام رقم 43962، بتاريخ 18 يناير 2007
91. مقال في موقع محيط بعنوان: «مؤلف المغامرين الخمسة: فن لا
يركب الخطر لا يصل لشيء»
92. حوار مصوّر أجراه الإعلامي يسري السيد مع محمود سالم على
قناة مصر المحروسة
93. أرشيف مجلة ميكى، دار الهلال، في الستينيات والسبعينيات
94. أرشيف مجلة سمير، دار الهلال، في الستينيات والسبعينيات
95. أرشيف مجلة سوبرمان، دار المطبوعات المصورة، في السبعينيات
96. أرشيف مجلة باسم، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، في
التسعينيات
97. https://en.wikipedia.org/wiki/Enid_Blyton
98. https://en.wikipedia.org/wiki/The_Five_Find-Outers
99. https://en.wikipedia.org/wiki/The_Famous_Five
100. https://en.wikipedia.org/wiki/Marius_Jacob



كيف تتواصل مع الكاتب أحمد عبد المجيد؟



E-mail: ahmad.abdulmaguid@gmail.com

Facebook: www.facebook.com/Majeed2014

Instagram: www.instagram.com/ahmad.maguid

Telegram: t.me/ahmad_maguid

Whatsapp: [whatsapp.com/channel/
0029Va5ctEo2P59jhVPwJZ1y](https://whatsapp.com/channel/0029Va5ctEo2P59jhVPwJZ1y)

YouTube: youtube.com/@ahmad.maguid

X: x.com/ahmad_maguid

Goodreads: www.goodreads.com/author/show/4396935

لإبداء الآراء: #بوب_فيكشن #أحمد_عبد_المجيد

(1) جمال الغيطاني: "نجيب محفوظ يتذكر"، الهيئة العامة للكتاب.

(2) الغلاف من رسوم شوقي متولي، وهو الذي كان يرسم أغلفة الشياطين الـ 13 في تلك الفترة، وسبقه في ذلك الفنان عفت حسني.

(3) من ندوة حفل تكريم محمود سالم في مركز شباب الجزيرة عام 2008، كتبت عنه شيرين صبحي في موقع محيط خبرًا بعنوان: "مؤلف المغامر الخمسة: من لا يركب الخطر لا يصل لشيء".

http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid=165659

(4) هي ابنة أسماء جورجى زيدان، عملت مع خاليتها إميل وشكري زيدان في دار الهلال، وأقنعتهم بإصدار مجلات للأطفال. والحقيقة أن المعلومات المتاحة عنها شحيحة للغاية، فبعد بحث في الكثير من المصادر لم أجد ما يشير لتاريخ ميلادها





أو وفاتها، ماعدا مقال كتبه عنها محمود سالم أشار فيه بشكل عابر إلى أنه التقاها قبيل وفاتها عام 2001.

(5) من مقال كتبه محمود سالم عن ناديا نشأت في عدد الأهرام، بتاريخ 18 يناير 2007.

(6) آخر مرة ظهر فيها اسم ناديا نشأت كرئيسة تحرير في دار الهلال كان في العدد 148 من مجلة ميكي، بتاريخ 20 فبراير 1964، والعدد 411 من مجلة سمير، بتاريخ 23 فبراير 1964، بعدها صارت عفت ناصر رئيسة تحرير مجلة ميكي، وتييلة راشد -ماما لبلبي- رئيسة تحرير مجلة سمير -وكالاتهما عملتا مع ناديا نشأت كمديرتي تحرير، الأولى في مجلة ميكي والثانية في مجلة سمير- واستمرت الاثنتان في هذين المنصبين إلى عام 2002.

(7) صدرت تلك الألبومات من خلال دار المعارف - لبنان، لكن عندما أغلق هذا الفرع في الثمانينيات صارت الألبومات الكوميكس تصدر من خلال دار المعارف -مصر. وكانت ناديا نشأت قد بدأت تقديم الألبومات تان تان مسلسلته في مجلة سمير بدءاً من سنة 1961، بترجمة من وليم الميري، وإعادة صياغة من محمود سالم نفسه، حيث حمل تان تان اسم تم تم.

(8) https://en.wikipedia.org/wiki/The_Five_Find-Outers

(9) https://en.wikipedia.org/wiki/Enid_Blyton

(10) من ندوة حفل تكريم محمود سالم في مركز شباب الجزيرة عام 2008، كتبت عنه شيرين صبحي في موقع محيط خبراً بعنوان: "مؤلف المغامرين الخمسة: فن لا يركب الخطر لا يصل لشيء":

http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid=165659

(11) المصدر السابق.

(12) حوار مصور أجراه الإعلامي يسري السيد مع محمود سالم على قناة مصر المحروسة.

(13) المصدر السابق.

(14) بدوري عندما أتيح لي في بدايتي أن أنشر سلسلة بوليسية، هي سلسلة "ماعت"، اخترت كلمة "مواجهة" لتبدأ بها عناوينها: مواجهة مطايرد الجبل -



(15) بالطبع عدد الدول العربية أكبر من 13 دولة، لكن محمود سالم استثنى من الدول المُتمثلة في مجموعة الشياطين الـ13 كلاً من البحرين، قطر، الإمارات، عمان، اليمن، وكذلك موريتانيا، الصومال، جيبوتي، جزر القمر.

(16) من المفروض أن سلسلة الشياطين الـ13 تصدر ضمن سلسلة "كتب الهلال للأولاد والبنات"، وهي كتبيات تصدر عن دار الهلال مُوجهة إلى الأطفال، وتحتوي قصصاً مختلفة، ورغم أن الشياطين الـ13 سلسلة قائمة بذاتها، فإن عبارة "كتب الهلال للأولاد والبنات" ظلت توضع أعلى كل عدد، وتحتها عبارة "مجموعة الشياطين الـ13 للشباب" للدلالة على أن الشياطين الـ13 تتبع إصدار "كتب الهلال للأولاد والبنات".

(17) أُعيد نشره لاحقاً برقم 246، ثم برقم 341، أي إن "تعالب الخليج" ظهرت في السلسلة أربع مرات بأرقام مختلفة!

(18) نُشر لأول مرة برقم 292، وأعيد إصداره لاحقاً ليحمل رقم 388.

(19) محمود سالم: "لغز الكوخ المحترق"، دار المعارف.

(20) ذكر محمود سالم في أكثر من لقاء أنه استوحاه من مفتش مباحث اسمه سامي، تعامل معه أكثر من مرة، وصارا أصدقاء.

(21) محمود سالم: "لغز الشاويش فرقع"، دار المعارف.

(22) في أعداد لاحقة صار اسم الكلب "سبع".

(23) كتبت هدى الشرقاوي 13 لغزاً من ألغاز المخبرين الأربعة، ولاحقاً كتب حسن سليمان أربعة ألغاز، ومجدي صابر ثلاثة، وعفاف عبد الباري لغزين.

(24) وجدت أكثر من مقال يذكر أن المغامر الخمسة مأخوذون عن سلسلة The Famous Five، وهذا الكلام غير صحيح، المغامرون الخمسة مأخوذون عن سلسلة Outers and Dog-The Five Find أو المستكشفون الخمسة والكلب باستر، بينما المخبرون الأربعة هم المأخوذون عن سلسلة المشهورون الخمسة، أو The Famous Five.

(25) محمود سالم: "لغز الرجل الذي طار"، "لغز القبر الملكي"، "لغز ملك

- الشطرنج"، "لغز الفهود السبعة"، "لغز عصاة التزييف"، "لغز زعيم العصاة"،
سلسلة قصص بوليسية للأولاد، المغامرات 93 - 44، دار المعارف.
- (26) حدث هذا في الطبعة الأولى، ثم عاد اسم محمود سالم ليوضع على تلك
الألغاز في الطبعات التالية.
- (27) هو الأخ التوأم للفنان عماد حمدي، كتب 19 لغزاً، ثم تولى كتابة الألغاز من
بعده كل من عصمت والي عشرين لغزاً، ومجدي صابر بلغزتين.
- (28) من تأليف مصطفى أحمد مصطفى.
- (29) من تأليف مصطفى حمام.
- (30) كتبه خالد الصفتي، مؤلف سلسلة فلاش، وجاء بعنوان "لغز يتحدى
ذكاءك"، المغامرة رقم 178، والجدير بالذكر أن نبيلة وهاني هما اسماء ابني خالد
الصفتي.
- (31) من تأليف هشام الصياد.
- (32) من تأليف حمدي عباس.
- (33) بعد أن كتبت في سلسلة "قصص بوليسية للأولاد" ألغاز المغامرين الثلاثة:
محسن وممدوح وهادية؛ كتبت رجاء عبد الله سلسلة "مغامرات الجيل البوليسية"،
من بطولة المغامرين الثلاثة: جاسر وياسر وهند، من إصدار دار الجيل، وهي من
السلاسل التي أحببت قراءتها في ذلك الوقت. شاركها في كتابة تلك السلسلة
عفاف عبد الباري ومجدي صابر، اللذان شاركا كذلك في كتابة بعض ألغاز المخبرين
الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة، في سلسلة "قصص بوليسية للأولاد".
- (34) كتب سلسلة "فرقة الأذكى"، وهم ثلاثة مغامرين: دقدق وعلاء وليلى،
وسلسلة "المغامرون الأبطال": جهاد وجواد ولينا ولميس وتغريد.
- (35) كتب سلسلة ع2: عماد وعلاء.
- (36) وقتها كان الريال السعودي يساوي 70 قرشاً فيما أذكر، لكن قيمته
الشرائية توازي ما يمكن شراؤه بعشرة قروش في ذلك الوقت، أي زجاجة مياه
غازية أو كوب عصير أو قطعة حلوى.

(37) بعض الخبثاء يلقحون إلى أنها اختفت متعمدة لتوقع زوجها السابق في المشاكل، بعد أن اكتشفت خيانتها لها، وألهم عندما اكتشفوا مكانها، اضطرت لادعاء فقدان الذاكرة!

(38) أجاثا كريستي "تعال قل لي كيف تعيش - مذكراتها في سورية والعراق"، ترجمة أكرم الحمصي، دار المدى.

(39) ترجمتها مكتبة جرير بعنوان "الجريمة الغامضة في مدينة ستايار"

(40) ترجمتها مكتبة جرير بعنوان "أبجدية القتلى"

(41) ترجمتها مكتبة جرير بعنوان "جريمة في بغداد"

(42) أجاثا كريستي: "الستارة"، دار الأجيال، المقدمة.

(43) حوت المجموعة ست قصص لمس ماريل، وقصتين منفصلتين.

(44) أجاثا كريستي: "القضايا الأخيرة للآنسة ماريل"، دار الأجيال، المقدمة.

(45) موريس لوبلان: مجموعة "اللس الظريف"، قصة "اعتقال أرسين لوبين"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.

(46) موريس لوبلان: "اللس الظريف"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.

(47) موريس لوبلان: مجموعة "عودة أرسين لوبين"، قصة "إشارة في الظلام"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.

(48) تُرجمت بعنوان "المصباح الفضي"، في مجموعة "الفخ الرهيب"، ترجمة برنارد الأسطه، وإصدار دار ميوزك.

(49) موريس لوبلان: مجموعة "غريم شرلوك هولمز"، قصة "زوجة أرسين لوبين"، سلسلة روايات الجيب.

(50) موريس لوبلان: مجموعة "اللس الظريف"، قصة "السبعة الكبة"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.



- (51) موريس لوبلان: "المسلة الجوفاء"، ترجمة بسام حجر، دار صوت الناس.
- (52) ترجمها محمد عبد المنعم جلال في مجموعة "عودة أرسين لوبين"، من إصدار دار معروف إخوان.
- (53) ترجمها برنارد الأسطه بعنوان "اللس الظريف" من ضمن منشورات دار ميوزك، كما ترجمها أحمد خالد توفيق بعنوان "مغامرات أرسين لوبين" في العدد 64 من سلسلة روايات عالمية للجيب، من إصدار المؤسسة العربية الحديثة.
- (54) موريس لوبلان: مجموعة "اللس الظريف"، قصة "هروب أرسين لوبين"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.
- (55) هو المفتش جانيمار عدوه اللدود، لكن موريس لوبلان في المسرحية قرر تغيير الاسم إلى المفتش جوشيار كي لا يثير بالاسم ضحك الجمهور، لأنه فيما يبدو كان هناك شخص مشهور في باريس في ذلك الوقت يحمل ذات الاسم.
- (56) موريس لوبلان: مجموعة "اللس الظريف"، قصة "أرسين لوبين في السجن"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.
- (57) موريس لوبلان: مجموعة "الفخ الرهيب"، قصة "المصباح الفضي"، ترجمة برنارد الأسطه، دار ميوزك.
- (58) موريس لوبلان: "813"، سلسلة روايات الجيب.
- (59) موريس لوبلان: "الجائزة الكبرى"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.
- (60) موريس لوبلان: "813"، سلسلة روايات الجيب.
- (61) موريس لوبلان: "سعادة الكريستال"، ترجمة إبراهيم جزيني، دار صوت الناس.
- (62) موريس لوبلان: مجموعة "عودة أرسين لوبين"، قصة "دبلة الزواج"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.
- (63) موريس لوبلان: "الجائزة الكبرى"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.





(64) موريس لوبلان: "813"، ترجمة مختصرة دون ذكر اسم المترجم، سلسلة روايات الجيب.

(65) موريس لوبلان: "غريم أرسين لوبين"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.

(66) موريس لوبلان: "سعادة الكريستال"، ترجمة إبراهيم جزيني، دار صوت الناس.

"السر في العين"، ترجمة برنارد الأسطه (ترجمة مختصرة)، دار ميوزك.

(67) موريس لوبلان: "أسنان النمر" و"الميراث المشؤوم" (ترجمت في جزأين)، ترجمة برنارد الأسطه، دار ميوزك.

(68) موريس لوبلان: "البرنس أرسين لوبين"، ترجمة برنارد الأسطه (ترجم بعض قصص المجموعة الأصلية)، دار ميوزك.

(69) موريس لوبلان: "الجائزة الكبرى"، ترجمة برنارد الأسطه، دار ميوزك.

(70) تُرجمت قصصها الست الأولى في مجموعة "سر عقد اللؤلؤ"، وتُرجمت قصة "السرقه العجيبة" و"القبض على جيم بارنيت" في مجموعة "السرقه العجيبة"، وكلاهما من ترجمة محمد عبد المنعم جلال، وإصدار دار معروف إخوان. كما تُرجمت مجموعة من قصصها أيضًا في كتاب "أرسين لوبين بوليس سري"، من قبل برنارد الأسطه، ومن إصدار دار ميوزك.

(71) موريس لوبلان: "سر عقد اللؤلؤ"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.

(72) موريس لوبلان: "أرسين لوبين بوليس سري"، ترجمة برنارد الأسطه، دار ميوزك.

(73) موريس لوبلان: "السرقه العجيبة"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.

(74) موريس لوبلان: "لغز القصر المهجور"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.





- (75) موريس لوبلان: "أرسين لوبين بوليس آداب"، ترجمة برنارد الأسطه، دار ميوزك.
- (76) موريس لوبلان: مجموعة "عودة أرسين لوبين"، قصة "عقد الملكة"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.
- (77) موريس لوبلان: مجموعة "عودة أرسين لوبين"، قصة "خزانة مدام إمبر"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال، دار معروف إخوان.
- (78) موريس لوبلان: "امراة أرسين"، ترجمة محمد عبد المنعم جلال (ترجمة مختصرة)، دار معروف إخوان.
- (79) فلنلاحظ أن أول اسم مستعار ظهر به أرسين لوبين في قصة "اعتقال أرسين لوبين" كان برنارد داندريزي، وسنعرف في تلك الرواية أنه قريب له مات في الخارج، فاستخدم اسمه.
- (80) موريس لوبلان: "أرسين لوبين في قاع البحر"، ترجمة برنارد الأسطه، دار ميوزك.
- (81) ليزلي تشارتريس: "القديس في قاع البحر"، ترجمة صادق راشد، سلسلة روايات الجيب.
- (82) موريس لوبلان: "أرسين لوبين في نيويورك"، ترجمة برنارد الأسطه، دار ميوزك.
- (83) ليزلي تشارتريس: "القديس في نيويورك"، ترجمة صادق راشد، دار الكتاب الجديد.
- (84) للغرابة فإن هورنوج مؤلف روايات "رافلز" -التي قد يكون موريس لوبلان قد استوحى منها شخصية أرسين لوبين- هو صهر آرثر كونان دويل!
- (85) "مكتبة لبنان" أصدرت عدة سلاسل للأطفال، منها كتب ليدي بيرد، وكتب الفراشة، وكتب السنابل. السنابل حوت العديد من السلاسل، الفرعية: سلسلة المغامرات المثيرة، الروايات المشهورة، الحكايات البوليسية، الحكايات اللطيفة، رواع شكسبير، مغامرات شرلوك هولمز، وغيرها.
- (86) آرثر كونان دويل: "دراسة في القرمزي"، ترجمة ميسره الدندراوي، دار





الرواق.

(87) آرثر كونان دويل: "عصبة ذوي الشعر الأحمر"، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال.

(88) آرثر كونان دويل: "قضية هوية"، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال.

(89) آرثر كونان دويل: "فضيحة في بوهيميا"، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال.

(90) آرثر كونان دويل: "بذور البرتقال الخمسة"، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال.

(91) آرثر كونان دويل: "فضيحة في بوهيميا"، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال.

(92) آرثر كونان دويل: "علامة الأربعة"، ترجمة سارة ياقوت، مؤسسة هنداوي.

(93) آرثر كونان دويل: "لغز بلدة ريجيت"، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال.

(94) آرثر كونان دويل: "ذو الوجه الأصفر"، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال.

(95) آرثر كونان دويل: "دراسة في القرمزي"، ترجمة ميسره الدندراوي، دار الرواق.

(96) آرثر كونان دويل: "دراسة في القرمزي"، ترجمة ميسره الدندراوي، دار الرواق.

(97) آرثر كونان دويل: "عصبة ذوي الشعر الأحمر"، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال.

(98) آرثر كونان دويل: "وصية عائلة موسغريف"، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال.

(99) آرثر كونان دويل: "علامة الأربعة"، ترجمة سارة ياقوت، مؤسسة هنداوي.

(100) آرثر كونان دويل: "سفينة جلوريا سكوت"، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار





الأجيال.

(101) آرثر كونان دويل: "مغامرة النزيلة الملتمة"، ترجمة إسلام سميح الردان، مؤسسة هنداوي.

(102) آرثر كونان دويل: "فضيحة في بوهيميا"، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال.

(103) آرثر كونان دويل: "مغامرة بناء نوروود"، ترجمة إسلام سميح الردان، مؤسسة هنداوي.

(104) آرثر كونان دويل: "مغامرة كوبر بيتشيز"، ترجمة سارة طه علام، مؤسسة هنداوي.

(105) ترجم أحمد خالد توفيق روايتين لهذه الشخصية بعنوان "العالم المفقود" و"النطاق المسموم"، العددين 19 و28 من سلسلة "روايات عالمية للجيب"، المؤسسة العربية الحديثة.

(106) آرثر كونان دويل: "المشكلة الأخيرة"، ترجمة سالي أحمد حمدي، دار الأجيال.

(107) آرثر كونان دويل: "مغامرة المنزل الخالي"، ترجمة إسلام سميح الردان، مؤسسة هنداوي.

(108) آرثر كونان دويل: "المغامرة الأخيرة"، ترجمة إسلام سميح الردان، مؤسسة هنداوي.

(109) من الغريب أن الطبعة الأولى من تلك المجموعة لم تشتمل على قصة "مغامرة الطرد البريدي"، لأن آرثر كونان دويل رأى أنها غير مناسبة للقراء الصغار، لأنها تحتوي على خيانة زوجية، وُضمت فيما بعد إلى مجموعة "الظهور الأخير"، ثم عادت في الطبعات اللاحقة إلى مكانها الطبيعي في مجموعة "مذكرات شرلوك هولمز".

(110) His last bow، وترجمتها "قوسه الأخير"، في بعض الترجمات جعلوها "ضربته الأخيرة"، أو "قضيته الأخيرة"، أو "المغامرة الأخيرة"، أو "القضية الأخيرة".

(111) الغريب أنني لم أكن أعرف قصة "شمشون ودليلة" في ذلك الوقت، وهو





- بطل يهودي يمتلك قوة خارقة سرها في شعر رأسه، وينجح أعداؤه في الإطاحة به من خلال حلاقة شعره ثم القبض عليه.
- (112) ذكر نبيل فاروق في مذكرات نشرها بعنوان "ذكرياتي معه"، في العدد 48 من سلسلة كوكتيل 2000، "النجم"، أنه كان يكتب العدد الواحد في أسبوع أو أقل، وقبل صدور العدد التالي من سلسلتي رجل المستحيل وملف المستقبل، كان قد انتهى من كتابة العدد السابع في كل منهما.
- (113) نبيل فاروق: "الموت الأزرق"، "السماء المظلمة"، "من وراء النجوم"، سلسلة ملف المستقبل، الأعداد 63 - 83، المؤسسة العربية الحديثة.
- (114) نبيل فاروق: "ملانكة الجحيم"، سلسلة رجل المستحيل، العدد 61، صفحة 14 و15، المؤسسة العربية الحديثة.
- (115) نبيل فاروق: "الف وجه" و"الجحيم المزدوج"، سلسلة رجل المستحيل، العددان 66 و67، المؤسسة العربية الحديثة.
- (116) نبيل فاروق: "العين الثالثة"، "القضبان الجليدية"، "لهيب الثلج"، سلسلة رجل المستحيل، الأعداد 44 - 64، المؤسسة العربية الحديثة.
- (117) نبيل فاروق: "الرصاصة الذهبية"، "شيطان المافيا"، "الضربة القاضية"، سلسلة رجل المستحيل، الأعداد 74 - 94، المؤسسة العربية الحديثة.
- (118) نبيل فاروق: "الاحتلال"، "المقاومة"، "الصراع"، "التحدي"، "النصر"، سلسلة ملف المستقبل، الأعداد 67 - 08، المؤسسة العربية الحديثة.
- (119) نبيل فاروق: "الثعلب"، سلسلة رجل المستحيل، العدد 86، المؤسسة العربية الحديثة.
- (120) نبيل فاروق: "سفير الخطر"، سلسلة رجل المستحيل، العدد 88، المؤسسة العربية الحديثة.
- (121) نبيل فاروق: "الوجه الخفي"، سلسلة رجل المستحيل، العدد 91، المؤسسة العربية الحديثة.
- (122) نبيل فاروق: "الصقر الأعمى"، سلسلة رجل المستحيل، العدد 97، المؤسسة العربية الحديثة.





(123) نبيل فاروق: "أرض العدم"، سلسلة ملف المستقبل، العدد 83، المؤسسة العربية الحديثة.

(124) نبيل فاروق: "كنز الفضاء"، سلسلة ملف المستقبل، العدد 84، المؤسسة العربية الحديثة.

(125) نبيل فاروق: "حصن الأشرار"، سلسلة ملف المستقبل، العدد 82، المؤسسة العربية الحديثة.

(126) نبيل فاروق: "الحدود"، "فريق المستحيل"، "نمور الثلج"، "الأبطال"، سلسلة رجل المستحيل، الأعداد 113 - 341، المؤسسة العربية الحديثة.

(127) نبيل فاروق: "الأستاذ"، "المغامرة الكبرى"، "مدينة الذئاب"، "الضحايا"، "الوحش الآدمي"، "المواجهة الأخيرة"، سلسلة رجل المستحيل، الأعداد 513 - 401، المؤسسة العربية الحديثة.

(128) نبيل فاروق: "الأفعى"، "اتحاد القتلة"، "الفخ"، "قبضة الشر"، سلسلة رجل المستحيل، الأعداد 610 - 091، المؤسسة العربية الحديثة.

(129) نبيل فاروق: "رياح الخطر"، "ممر الجحيم"، "بلا رحمة"، "مهرجان الموت"، "عمالقة الجبال"، سلسلة رجل المستحيل، الأعداد 311 - 171، المؤسسة العربية الحديثة.

(130) نبيل فاروق: "الأربعة الكبار"، "فوق القمة"، "السنيور"، "وجه الأفعى"، سلسلة رجل المستحيل، الأعداد 811 - 211، المؤسسة العربية الحديثة.

(131) نبيل فاروق: "عملية النيل"، "ساعة الصفر"، سلسلة رجل المستحيل، العددان 125 و126، المؤسسة العربية الحديثة. وأيضاً: "نقطة الضعف"، "الصحو"، "القراصنة"، "محيط الدم"، الأعداد 127 - 130. وكذلك: "فريق المستحيل"، "نمور الثلج"، "الأبطال"، الأعداد 132 - 134. بالإضافة إلى: "المأزق"، "الغامضة"، "الخطة ب"، "المصيدة"، "النهاية"، الأعداد 146 - 150. وأخيراً: "العودة"، "القناع"، "الأحراش"، "الحرب"، الأعداد 151 - 154.

(132) نبيل فاروق: "رمال ودماء"، "رجل وجيش"، سلسلة رجل المستحيل، العددان 141 و142، المؤسسة العربية الحديثة. وأيضاً: "المحترفون"، "الورقة الأخيرة"، العددان 144 و145.



(133) نبيل فاروق: "الإرهاب"، "المواجهة" سلسلة رجل المستحيل، العددان 155 و156، المؤسسة العربية الحديثة. وأيضاً: "الخطة"، "الهجوم"، "الوداع"، الأعداد 160 - 158.

(134) نبيل فاروق: "ساعة الصفر"، "الأبطال"، "النهاية"، "الوداع"، سلسلة رجل المستحيل، الأعداد: 126، 134، 150، 160، المؤسسة العربية الحديثة.

(135) نبيل فاروق: "بلا جسد"، "العقل"، "الخصم الرهيب"، "البقعة المظلمة"، سلسلة ملف المستقبل، الأعداد 314 - 461، المؤسسة العربية الحديثة.

(136) نبيل فاروق: "الصحة الكبرى"، "عودة الشر"، "المخ"، "آخر العمالقة"، سلسلة ملف المستقبل، الأعداد 714 - 501، المؤسسة العربية الحديثة.

(137) نبيل فاروق: "الغريب"، العدد 35 من سلسلة كوكتيل 2000، باب عزيزي القارئ 1، صفحة 244، المؤسسة العربية الحديثة.

(138) نبيل فاروق: "ضد الزمن"، سلسلة ملف المستقبل، العدد 91، صفحة 122 و123، المؤسسة العربية الحديثة.

(139) نبيل فاروق: "الملحمة"، سلسلة كوكتيل 2000، العدد 26، باب عزيزي القارئ 1، صفحة 292، المؤسسة العربية الحديثة.

(140) أنشأ نبيل فاروق في أواخر التسعينيات دار نشر سماها المبدعون، جمع من خلالها مجموعة من المواهب الشابة أصدر لهم سلسلتين بعنوان "مجانين" و"آيس كريم"، وصار بعضهم نجومًا في الكتابة خلال الألفية، مثل محمد فتحي وأحمد العايدي ومحمد علاء الدين وتامر إبراهيم، وغيرهم.

(141) كنت وقتها عضوًا في منتدى روايات التفاعلي على الإنترنت، وتابعت ردود أفعال القراء التي نشروها في المنتدى بعد انتهاء اللقاء.

(142) بعد نشر هذه القصة بخمسة عشر عامًا عُرض مسلسل Lost، والذي يدور أيضًا حول مجموعة من الناجين الذين يجدون أنفسهم في جزيرة غامضة.

(143) سلسلة كانت تنشر قصصًا قصيرة تدور في أجواء الخيال العلمي.

(144) نبيل فاروق، مذكرات بعنوان "ذكرياتي معه"، سلسلة كوكتيل 2000، العدد 48، "النجم"، المؤسسة العربية الحديثة.

(145) نبيل فاروق: "الملحمة"، سلسلة كوكتيل 2000، العدد 26، باب عزيزي القارئ 1، صفحة 292 و293، المؤسسة العربية الحديثة.

(146) نبيل فاروق: "الدم"، سلسلة كوكتيل 2000، العدد 31، باب عزيزي القارئ 1، صفحة 242 و243، المؤسسة العربية الحديثة.

(147) نبيل فاروق: "الغريب"، سلسلة كوكتيل 2000، العدد 35، باب عزيزي القارئ 1، الصفحات من 216 إلى 219، المؤسسة العربية الحديثة.

(148) نبيل فاروق: "قلب البحر"، سلسلة كوكتيل 2000، العدد 38، باب عزيزي القارئ 1، الصفحات من 214 إلى 216، المؤسسة العربية الحديثة.

(149) شاهدت في بدايات الألفية فيلم كارتون بعنوان "المهند"، لفت انتباهي فيه تشابهه مع مغامرة أدهم صبري مع النينجا، في الأعداد من 110 - 112، والتي حملت عناوين: "اغتيال"، "معبد الجريمة"، "الفريق الأسود"، واعتقد الآن أن هذا هو الفيلم الكرتوني الذي حدث بسببه النزاع، وأن نبيل فاروق قرر التعاقد مع الشركة المنفذة باستخدام اسم آخر للقصة، بدلاً من رجل المستحيل.

(150) أحمد خالد توفيق: "اسمه أدهم"، "أرشيف الغد"، العددان 31 و40 من سلسلة فانتازيا، المؤسسة العربية الحديثة.

(151) نبيل فاروق: "قارون"، سلسلة كوكتيل 2000، العدد 30، باب عزيزي القارئ 1، صفحة 256 و257، المؤسسة العربية الحديثة.

(152) نبيل فاروق: "ابن الشيطان"، "مبعوث الجحيم"، "الصراع الجهنمي"، "الجولة الأخيرة"، سلسلة ملف المستقبل، الأعداد 72 - 75، المؤسسة العربية الحديثة.

(153) نبيل فاروق: مذكرات بعنوان "ذكرياتي معه"، سلسلة كوكتيل 2000، "النجم"، العدد 48، المؤسسة العربية الحديثة.

(154) في بدايته شارك مجدي صابر في كتابة بعض ألغاز المخبرين الأربعة: خالد وطارق وفلفل ومشيرة، وكذلك بعض ألغاز المغامرين الثلاثة: عامر وعارف وعالية، في سلسلة قصص بوليسية للأولاد، كما كتب سيناريوهات العديد من القصص في مجلة باسم، في نفس الفترة التي كان نبيل فاروق يكتب فيها للمجلة.

(155) أول مسلسل اشتهر لمجدي صابر كان "الرجل الآخر" (1999) من بطولة نور

الشريف وميرفت أمين، حقق المسلسل نجاحًا كبيرًا ولفت الأنظار، وشاهدت حينها لقاءً معه سألته فيه المذيع أين كان قبل هذا، فأجابته مجدي صابر بأنه كان يكتب روايات للشباب، وكتب ما يقرب من أربعين أو خمسين رواية.. والحقيقة أن عدد ما كتبه وقتها يزيد على مائة كتيب!

(156) بحثت كثيرًا عن أي معلومات بخصوص محمد عبد الحميد الطرزي لأعرف قصته، لكنني لم أجد معلومات تُذكر. بالعكس، وجدت أن كثيرًا من هواة الألغاز في المنتديات ووسائل التواصل الاجتماعي لديهم فضول تجاهه، لدرجة أنهم يتساءلون حتى عن جنسيته! هل هو سوري أم لبناني أم مصري، لأنه نشر في دور نشر مختلفة داخل البلدان الثلاثة. ثم وجدت منشورًا على الفيسبوك يذكر صاحبه أنه التقى شخصًا كان على معرفة بالطرزي، وعرف منه أنه سوري، وأنه اقتبس سلسلتي محمود سالم الشهيرتين لسبب في غاية العجب، فبعد اتفاقية كامب ديفيد قاطعت الدول العربية مصر، ولم تعد سوريا تسمح بدخول الألغاز إليها، فقرر الطرزي أن يستكمل الألغاز للقراء الذين لن يستطيعوا الوصول إليها، وكان آخر لغز وصل لسوريا هو رقم 95، "لغز الفيلم الملون"، فكتب سلسلة من ألغاز المغامرين الخمسة بدأها بـ"لغز الحقيبة الصفراء"، ووضع له ترقيم 96 وهكذا استكمل كتابة ألغاز المغامرين الخمسة ثم الشياطين الـ13!

(157) نبيل فاروق: "أوراق بطل"، سلسلة كوكتيل 2000، العدد 25، باب عزيزي القارئ 1، صفحة 353، المؤسسة العربية الحديثة.

(158) نبيل فاروق: "الرحلة"، سلسلة كوكتيل 2000، العدد 37، باب عزيزي القارئ 1، صفحة 144، المؤسسة العربية الحديثة.

(159) أحمد خالد توفيق: "أسطورة آكل البشر"، سلسلة ما وراء الطبيعة، العدد 4، المؤسسة العربية الحديثة. والكلام المقتبس يمهد للعدد القادم: "أسطورة الموتى الأحياء"، العدد 5.

(160) ظلت سلسلة رجل المستحيل تكتب في مقدمتها أن عمر أدهم صبري هو خمسة وثلاثون عامًا حتى العدد 90، "الهدف"، ثم حُذفت جزئية السن بدءًا من العدد 91، "الوجه الخفي".

(161) أحمد خالد توفيق: "أسطورة إيجور"، "أسطورة الجنرال العائد"، "أسطورة المواجهة"، سلسلة ما وراء الطبيعة، الأعداد 42 - 62، المؤسسة العربية الحديثة.

(162) أحمد خالد توفيق: "أسطورة آخر الليل"، "أسطورة الجاثوم"، سلسلة ما وراء الطبيعة، العددان 28 و29، المؤسسة العربية الحديثة.

(163) بالإضافة إلى العدد الذي ظهر فيه: "أسطورة الكاهن الأخير"، العدد 11، والجزء المكمل له "أسطورة النافاراي"، العدد 16، ظهر هن تشو كان في عديدين آخرين: العدد 14، "أسطورة رجل الثلوج"، والعدد 44، "أسطورة رجل بكين".

(164) نبيل فاروق، مذكرات بعنوان "ذكرياتي معه"، سلسلة كوكتيل 2000، العدد 48، "اللجم"، المؤسسة العربية الحديثة.

(165) أحمد خالد توفيق: "30"، عدد خاص لا يتبع أي سلسلة، المؤسسة العربية الحديثة.

(166) أحمد خالد توفيق: "أسطورة المقبرة" و"أسطورة رونيل السوداء"، سلسلة ما وراء الطبيعة، العددان 57 و59، المؤسسة العربية الحديثة.

(167) بعض القراء وضعوا نظرية تقول إن سمير ابن رفعت -والذي لم يظهر بعد ظهوره في أسطورة رونيل السوداء- هو دكتور لوسيفر!

(168) أحمد خالد توفيق: "نداء الأدغال"، سلسلة فانتازيا، العدد 11، المؤسسة العربية الحديثة.

(169) أحمد خالد توفيق: "صفر صفر سبعة"، سلسلة فانتازيا، العدد 3، المؤسسة العربية الحديثة.

(170) أحمد خالد توفيق: "رجل من كريبتون" و"من بعد سوبر مان"، سلسلة فانتازيا، العددان 13 و14، المؤسسة العربية الحديثة.

(171) أحمد خالد توفيق: "الوطواط"، سلسلة فانتازيا، العدد 29، المؤسسة العربية الحديثة.

(172) أحمد خالد توفيق: "اقتلوا بطوط"، سلسلة فانتازيا، العدد 17، المؤسسة العربية الحديثة.

(173) أحمد خالد توفيق: "خمسة منهم"، سلسلة فانتازيا، العدد 19، المؤسسة العربية الحديثة.

(174) انتشرت نوادي الفيديو في الثمانينيات والتسعينيات، وكانت عبارة عن محال تؤجر الأفلام المسجلة على شرائط الفيديو، ثم أخذت في الانحسار في



- بدايات الألفية مع انتشار الكمبيوتر والأسطوانات المدمجة، الأمر الذي أدى إلى انقراض أجهزة الفيديو وشرائطه مع الوقت.
- (175) أحمد خالد توفيق: 30، عدد خاص لا ينتمي إلى أي سلسلة، المؤسسة العربية الحديثة.
- (176) أحمد خالد توفيق: "تسي تسي"، سلسلة سفاري، العدد 13، المؤسسة العربية الحديثة.
- (177) أحمد خالد توفيق: "الرجل الذي لم يكن"، سلسلة سفاري، العدد 15، المؤسسة العربية الحديثة.
- (178) أحمد خالد توفيق: "أسطورة حامل الضياء ج 1"، سلسلة ما وراء الطبيعة، العدد 78، صفحة 196، المؤسسة العربية الحديثة.
- (179) أحمد خالد توفيق: 30، عدد خاص لا ينتمي إلى أي سلسلة، الصفحات 11-4، المؤسسة العربية الحديثة.
- (180) "الشيطانة" و"سباق الموت" هما ترجمتان مختصرتان لرواية "ميزري" و"الرجل الهارب" لستيفن كينج.
- (181) بيتر نيكولز: "السينما الخيالية"، ترجمة مدحت محفوظ، القاهرة 1993، الهيئة المصرية العامة للكتاب - سلسلة الألف كتاب الثاني، صفحة 256 و257.
- (182) شارك في "روايات مصرية للجيب" بسلسلة مصورة للأطفال بعنوان "مغامرات كوكو"، تحكي مغامرات بغبغاء.
- (183) توقفت المكتب رقم 19 في النصف الثاني من التسعينيات عند العدد 83 دون أن يكون التوقف رسمياً، فقط توقفت الأعداد عن الصدور - واعتقد أن سبب التوقف كان ضعف الإقبال على السلسلة، ثم عادت لتصدر من جديد في السنين الأخيرة، وأصدر شريف شوقي بجوارها سلسلة جديدة بعنوان "رجل الأسرار".
- (184) نجحت سلسلة "فلاش" نجاحاً كبيراً، وكانت مختصة بالكوميكس وألعاب الذكاء والمعلومات العامة، ثم أصدر خالد الصفتي بعدها أختها الشقيقة "سماش"، والتي تختلف عن "فلاش" في أنها لا تركز على ألعاب الذكاء بقدر تركيزها على المعلومات العامة. وفي السنين التالية ظهرت عدة إصدارات أخرى من فلاش بقطع متنوع: مغامرات فلاش، سوبر فلاش، مطبوعات فلاش، ميني



فلاش. في فلاش صنع خالد الصفتي عالمًا كاملًا بشخصياته الكاريكاتورية، ولولا أن هذا الكتاب عن البوب فيكشن وليس الكوميكس لاستحق منا الكثير من الكلام.



(185) حدث خطأ في ترقيم هذه السلسلة، فحمل العدد الأول منها رقم 84، وكأنها استكمال لسلسلة المكتب رقم 19، المتوقفة عند العدد 83، لكن العدد الثاني منها حمل رقم 2، وعندما أعيد طبع العدد الأول حمل رقم 1.

(186) جورج أورويل: "1984" - 1، "1984" - 2، سلسلة روايات عالمية للجيب، العددان 50 و51، ترجمة وإعداد أحمد خالد توفيق، المؤسسة العربية الحديثة.

(187) أحمد خالد توفيق: قصصات، سلسلة سفاري، العدد 30، المؤسسة العربية الحديثة.

